٢١٢ حقائق التنزيل ودقائق التأويل، تأليف الشبستري،
ح ٠ ش ابراهيم- كان حيا قبل ١٠٩٦هـ. كتب سنة ١٠٩٦هـ.

٢٠٠ ق ٢٥ س ٢٥×١٨ســـم

نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد.

٦٨٠٨ ١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف

ب- تاريخ النســخ.



مجلد اول تفسیر قریب نصف



تفسیر حقایق التنزیل و دقایق التاویل

از شیخ عارف

شبستری

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم الحمد لله فياض عوارف النعم ومنزل معالم
بكتابه العزيز وخطابه المحكم بالتجلي لعباده خلف استار كلامه القديم الاقدم المتدلي بحبله المتين لجذب نفوس
العجم الذي انطق لسان الانسان بما رسمه اسنان القلم فعلم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم واشهد ان لا اله
له المتعالي الكريم الاكرم واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث لدعوة خير الامم الى
غرايب العرب وجماجم العجم واصلح من الدين ما افسدته دواعي الاراء بجمع شتاته و
ما وهن وابرم صلى الله عليه وآله سفن النجاة من لجج الفتن لمن اسلم فاستسلم و
البرايا الى المنهج الاقوم والطريق الاسلم وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ا
احد من اهل الدين المستمسكين بحبل اليقين في ان المقصد الاقصى والمطلب الاعلى معرفة تفسير القرآن
اجماله وتفصيله واستكشاف مكنونات آياته والاستطلاع على غوامض اسرار بيناته فان الحق تعالى خلق الانسان وسوى نفسه
الناطقة في احسن تقويم وازينه ونظر في نشأته الروحية على اوضح طريق من الهداية وابينه ثم رده اسفل سافلين بالنزول الى
نشأة الماء والطين فلم يزل في نشأته العنصرية مضايق الصدور برذايل اوصافه زايغا عن منهج الاعتدال بافراطه في الامور وتفريطه
ولم يمكنه التخلص عن غياهب الملكات الردية ونايبات النشآت الطبيعية الا بالاعتصام بالقرآن حبل الله المتين والتمسك به في مسالك
علم اليقين ومدارج عين اليقين ولا كاد يتم له ذلك الا بفهم اسرار معانيه والاستطلاع على مضامين احكامه ومبانيه كلا بل كيف
يعتصم به احد حق الاعتصام ولا يطلع به مطلعا يقصد ويرام الا بالتخلق بما فيه بمحاسن الاخلاق والتبري عن سفساف الاوصاف
التي ما لها عند الله من خلاق فلا غنى لاحد يريد الارتقاء الى الرتبة العليا والعروج الى ذروة الدرجة القصوى والقيام في مقام
الزلفى عن تفهم كتاب الله العزيز العليم وتحقيق مقاصد كلامه الكريم ليتمكن من الاعتصام به ليتحقق بآيات توحيده ويتخلص عن عذاب
المعاصي بشرح وعده ووعيده واني لقلة بضاعتي ومتاعي وضيق ذرعي وقصر ذراعي وباعي طالما كنت اطالع في التفاسير التي بذل
فيها الجهود لنيل المقصود فلم ار واحدا منها يفي بطرايف من طرق مقاصده ويتكفل بكشف شيء من فنون معانيه على قاصر الاوقات عنه
من المقاصد ما عداه وصون عن سوايد الفوايد بداه من معتبر على حل الفاظه وتحقيق تركيباته خايض في مزايا تراكيبه وخواص تاليفاته
ومن سالك منهم مسالك التاويل بتطبيق الانفس بالآفاق ومن ذاهب به مذاهب ارباب النظر واصحاب الفلسفة ما لم ياذن الله من ملكي
ولو ان ترى كل فرقة منهم يروج في ذلك السوق متاعه ويفوت من المقاصد المنوية اضعاف ما حصل لخزينتها اشتراه وباعه
فهذا باني تسولهدوا اهبد من الآيات لتبين بها صحة لغات القرآن وحسن تراكيب الآيات تخجل وجه الشمس بالحسن ويستطيب
رحيق الجنة بمزج الجلد وذلك يرد فيها المسايل النظرية ويريد به مزيد حسن المقال ويقصد تبليغه في نباهة الشان مدارج الكمال
فطفق يستعذب بالملح الاجاج ماء الفرات ويستكثر خزانة العزيز ببضاعة مزجاة وكل حزب بما لديهم فرحون فانحرفت استرقهم

في تحرير

في تحرير تفسير يشتمل على شرح ظواهر الآيات وما فيها من نوادر الاحكام ودقايق الاستنباطات ويحتوي على تحقيقات ارباب المشارب
وتدقيقات اصحاب الاذواق باتم وجه واوضح طريق والطف مساق فجعلت اجمع من التفسير ما ارتضيته اصحابه واستخرجت من
بطون القرآن ما هو لبه ولبابه فجاء بحمد الله كتابا حاويا للفوايد التفاسير والتاويلات جامعا لجوامع الكلمات ارباب الطريقة من النكات
واللطايف والاشارة مع ما تصدت معها خلاصة ما اورده الشيخ الاكبر رضه في الفتوحات من التحقيقات والفوايد المتعلقة بالآيات
والآيات ثم ضممت اليها حقايق خصصت بها من المبدا الفياض ودقايق ازين بها الفوايد المنقولة مثل ما تزين بالازهار دوحات
الرياض وسميته حقايق التنزيل ودقايق التاويل متضرعا الى الله تعالى ان يهدي به من سواء السبيل ويحفظني في قطع مهامه مسالكه من
الضلال والتضليل واسال الله العظيم وابتهل اليه ان ينفع به الطالبين ويوفر فيه رغبة الراغبين ويجعله لي ذخرا ليوم الدين
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم هذا وتقدم قبل الشروع في المقصود فصولا في تحقيق معنى كلام الله وتفصيل
مراتبه ومعنى تكلمه مع قيامه بذاته وكلامه وفي بيان وروده من مقام الاطلاق ووجه كونه معجزا في جنس الكلام بعرفه كله
وفي طريق تاثيره في الايجاد وثواب تلاوته وفي ملابس حروف ابي جاد وفي بيان اشتماله على الظهر والبطن باجماله وتفصيله
بيان الاجمالي تفسيره وتاويله والله تعالى هو المرجو لكل مامول وانه هو ولي الاجابة والقبول **فصل** امهات
الصفات الكمالية الالهية في منتظم امر الايجاد هي الحيوة والعلم والارادة والقدرة والحيوة مقدمة الثلاثة فالامر داير
بين العلم والارادة عقلا وبين العلم والارادة والقول شرعا ويجمعهما قيام القول عن القدرة مقام الالة وكونها الشرط الاخير
لحصوله والخطوة الاخيرة لوصوله فكانها هو منطق لسان الشريعة بابتناء التكوين على العلم والارادة والقول فقال انما امرنا لشيء
معلوم في شيئية الثبوتية اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي تكون في شيئية الوجودية فظهر ان الكلام صورة علمية اقترن بها الارادة
ووافقته القدرة وهو صفة مستصحبة العلم والارادة والقدرة فالعلم معناه وهو منشا الحكم الذي فيه والقدرة صورته وهي
منشا التاثير الذي فيه والارادة برزخ بينهما باعث لها على الحكم والتاثير فقد احتف بينها اختفاء الواو في كن تكوين الاكوان
بجمعية العزيزية فاشبه ذلك الانسان في جميع المراتب الثلاث الروح والنفس والجسد لاستفتاح القوى والمشاعر وآثار الجزئية فهو الكلام
العقلي الالهي ومن هنا قال الحقائق القرآن والسبع المثاني وروح الروح لمدرج الاوائل ثم ان للكلام في مراتب الوجود صورا مختلفة
فهو في مرتبة الغيب نسبة قائمة بذاته تعالى غير متميزة عنها عينا مشتملة على حقايق الحروف والكلمات الجوهرية عن الصور العقلية والخيالية والحسية
يسمع الله بها الاعيان الثابتة بلا عبارة ولا عربية ولا تمييز فيها الانشاء عن الاخبار ولا الماضي عن المستقبل والحال واليها الاشارة بقوله تعالى وانه في
ام الكتاب لدينا لعلي عن سعي بالعوث السفلية الكونية حكيم عن نسبة اليه وهي الانفصال عن موصوفه وفي مرتبة العقل وهو القلم الاعلى يتميز
عن موصوفه عينا فهو ذو معنى قايم به منبعث عن الارادة متوجه في ابداء المواد متلبس بروحانيات الحروف والكلمات العقلية المجردة
عما يستتبعه الخيال والحس من ملابس اللغات التي والتقطيعات والتركيبات واليها الاشارة بقوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه
الا المطهرون اي روحانيات الحروف العقلية المطهرة عن غواشي مراتب الحس والخيال وفي مرتبة النفس وهي اللوح المحفوظ قد اكتسى صورة

وابتهل
اي تضرع

الحروف والكلمات المثالية الخيالية وما سمعها من التأليف والترتيب اللفظي واليها الاشارة بقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
ومن هنا تلقاه الملك فلما نقله الى البشر متلبسا بالصوت المثالي المتكيف بكيفيات الحروف وما يتقدم من الاسماء والتقطيعات كما قال تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وفي مرتبة البشرية اكتسى صورة اللفظ بالاصوات وتقطيعاتها
الحسية فجمع الانسان بين معناه ورقيقته المثالي ورقيقته الحسي لفظا وخطا فحمل معناه بروحه ورقيقته المثالي بنفسه ورقيقته الحسي
واليها الاشارة بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الذي لا مزيد على عظمته بجمعه لخواص جميع المراتب الغيبية والعقلية
والخيالية والحسية تنبيه للكلام في مرتبة الغيب بخصوصها ثلاثة اطوار فهو في العلم معنى محض مجمل وفي الارادة تخصيصات
في القدرة تأثيرات ونفحات وفي الانسان باطواره الثلاث الروح والنفس والجسد يجمع تلك الاطوار فيعلم بروحه اجمالا ويريد بنفسه
تفصيلا ويقول بلسانه تأثيرا قال عليه السلام كن ابا ذر فكان ومنه في الجنة يقول اهلها لما يشاؤن كن فيكون فصل قد تبين ان الكلام
في اي مرتبة كان لا يعرى عن الحروف والكلمات بصورها العلمية ثم العينية العقلية والخيالية والحسية بحسب مراتبها ومواطنها على الوجوه
المذكورة فان الكلام لا يكون كلاما الا بذلك فهو من صفاته النفسية وهذا معنى كون الالفاظ القرآنية قديمة وان القرآن مع كونه مقروءا
بالالسنة مكتوبا في المصاحف قائم بذات الله لكنه لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق فان قلت فاذ كان
عليه دليلك هذا ان يكون حقايق تلك الالفاظ الجارية على الالسنة في مرتبة العلم قديمة قائمة بذاته تعالى لا قدم هذه الالفاظ في
مشهد الحس قلت حقيقة الشيء لا تتبدل بالتنزل في المراتب والظهور في المحال وانما الذي في كل موطن ما يختص به من الاحكام فلا
انقلاب للحقيقة ولا تبديل لكلمات الله فالمقروء بالالسنة والمكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور كلام الله تعالى بحقائق حروفه
كلماته العلمية الغيبية قد تلبس في المراتب باحكامها المختصة بها وهو لا يغاير تلك المراتب حقيقة بل يتحد بها عينا ويتميز عنها تعينا كالتعين
الصوت المتمادي وامتيازه عنه ولا يتحقق حكم الحدوث الا باعتباره في تلك المراتب من حكم التخيل والقراءة والكتابة فالحادث في المتن
وقراءة القاري فانها التي طرأت عليه في الرتبة البشرية من النفس المتنفس وفاته الثابت في كل طور من الاطوار وكذا الكلام في المتخيل
والمكتوب هذا هو الذي مهدناه لكن مبنيا على اتحاد المراتب في الحقيقة فالقائل بالدال والمدلول ان اراد ما ذكرناه فذاك وان بنى مقالته
على مغايرة الدال للمدلول في الحقيقة فما هو من التحقيق في شيء فليتب الى الله متابا فصل القرآن وهو الكلام الالهي والوارد من
مقام الاطلاق والجمع نازل عن تلك الرتبة الى مراتب التقييد والتفرقة شيئا فشيئا الى القلم ثم اللوح ثم الى الملك ثم الى البشر وبهذا الكلام
الكوني فهو كلام حديث في مقام التقييد والتفرقة الا في لسان بشر او في شخص حجر او شجر للتعبير عن معنى وارد وعلى هذا فايض من مقام العلم
مجرد عن صورة الصوت والحرف عقلا وخيالا وحسا واما الحديث القدسي فهو امر متوسط بين الطرفين المذكورين فله وجه الى الاطلاق ووجه
الى التقييد فانه وارد من حضرة المثال المطلق والبرزخ الفاصل بين المجردات والمادية وذلك بان يتجلى الحق تعالى للنبي بصورة مثالية فيكلمه
بكلام مشتمل على صوت وحروف مثاليين كما يرى ويسمع احدنا في منامه فيكون اللفظ مسموعا من الحق تعالى في مقام متوسط بين طرفي الاطلاق
والتقييد وبهذا نزل عن القرآن في الشرف والمكانة وانما كان الحديث القدسي مسموعا بلا واسطة الملك دون القرآن لان البشر

من حيث انه بشر لا يسمعان يسمع الكلام الوارد من مقام الاطلاق في النشأة الدنياوية لكثرة ما قد حكم عليه من القوى النفسانية والهيئات الملكية والمادية
ولما الملك فلقربه من المبدأ بالتجرد وقلة الوسائط يصلح للتوسط في ذلك الامر وفضل خواص البشر عليه من وجه آخر لا مدخل له
في هذا الامر فاندفع بذلك ما ربما يختلج في الصدور من ان القياس يقتضي شرف الحديث القدسي على القرآن لكونه مسموعا من الحق بلا واسطة
ينفطر له واذ قد عرفت ما مهدناه لك ههنا من نزول القرآن من مقام الاطلاق التام ظهر لك انه تنورت من لمعان العاقلة
بنور القدس وتطهرت قوتك الحدسية عن غواشي الوهم وحجب الرسوم والعادات ان علو مكانة القرآن ورفعة شأنه من جهة
صورة غيبية متجلية من خلف استار المراتب الكونية ناشيء من ورود عن رتبة الاطلاق والجمع حتى لم يكد يشبهه شيء من الكلام
الصادر من مقام التقييد والتفرقة ولا يحوم حول حمى فوق كماله شيء من ذلك وان ارتقى في مراقي البلاغة الى المكانة العليا وعرج في مدارج
حسن المضامين غاية القصوى فلا يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج فهذا يضاعف السامع بتكرره
في السمع نشاطا ويزيد القاري عن فهم معناه سرورا وانبساطا وبهذا كان معجزا اتحدى به الانس والجن باقصر سورة منه فعجزت
البلغاء وارباب الذكاء والدرايات منهم مع بذل مجهودهم عن الاتيان به وعاندوه بمعنى ومن لم يذق ما ذكرناه من الصورة الغيبية اللامعة
منه لمعان نور الشمس في صحو صحيفتها فليقنع بما قد قيل في دلائل اعجازه من جهتي اللفظ والمعنى اما من جهة اللفظ فهو ما قد قيل من اشتماله
على مجامع ما يعتبر في الفصاحة والبلاغة من سلاسة اللفظ وتناسب الكلمات والمزايا المتفقة والعبارات اللطيفة والمحسنات
البيانية والبديعية على احسن طريق واوضح منهج واما من جهة معناه فهو باعتبار ما تضمنه من اشتماله على مجامع الحكم والمصالح الدينية
الدنياوية والترغيبات والترهيبات المستجلبة لسعادة الابدية المنقذة عن الشقاوة السرمدية وزجر النفوس الامارة وتزكيتها بالمواعظ
الحسنة وايقاظ العقل بالعبر والتمثيلات المستحسنة وايراد غوامض الاسرار التي عجز عن ابراز برهة منها فحول العلماء الكاملين
الوفاء المستكملين والحاء بعد ولحد الى يوم الدين فصل ما خرجت الاكوان من مكمن الغيب الى مشهد الشهادة الا بواسطة
الكلام وما تم لها البقاء بعدما ظهرت الا به ومن لطائف كلام الشيخ الاكبر رضي في بيان ذلك المقام ان الاسماء الالهية اجتمعت بحضرة المسمى
في حضرة الغيب فنظرت في حقايقها ومعانيها فطلبت ظهور احكامها حتى تتميز اعيانها باثارها فالخالق والمدبر والمفصل والمصور
او لا مرزوقا وقالوا كيف فعل حتى تظهر هذه الاعيان التي تظهر احكامنا فيها فتظهر سلطاننا وكان هذه الممكنات في حال عدمها سالكة
الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت لها ان العدم قد اعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب علينا من حقوقكم فلو ظهرت اعياننا
لعلمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم ولصح لكم السلطنة علينا اليوم بالفعل فهذا الذي نطلب منكم في حقكم اكثر جزاء منه في حقنا فقالت
الاسماء ان الذي ذكرته الممكنات صحيح فتحركوا في طلب ذلك فلجأت الى الاسم القادر فقال القادر انا في حيطة الاسم المريد لا اوجد عينا
منكم الا باختصاصه ولا يمكنني الممكن من نفسه الا ان ياتيه امر الامر من ربه فاذا امره بالتكوين كون فخصت فلجاء الى الاسم المريد لعله
يرجح ويخصص جانب الوجود على العدم فلجئ الى الاسم المريد فقالوا سألنا الاسم القادر في ايجاد اعياننا فاوقف امر ذلك عليكم فقال المريد
صدق القادر ولكن ما عندي خبر ما حكم به الاسم العالم فيكم وانا تحت حيطته فسيروا اليه واذكروا له قصتكم فساروا اليه فذكروا الذكل

فقال العالم صدق الاسم المريد وسبق على بايجادكم ولكن الادب اولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهو اسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانه
حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها اليه قالت لهم فيما احتج ادخل على مدلولى فدخل عليه فقال الى ما قالت الممكنات وما ذكر من الاسماء فقال
اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته فى الممكنات فخرج الاسم الله ومعه اسم المتكلم يترجم عنه للممكنات و
الاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والمريد والقادر بالحقايق فظهرت الممكنات بترجمة المتكلم ثم انه لما ظهرت الاعيان
لا تاثير فى الاكوان وتسلط بعضهم على بعض وقهر بعضهم بعضا بحسب ما يستند اليه من الاسماء تادى ذلك الى منازعة وعظام الايجاد
تنطفى نايره دايره دون ان نفسد النظم ونخل الامر ويبطل اثر الظهورات بالكلية فعند ذلك لجأت الممكنات مرة اخرى الى
الاسماء وقالوا انا نخاف علينا ان نفسد نظامنا ونلحق بالعدم الذى كنا فيه فلو كان لكم فى حكمهم ميزان معلوم وحد من رسوم
بامام ترجعون اليه يحفظ علينا وجودنا ويحفظ تاثيركم لكان اصلح لنا ولكم فلجأوا الى الله واطلبوا من يحكم حدا تقفون عنده
ففعلوا ذلك فخلع الاسم الرب لهم ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة بواسطة الفيض الالهى ما هو وراء طور العقل فايدة بانزال الكلام
اليه من عنده تعين لهم الافعال المقربة الى الله تعالى ويبين لهم الحدود ويضع السياسات الشرعية ويعلمهم بالخلق الله مما غاب عنهم وما يكون
منه سبحانه ويعرفهم فى المستقبل من البعث والنشور والجنة والنار ويعد ترغيبا الى الطاعة واوعد ترهيبا عن المعصية فتم بذلك بقاء النظم
واصلاح الدنيا ويتبين به سلوك طريق النجاة فى الاخرة ونيل السعادات الابدية فنا الكلام بدا الامر وبه بقى النظم فبدا اولى ومنتهى وزاد
بالمثل فى هذى وهو فى الاكوان نهاية مراتب الوجود فان ظهوره التام فى الانسان وهو النوع الاسفل فيه اتصلت البداية بالنهاية

فصل باطن الكلام طالب للظهور فى صورته الكونية واهوتية متعشقة للتجلى فى رتبة ناسوتية الانسانية فالقارى
ثاب الجزاء تتويبا لمعنى الحق بلا وثم من جهة انه جعل نفسه واسطة لوصول حقيقة الكلام الى مطلوبه طريقا لبلوغ المحب الى محبوبه
فيا له من الرتبة العليا والمكانة الزلفى يكتب له بكل حرف عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات ويرفع له به عشر درجات هذا وان
لمستظهر القرآن الماهر به شانا عليا وفضلا جليا ازداد به على غير المستظهر قدرا وهو انه اعطى الكلام كمالين فى مشهدين وساعى
فى حصول مطلوبين احدهما وقد شاركه فيه غير المستظهر هو ما خلع عليه من الصوت لباسه والحروف فى مشهد احسن والثانى ما اختص به
من الباس الصور المثالية فى مشهد الخيال وقد ورد فى الخبر ان من استظهر القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه ولتناهيه هذا
الشان يحكى ان الشيخ ابا يزيد البسطامى قدس سره ما خرج من الدنيا حتى استظهر القرآن وهذه القاعدة تسلك الى معرفة رفعة شان
القارى العالم بمعانى ايات الكتاب المبين المبلغ لها منه الى مسامع الطالبين فانه يعطى حقيقة القرآن مقتضى الاصل من ارشاد
الغاوين وتخليص الحايرين فيستنزل معناه من اوج الالوهية الى حضيض البشرية حبلا مبينا ويستنقذ به المستهلكين من اودية الضلالة
وغيابات الغواية انقاذا مبينا وادقد ارشدتك الى الطريق ثواب القارى واجره فلا يذهبن بك تمويهات العقول الى انا قصد به
النزع عن الحق الاصلى فتكون فى ريب من ثواب التلاوة عرية عن فهم المعنى تتوهم زوال الالفاظ الحسية وفنائه بانقضائها فى
القرآن فى صوره عرضية نهاية مراتب الوصف لانه فى النزول الى النازل فى مدارج النزول راجع بالحالة فى معارج الرجوع الى

مابداء منه فان الانعدام بعد الوجود محال وانما الامر انتقال من حال الى حال فهو الحبل المتين بلفظه كما انه الحبل المتين بمعناه يعرج بعروجه
من اعتصم به اعتصام الهادى فى مهادى المهالك بالحبل الممدود والرجوع رجوعه الى مدارج المقصد فليعتصم به من اراد النجاة
والفوز بالدرجات وفى بعض الحقايق ان الانسان خلق مستعدا للعروج الى الوطن الاصلى والمنزل الحقيقى الذى خرج منه عند التكوين
بامر كن وشرف بخطاب ارجعى والقرآن حبل ممدود من الحق تعالى انزل الى العباد ليعتصم احد طرفيه فى حظيرة الامر والاخر عند المامورين
وقد سماه الحق تعالى الحبل فانه مشتمل على الامر والنهى والوعد والوعيد والترغيب والترهيب لا يمكن الا خمان يرجع الى ما نزل منه الا
بالاعتصام بذلك الحبل ولهذا قال فاعتصموا بحبل الله فانه الصراط المستقيم الى الله وقال عليه السلام يقال لصاحب القرآن اقرأ و
ارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرأها حديث صحيح فهذا يدل على ان عدد اى القرآن على قدر درج
المقامات بين العبد والرب فمن استوفى جميع اى القرآن فهما وعلا به استوى على اقصى درج القرب الى الله تعالى فى الرجوع اليه
بهذه الحكمة كان اخر اية نزلت على النبى صلعم فيما رواه عبد الله بن عباس رضه قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله لانه تعالى
استنفر عباده بالرجوع اليه فى اخر اى القرآن وامرهم به ليعلموا ان الحكمة فى انزال القرآن ان يكون معتصما للعباد فى رجوعهم
وجاذبهم الى الله تعالى لا يرضى من العباد بالرجوع الى غيره كما قال تعالى ان الى ربك الرجعى رزقنا الاعتصام بحبله المتين والرجوع اليه فى
مدارج ارباب اليقين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين **فصل** قال رسول الله صلعم ان للقرآن ظهرا وبطنا ولكل
حد ومطلعا يعنى ان له ظاهرا ينطق به لسان العبارة من دلالاته اللغوية والتركيبية بالاوضاع الجزئية السماعية والاوضاع الكلية
القياسية وان له باطنا ينطق به لسان الاشارة من فهم اياته العقلية المستفادة بطريق الحدس والكشف المستفاضة من الجود بتصفية
المحل وتخلية عن التخيلات الفاسدة القلبية والتمحلات الفضلية الغالبة المشار اليها بقوله عم لولا ان الشياطين يحومون فى قلوبكم وتزيد
فى التكلم لرايتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع وان لكل واحد من الظهر والبطن حدا ينتهى اليه افهام البشر فيما انتشا الدنيويه ومطلعا
هو الامر الذى به يقع الاطلاع اما على الظاهر وعلى البطن اما مطلع الظهر فمعرفة لغة العرب واساليب نظمهم وخواص تراكيبهم على الوجه المبين
فى الكتب الادبية واما حده فهو فهم اللوازم البعيدة والاستدلالات الدقيقة فى المسائل الاجتهادية واما مطلع بطنه فتصفية
الباطن عن الهوى المتبع والغوائل الطبيعية والتعرض لنفحات انفاس عالم القدس والتوجه الى المبادى العالية واما حده فشهود المتكلم
بالتفطن لتجلى الذات فى ملابس الصفات واذا كان الامر على ما قررناه فلا يسع احدا ان يتكلم فى شىء من الناس ولا تاتى الا لارباب الطريقة
بتطبيق الافاق بالانفس والعبور عن ظواهر المفهومات الى لوازمها ما لم يدع مدعيه قصر المعنى عليه وطرح الظاهر عن الرسن وما لم يفرط فيه
بالتزام التاويل فى كل اية حتى يقع فى ورطات التكلفات الباردة التى تعاف منها الطباع الزكية وان يستنزع عن المحققات
التى استنبطها الراسخون فى العلم فى محكمات القرآن ومتشابهاتها مما خلت عنه تفاسير السلف والاقوال المنقولة عنهم بزعم كونه
ممنوعا بحكم المنع عن التفسير بالراى وهو لا يدرى من سوء فهمه ان نهاره تحت حكم وهمه ان ذلك المنع فى المتشابهات التى لا يعلم تاويلها الا
علمه الى الله او مواضع موقوفة على السماع يجب على المفسر فيها من السلف العلم بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمبين

ذلك
وما استنبط ذلك كيلا يحكم اذا جهل تلك الامور بحل في حرام او بحرمة في حلال او بوجوب امر او منع عنه في غير محله والما ما علا
من ذكر صفات الله تعالى وعجايب افعاله وآثاره وعظايم نعمه وحلايل الاسود ودقايق التمثلات ولطايف المواعظ والتذكرات
فقد ندب لكل عالم باساليب الكلام ان يتأمل فيها ويتعرض لنفحات حيثيات معانيها فيصدر عن موارد مقاصدها بما يناسب نشأته الفطرية
وتقتضيه قابليته الاصلية فان معنى القرآن غير محصور في شيء مما ذكره الاولون والآخرون بل لكل ما لا يدفعه العقل ولا يمنعه الشرع فهو
معنى كلام الله تعالى وقد صرح الشيخ الاكبر رضه في الفتوحات المكية بانه ليس من شأن احد من الاغبياء ان يعوذ بعلم وينال من فهمه فيكون خارجا
عن الكلام النازل على ذلك النبي والكتاب الذي جاء هو به فمنهم من رزقه وحرم عنه من حرم فكل ما يجري من العلوم والحكم والمواعظ
الحسنة على السنة علماء الدنيا في كل طبقة من الطبقات كاينا من كان فهو من معاني القرآن ما نقل عن ابن عباس رضه قال في تفسير قوله تعالى
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن لو شئت لاوقرت منه حملا ونقل عن امير المؤمنين وامام المتقين علي على نبينا وعليه السلام
انه قال بين الجوانح لعلما لو ابثثته لرجمتني ولقلتم اني كافر وقد انشد في هذا المعنى ٭ يارب جوهر علم لو ابوح به
لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ٭ ولاستحل رجال مسلمون دمي ٭ يرون اقبح ما يأتونه حسنا ٭ وامثال ذلك في الاخبار
والآثار مما لا يعد ولا يحصى فبالبيت ما ظنك في هذا العلم المصون الذي خافوا على اذاعته وعنوا عن اشاعته هل كان من
ترويقات الفلسفة او من شعب فنون التبرج والشعبدة وهل كان ذلك الا بواطن آيات التنزيل واسرار التفسير والتأويل
والتحقيقات التي سرت من انهار بحار بواطنهم الى سواحل قلوب العلماء الراسخين والعرفاء الواصلين المقتبسين من انوارهم با
باقتفار آثارهم فعليك اذا ادعت ما قدرت لك ان تجمع بين التفسير والتأويل والتحقيقات التي ساوردها لك في موارد التنزيل
تغنم بالمقصد الاقصى والمطلب الاعلى وتنل من ثواب تلاوة القرآن ودراسته الدرجة والمرتبة القصوى والمنزلة الزلفى ومن
الله الاعانة واليه المرجع والمآب **سورة الفاتحة** وهي مكية ومدنية والسر في تكرار نزولها قبل تشريف السورة
بنزولها في الحرمين وقيل تشريفهما بنزولها فيهما واما التحقيق فيه فلا ينكشف لك الا بذكر قصة نزولها بمكة اولا وذلك انه
النبي ص قبل ان يبدأ بالوحي بمشاهدة صورة جبرئيل ع كان اذا مر بطريق سمع صوت مناد في الحجاب ينادي يا محمد ولا يرى احدا
يناديه فكان يرعب لذلك ويأوي الى بيته مرتعدا يرى اثر الرعب في وجهه من رقبته خديجة بعض القصة الى ورقة بن نوفل فقال
لها ورقة اذا سمع ذلك فليلبث حتى يتبين ما يقال فلما ردت عليه الكرة ونودي بما كان ينادي به قال لبيك لبيك فسمع يتلى عليه
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخر السورة هذا هو اول نزول الفاتحة بمكة وانت تعرف ان القرآن كشف
صوري للنبي ص وان المسموع من وراء الحجاب منه لا يبلغ مبلغ المسموع بمشاهدة حامل الوحي وسماع صوته فالفاتحة لما كان اول
نزوله في الحجاب نزل مرة اخرى بمدينة بشهود جبرئيل ع تصريحا بالوحي وتكميلا للكشف ولهذا قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني الآية
مكية فلا تقوم حجة لمن جعل فاتحة الكتاب مكية عن هذه فان الآيتان المذكورتان الى نزوله **فصل** سورة الفاتحة سبع آيات
فمن لم يجعل البسملة آية منها عد صراط الذين انعمت عليهم آية ولها اسماء كثيرة منها فاتحة الكتاب وام القرآن والسبع المثاني

اما تسميتها

اما تسميتها بفاتحة الكتاب فلان كتاب الله تعالى قد افتتح بها في المصاحف ولانها هي التي فتح بها باب نزول القرآن لما اسلفناه من
نزولها بمكة قبل ان يظهر الوحي واما الخلاف الواقع في اول سورة نزلت هي الفاتحة او اول سورة نزلت اوليته على الاطلاق وسورة اقرأ
اول سورة نزلت بمشاهدة صورة حامل الوحي والمزمل اول سورة نزلت بعد الفترة في الوحي فلها اولية بالنسبة الى ما تواتر فيه الوحي
من القرآن نكتة بطون معاني كلام الله تعالى على ما ورد به الخبر سبعة فمن خزاين جواهر الفيوضات الغيبية والعلوم والمعارف
اليقينية ما لها مفتاح سوى الآيات السبع المفتتح بها كتاب الله تعالى فهي المفتاح المفاتح لابواب خزاين الكتاب لمن يطلع على كنوز
معانيه الا من يريد تحقيق معاني الآيات السبع لهذه السورة فليلقي بالقبول خطابي هذا من لم يدركه ذوقا واما تسميتها بام القرآن
فلان اصل الشيء الذي يحصل به ذلك الشيء ويتفرع منه شعبه وفروعه وهذه السورة من حيث كونه مجملا لتفاصيل القرآن نسبتها
اليه نسبة الاصل الى الفرع ووجه كون السورة منتخبا للقرآن مجملا لتفاصيله هو ان مقاصد القرآن مع تكثر فنونه وشعبه من الامر والنهي
والوعد والوعيد والقصص والامثال لا تعدوا مضامينه عن ثلاث مقامات احدها بيان المبدأ وقد اشتمل على ذكره البسملة
الى مالك يوم الدين بذكر الواجب تعالى وعن صفاته التي هي وسايط ايجاد الممكنات على وجه الاجمال والثاني بيان المعاش
وقد تضمنها اياك نعبد واياك نستعين بذكر العبادة التي هي مقصود الاصلي والعلة الغائية بخلق الجن والانس وبعثتها في
الثالث بيان احوال المعاد وقد اجمل ذلك في اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة على ما سنبين في تفسيرها انشاء الله
واما تسميتها بسبع المثاني فلما نطق به النبي في آياته السبع وبيان ذلك على وجه الاجمال قبل ان نفصل بتفسير تلك الآيات هو ان الآية
الاولى مشتملة على ذكر رحمتين الرحمة الرحمانية العامة والرحمة الرحيمية الخاصة والآية الثانية مشتملة على الحمد والشكر بناء
على ان الحمد باعتبار تعلقه بصفة الالوهية بمعناه المحض وباعتبار تعلقه بوصف الربوبية بمعنى الشكر على ما سنبين انشاء الله تعالى
والآية الثالثة مشتملة على ذكر رحمتين الرحمة الامتنانية والرحمة الوجوبية والآية الرابعة مشتملة على حكمين احدهما
جزاء العمل في الدنيا بوصف المالكية والثاني جزاء العمل في الآخرة بوصف الملكية على ما سنبين بعد والآية الخامسة مشتملة على
العبادة المعانة من العبد الى الحق وعلى ذكر الاستعانة العائدة من الحق تعالى الى العبد والآية السادسة مشتملة على
ذكر الطريق المستقيم الذي هو وسط طرفي التشبيه والتنزيه ومقام جمعهما لحكم الاعتدال على ما ستصح في معناها والآية السابعة
مشتملة على ذكر فريقين المنعم عليهم بنعمة الوصال والمحكوم عليهم بنقمة الغضب والضلال وما تم لطائفة ذلك المعنى هو ان المثنوية
المذكورة المبنية في الآيات السبع واقعة على وجه الايضاح في آية وعلى وجه الابهام فيما يليها من تبيين من البسملة الى الخاتمة على ما يتضح
على الناظر فيها مسلسله فانا اول ما يقرع به سمعك في تحقيق هذا المقام فالله يقول الحق وهو يهدي السبيل القول الكلي في
بسملة ذهب قراء المدينة والبصرة الى انها ليست بآية من السور المصدرة بها والافتتاح بها للتيمن والتبرك وذهب قراء
مكة والكوفة الى انها من الفاتحة دون ساير السور وذهب جماعة الى انها من الفاتحة ومن كل سورة وعليه ابن المبارك والشافعي
وقد تعارضت الادلة على ذلك في الفاتحة ففي الحديث القدسي عن النبي ص انه قال قال الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي

او سورة اقرأ او المزمل والتحقيق الذي ينكشف به الغطاء فيه هو ان الفاتحة ... ص

[illegible]

ولعبدي ما سأل قال فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ذكرني عبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى
حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فاذا قال العبد اياك
نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وذكر مسلم هذا الحديث ولم يذكر البسملة وعن ابي هريرة انه عليه
الصلوة والسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وهو معارض باحاديث مروية في انه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين واما حديث ام سلمة رضـ قرأ رسول الله سورة الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فيحتمل الدخول فلا يكون آية برأسها بل بما بعدها ويحتمل الخروج بان قرأها
تبركا فيسقط استدلال بالحديث قطعا واما الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله واثباتها في المصاحف بخط ساير القرآن مع
مبالغتهم في تجريد المصحف عن غير كلام الله فلا دلالة فيه على من يزعم انها ليست بقرآن في اوائل السور بل في سورة النمل
فقط وهو مما لا يتجه ان يقول فان القرآن لا يكون غير قرآن بنقله عن موضعه هذا وان عليك ان تنظر في امثال [illegible]
في الاخبار والابهام الحاصل منها تخليطها من الشارع فهو من عقيدتك او مساهلة من الرواة فلتبن بهم ظنك فان
ذلك وامثاله مبني على مصلحة الهية وغبطة شرعية يبتني عليها تشعب المذاهب بالاجتهاد الصحيح المشار اليها بقوله
اختلاف امتي رحمة وهذا الذي ذكره مبني على اصلين مختلف فيهما عند ارباب الجدل وعلى ترجيح ما هو الراجح فيهما عندهم احدهما
هل بازاء الكل واقعة حكم معين من الشارع اولا وقد رجح الثاني حتى يصح ان يكون المجتهدان المخالفان في مسئلة واحدة مصيبين
وقوله عليه السلم في المجتهد من اجتهد واخطأ يريد انه لم يصب ما ارتضاه الشارع في الواقعة وجها واحدا كان او وجهين فالمجتهد مصيب
تارة ومخطي اخرى وليس مخطيا ابدا ولذلك كان مأجورا على كل حال والثاني هل كان النبي عليه السلم موكولا اليه شيء من الاحكام ام لا بد
له من الوحي في ذلك وقد رجح الاول حتى يصح ان يكون المجتهد ايضا موكولا اليه شيء من الاحكام بتبعية النبي ووراثته عليه و
الحاصل ان الواقعة قد يكون بازائها عند الشارع حكمان تفويض الامر باحدهما الى المجتهد فاخذه بمقتضى اجتهاده كان
مرضيا للشارع وكان عمل المقلد به صحيحا فيصح اذن تقليد المجتهدين المخالفين في الراي فمذاهب المجتهدين المصلين كلها حق
وان تدارأ بعضهم بعضا لاحتجابهم عن رتبتهم وهم ورثة الانبياء في الوضع ونوابهم فيه والوضع ليس من باب الخبر
حتى يقال فيه بالتناقض وانما هو من الشارع تشريع ومن المجتهد بيان لما ارتضاه الشارع برابطة حسنة حقيقية بينه وبين الشارع
فكل الكل وصفيا شرعيا مرضيا للشارع بتشعب اختلاف انه توسيعا للشرع وتسهيلا على العباد فضلا من الله ورحمة فاجعل ذلك
نقد الفيتك على الطريق حسب تنبيه ان من اسرار كلام الله تعالى نزوله على سبعة احرف ليتضمن بذلك الحرف فوايد لا يسعها
حرف واحد فيكون ادخل في الجمعية واوفق للايجاز ومن جملة ذلك ما اثبت بعض القراء البسملة عنها من وجه آخر فان في ذلك اسرارا
تنبهت على شيء منها في سورة الفاتحة وذلك ان بين البسملة وبينها نسبة اجمال وتفصيل فكان مضمونها بيان امر المبدا والاحكام

المش

والرحمة استفاضت لحقائق الوجود وتخصيص بعضها ببعض جهة تحققت فيها نسبة المتبوعية والتابعية والحاملية والمحمولية
والحالية فتكونت المرتبة بالرحمن في الحيز على هذا المنهج وكان من جملة تلك الحقائق نسبة التقدم والتأخر من غير ان يتصرف
شيء بشيء منها في الوجود قامت النسبتان باعتبار تحسب استعداداتها حتى ظهر حكم الترتيب بتقدم بعضها على بعض في حاد
الزمان بحكم الترتيب معتبرا في نظر العقل فتنبه بهذا فانه من لباب المعرفة الحمد لله رب العالمين الحمد هو الثناء
على الجميل على جهة التعظيم فالتبجيل والشكر ما ينبئ عن تعظيم المنعم ثناء كان باللسان او عملا بالاركان او اعتقادا بالجنان
فيعتبران في الثناء لانه في مقابلة نعمة وفي التعظيم بالاركان في مقابلة نعمة ويتصادقان في الثناء في مقابلة نعمة
ومن لطايف اسرار كلام الله في الايجاز ايقاع لفظة الحمد هنا في موقع يصح ان يراد به معناه المخصوص به المفارق لمعنى الشكر
ومعناه الذي يصدق عليه الشكر فانه جعل متعلق الحمد الالوهية التي هي جمعية جميع الصفات الكمالية من غير ان يعتبر معها
ايصال الحق الكونية الى كمالاتها اللايقة بها وثانيا الربوبية التي هي جمعية تلك الصفات بالاعتبار المذكور فجعل الحمد في مقابلة
النعمة تارة وفي مقابلة النعمة اخرى ليكون مستعملا في معنيين باعتبار متعلقه فكان في ذكره مندوحة عن ذكر الشكر قلت
فهل لهذا المساق فائدة غير الايجاز الذي ذكره قلت نعم الاشارة الى ان الحمد معظم ابواب الشكر لانه ادخل في اظهار النعم
وادل على مكانها لما في الاعتقاد من الثناء من الخفاء ولما في آداب الجوارح من احتمال عدم المجازاة فهو راس الشكر بل هو في معنى
الشكر بالنسبة اليه ولذا قال عم الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده واللام فيه لتعريف الجنس او للاستغراق اي مطلق الحمد وحقيقته او
جميع افراد المحامد مخصوصة بذاته تعالى فان محاسن الصفات المثنى عليها ومجامع النعم المشكور لها مخصوصة به نعم مستعارة منه في خلقه
اذ ما من جميل الا وهو في حيطة الالوهية وما من نعمة الا وهي مستوعبة للربوبية لما بيناه آنفا تنبيه غاية معنى الحمد اظهار الصفات
الكمالية باخراج الآثار من القوة الى الفعل فهو في حقه تعالى ايجاد العالم لاظهار صفاته الكاملة في ملابس تلك الآثار وفي حق العبد اظهار
الآثار التي كان هو واسطة في ايجادها من الصور العملية والاقوال والافعال الاختيارية والطبيعية حتى النفس الضروري وفيه تنبيه على
ان العبد ينبغي له ان يقصد بجميع حركاته وسكناته وتوافق احواله اظهار الصفات الكمالية الالهية ليخرج بذلك عن عهدة الحمد الذي عليه
وفي شانه ويكون في وساطته لظهور تلك الآثار متذكرا للنعم المتواترة الا انه في حقه ليخرج بذلك عن عهدة الشكر الذي عليه وفي شانه
ولاجل العجز عن اداء هذا الحمد اشار النبي عم بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اي ربي يليك العالمين والرب صفة من التربية وهي
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غير الحق تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك قال ارباب الطريقة
هو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة
ومربي اسرار المحبين بانوار الحقيقة وانت قد عرفت ما في جهة الالوهية والربوبية من الموافقة والافتراق فتذكره والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
لما يختم به والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما
تحته من الاجناس المختلفة وصح جمعه تغليبا للعقلاء على غيرهم وكذا ان يقول جيد يغيب على ان اجزاء العالم علويها وسفليها جمادها ونباتها وحيوانها عالمة

عالمة عاقلة ناطقة بحمد الله وبتنبيه على مذهب ليس لاهل الحق من ان العلم تابع للوجود لازم له في جميع مراتبه وان مدبر جميع الجسمانيات انما هو النفس الناطقة
غير ان ظهور آثارها فيها بحسب اعتدال امزجتها وظهور العلم فيها بحسب حاجتها في تدبير بدنها وفي دقايق افعال الحيوانات وغوامض تدبيراتها
كتدبير العناكب في صيد الذباب بنسج الاوتار الدقيقة على النهج المخصوص وكتدبير الدجاج باستدفاء البيض وعكوفها عليه بما سنه من الجوع والعطش
ترصده لخروج الفرخ من غير شق عهد بها ... ما ذكرت ان الصفت الكل في اصل العلم سواء غير ان علم الحيوان فطري
ضروري غير مكتسب بفكر وروية كعلم الانسان بل هو مسطور على العلم الذي خص به موحى اليه بذلك ومن هنا كان اهل النظر علمه الى الطبيعة
ليس ذلك **الرحمن الرحيم** فايدة هذا التكرير تعليل ما دل عليه لام الاختصاص من ان لام التعريف في الحمد ولام التخصيص في لله من اختصاصه بجنس
المحامد بتزيين الوصفين وبما بعدهما ليكون ذلك حجة على انحصار المحامد فيه واستحقاقه له فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته الملحوظ ان
ذكر الرحمة هنا بالنظر الى سابقه ولاحقه فايدة مخصوصة بما هو حري في غير ذلك المحل وهو الاشارة الى سبق رحمته وخلق العالمين
بجميع الخلق اليها في المعاد بتوسيط ذكر الرحمة بين امر المبدا والمعاد ويلايم ذلك ما ورد في الاثر يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة حيث قرن الرحمن
برب العالمين المشير الى المبدا والرحيم بمالك يوم الدين المشير الى المعاد كذا ذكره سيدنا ابو حامد الغزالي قدس سره في جواهر القرآن
تبصرة ان لكل من الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية ظهورا في مشهدين احدهما مقام الايجاد والتكوين وشعلقه بما الذات
الحقايق الكونية والثاني بعد الايجاد ومتعلقها اذن اهل العالم في مشهد الغير دنيا وآخرة والرحمتان في المشهد الاول هما الرحمة الكلية
والرحمة الرحيمية الجودية وفي المشهد الثاني الرحمة الرحمانية الامتنانية والرحمة الرحيمية الوجوبية فان في البسملة فهو ناظر الى الاولين ولذلك
قرن باسم الله الذي هو موجد الكاينات وما في هذا المقام فهو ناظر الى الاخيرين ولهذا قرن بذكر العالمين والرحمة الامتنانية هي الرحمة
الكل والرحمة الوجوبية هي التي اوجبها الحق على نفسه وهي المخصوصة بالسعداء دل عليها قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون
لاية هذا وان عليك ان تعلم ان الفيوضات العامة الرحمانية الامتنانية كافاضة الوجود على الجميع واعطاء الرزق والعافية مما يستوي فيه
السعيد والشقي والوضيع والشريف لا يعطي محلها شرفا ومكانة قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وانما الشرف والعلو لمن نال الفيض
الخاصة الرحيمية الوجوبية من الايمان والعلم والمعرفة وقد سبق لك ما اومانا اليه من طمع الشيطان في الرحمة فلننبه لما حكى عن سهل بن
عبد الله التستري رحمه الله انه قال لقيت الشيطان في بعض الطرق فعرفته وعرفني فتجاذبنا اطراف الكلام في عصيانه وجرى بيننا وبينه
المحاجة ما جرى الى ان تاه حجته الى ان قال لي مع ما ترى غير آيس من رحمته قلت بماذا قال اما ترى قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فبهت
في ذلك عن الرد عليه فرجعت الى منزلي مهموما فما اجد في نفسي من العجز عن الحجة عليه فبت تلك الليلة محزونا ساهرا ارددها الآية على نفسي
الى ان تذكرت في آخر الليل بقية الآية فسأكتبها للذين يتقون فسررت بها وزال السرور وتقدم مزدد بدولي في الاباية مرة اخرى لاحتاج
بها عليه فاصبحت اتمنى ذلك الى ان صادفته اخرى في بعض طرقي فقلت له ويلك يا ملعون اين انت ما احتججت به لنفسك فان الله قيد
الرحمة بقوله فسأكتبها للذين يتقون فنظر الي وقال يا سهل كنت اعتقد فرق هذا المعرفة يا عجبا ان الحق تعالى مطلق وانما التقييد
فانك انت المقيد فانصرف عني سريعا وانا ابقه نظري ماهما حاير لا ادري ما اجيب عنه وفي هذه الواقعة ما يدهش العقول ويكل الاوهام و

ولا مخرج عنه الا بالقول بان مآل الكل الى الرحمة مع ملاحظة ما حققناه لك من ان الرحمة الرحمانية الامتنانية من غير سبق استحقاق لا تعطي
لمحلها شرفا ومكانة فلنتدبر فيه فانه من غوامض المسائل **مالك يوم الدين** قراءة عاصم والكسائي ويعقوب مالك وهو المتصرف في الاعيان
المملوكة كيف يشاء من الملك بالكسر وقرا الباقون ملك وهو المتصرف بالامر والنهي في المامورين بحسب ما يقتضيه النظام العام من الملك
بالضم والاولى يعضده قوله تعالى نحن نرث الارض ومن عليها والثاني يعضده قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وهو ابلغ
بحسب المعنى لما فيه من التعظيم ولان التصرف بالامر والنهي في المامورين ادخل في نباهة الشان من التصرف في الاعيان المملوكة لما في النفس
من الشرف الشامخ على ساير الاعيان واما قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ففيه موافقة القراءتين لا معاضدة احدهما
والدين هنا الجزاء ويوم الدين يوم القيمة وتخصيص اليوم بالاضافة لتعظيمه ولتفرده تعالى بالتصرف في تنفيذ الامر فيه فان الحكم فيه له
بارتفاع الوسايط وفي الدنيا بالوسايط **حقيقة** من نزول الآية بالقراءتين هو ان يوم الدين شامل الحقيقة لشتاني الدنيا والآخرة
من اول يوم تكلف العبد بالاحكام الشرعية الى ان يستقر الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير فان الشرع قد قرر ان كل ما
يصاب العبد في الدنيا من الحدود والسياسات ومن الالام والهموم والغموم فهو جزاء سيئات اعماله ومكفرات رذايل اخلاقه كما ان
الاهوال الاخروية وشدايد الاحوال فيها كذلك فقد جمع بالقراءتين بين حكم الموطنين فكان المالك ناظرا الى حكم الدنيا لانها دار تكليف
فيكون نسبة المالكية والمملوكية بين الحق وبين عبده اظهر فيها مع ما يعاضد ذلك قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وكان
الملك ناظرا الى الحكم الآخرة فان ظهور آثار السلطنة الالهية بالقيام بحق اسم المنعم واسم المنتقم في ذلك اليوم ابين واشهر وقد قال
تعالى ان الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ووجه ارتباط الآية بالرحمن الرحيم ان كل ما يجري على العبد من جنس الجزاء في
الدنيا والآخرة فهو من عين الرحمة لما فيه من تهذيب النفس عن قبايح الافعال وتخليصه عن رذايل الصفات رحمة امتنانية في العامة
ورحمة وجوبية في الخاصة والآيات المسطورة الى هنا وهي الثلث الذي للحق تعالى خالصا متعلق بامر المبدا والذي يتعلق بامر
المعاش فهو الثلث المشترك بينه وبين العبد وهو قوله تعالى **اياك نعبد واياك نستعين** العبادة اقصى غاية الخضوع
والتذلل من قولهم طريق معبد اي مذلل وحقيقتها خلوص النفس عن رق كل حظ من الحظوظ الدنيوية والاخروية لتعبد الله
بالحق لا للحظ والاستعانة طلب المعونة يقال استعانه واستعان به بمعنى وقد اختير استعماله بلا واسطة حرف للاشارة
الى ان العبد ينبغي ان لا يرى بينه وبين الحق واسطة في استعانته بان يقصر النظر عليه تعالى وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وللتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نعمة من الله بها عليه ليكون من صلة
اليه فلا يعجب بالنعمة عن المنعم بل يكون نظره في النعمة مسبوقا بالنظر الى منعمه وبذلك يتبرج ما حكي من حبيبه حيث قال ان الله
على ما حكاه عن كليمه ان معي ربي وكرر الضمير للتنصيص على ان المستعان به لا غيره وقدمت العبادة على الاستعانة لتسوق
رؤوس الآي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على الحاجة ادعى الى الاجابة وفي الآية التفات عن الغيبة الى الخطاب على ما عليه

العدول عن التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اسلوب آخر تطرية للكلام وتنشيطاً للسامع والنكتة التي تخص المقام هو انه
لما اجرى العبد على اسم الله تعالى من الصفات ما ميزه عما سواه وصار الغائب في حقه بملاحظة تلك الصفات كالمشاهد وتعلق
العلم بمعلوم معين ناسب خطابه مخاطبة من يناجي من يشاهده عياناً ويخاطبه شفاهاً قال الشيخ في الفتوحات لما كان
على العبد ان يعبد الله كانه يراه كان عليه ان يخاطبه بكاف الخطاب فكذلك يقول اياك نعبد واياك نستعين لكن العارف لا يقول
ذلك على وجه التجريد وانما يواجهه بالخطاب امتثالاً لقول الشارع حيث قال اعبد الله كانك تراه وانما اتى بصيغة الجمع نظراً
الى ان العارف يلاحظ في ذلك تفاصيل عالمه وان الصلوة قد عم حكمها جميع تلك العوالم ظاهراً وباطناً فانه تقف بكله ويركع
كذلك ويسجد كذلك ويجلس كذلك فيجمع عالمه على عبادة ربه فقد علم من الحقائق نعم لما قيد الحكم بالنون انه اريد منه ان يعمه بكليته ومتى
لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه كان كاذباً في قراءته فاذا نظر اليه الحق تعالى ورآه ملتفتاً في صلوته او مشغولاً
بخاطره في دكانه وتجارته ومع هذا يقول نعبد يقول الله له كذبت في كتابتك بجمعيتك على عبادتي الم تلتفت ببصرك الى غيري
فتلك الم يستمع بسمعك الى حديث الحاضرين تسمع ما يقولون الم تمش بعقلك وفكرك في سوقك فاين صدقك في قولك نعبد
فلا بد ان يجمع من هذه حالته على عبادة ربه حتى يقول الحق صدقت في جمعيتك على عبادتي وطلب معونتي وكلمة في
سر صيغة الجمع مقال الجمع ان صيغة الجمع في العبادة تنبيه ان الانسان بجمعية نشاته مشتمل على كليات مراتب العالم روحاً ونفساً
وحساً فيكون بصورة الكمال في عبادته ان يكون عابداً بالمراتب الثلاث اما عبادته بروحه فلاداء حق ربوبيته سبحانه واما
عبادته بنفسه فلاداء حق عبوديته واما عبادته بجسده فلامتثال الامر ومقاصد العابدين لا يعدو هذه الثلاثة واما في الا
ستعانة فلان مقتضى العبد منها الاستعانة في اداء الحقوق والحقوق المتوجهة عليه ثلاثة احدها حق الله تعالى وهو متعلق بروحه
واداء ذلك تنزيهه عما يستحقه ذاته والثاني حق اسمائه تعالى وهو متعلق بنفسه واداء ذلك بالاتصاف بها بقدر ما يسعه النشاة
الكونية والثالث حق الاكوان وهو متعلق ببدنه واداؤه الامتثال بامر الشرع على ما قرره لكل ذي حق من الوالد والولد والازواج
والاصحاب نكتة الاستعانة هنا تحمل على طلب المعونة في كل الامور او على طلبها في العبادة المذكورة بناء على ان قيام
العبد بعبادته ليس الا بمحض عنايته فان ميل العبد اليها وقصد فعلها بمشيئته تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وكذلك مطاوعة
الاعضاء والجوارح ليست الا باقداره فلا تحقق للعبادة الا باستعانته منه تعالى ولملاحظة هذا المعنى مقام الركبان والمحمولين و
الذكر الذي هو حق مقامهم لا حول ولا قوة الا بالله فانهم في سلوك سبيل العبادة بمثابة الركبان المحمولين فكما ان الراكب في راحة
في السير آمن عن تعب الطريق ومقاساة شدايده كذلك يحمل الفناء في طريق العبادة بمعزل عن تعب ملاحظة العجب والرياء عن
تلبس الاشتغال بعمله بشيء منهما فانه متبرئ عن نسبة الفعل الى نفسه بفناء الفعل الكوني في الفعل الالهي فان قلت فعلى هذا
كان المناسب تقديم طلب المعونة ليكون عبادة مبنية على الاخلاص قلت ذلك وارد على طريق الترقي من الادنى الى الاعلى فان
مقام العبادة مقام اثبات الوجود من العابد وهو يقصد ان تعبد الله كانك تراه ومقام الاستعانة في العبادة مقام وجود العابد

وهو

وهو يقتضي ان لم تكن تراه فان معناه بلسان الاشارة اذا فنيت عن كونك عن البين فقد وصلت العين اذ لا حجاب بينك وبينه سواك
قال بعض ارباب الطريقة اياك نعبد لانك خلقتنا واياك نستعين لانك هديتنا اياك نعبد لانك المعبود واياك نستعين لانك
المقصود اياك نعبد لانك المطلوب واياك نستعين لانك المحبوب اياك نعبد لانك مالك واياك نستعين لان ما سواك هالك اياك
نعبد على نعمائك واياك نستعين على معرفتك اياك نعبد لانك قلت انا عبادي واياك نستعين لانك انت انا اليك هادي تنبيه
هذه الآية على ما اسلفناه متعلقة بامر المعاش اي فيما يهم بتحصيله والتحقق به في الحيوة الدنيا مما يؤدي الى الفوز بدرجات النعيم
والنجاة عن دركات العذاب الاليم وما هو الا القيام بمضمون تلك الآية اعني تحلية الظاهر بالعبادة وتخلية السر عن نسبة الوجود
الى ما سوى المعبود ففيهما كفاية عن ذكر كمالات النشاة الانسانية من المعاملات الدينية والمعارف المقدسة اذ لا شيء من جنس
الاعمال البدنية من الصلوة والصوم وغيرهما الا وهو راجع الى العبادة التي هي العلة الغائية في ايجاد العبد والمقصود الاصلي في خلقه
ومضمون اياك نعبد بسوقه المخصوص متكفل لادائها مع ضميمة الاخلاص الذي لا اعتداد بالعبادة الا به والذي هو ذروة سنام
الكمالات العلمية هو علم التوحيد بالرجوع من الكلام الكثير الى الواحد والتبري عن نسبة الفعل الى النفس بالفناء عن الوجود الاضافي
والبقاء بالوجود المطلق الحقيقي وفي مضمون اياك نستعين كفاية للمتفطن عن ملاحظة ذلك المعنى والتحقق بمقتضاه ولولا خوف
الاملال لبينت رجوع جميع المقامات السنية والاخلاق المرضية من الرضاء والصبر والشكر والتوكل والتواضع والتاني والوقار الى غير ذلك
من الصفات التي غاياتها انكسار النفس وانقهارها تحت تصرف الملك الجبار الى الامرين المذكورين لكي يتم لك الايقان بكون الآية
متكفلة لذكر مقاصد المعاش بالكلية لكن المقام ابى الا ان نقتصر على ما قدمناه وللمعتبر فيما اظهرناه مندوحة عما اضمرناه ولما تمهد طريق
معرفة المبدأ وبين سلوك منهج المعاش شرع فيما يتعلق بامر المعاد من طلب حصول الهداية للوصول عن البداية والتخلص من ترك الشرك و
الضلال عن دركات العذاب والنكال فقال اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك يستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم
الصراط الطريق اصله السرط من سرط الطعام اذا ابتلعه سمي به على توهم انه يبتلع السابلة او السابلة يبتلعه والمستقيم المستوي
المراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام وليعلم ان الهداية يطلق على معنيين احدهما الدلالة الى الطريق الموصل الى المقصود والثاني
الدلالة الموصلة اليه والاول بافاضة القوة العاقلة الفارقة بين الحق والباطل وما يحصل منها من القوى والمشاعر بحيث يتمكن العبد بها
من الاهتداء بتصديق الكتب واتباع الرسل والى الاشارة بقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً والثاني الوحي الالهي الذي
يلجئ الموحى اليه الى القبول والقيام بحقوقه من التبليغ والايتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه فان الموحى اليه لا يسعه مخالفة مقتضى
الوحي اصلاً والى ذلك الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده ولكل من الطريقين مراتب شتى وثم من الاحوال والمقامات
العلية والتجليات الاسمائية والصفاتية والذاتية فيكون طلب الهداية من المهتدي بالايمان طلب الثبات فيما هو حاصل له وطلب
الزيادة فيما ليس بحاصل فان مراتب كمالات السائرين في الله غير متناهية قال اهل الطريقة الهداية على ثلاثة اوجه هداية العامة وهداية

الخاص وهداية الاخص اما هداية العام فهي انه تعالى هدى جميع المخلوقات الى جلب منافعها ودفع مضارها كقوله تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى واما هداية الخاص فهي هداية المؤمنين الى الجنة قال تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الاية واما هداية الاخص فهي الهداية الحقيقية
التي هي الهداية الى الله بالله قال تعالى ان هدى الله هو الهدى وقال يهدي اليه من ينيب قال عليه السلم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
وفي بحر الحقائق الصراط المستقيم هو الدين القويم وما عليه القرآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وانك لعلى خلق
عظيم قال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وهو على نوعين صراط مستقيم الى الجنة كقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلم ويهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وهذا لاصحاب اليمين والثاني صراط مستقيم الى الله كقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله
وهذا للسابقين حقيقة الطرق الى الله تعالى وان كانت بعدد انفاس الخلايق فان اصولها الساعة فما بين الامام نجم الحكيم الله
سرايه سر التثليث في مراتب الوجود في ثلاث طرق الاول طريقة اهل النقل المحض المتمسكين بظواهر نقول السنة والكتاب من اثبات
اليد والقدم والعين والاستواء وامثالها يحملونها بسوء فهمهم وضيق شرحهم على ظواهرها ويردون مقتضى العقل بالكلية فيثبتون
له تعالى الاعضاء والجوارح اعاذنا الله من ذلك والثاني في طريق ارباب النظر الذي حصروا طريق معرفة ذات الله تعالى وصفاته
فيما يقتضيه العقل من التنزيه المحض ولا يرفعون رأسا الى ما ورد به الشرع ونطق به لسان السنة والكتاب من الصفات التشبيهية كا
لسمع والبصر والكلام والرضا والسخط والفرح والضحك وامثال ذلك مما يحيط بادراكه العقول البشرية من غير ان ينور بنور القدس
والثالث طريق اتباع الانبياء والرسل الذين تكفلوا توحيد الذات واثبات الصفات التنزيهية والتشبيهية من الشارع على الوجه
الذي قرره الكتاب والسنة فجمعوا بين طريقتي التنزيه والتشبيه بذوق خاص على وجه لا يميلون الى طرف منهما اخذين ما اخذوا منها
بطريق السمع دون حكم العقل يمشون بحيث يمشي بهم الشرع ويقفون حيث يقف بهم الشرع وهذا هو الدين القويم والشرع المستقيم
ولما كان الطريق الاول من الطرق الثلاث خارجا عن مسلك الاستقامة مطلقا وكذا كان الطريق الثاني وهو طريق ارباب النواميس — الاستقامة
الحكمية في زمان قيام دعوة الانبياء مطروحا عن درجة الاعتبار وان كان معتبرا في زمان الفترة عقب ذكر صراط المستقيم بما يبينه
ويعينه وقال صراط الذين انعمت عليهم والنعمة ما يستلذه الانسان من النعومة وهي اللين والمراد بها النعم الاخروية من
النجاة من العذاب الاليم والفوز بدرجات النعيم المقيم وما يكون وصلة الى نيلهما من النعم الدنيوية الوهبية والكسبية وطريق المنعم عليهم هي
طريقة شرايع الانبياء واتباعهم التي اسلفنا ذكرها في بيان الطرق الثلاث قال تعالى فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين ولما كان لهذا الطريق لكونه في حاق وسط الاعتدال طرفان مذمومان في الافراط والتفريط اعني التشبيه والتنزيه
المحض شار الى الاجتناب عن الطرفين تنبيها لذلك الوسط وتنصيصا عليه فقال غير المغضوب عليهم ولا الضالين يريد
بالمغضوب عليهم اهل التشبيه وبالضالين اهل التنزيه المحض وقد روي مرفوعا ان المراد بالمغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب
عليه وبالضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا والتوفيق بما ذكرناه هو ان التشبيه كان هو الغالب على اليهود حتى قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ارنا الله جهرة لانهم كانوا امة امية عارية عن الادلة العقلية المؤدية الى التنزيه فكان دعوة نبيهم ايضا

بالظاهر

بالظاهر بانهم بالالواح محسوسة ويعلو بالجبل عليهم كانه ظلة والتنزيه كان هو الغالب على النصارى ولذلك قالوا هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء وذلك لانهم كانوا اصحاب الادلة العقلية والنواميس الحكمية لغلبة ظهور الحكمة في زمانهم فكان دعوة نبيهم ايضا
الى الباطن يدعوهم الى طريق التجرد عن العلايق الجسمانية ويبعدهم عن اللذات الحسية بالتوجه الى المبادي العالية وتنوير الباطن بنور
القدوس ووجه كون اهل التشبيه مغضوبا عليهم هو ان التشبيه نسبة وصف الحادث الى الواجب تعالى ووصفه بما لا يكون الا محض
نقص ولا شك ان نسبة النقص الى الواجب تعالى توجب الغضب منه ووجه كون اهل التنزيه المحض ضالين انهم جاوزوا في امر
الانبياء جاهلون بحالهم لما يجرون في اخبارهم عن الصفات للحق ما يخالف قضية عقولهم قال الشيخ الاكبر في الفتوحات ان
الله اقام لهذا الجنس الانسان بعد معرفته اياه بصفات التنزيه بطريق العقل شخصا ذكر انه جاءهم من عند الله تعالى برسالة — هم
فيها منظورا قراءوا ان الامر جايز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه فسالوه هل جئت بعلامة من عند الله يعلم بها صدقك في
دعواك فجاء بالمعجزة فنظروا فيها نظر انصاف فصدقوه فلما استقلوا بين يديه اخذ يصف لهم الحق تعالى ليعرفهم به المعرفة التي
ليست عندهم مما كانوا قد احالوا مثل هذا الوصف عليه فجاء بالصورة في حق الحق والعين واليد والقدم والسمع والبصر والغضب
والتردد والتبشبش والتعجب والفرح والضحك والملل والمكر والخداع والاستهزاء والسعي والهرولة والنزول والاستواء والصبر على
الاذى وما جرى هذا المجرى من نعوت المخلوقين فحارت في ذلك عقولهم وافترقوا عند ذلك على فرق منهم من ارتد على عقبه
وشك في دليله الذي دل على صدقه فلحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومنهم من
قال ان في جمعنا هذا من لم يبق عنده سوى نور الايمان ولا يدري ما العلم ولا طريقه هذا الرسول لا يشك في حكمة ومن حكمته مراعاة الاضعف
فخاطب بهذه الصفات هذا الضعيف الذي لا نظر له في الادلة رحمة منه ولانه لا يثبت له الايمان الا بمثل هذا الوصف فلا نقدح
شيء من هذا فيما عندنا اذ قد عرفنا مقصوده فاثبتوا ونفوا واندرجوا في الذين يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا وضلوا بذلك ضلالا مبينا ومنهم من صدقه في جميع ما جاء به ولما كان بعض ما اتى من الصفات على خلاف ما عليه مقتضى العقل
اخذ يأول تلك الصفات ويصرفها الى ما يوافق التنزيه الذي دل عليه الدليل العقلي الامرين احدهما ما قدح فيه الدليل
العقلي والثاني ما جاء به هذا الصادق من انه ليس كمثله شيء وهذا ايضا فيه من الضلال ما ترى اذ كان عليه ان يصدق ذلك الرسول فيما
جاء به من عند الله على مراد الله وعلمه في ذلك فينخرط في سلك الراسخين في العلم الذين يكلون علم المتشابهات الى الله تعالى قال اهل
الطريقة في تكرار الصراط اشارة الى ان الصراط الحقيقي صراطان صراط من العبد الى الرب والى العبد فالذي من العبد الى الرب طريق مخوف — وصراط من الرب الى العبد صح
كم قطع فيها القوافل وانقطع فيها الرواحل ونادى منادي العزة لاهل العزة الطلب ردوا السبيل سد والذي من الرب الى العبد صراط
آمن وبالامان كامن قد سلم فيه من قلده بالنعم محفوف منازله وسلاك هذا الصراط المستقيم هم الذين انعم الله على اسرارهم بانوار العناية
وعلى ارواحهم باسرار الهداية وعلى قلوبهم باثار الولاية وعلى نفوسهم بالتوفيق والرعاية غير المغضوب عليهم بالغيبة بعد الحضور والمحنة
بعد السرور والظلمة بعد النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور ولا الضالين عن كرم الكريم ورحمة الرحيم المحرومين عن القلب السليم بالاعراض

عن الدين القويم بتصـــرة دل قوله تعـ ومامن دابة الا هو آخذ بناصيتها على ان ناصية اختيار كل احد من اهل الهداية و
اهل الضلالة فی يد الحق تعـ ودل قوله ان ربی علی صراط مستقيم علی ان کلا من الفريقين علی الصراط المستقيم لا محالة غير ان هذا
مقود بيد اللطف علی وفق الارادة والرضی ومآله الی الاسم الهادی وذلک مقود بيد القهر علی وفق الارادة دون الرضی ومآل ذلک
الی الاسم المضل وکل منهما من حيث الرجوع الی الحاصل الذی بدا منه ماش علی طريق الاستقامة غير زايغ عنه والانبياء دعاة طريق الهداية
يدعون الناس باذن ربهم من طريق اسم المضل الی طريق اسم الهادی ولما کان الامر علی ما مهدناه من شمول الصراط المستقيم طريق کلا
الفريقين ذکر ما يخصصه بما عليه المنعم عليهم من الانبياء الداعی الی طريق الهداية السالکين بنا مسالک السعادة الابدية وفقنا الله تعـ للاقتداء
بهم ورزقنا اقتفاء آثارهم آمـــين اسم الفعل بمعنی استجب قال الشيخ الاکبر رضـ امين قصدنا اجابتک ولا امين البيت الحرام خففت
للمرعة وهو ليس من القرآن وفاقا ولکن سن ختم السورة لقوله عـ علمنی جبرئيل عـ امين فراغی عن قراءة الفاتحة وقال انه کالختم علی
الکتاب وقال عـ امين خاتم رب العالمين علی عبادة المؤمنين وفی معناه قول علی عـ آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
وقال عليه السلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائکة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائکة
غفر له ما تقدم من ذنبه قال الشيخ فی الحکمة فی اجابة الحق دعوة عبده انما هو من اجل عدم اجابة العبد ربه والملائکة لا يعصون الله
ما امرهم فهو مجاب دعوتهم قطعا فمن وافق تامينه تامين الملائکة فقد اجيبت دعوته بتبعية الملائکة لوقوع تامينه فی زمان تامينهم
عن ابی هريرة ان رسول الله صلعم قال لابی الا اخبرک بسورة لم ينزل فی التورية ولا الانجيل ولا القرآن مثلها قلت بلی يا رسول الله قال
فاتحة الکتاب انها السبع المثانی والقرآن العظيم الذی اوتيته وعن ابن عباس رضـ قال بينا رسول الله صلعم جبرئيل اذ اتاه ملک فقال
له ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبی قبلک فاتحة الکتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ احد حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن
اليمان رضـ ان النبی صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبی من صبيانهم فی الکتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعـ فيرفع عنهم بذلک العذاب اربعين سنة بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ رضـ ما من سورة الا وتتضمن
احوال السعداء والاشقياء تصريحا او تعريضا والبسملة بما فيها من الرحمن فی العموم والرحيم فی الخصوص تحکم علی ما فی تلک السورة من
الامور التی تعطی من قامت به الشقاء فيرحم الله تلک العبد اما بالرحمة الخاصة وهی الرحمة الوجوبية او بالرحمة العامة وهی رحمة الامتنان
فالمآل الی الرحمة لا محالة الم اضطربت فيه وفی امثاله اقوال العلماء والعرفاء فقيل المراد مسميات الحروف التی يتهجی بها فانها لما کانت
عنصر الکلام وبسايطه التی ترکب هو منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدی بالقرآن وتنبيها لهم علی ان المتلو عليهم
کلام منظوم مما ينظمون منه کلامهم فلو کان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه
والمعنی هذا المتحدی به من جنس هذه الحروف وقيل هی اسماء السور سميت بها اشعارا بانها کلمات معروفة الترکيب فلو لم يکن وحيا من
الله تعـ لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها وقيـــل هی اسماء القرآن وقيل اشارة الی کلمات هی منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
فی قوله فقلت لها قفی فقالت قاف ای وقفت وقد روی عن ابن عباس رضـ ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملکه وعنه ان
الم معناه انا الله اعلم وعنه ان الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد ای القرآن منزل من الله بلسان جبرئيل عـ علی محمد عـ وقيـــل

اشارة

اشارة الی مدد آجال بحساب الجمل تمسکا بما روی انه عـ لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا کيف ندخل فی دين مدته احدی
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص والمر والر فقالوا خلطت علينا فلا ندری بايها نأخذ فان تقريره علی
استنباطهم هذا وتلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم دليل علی ذلک وقيـــل اسماء الله تعـ يدل عليه ان عليا عـ کان يقول يا کهيعص يا حمعسق وقيـــل دالة علی الحروف المبسوطة معتما بها الشئ فقام من حيث انها بسايط اسماء الله تعـ فی
مادة خطابه والمناقشة معتما بها لبشر من حيث انها بسايط اسماء الله تعـ ومادة خطابه والمناقشة فی هذه الاقوال المضايقات
لارباب الظواهر سد لباب المعانی المأخوذة من القرآن بلسان الاشارة التی عليها تدور اکثر تحقيقات ارباب المعارف و
قيـــل انه سر استأثره الله بعلمه وقد روی عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله
تعـ ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره حتی ان جبرئيل عـ نزل بقوله تعـ کهيعص فلما قال کاف قال النبی صلعم علمت فقال ها قال
علمت فقال يا قال علمت فقال عين قال علمت فقال ص قال علمت فقال جبرئيل عـ فکيف علمت ما لم اعلم قالت الحکماء جری عقول الخلق
فی ابتداء خطابه وهيکل لهم ليعلموا ان لا سبيل لاحد الی معرفة حقايق خطابه الا بعلمهم بالعجز عن المعرفة کنه حقيقة خطابه
حقيقـــة اشار بحروف الم فی الآفاق الی العقل والنفس والجسم لکمال البساطة فی العقل وکمال الجمعية فی الجسم وتوسط النفس
بينهما وفی الانفس الی الروح والقلب والقالب علی الوجه المذکور او اشار بالالف الی الحقايق الالهية لکون الوحدة فيها ذاتية والکثرة نسبية
وباللام الی الحقايق الکونية لکون الکثرة فيها حقيقة والوحدة نسبية وبالميم الی الرتبة البرزخية الانسانية الجامعية کل الجمعية
الحقايق الالهية والحقايق الکونية ونسبة آخرها لتأخر الانسان نشأة وان توسط بين الحضرتين رتبة وغاية التحقيق فيه هو ان حضرات
الغيب ثلاث مرتبة الوحدة وهی مرتبة الاطلاق اعنی اطلاق الذات عن جميع الاعتبارات والصفات وعن سلبها عنها ومرتبة
الاحدية التی دونها فی الاطلاق وهی مرتبة تعينها باثبات جميع الاعتبارات لها فلما کانت البسملة باسم الله الاجل بعدم اعتبار
شئ من النسب والنعوت فيه مشيرا الی مرتبة الوحدة والرحمن لما فيه من الرحمة المقتضية للظهورات تشوب شئ من القهر والجلالية عزة
علی ظهور الکثرات مشيرا الی مرتبة الاحدية والرحيم لما فيه من اللطف والجمال المحض المقتضی لظهور الکثرات مشيرا الی مرتبة الواحدية
کان الم بالحروف الثلاث المستقيمة والمستديرة غاية الاستدارة والمتوسط بينهما مشيرا الی ما اشارت اليه البسملة من المراتب الثلث
الوحدة والواحدية والاحدية وانت قد تيقنت بذلک علی وجه کون البسملة آية برأسها ان تذکرت ما اسلفناه لک من قضية
من قضية الاجمال والتفصيل فی سورة الفاتحة ثم انه کان الم مجمل البسملة التی هی مجمل الفاتحة کان الم مشيرا الی المراتب الثلاث التی فی الفاتحة
اذ يشير الالف لاستقامته صورة واوليته مخرجا الی الثلث الاول المبداء المخصوص بالحق تعـ منها وباللام لاعوجاج صورته ووسطية مخرجه
الی الثلث الثانی المعاشی المشترک بينه وبين العبد وبالميم لاستدارة صورته واخرية مخرجه الی الثلث الاخير المعادی المخصوص بالعبد و
کذا يکون مشيرا الی مقامات الصلوة لما بين الصلوة والفاتحة من الاتحاد قال تعـ قسمت الصلوة بينی وبين عبدی الحديث ومقامات الصلوة ثلثة
القيام لقوله تعـ وقوموا لله قانتين والرکوع لقوله تعـ وارکعوا مع الراکعين والسجود لقوله تعـ واسجد واقترب فيکون الم بالالف مشيرا بالقيام وباللام

منضمنا السورة وعلومها فمنها انه بابها

الى الركوع وبالميم الى السجود ذلك الكتاب اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة والاشارة اليه بما يشار الى
البعيد للتعظيم تنزيلا لعلو المكانة منزلة البعد في المكان او اشارة الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود المذكور بقوله تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا ونحوه وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب
واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة للجيش حقيقة ويشير بذلك الكتاب الى صورة الم الذي هو مجمل البسملة التي هي مجمل الفاتحة التي هي مجمل القرآن
والمعنى ان الكتاب القرآني المنزل عليك لا ريب في حقيقته هذا اذا اريد بالكتاب الكلي وان اريد به الكتاب الفعلي فالمراد بالم محمد صلى الله عليه وسلم مشيرا بالالف الى مرتبته
العظمى التي هي الوحدة وباللام والميم الى ما تحت تلك المرتبة من الاحدية والواحدية وهو عليه السلام مجمل الانسان الكامل الذي هو مجمل الانسان الحيواني الذي
هو مجمل العالم فيكون المعنى ان العالم الذي هو كتاب الله الالهي المشتمل بحقائق على الكلمات الالهية المقول فيهما لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا لا يشك في حقيقته لا في شيئية الشيء ولا في شيئية الوجود بانه بتفاصيل انواعه واشخاصه مظاهر الاسماء
الالهية لطيفة الم بصورة الم اشارة الى الكتاب الذي كتب فيه عهود بني آدم وقد صدر الحق تعالى ذكره بكلمة الم فقال الم اعهد اليكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وذلك الكتاب لا يشك في حقيقته لا ريب فيه الريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل منه فيك ريبة دع ما
يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه والمعنى انه لوضوحه سطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل
بعد النظر الصحيح في كونه وحيا الهيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه وقد قال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
فما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له بان اجتهادهم في معارضته ليظهر بذلك عجزهم فيتحققوا حقيته وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال
من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وقال اهل الحقائق ظاهره نفي وباطنه نهي اي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا هدى للمتقين اختلفوا في المقصود من الهداية فقيل هي الدلالة وقيل هي الدلالة الموصلة
الى البغية والحق ما اسلفناه لكن من ان كلا المعنيين مراد منه في موارده والتحقيق التام فيه بما لا مزيد عليه هو ان للحق تعالى مع الخلق في افعاله وجهين
وجه سببي ووجه خاص لا يبقى للسبب فيه سبب فالهدى منه بالوجه السببي هو الدلالة المطلقة بالوسائط التي ينسب اليها الهدى مجازا كالكتب المنزلة و
الرسل المبعوثة وهذا الهدى لا يلزمها اهتداء المهدي بل يترتب الاهتداء عليه تارة ويتخلف عنه اخرى قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد وقال عليه السلام بعثت هاديا وليس الي من الهداية شيء واما الهدى الذي منه بالوجه الخاص اما
بالوحي للانبياء او بانشراح الصدر بنور القدس للمؤمنين فهو الدلالة الموصلة الى المطلوب المشار اليها بقوله انك لا تهدي من احببت لانه
وهي دلالة ملجئة الى الاهتداء قطعا لايجاد القبول لا يتخلف عنها وهذا هو الهدى حقيقة دون الاول قال تعالى ان هدى الله هو الهدى
مما ورد على الاول الهدى المذكور ههنا بدلالة قوله هدى للناس ومما ورد على الثاني قوله بعد ذلك اولئك على هدى من ربهم بدليل قوله و
اولئك هم المفلحون واما الذي في قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفي قوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فمن باب الوجه
السببي وان اسنده الى نفسه لان المعنى هديناهم بنصب الدلالات فان الهدى الذي اليه ضروري القبول واذا عرفت هذا فنقول وجه اختصاص
الهدى ههنا بالمتقين مع كون دلالة الكتاب عامة لكل ناظر هو انهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصيبه فانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل

ريبة في الحديث

واستعمله

١١

واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم يكن الصحة حاصلة واليه
اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا والمتقي من الوقاية وهو فرط الصيانة سمي به من يقي نفسه
عما يضره في الآخرة قال اهل الطريقة التقوى على ثلاثة اوجه تقوى العام عن الشرك والكفران وتقوى الخاص عن الذنوب والعصيان وتقوى خاص الخاص
عن ملاحظة غير الرحمن والهداية يكون على قدر التقوى فهداية العام بالاسلام والايمان وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية خاص الخاص
بكشف الحجب ومشاهدة العيان تنبيه غاية مقام التقوى ان تجعل نفسك وقاية للحق في نسبة نقائص الصفات وقبائح الافعال وان
كان الكل الى الله خلقا وايجادا تنزيها له عن النقائص وتجعل الحق وقاية لنفسك في نسبة محاسن الافعال والصفات وان كان ذلك اليك كسبا
وتسببا تخليصا لنفسك عن شبكة العجب والريا فالمتقي هو الذي اذا قال له الحق احسنت فيما عملت يا فلان تقول من الاحسان انك وفقتني
لذلك وهديتني اليه واذا قال له اسات يقول السيئة مقتضى حقيقتي وعدم امكانيتي وخاصة بشريتي واذا قال له ابليس لكن عن الامر شيء
يقول نعم كل من عند الله واذا اوعده على سيئة يقول اللهم ما اصابني من سيئة فمن نفسي فاعترفت بذنبي فاغفر لي واذا قال له انا انت يقول
انا عبد ذليل وانت رب عزيز واذا قال متى انا بذاتك تعالى تقول صدقت والى يكون للعدم وجود الذين يؤمنون بالغيب
الايمان في اللغة التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء واختلفوا في دخول العمل وعدم خروجه
فيه مستدلين بدلائل متعارضة مذكورة في الكتب الكلامية والحق ان كمالية الايمان وتمامية الانتفاع به بالاقرار باللسان بما نواه والعمل
بالاركان بمقتضاه فصاحب التصديق وحده غير الجاحد ينتفع به في الآخرة في الجملة واما في الدنيا فلا وصاحب الاقرار وحده ينتفع به في
الدنيا في الجملة سوى الصفة الاخروية فلا والجامع بينهما دون العمل ينتفع بهما في الدنيا والآخرة في الجملة والجامع الثلاثة منتفع بها في الدنيا والآخرة
كل الانتفاع بحسب ما يكون عليه فالمخل بالاول وحده منافق والمخل بالثاني كافر والمخل بالثالث فاسق بالاتفاق وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بديهة العقل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله والمعنى يؤمنون بما غاب عنهم باخبار الله ورسوله هذا اذا جعلته مفعول
يؤمنون وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة قال ارباب الطريقة يؤمنون بالغيب اي بنور
غيب من الله في قلوبهم نظروا به الى قول محمد صلى الله عليه وسلم فشاهدوا صدق قوله فآمنوا به كما قال عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله وله مراتب فاول
مراتبه تصديق القلب حقائق الغيب بلا ريب فيقر به باللسان ويعمل بمقتضاه بالاركان على ما روي على نبينا وعليه التحية والسلام انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان والمرتبة الثانية ان يتخلص قلبه بنور الغيب الذي هو من الله تعالى
عن تعلقات الجسمانيات وحجب آفات النفس وصفاتها ويهتدي لعالم الارواح كما كان في اول العهد يوم الميثاق فيصير الغيب في حقه شهادة كقوله تعالى

ومن يؤمن بالله يهد قلبه اى من كان ايمانه بنور الله يهد قلبه للشهود فيشاهد بقلبه كما كان يشاهد الروح فى عالم الارواح والمرتبة الثالثة ان
يؤمن بغيب الغيب الذى هو هويته ويؤمن بالغيب الذى لا يعلمه الا الله ولا ايمان بهذا الغيب يكون بقدر غيبوبة الانانية فكلما ازداد غيبوبة
ازداد ايمانه والغيبوبة لا تحصل الا بالجذبات وشواهد الغيب هى مودعة فى اقامة الصلوة ولهذا قال عقيب يؤمنون بالغيب **ويقيمون**
الصلوة اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت
اقمتها اذا جعلتها نافقة فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه والصلوة فى اللغة الدعاء
والفعل المستعمل فيه صلى اذا دعا وهو اسم المصدر كالزكوة من زكى سميت العبادة المخصوصة بها لاشتمالها على الدعاء قال فى بحر الحقائق بداية
الصلوة اقامة ثم ادامة فاقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها واتمام ركوعها وسجودها وحدودها وحقوقها ظاهرا وباطنا وكل من واظب على
شئ وقام به فهو مقيم له وادامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة فى التعرض لنفحات الطاف الربوبية التى هى مودعة فيها قال عم ان لله فى ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالتعرض لنفحات الالوهية انما يكون بالقيام بمقام العبودية التى كانت الصلوة صورتها التامة فحقيقة الصلوة
صورتها التامة فحقيقة الصلوة بشرائطها واركانها وسننها اتمام التعرض لنفحات الطاف الالهية والاستعداد لها ففى استقبال القبلة
اشارة الى الاعراض عما سوى الله والتوجه الى حضرة الربوبية لطلب القربة والمناجات ورفع اليدين فى تكبيرة الاولى اشارة الى رفع
الهمة عن الدنيا والاخرة والتكبير لتعظيم الحق بانه اعظم من كل شئ فى قلب العبد طلبا ومحبة وعزة وفى عقد اليد اشارة الى قيام رسم العبودية به
بين يدى مالكه وحفظ القلب عن محبة ما سواه وفى افتتاح القراءة بوجهت وجهى اشارة الى توجهه الى الحق خالصا عن شرك طلب غير الحق
وفى وجوب قراءة الفاتحة اشارة الى تعرض العبد لنفحات الطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب الهداية
وهى الجذبة الالهية التى توازى جذبة منها عمل الثقلين وفى القيام والركوع والسجود اشارة الى الرجوع الى عالم الارواح وكمن الغيب
كما جاء منه فان النطفة متعلقة بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالانسانية فالقيام من خصايص الانسان والركوع من خصايص الحيوان والسجود
من خصايص النبات **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق اسم للاعيان التى ينتفع بها الانسان المذكور فى مقامه من استحالة تمكين الحق عبده من الحرام
مع ما منعه من الانتفاع به واستدل على المسئول بقوله عم فى حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
والرزق رزقان رزق مقسوم قد استعمل لكل احد وخصصه بالانتفاع به فاكلا وشربا ورزق مملوك اعطاه الله تعالى عباده وسخرهم فيه
لينفقوه على انفسهم وعلى غيرهم من اصحاب الحقوق ولا وجه للاول تيسير فهذا الانفاق على الغير فانه لا يتعدى عن جعل رزقا له والانفاق على النفس
فلا يحمد به المنفق فيكون الثانى هو المراد هنا والظاهر من الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى
عنه للابعاض فى رذيلة التقتير واسناد الرزق الى نفسه للتعظيم والتحريض على الانفاق وجاز ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى
منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة

ينقض

ينقضون حقيقة الايمان بالغيب هو الايقان بمرتبة الوحدة الاطلاقية الغيبية وهى مشار اليها بالالف فى الم واقامة الصلوة اشارة
الى الانحناء الركوعى الذى يستدعيه دوام الخضوع والخشوع الذى هو باطن الصلوة وهى مشار اليها بلام الم والانفاق كناية عن تخلية
الباطن عما سوى الحق بمشاهدة جماله وجلاله وهى مشار اليها بميم الم ولا يخفى ما فى صور الحروف الثلاث من التشاكل للمقامات
الثلاثة ووجه تخصيص الامور الثلاثة بوصف المتقين بها هو اشتمالها على مجامع امر الدين على ما ورد فى حديث جبريل عم من المقامات
الثلثة الايمان والاسلام والاحسان والوصف الاول ناظر الى الايمان صريحا والثانى الى الاسلام اشارة بكون الصلوة معظم اركانه والثالث
الى الاحسان رمزا لان الاحسان مقام المشاهدة لقوله عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه والمشاهدة لا تتحقق الا بالانفاق بالمعنى الذى اومانا
اليه فالمتقى هو من استكمل المقامات الثلاث واستوفى حقوقها ووجه ارتباط الاية بالبسملة ان الاشارة بالوصف الاول الى المبدأ صريحا وبالثانى
الى المعاش تلويحا لكون الصلوة معظم صورة العباد المقصودة من الرحمة الرحمانية الدنيا وبالثالث الى المعاد اشارة الى ان حقيقة الانفاق ترجع
البداية الى النهاية بانفاق الوجود الاضافى وهو الغاية من الرحمة الرحيمية الاخروية وبذلك تبين وجه ارتباط السورة بالفاتحة المشتملة على بيان
امر المبدأ والمعاش والمعاد على الوجه الذى بيناه فلنفطن له لكى تفطن بهم شى من وجوه ارتباط الحقيقة فى ايات القرآن بعضها ببعض فان ذلك
من غوامض الاسرار ولما ذكر من المؤمنين من له اجر واحد وهم الذين امنوا عن شرك وانكار اردفهم بذكر المؤمنين الذين لهم اجران فى ايمانهم وهم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره وحيث امنوا بمحمد عم بعد ما امنوا بانبيائهم فقال **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما**
انزل من قبلك الانزال نقل الشئ من علو الى سفل واعتبار العلو فى انزال الكتب الالهية اما من حضرة الغيب الى اللوح المحفوظ فبحسب
المكانة حيث تقدم من علو مرتبة الوجوب الى سفل مرتبة الامكان واما من اللوح الى البشر فبحسب المكان حيث تلقى جبريل عم من حضرة المثال
فى البرازخ العلوية ونزل بها الى حاملة فى الارض اعنى النبى عم ومن تلقاه منه والمراد بما انزل اليك القرآن وعبر عنه بلفظ المضى وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على غير الموجود وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان الاجمالى بالكل فرض عين والتفصيل بالاول دون
الثانى فرض لكن على الكفاية لان تكليف العامة به يوجب الحرج والتشويش فى المعاش **وبالاخرة هم يوقنون** اى يترقون من رتبة
الايمان الى درجة الايقان حيث يجدون الكتب يصدق بعضها بعضا فى احكام الاخرة اى النشأة الاخرة التى بعد الموت واليقين اتقان العلم
بنفى الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به العلم الالهى ولا العلم الضرورى به حقيقة فى حصول الاخرة من بين ساير
ما يتعلق به الايمان بالايقان فلكثرة ما يقع فيه من الشك لما ... من العقول العادية ولا احد الا يتخلص عن مرتبة الايمان بالله وصفاته الى
رفع الحجاب بالكلية وان فاز بالتجليات الذاتية والصفاتية ابدا لا يدخل الامور الاخروية فان له ان يشاهدها بالكلية اما بطريق
الكشف فى الدنيا واما بالمشاهدة فى العقبى فينتقل بها من مقام الايمان الى مقام الايقان **تبصرة** جاز ان يكون المراد بالموصولين
مطلق المؤمنين كرر الموصول بالعطف باعتبار تغاير سبيلهم وتعاود نهم وذلك يتجه على وجهين احدهما ان يكون المراد
بالاول من يكون ايمانه مجردا لوهب الالهى وتنوير القلب بنور القدس فيكون يقينه ضروريا غير قابل للشك والوهم يدل على ذلك تقييد
ايمانهم بالغيب ويكون المراد بالثانى من يكون ايمانه بواسطة الدليل يستدل بتتابع الكتب وتصديق بعضها بعضا على صدق دعوى الانبياء فلا يامن

من ظلام الشبهات فيماد لعليل الدليل فيكون سوق الكلام من باب الحاق الناقص بالكامل والثاني ان يكون المراد بها اولا من يكون تصديقه بمجرد نور الايمان ويكون المراد بالثاني من يكون تصديقه بنور العلم والايمان بلا يبعد ذكر الكتب معهم ووصفهم بالايقان الذي يجده الكتاب وضم بعضها الى بعض فيكون من باب الترقي من الادنى الى الاعلى **اولئك على هدى من ربهم** جاز ان يكون الجملة خبر ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين وكانه قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الاية وقوله ما استئناف والنكتة في اسم الاشارة انه كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وتنكير هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره **واولئك هم المفلحون** كرر فيها اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحد من الفضلين وان كلا منهما كاف في تميزهم عن غيرهم وضمير الفصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه والمفلح الفائز بالمطلوب وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة وفي الاية من التاكيد ما لا يخفى على من اولي علوم العربية تشريفا للمتقين وتعظيما لشانهم قال بعض ارباب الطريقة قدس سره اولئك على هدى بالنكرة انهم على هدى بالنكرة على كشف من كشوف ربهم وبنور من انواره وسر من اسراره ولطف من الطافه فان جميع ما انعم الله به على انبيائه واوليائه بالنسبة الى ما عنده من كمال ذاته وصفاته وانعامه واحسانه قطرة من بحر محيط لا يعتريه القصور من الانفاق ابدا كما قال صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقوله تعالى واولئك هم المفلحون يعني الذين تخلصوا عن حجب الوجود وجذبتهم العناية بالهداية الى مقامات القرب وسرادقات العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه وما حطوا رحالهم الا بعتباته ففازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا الدرجة العليا وحققوا الحق ان الى ربك الرجعى **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين القصتين في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والكفر بفتح الفاء وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر وهو في الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به فيه ستر الحق بالباطل وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها **احتجت** المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سبق المخبر عنه عليه والتحقيق في الجواب ان الكوائن الكونية ما ظهر منها وما لم يظهر بعد حاضرة عند الله تعالى مشهودة لديه في مشهد الغيب بصورها العلمية والكلام كان مساوقا لذلك العلم الازلي في ذلك المشهد وكان مقتضى ذلك ان يخبر الحق تعالى عما يخبر عنه بما يظهر في الوجود العيني بصيغة الحال قطعا لكن الحكمة اقتضت ان يعدل عن هذا المقتضى الى مقتضى زمان نزول الوحي وحال اليه فيكون الاخبار عما هو بحيث يتقدم ظهوره على نزول الوحي بصيغة الماضي وعما هو بحيث يساوق ظهوره لنزول الوحي بصيغة الحال وعما هو بحيث يتاخر ظهوره عن نزول الوحي بصيغة المستقبل ليتبين المراد للسامعين عند النزول رحمة من الله تعالى في حق عباده وما وقع على خلاف ذلك كذكر احوال الآخرة في صورة الماضي

فهو

فهو معدول عن الظاهر لنكتة بينها ارباب المعاني تنزيل تحقق وقوع الامر المترقب منزلة وقوعه عن ذلك **سواء ءانذرتهم ام لم تنذرهم** سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا مرفوع على انه خبر ان وما بعده فاعله والخبر وما بعده مبتدأ والهمزة وام في اصل الوضع للاستفهام والدلالة على احد الامرين مستويين في علم المستفهم جردتا ههنا عن الاستفهام والدلالة على احد الامرين لمجرد الاستواء في علم المستفهم فصار الفعلان مع الحرفين في تاويل اسمين موصوفين بالاستواء في علم المستفهم فكانه قيل الانذار وعدمه المستويان في صحة الوقوع في علم المستفهم مستويان في عدم التاثير في الذين كفروا فالاستواء المستفاد من الحرفين غير الاستواء المفهوم من لفظ سواء فلا تكرار وانما عدل الى المصدر ههنا عن صيغة الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله تعالى وانما اقتصر عليه من غير ان يقابله بذكر البشارة وان كان لها مدخل في قبول الدعوة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم على النفوس من جلب النفع فاذا لم ينفعهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع اولى **لا يؤمنون** جملة مفسرة للاجمال الذي قبلها فيما فيه الاستواء او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم فان قلت في الكافرين من آمن بعد نزول الآية قلنا هم مخصوصون بالتخصيص العقلي لاستحالة وقوع الكذب في خبره عند العقل او المراد بالموصول المعهودون في زمان نزول الاية من احبار اليهود فانهم كانوا في الذهن ينبغي الخاطر اليهم عند اطلاق اللفظ وكذا ان يقول المراد من الذين كفروا من حكم عليهم العلم الازلي بالكفر لكونه مقتضى حقايقهم فانهم لا يؤمنون قطعا لاستحالة وقوع التغير في علم الله تعالى بخلاف من كان الكفر عارضا بالنسبة اليهم انما بالغفلة عن الآيات والنذر او باضلال شياطين الانس والجن وفي صلة الموصول بصيغة الماضي ايماء الى ما ذكرناه فليتنبه له فان قلت اذا كان الامر على ما ذكرت فما فائدة تعميم الدعوة قلنا هو ان لا ينقطع حجة الداعي بدعوى كل احد دعوته عن نفسه مع ما فيه من زيادة اجر الداعي بزيادة التبليغ والصبر على اذى ردهم عليه فان قلت اذا اخبر الحق تعالى بانهم لا يؤمنون كان تكليفهم بالايمان تكليفا بما لا يطاق اجيب بان الاخبار بعدم وقوع الشيء لا ينفي القدرة عليه كما ان الاخبار بوقوع الشيء كاخباره تعالى عما يفعله هو والعبد باختياره لا ينفي القدرة على فعله بمعنى انه يوجب استحالة وقوعه لئلا يلزم الكذب في خبره تعالى وان اخباره تعالى بوقوع الشيء والايجاب ينفي القدرة على تركه بمعنى انه يوجب استحالة عدمه لما ذكرناه فينفي القدرة في الاولى على الفعل كما ينفي القدرة في الثانية على ترك الفعل لعدم قدرة العبد على المحال فتنبه له فالاقرب في الجواب ان لم يقل بوقوع التكليف بالمحال ان يقال ان الذي تعلق في حق المحكوم عليه بانه لا يؤمن ليست بالاصالة بل بتبعية غيره لغرض عموم الدعوة كما مر آنفا فهو غير مكلف بالايمان حقيقة وانما الحكم عليه باحكام الكفر في الدنيا والآخرة بمقتضى العلم الازلي سئل رسول الله صلعم عن ذراري المشركين فقال هم في النار قالوا بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين **حقيقته** ان النبي مبعوث لتكميل العام بايصال كل طائفة الى الكمال اللائق بنشاته فيهم بالدعوة السعيد والشقي فيتكمل بها السعيد في طريق الهداية بالقبول فيرجع الى ما بدا منه من الاسماء اللطيفية ويصل اليها آثارها الحسنى فيتكمل الشقي بها في طريق الضلال بالرد فيرجع الى ما بدا من الاسماء القهرية ويصل اليه آثارها في النشاتين فلولا الدعوة لم يتميز السعيد من الشقي ولم يتكمل واحد منهما بالكمال اللائق لنشاته فالكل في عموم عند الله مكلف مجبور فيما كلف منه والسعيد من سعد في بطن امه يعني في باطن عدمية الغيب والشقي من شقي في بطن امه كذلك فليس لك من الامر شيء يا مسكين عن ان تنظر ماذا يجنك في قلبك من الخواطر فان وجدت خيرا فابشر بالسعادة واشكر الله تعالى عليها فان وجدت غير ذلك فاستغفر

بالله من الشيطان الرجيم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق يعني عدم تاثير الانذار
فيهم والختم الكتم والختم انضاج فعل يفعل سمي به الاستيثاق من الشيء لضرب الخاتم عليه لانه كتم له واخر فعل يفعل في احراره والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما اشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا غشاوة ثم في الحقيقة وانما المراد بهما احداث هيئة في نفوسهم
تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ
فيها الحق واسماعهم يعاف استماعه كانها مستوثقة بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الآفاق وفي الانفس فصار كانما غطي عليها وحيل
بينها وبين الابصار ومتعلق الختم القلب والسمع ومتعلق الغشاوة البصر ويدل على ذلك الجمع بينهما في قوله وختم على سمعه وقلبه وقطع البصر عنهما بقوله
وجعل على بصره غشاوة والمعنى في ذلك ان القلب والسمع لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من فعلهما الختم الذي يمنع
من جميع الجهات وادراك البصر لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة ولا اختلاف الواقع في
ترتيب هذه المدارك الثلاثة في مواضع من القرآن ليس بمجرد الاتفاق بل له في كل موضع وراء التفنن نكتة خاصة فيقال في هذا الموضع
لما وصف هذه الطائفة اولا بالكفر وثانيا باستواء الانذار وعدمه عليهم جعل الختم على قلوبهم ناظرا الى كفرهم لان الكفر والايمان من صفات
القلب وجعل الختم على سمعهم ناظرا الى كفرهم لان الكفر والايمان من صفات القلب وجعل الختم على سمعهم ناظرا الى ذلك الاستواء لان محل ورود
الانذارات ليس الا السمع وللحكم عليهما بالختم كان محل ان يقال اولم يكن لهم ابصار يبصرون بها الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرات
فقال وعلى ابصارهم غشاوة ولما يمكن في نظم الكلام ما سطر اليه التغشية كالختم غير الاسلوب وقرئ عشاوة بالعين غير المعجمة من العشى
مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ووصفهم بذلك لكونهم مبصرين في امر الدنيا عميا عن امر الآخرة نكتة الاشقياء
الذين هم اهل القرى الآلهي لا يجمع فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار فانهم قد سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم الابواب الى القلب
وهو المشعر الالهي الذي هو محل الالهام فتحجب عنه بختمه والسمع والبصر وهما المشعران الانسانيان اللذان هما بابا الفهم والاعتبار فحرموا عن
حزويهما امتناع نفوذ المعنى منهما الى القلب فلا سبيل لهم في الباطن الى العلم الذوقي الكشفي ولا في الظاهر الى العلم النقلي الكسبي فهم في
بحار الظلمات عن نور العلم والايمان في الآية قطع عرق الاختيار بالكلية عن ان الفعل لما اشترك بين الحق والعبد خلقا وكسبا جعل ذلك
الختم مسببا لما اقترفوه كما قال بل طبع الله عليها بكفرهم وقال ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فاستحقوا بذلك النصيب العذاب
العظيم فقال ولهم عذاب عظيم العذاب من اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح يردع الجاني عن المعاودة والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فوق
الكبير قال ارباب الطريقة ان الذين كفروا اي حجبوا عن ربوبيتي بعد اقرارهم في عهد الست بربكم باجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم
برين ما كسبوا من اعمالهم الطبيعية النفسانية فلا افسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التي فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية
والسبعية والشيطانية وذلك ان ارواحهم لسبعية لما نظرت من روزنة الحواس الى عالم الصور الخسيسة حجبت عن مالوفاتها ومحابها ثم
اشتغلت بصحبة النفوس الحيوانية واستانست بها فبمجاورة النفس الخسيسة اتصفت ارواحهم النفسية بالحسنة فاستحسنت ما استحسنته النفس

واستلذت به

واستلذت به واستمتعت من المراتع الحيوانية فانقطع عنها الاغذية الروحانية ونسيت حظاير القدس وجوار الحق تعالى فما هي في اودية
الخذلان واستهوتهم الشياطين في الارض حيران ولا نسوا الله تعالى بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلبت عليهم الهوى واوقعتهم في مهالك
الردى فاصبحوا بنفوس احياء وقلوب موتى سواء عليهم انذرتهم بالوعيد وخوفتهم بالعذاب الشديد ام لم تنذرهم لا يؤمنون بلا عودتهم الى
الله ختم الله عليه لان قلوبهم ومن قلوبهم الى عالم الغيب منسدة بحلاوة الدنيا وقلوبهم مقفول عليها بمتابعة الهوى فتنبت عليهم صرح الشقا
من سجن حكم السابقة ولا ركبتم بالختم على الافعال حتى حرموا عن دولة الوصال وعلى سمعهم حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذي الجلال و
على ابصارهم غشاوة من العمى والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال ذلك هو الخسران المبين ولما ذكر الحق سبحانه قصة المؤمنين الذين
جمعوا بين الاقرار باللسان والاعتقاد بالجنان وثنى باضدادهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكملة للتقسيم فقال ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نزلت في منافقي اليهود عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه حيث
اظهروا الاسلام ليسلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وينالوا من المؤمنين الاكرام والعطاء وليختلطوا بهم فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم والناس اصله اناس لقولهم انسان واناسي وناسي حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يجمع بينهما وهو اسم
مفرد ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او من آنس بمعنى ابصر لانهم ظاهرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن لاجتنانهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه من النسيان لانه عهد اليه فنسي وفي ذلك بالاشتقاق الكبير المعتبر عند ارباب الاشارة وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام وفي تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر زيادة تشنيع وتقريع عليهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا
يؤمنون بالله واليوم الآخر فجعل ايمانهم كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم
الا اياما معدودة فنفاقهم في ذلك انهم يرون المؤمنين انهم آمنوا بمثل ايمانهم ففيه بيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما
لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما وكذلك نفى الايمان
عنهم على ابلغ وجه واكده حيث عدل عن الجملة الفعلية المطابقة لقولهم آمنا الى الاسمية فان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان
عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء المزيدة وسجل كذبهم فيما ادعوا من الايمان يخادعون الله اي يخدعون على ان يكون
الجملة بيانا لمقولهم واستئنافا فاذكر ما هو الغرض منه وعليه قراءة بعضهم والمعنى انهم يصنعون معه ما هو في صورة الخداع من اظهار
الايمان وابطان الكفر فان حقيقة الخداع هو ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتستنزله عما هو بصدده واستخفاء واستجادة من المجاهرة بتنزله
عما هو بصدده والله تعالى لا يخفى عليه خافية مع انهم لم يقصدوا ذلك والذين آمنوا يريد به النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين عن كرهم والمنافق خبا كيتم
هذا هو الظاهر من سوق الكلام فان المقصود من الآية ذكر سوء صنيع المنافقين لا غير حيث اراد مقابلتهم بجزاء سوء صنيعهم قال ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم ولعل السر في العدول عن صيغة يخدعون الى يخادعون صيانة مقام الكبرياء من ان يتعلق به الخديعة من
خلقه من غير سبق شيء من ايهام المجازاة من قبله وقيل يخادعون محمول على المشاركة كما هو الغالب في صيغة يخادعهم الله والمؤمنين
لاظهار الايمان والمحبة واستبطان الكفر والعداوة وخدع الله والمؤمنين معهم مسالمتهم واجراء احكام الاسلام عليهم وادخار العذاب

لاليم والمآل الوخيم وافتضاحهم في الدنيا حاصلا، انتم عن خالهم ومَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو
والمعنى دايرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم بالاماني وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون على الوجه المذكور ونفس الشيء ذاته وحقيقته
ثم قيل للروح لان نفس الحي قايم به وللراي في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث عن النفس والمراد بالانفس ههنا ذواتهم
ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم بتبصرة ان الانسان بجمعية نشاته مشتمل على حقايق مترتبة متفاوتة في اللطافة والكثافة
منها النفس محل الادراكات الجزئية والاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية والشيطانية والقلب الذي هو محل الادراكات الكلية
والصفات الحميدة الملكية والروح الذي هو محل مشاهدة الانوار الالهية وهو بلطيفة الانانية المشار اليها بانا يغاير ساير تلك
الحقايق وينسب الحكم [illegible] باعتبار [illegible] احكامها انضباع المرآة بصبغ ما يقابله ومن هنا يقال فلان في مقام النفس
وفلان في مقام [illegible] مقام القلب وفي مقام الروح والمنافق [illegible] نشاته وتردده في الدرك الاسفل بصبغ بصبغ
النفس مستلذة [illegible] الشيطانية [illegible] برياح القاذورات فلا يزال يتعرض لنفسه بالخداع فيخدعها بغير الله ومواهبه
ويخدعه نفسه لذلك [illegible] الشيء بما يرجع [illegible] الخداع من الحرمان عن [illegible] وَمَا يَشْعُرُونَ لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه [illegible] وبالخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على فاقد
الحواس قال اهل الطريقة [illegible] يؤمنون بالايمان التقليدي الذي هو نور الله الذي يقذفه في قلوب خواصه فيقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم وما هم بمستعدين للهداية الى الايمان الحقيقي [illegible] مخادعتهم [illegible] مستوجبين للنار بكفرهم مع امكان ظهور الايمان منهم
فلما شرعوا في اظهار النفاق بطريق المخادعة [illegible] النفاق الى الدرك الاسفل من النار فابطلوا استعداد قبول الايمان و
عن انفسهم وكانت مضلة خداعهم ومكرهم راجعة الى انفسهم وما يشعرون بذلك الامر النازل منزلة المحسوس في الظهور لنزولهم لكفرهم
عن درجة الانعام ذوي المشاعر او كانك كالانعام بل هم اضل اشارة من الناس اي من اهل الغفلة والنسيان من المسلمين
الذين يظنون انهم مؤمنون حقا وانما هم مؤمنون حقا وانما هم يؤمنون باللسان المقلد وانما حقيقة الايمان مقام الشهود بنور
الايمان كما قال حارثة حين رسول الله صلعم كيف اصبحت يا حارثة فقال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال يا حارثة ان لكل حق حقيقة
لكل [illegible] مقام شهود فما حقيقة ايمانك فقال عزفت عن الدنيا فاظمأت نهارها واسهرت ليلها واستوت عندي ذهبها
ومدرها وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون وكاني انظر الى اهل النار هم يتعاودون وكاني انظر الى عرش ربي بارزا
الذي ينصب في محشر القيمة فقال رسول الله صلعم احببت فالزم ولما ذكر قصة خداعهم الذي لا يتصدى له من له ادنى فطنة وفهم بين
بان ذلك انما هو من اجل مرض قلوبهم الذي هو محل الفهم فقال فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن
عن الحال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد وحب المعاصي
لانها مما تمنع عن نيل الفضائل او تؤدي الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحزنا على ما فات عنهم
من الرياسة

من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلم واستعلاء شانه يوما فيوما والانسان اذا بلي بمشاهدة المكروه ثم دام
به كان ذلك سببا لتغير قلبه وتالمه وضعفه في افعاله فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا زادهم الله مرضهم الظاهر والباطن بزيادة غمهم
وتحزنهم بما رأوا من الزيادة في اعلاء امر النبي صلعم واشاره ذكره وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ الاليم المؤلم وهو وصف به العذاب
للمبالغة باسناد الفعل الى الملابس كما في فما ربحت تجارتهم وفرق بين العذابين بالالم والعظم لان عذاب المطرودين في الازل
وان كان اعظم فلا يجدون شدة المه لا العضو المحدر واما المنافقون فلثبوت استعدادهم وبقاء ادراكهم يجدون شدة
الالم لهم فلا جرم كان عذابهم مؤلما بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم وهو قولهم
وقرا الباقون يكذبون من كذب للتعدية لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه السلم او من كذب للمبالغة والتكثير لكثرة كذبهم
في احكام الكتب واحوال الرسل والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه وهو حرام وان تعلق به غرض صحيح لان في المعاريض
لمندوحة عنه وفي جعل عذابهم الاليم مسببا لكذبهم من بين جهات استحقاقهم له مع كثرتها تشديد في قبح الكذب وخاصة عاقبته لينزجر
عنه المؤمنون فليتنبه له وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ عطف على قوله يكذبون او على قوله يقول والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكان من فسادهم في الارض تهييج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وافشاء اسرارهم الى الكفار فان
ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب ومنه اظهار المعاصي فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج
ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما يجد الصفراوي العسل مرا وبذلك قال فرعون في موسى اني اخاف ان يبدل دينكم او
ان يظهر في الارض الفساد أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ رد لما ادعوه من قصرهم على الصلاح ابلغ رد بالجملة المستانفة
وتصديرها بحرفي التاكيد الا وان وبتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين ولا
يستدرك بلا يشعرون قال [illegible] باب الطريقة ان الانسان لو ان خلق مستعدا للخلافة في الارض واصلاحها بالايمان والعدل ولكنه
بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية فيكون مايلا الى الفساد فبا في امر الشريعة ونواهيها يستخلص جوهر الخلافة عن معدن
نفس الانسان فيكون فاهل السعادة وهم خواص المؤمنين منقادون للداعي الى الحق واما اهل الشقاوة فاذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض اي لا تسعوا في افساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة في الارض باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا لا يقبلون النصيحة و
يدعون الصلاحية غافلين عن حقيقتها ولا يشعرون انهم على الافساد لحسبانهم بانفسهم حسن الصنعة كما قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ كما مصدرية اي ايمانا مشبها بايمان الناس او كافة فيكون
التشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما حقق الناس ايمانهم واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون

بتقضيه العقل عن المؤمنين منهم فان اسم الجنس كما يستعمل بمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصود منه وكذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان او للعهد والمراد خواص اصحاب النبي صلعم او من آمن من اهل جلدتهم كعبد الله بن سلام والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار والسفه خفة
وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحكمة يقابلها واللام في السفهاء اشارة الى الناس سفهوهم لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين
كانوا فقراء صعاليك ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم يجعل جهلهم جهلا مركبا وانما فصلت الآية بلا يعلمون والآية التي
قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى فكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم قال ارباب الطريقة كذلك احوال اصحاب الغفلات من مدعي الاسلام اذا
دعوا من الايمان التقليدي الذي اخذوه بالميراث الى الايمان الحقيقي المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع الى
الحق تعالى بعد التمادي في الباطل ينسبون ارباب القلوب واصحاب الهمم العلية الى السفه والجنون بنظر الحقارة والذلة ويقولون نترك الدنيا
كما ترك هؤلاء السفهاء لتركبنا الفاقة كما ركبتهم ولا يعلمون انهم هم السفهاء وذلك لمعنيين احدهما انهم شغفوا بالدنيا واتباع
الفاني وذلك عين السفاهة الثاني انهم سفهوا انفسهم لم يرضوا حسن استعدادهم للدرجات العلى والقربة والزلفى فرضوا بالحياة
الدنيا ورغبوا عن مراتب اهل النعيم ومشارب اولي النهى قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فانه من عرف نفسه عرف ربه و
من عرف ربه عرف اهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم الى السفه وينظر اليهم بنظر العزة فان الفقراء هم الملوك تحت اطمار وجوههم
المغبرة وعند الله تعالى كالشموس والاقمار ولكنهم تحت قباب العزة مستورون عن نظر الاغيار قال عليه السلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يعبأ به
لو اقسم على الله تعالى لابره واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا اللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته والجملة
لبيان معاملتهم مع المؤمنين والكافرين وصدر قصتهم كان مسوقا لاصل نفاقهم فلا تكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلعم وآله
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت الآية واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المجاهرون بكفرهم
اضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر والنون في شيطان اما اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح واما زائدة من شاط اذا
بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالاسمية المؤكدة بان لانه
لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الرسوخ في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
الذين هم ارباب فهم وكياسة بخلاف ما قالوه للكفار انما نحن مستهزؤن تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على

خلافه

خلافه
واصل الهزء الخفة ويلزمه السرعة فيقال هزأ فلان اذا مات على مكانه الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما
سمي جزاء السيئة سيئة لمقابلة اللفظ باللفظ كما في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك او المعنى انه تنزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم للاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على
التمادي في طغيانهم واما في الآخرة فان يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والجملة مستأنفة نقضا لقولهم لما بالغوا في استهزاء المؤمنين مبالغة تامة ظهر تعاظمه على الاسماع
وجه تحرك السامع الى ان يقول هؤلاء الذين هذا شأنهم ما مصير امرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله معهم فاجيب بذلك
ان وجه تصدير المستأنفة باسم الله تعالى امران احدهما ان الله تعالى كفى مؤنة عباده المؤمنين ولم يحوجهم الى معارضة المنافقين
والانتقام منهم تعظيما لشأنهم والثاني ان الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الابلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم بالمؤمنين
ذلك لصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم في جنب علمه وقدرته ويمدهم في طغيانهم يعمهون قرأ ابن كثير ويمدهم بالضم
وهو من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه والطغيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه والعمه في
البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر ذهبت عامة المعتزلة الى ان الله تعالى يجب عليه ان يفعل بالعبد ما هو الاصلح في حقه ولا
يجوز له ان يكون في مقدوره لطف فيه صلاح العبد لا يعطيه ذلك ولا ان يخص بعض عبيده بما يمنع عن غيره والا لكان جائرا فلهذا يتعذر
عليهم القول بان الله تعالى يريد طغيان الكفار ويقويه فاولوا الآية بان الله تعالى منعهم الالطاف التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم
واصرارهم وسد طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا فاسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب ولا يخفى عليك ان ما قالوه من منع اللطف عن الكفار و
تمكين الشيطان من اغوائهم ابطال لما ادعوه من وجوب فعل الاصلح وعدم جواز ترك اللطف بالعبد تنبيهات ان للمنافقين استعدادين
احدهما الاستعداد الفطري النوري المغلوب المستتر تحت الانفطار الذي ناسبوا به المؤمنين والثاني الكسبي الظلماني الغالب الذي
به الفوا الكفار ولو لم يكن فيهم ادنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم اصلا ككونهم من الكفار للتنافي الضروري بين
النور والظلمة من جميع الوجوه فلما اراد هؤلاء ان يجمعوا بين عزة الكافرين وصحبة المسلمين وان يجمعوا بين منافع الكفر ومصالح الايمان
بقوا بين الباب والدار مذبذبين بين ذلك وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد
القاعدين يتمنون اعلى مراتب الدين ويرتعون في اسفل مراتب الدنيا فلا يحصل لهم ذلك والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل
من هنا ادبر النهار من هنا وقال عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات والدنيا والآخرة ضرتان فمن طلب الجمع بينهما فهو ممكور
ومن يدعي الجمع بينهما فهو مغرور ومن زعم انه مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق وكم في هذا البحر من امثال
الغريق واصحاب هذه الحال وان كان يرى انه مستهزئ لكن حقيقة الامر يدل على ان الله تعالى يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان كل
ذلك منهم نتيجة الخذلان من الله تعالى يكلهم الى انفسهم فتأمرهم النفس الامارة بالسعي بالاستهزاء ويحملهم على الازدراء ومن خذلانهم انه يعمهم

في طغيانهم اي يمهلهم في طغيان النفس الحريص على الدنيا حتى تجاوزوا في طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا
بها ويزداد بازدياد الاستغناء طغيانهم ومن خذلانهم ان تبتلى قلوبهم بالعمه حتى يلتبس عليهم الامر فلا يتبين بهم الصواب المنهو كما
الخذلان من الربح فختار الفاني على الباقي كما قال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد اثر الله ربه وجاد
بدنياه لما يتوقع فكان جزاء سيئة ترددهم في الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الامهال الذي ادى بهم الى الطغيان وجزاء
الطغيان العمه وجزاء سيئة العمه الخذلان المشار اليه بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاصل في الاشتراء
بذل الشيء لتحصيل طلب من الاعيان استعير هنا للطلوب الاعراض عن شيء واختيار غيره والمعنى اختاروا الضلالة واستحبوها على
الهدى والباء فيه في الاستبدال مدخل المتروك وفي البيع على المطلوب فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز مذكر بما يلائم
المشبه به اعني الاشتراء والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال والاسناد الى التجارة وهي اربابها على
الاتساع لتلبسها بالفاعل وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهم قد اضاعوا
راس المال الذي هو النور الفطري الذي اعطوها ليكتسبوا به ما يجانسه من النور الكمالي بالعلوم والاعمال والحكم والمعارف والاخلاق
والملكات الفاضلة فيصيروا اغنياء مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عند الله تعالى فاذ محوا بكسبهما واحاطوا
على راس المال فخسروا بالخسران الشديد اعاذنا الله تعالى من ذلك قال ارباب الطريقة هذا خسران من رضي بالدنيا عن الاخرة ومن
اثر الدنيا او العقبى على المولى فهو اشد خسرانا واعظم حرمانا فاذا كان المصاب بفوات النعيم ممتحنا بنار الجحيم والعذاب الاليم فما ظنك
بالمصاب بوصال الملك الكريم لا الى قلبه رسول ولا لروحه وصول ولا من الحبيب اليه وفود ولا للسر معه شهود فهذا هو المصاب
الحقيقي اذ فاته مولاه الذي فاته ما سواه ولما جاء بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل لزيادة التوضيح والتقرير فانه
اوقع في القلب لانه يرى المخيل محققا والمعقول محسوسا فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل في الاصل بمعنى النظير
ثم اريد به القول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او
صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقدوا
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو بضم الفاء سطوع النار وارتفاع لهبها والوقود بالفتح ما يوقد به كالوضوء
لماء الذي يتوضأ به والنار والنور من واد واحد لتوافقهما في المعنى نار ينور نورا اذا نفر لانها تنفر عن الظلمة فلما اضاءت
ما حوله اي اضاءت النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا فالاسناد الى ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الارض
اماكن ما حوله اشياء واماكن وتاليف الحول للدوران فيقال للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما
والنور لغة في النار وفي العدول عن اللغة الشائعة ايماء الى اصل القصة وهو ذهاب نور الايمان عن المنافقين وان اريد بالنور
ضوء النار فالعدول اليه لكونه اكثر طباقا بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون ترك في الاصل بمعنى طرح وخلى

وله مفعول

١٧

وله مفعول واحد فضمن معنى صير فتعدى الى مفعولين والظلمة عدم النور وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة سوء الافعال
والاخلاق ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك نسيا منسيا والاية مثل ضربه الله تعالى لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه
ولم يتوسل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى وهم المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره عند شياطينهم او تمثيل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال ومشاركة
المسلمين في المغانم بالنار الموقدة للاستضاءة ومن حيث ذهاب اثره باهلاكهم وافشاء سرهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها
وفي ذكر ما حوله ايماء الى ان فائدة ايمانهم الاهتداء الى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيد بالنسبة اليهم قال ارباب
الطريقة في الاية مثل المريد الذي له بداية جميلة يسلك طريق الارادة مدة ويتعنى بمقاساة شدائد الصحبة برهة حتى تنور الارادة واستوقد
نار الطلب فلما اضاءت ما حوله فرأى اسباب السعادة والشقاوة وعلائم الخلوة وادرك بوارق انوار الله والخلع بخلاع النفس
فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس فرجع القهقرى الى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمس استعداده واظلمت نفسه وانقطع حبل
وصاله واحتجب من جنبة نور الله فتقدم شامة وطاله عاد الى سوء حاله فحاصل حاله بعد انقطاع حباله قوله صم بكم عمي جمع
اصم وابكم واعمى والصمم فقدان حاسة السمع لصلابة الصماخ فان سبب فقدان السمع صلابة الصماخ باكتناز اللحم فيه بحيث لا يبقى فيه
تجويف يشتمل على الهواء للصوت والبكم الخرس الخلقي والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر والتقدير هم صم بكم عمي واطلاق هذه الاوصاف على
المنافقين على سبيل التمثيل فيكون الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وذلك انهم لما سدوا مسامعهم عن الاصغاء الى الحق وابوا ان ينطقوا
به السنتهم ولم يتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانهم ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم وان جعل للمستوقدين فالاوصاف على حقيقتها
والمعنى انهم لما اوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم فهم لا
يرجعون لا يعودون من الضلالة التي اشتروها الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون
والى حيث منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم قال ارباب الطريقة
هم صم باذان قلوبهم التي سمعوا بها خطاب الحق يوم الميثاق بكم بتلك الالسنة التي اجابوا بها بقولهم بلى عمي بالابصار التي شاهدوا
جمال الربوبية فعرفوه فهم لا يرجعون من الوفاتهم الحسية الى منازل حضائر القدس ولا من ملاحظة الاغيار الى مشاهدة الجبار لانهم سدوا
روزنة قلوبهم التي كانت منفتحة الى عالم الغيب فاستنشقوا نفحات الارواح فمرضت قلوبهم ثم ارسل اليهم الطبيب بالدواء فلم يصدقوا الطبيب
ولم يستعملوا الدواء ظلما على انفسهم فصار الدواء داء والشفاء وباء او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب
لقوله يجعلون واو للتساوي والتخيير مثلها في جالس الحسن وابن سيرين والمعنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في
صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما والصيب فيعل من الصوب وهو النزول ويقال للمطر والسحاب والاية يحتملهما وفي تنكيره للتعجب والصيغة
بعدها التنكير والمعنى نوع من المطر الشديد والسماء اما بمعناه الوضعي والمراد به السحاب فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر
فظلماته ظلمة تكاثفه والرعد صوت يسمع من السحاب عن انعقاده والبرق ما يلمع من السحاب من برق بريقا وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا
واسبابهما على ما زعم الحكماء من اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها مشهورة عند طلبة العلم وحقيقتها في علم الله تعالى وفي الشرع هو الحق

[illegible]

صوت ملك يسمى الرعد يسبح الله بحمده والبرق مخاريق من سوط يزجى به السحاب الى حيث امره الله ان يذهب اليه وستطلع على تحقيق معناه
بلسان ارباب الحقيقة ان شاء الله تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم الجملة مستأنفة والضمير لاصحاب الصيب لكونه مرادا على
ما مر تقديره وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق من اجلها والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشىء
الا اتت عليه من الصعق لصاعقة اذا اهلكته باحراق او شدة الصوت حذر الموت نصب على العلة والموت زوال الحيوة وقيل
عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه
كما يفوت المحاط المحيط لا يخلصهم الخداع والكذب عن عقوبته والجملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب يكاد البرق يخطف ابصارهم
الجملة استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد
شرط او لعروض مانع والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون فى تارتى ظهور البرق وخفيته فاجيب بذلك واظلم لازم وكذا اضاء فى الظاهر فالمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره
فان جعل متعديا فكلما نور لهم ممشى مشوا فيه وانما قال مع اضاء كلما ومع اظلم اذا ايذانا بانهم حراص على المشى فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها ولا كذلك توقفهم ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة
الجواب عليه كما هو الشايع فى باب شاء واراد وفايدة الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه تنبيها على
ان تاثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته ان الله على كل شىء قدير
تصريح وتقرير لما تقدم من صحة تحقق المشروط بتحقق الشرط فان لو وان دل صريحا على انتفاء الثانى لانتفاء الاول فقد دل ضمنا على صحة وجود الثانى
لوجود الاول والقدرة هو التمكن من ايجاد الشىء بحيث يصح ان تاثيرها على قدر ما يقتضيه المشية والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم
يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى والشىء والموجود يتساوقان فى الاطلاق و الموجود
يعم الواجب الوجود والممكن الموجود فى العلم المسمى بالمهيات والموجود فى العين المسمى بالاكوان فالشىء يعم الواجب والممكن بحسب الوضع لا بمعنى
الشائى والمشى كما توهم ومعنى على كل شىء قدير انه قادر على كل ممكن فانه هو القابل للتاثير لا غير فقد تخصص الواجب لذاته لامتناع تاثير
الشىء عن نفسه والممتنع لذاته لعدم قابليته للتاثير عن الموجد لا لعجز القدرة ثم ان تعلق القدرة بالممكن على وجهين احدهما بالايجاد
وذلك فى حال عدميته بترجيح الوجود والثانى بالابقاء وذلك فى حال موجوديته ومعنى الابقاء عند اهل التحقيق هو تجديد الامثال فى
الموجودات الممكنة فان الممكن لكونه مقتضيا للعدم بذاته منصبا بر الى العدم فى كل آن عايد الى الوجود بايجاد الموجد فالحق تعالى خلاق ابد
الكل موجود فى كل آن الى الابد وسرعة تجدد الامثال تلبس على الناظر العدمات المتخللة بين الوجودات فيرى الوجود مستمرا قال تعالى افعيينا
بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد وترى الارض تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وانت بما اوضحت لك
من نهج المستقيم يستغنى عن المقالات التى بين الاشاعرة والمعتزلة فى ان المعدوم شىء او ليس بشىء وان الممكن حال بقائه مقدور ام لا والله
يقول الحق وهو يهدى السبيل فصـل التمثيلان من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه

وتلاصقت

وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فان تشبيه حال اليهود فى جهلهم
بما معهم من التورية بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد
ايقاده فى ظلمة او بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
بان تشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان بايقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال باضاءة
النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وانشاء حالهم باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى
بان يشبه انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه
لما ظهر فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد
من قدر الله شيئا وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف
ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفى لمعانه بقوا متحيرين لا حراك لهم قال ارباب الطريقة شبه الذكر والقرآن بالمطر لانه
منبت الايمان والحكمة من القلب كما ينبت الماء الكلاء فيه ظلمات اى مشكلات ومتشابهات وشبهات تظهر للسالك الذاكر فى اثناء السلوك
ومعاد فيه مسائل لا يمكن حلها والخروج عن عهدة افادتها الا لمن كان عقله منورا بنور الايمان مؤيدا بتأييد الرحمن فكما ان السير لا يمكن فى الظلمات
الا بنور السراج كذلك لا يمكن السير فى حقايق القرآن ودقايقه فى ظلمات البشرية الا بنور هداية الربوبية ولهذا قال كلما اضاء لهم
مشوا فيه يعنى نور الهداية واذا اظلم عليهم قاموا يعنى ظلمة البشرية قوله ورعد اى خوف وخشية ورهبة تطرق الى القلوب
من هيبة جلال الذكر والقرآن كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن الاية وبرق وهى تلألؤ انوار الذكر والقرآن يهدى به القلوب
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وتلوح لهم نور السعادة فلو خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الارادة لنالوا درجات الفائزين
ولكن يجعلون اصابع آمالهم الفاسدة وامانيهم الباطلة فى آذانهم الواعية من صواعق دواعى الحق حذر الموت موت النفس ان النفس
سمكة بحر الدنيا وماء الهوى لو خرجت منها لماتت والله محيط بالكافرين اى مهلكهم ومميتهم فى الدنيا بموت الصوت وفى الآخرة
بموت العذاب فلا يموت ولا يحيى يكاد البرق اى نور الذكر والقرآن يخطف ابصارهم اى ابصار نفوسهم الامارة بالسوء كلما
اضاء لهم نور الهدى مشوا فيه سلكوا طريق الحق بقدم الصدق واذا اظلم عليهم ظلمات النفس وغلبت عليهم الهوى والميل الى الدنيا
قاموا اى وقفوا عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت اليهم الآفات واستولت عليهم الشيطان وسولت لهم انفسهم الشهوات حتى وقعوا
فى ورطة الهلاك ولو شاء الله ان يهديهم لذهب بسمعهم اى بسمع نفوسهم التى تصغى الى وساوس الشيطان وغروره وابصارهم
اى ابصار نفوسهم التى بها ينظر الى زينة الدنيا وزخارفها ان الله على كل شىء قدير اى قادر على سلب سمعهم النفسانى كما سلب سمعهم
الروحانى وعلى سلب ابصارهم لقلب حتى لا تسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولا يبصروا المزخرفات الدنياوية والمستلذات
الحيوانية كيلا يغتروا بها ويتبعوا الذين بالدنيا ولما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع
وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم بالنداء البعيد فى الوضع و

وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمة كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلة وسوء فهمه
او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو المراد ههنا وفي ندائي واجراء المقصود بالنداء عليه بالوصفية واقحام حرف التنبيه
بينهما من التأكيد ما لا يخفى ولذلك كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لان كل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام
من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنه غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماء
الجموع المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس فالناس يعم الموجودين وقت النزول ومن يوجد بعدهم لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه
واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل فالمطلوب من المؤمنين زيادة العبادة والمواظبة عليها الكفار ومن
ومن المشرع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم ذلك
الشيء الا به فكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب دفعه والاشتغال بما تقتضيه
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هو الربوبية نكتة قال الشيخ رض من كان في الدنيا عبدا محضا كان في
الآخرة ملكا محضا ومن كان في الدنيا يتصف بالملك ولو في جارحة يرى انه ملك له نقص عن ملكه في الآخرة بقدر ما ابتغاه
في الدنيا ولو قام العدل في ذلك وصرفه فيما اوجب الله عليه ان يصرفه شرعا وهو يرى انه مالك لذلك لغفلة طرأت منه فان
وبال ذلك يعود عليه ولو ترفه فلا اعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق ولا اذل في الآخرة ممن
بالغ في الدنيا الى ان يكون صفته في نفسه لا ان يكون في ظاهر الامر ملكا ومعززا فعليك بالعبودية والذل فان العز لله جميعا
الذي خلقكم صفة جرت على الرب للتعظيم والتعليل والذين من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان من المخلوقات
ومخاطبة الكفار بذلك اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
نظر لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين مجيب على ان التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف و
رجاء وفي الآية تنبيه على ان العبد لا يستحق بعمله على الله ثوابا من وجهين احدهما انه جعل عمله عبادة والعبد لا يستحق بعمله
اجرا على مولاه والثاني انه جعل طاعته شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل نكتة
في تخصيص ذكر الناس وذكر الرب في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم ايقاظ وتعريض وتنبيه على ما غفلوا عنه عنهم ولنسو من
اقرارهم بربوبيته في سؤال الست بربكم حين عاهدوا ان لا يعبدوا الا اياه فنقضوا عهده وعبدوا اصنام الدنيا والنفس والهوى
فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا في شرك والهلاك فبعث لهم الكتاب واخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم الى
التوحيد والعبودية وقال وفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتنزيه السر وتزكية النفس بترك المحظورات
واقامة الطاعات المأمورات لعلكم تتقون عن شرك عبادة غير الله فتوفوا بعهد الربوبية بالتخليص من دركات النيران ورفع

الدرجات

الدرجات في الجنات والاكرام بالقربات والكرامات في الآخرة كما اكرمكم في الدنيا بان جعل الارض والسماء لكم كما قال الذي جعل لكم الارض
فراشا جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة وصيرها متوسطة بين الصلابة واللين حتى صارت مهيأة لان
يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى عن صورة
الافتراش والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته اذا
زفها لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا من الاولى للابتداء
سواء اريد بالسماء السحاب فان العرب يسمي ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دل عليه
الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض وكذا تنكير
الماء قبله وتنكير الرزق بعده كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق الثمار ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر
كانه قال رزقا اياكم والباء للسببية فجعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراج الثمرات ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته
بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او بان ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما
انواع الثمار وهذا هو معنى حكمته في ترتب المسببات على الاسباب والتدريج في اظهار الآثار لاولي الابصار ليتجدد لهم ذلك العبر
والتذكرات بمرور الازمان والاوانات واما معنى قدرته فايجاد الاشياء دفعة بلا اسباب والحكمة لما السبق في مقتضاها في عموم
الاحوال فيكون ظهور الآثار على حكم العادة وقد يسبقها القدرة فيدفع حكم العادة كما في خلق آدم وعيسى ع وايجاد المواد التي يفيض
عليها الصور ذلك تقدير العزيز الغالب بقدرته على جميع الحكيم المثبت بحكم الاسباب في ايجادها لتكميل النظام وتذكرة اولي النهى و
الافهام قال ارباب الحقيقة علق العبودية بالربوبية بهم ليحفظوا عبادتهم به والمقصود دعوتهم الى التوحيد واول مراتب التوحيد
توحيد الافعال فدعاهم لرفع الحجاب الاول من الحجب الثلاث التي هي الافعال والصفات والذات لان الخلق في البداية كلهم محجوبون عن
الحق بالكون مطلقا فنسب انشاءهم ما توقف عليه وجودهم من المبادي والاسباب مثل الآباء والامهات وجعل الارض فراشا لهم ليكون
مقرهم ومسكنهم وجعل السماء بناء ليظلهم وانزال الماء من السماء واخراج النبات به من الارض ليكون رزقا لهم الى نفسه لعلهم يتقون بنسبة
الفعل الى غيره فيتبرءوا من الشرك في الافعال بمشاهدتها جميعا من الله ومن الجائز ان يراد من الارض اراضي نفوسهم ومن السموات سموات
ارواحهم ومن الماء المنزل من السماء ماء التوحيد الافعال اخرج به من كل الارض نبات الاستسلام والاعمال والطاعات والاخلاق
لرزق قلوبهم منها ثمرات الايقان والاحوال والمقامات كالصبر والشكر والتوكل فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه
نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جوابا له والند المثل المناوي خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر فان قيل المشركون ما اعتقدوا فيما عبدوه انه يساوي الله في ذاته ولا يخالفونه في افعاله اجيب بانهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقدها ذواتا واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم

ما لم يرد الله بهم من خير ضمهم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او المفعول منوي والمعنى انتم تعلمون انها لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله فيكون المقصود منه التوبيخ لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف
نكتة لا تجعلوا لله اندادا اراد لا تجعلوا معه احبابا من الدنيا والهوى والنفس وشهواتها من الموانع الحجب بينه ولا الآخرة
ونعيمها ولا الروح ومالوفاتها من المستحسنات الروحانية ولما لم يصح لاحد من العالمين هذه المرتبة من العبدية الا [illegible]
اسلام محمد صلعم ذكره في هذا الوصف وسماه بعبدنا باضافته الى نفسه في مقام العظمة فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلعم
فان الاسلام لا يتم بدون الرسالة لان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف من ربهم فيجب وجود واسطة
تجانس بروحه المشاهدة للحق الحضرة الالهية وبنفسه القدسية ويقبل منه الخلق برابطة الجنسية وتلك الحجة هو القرآن فانه اعجز
بفصاحته كل فصيح وبليغ من بلغاء العرب العرباء ما يعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله بهذا الطريق من التحدي وانما قال مما
نزلنا لان نزول القرآن نجما نجما بحسب الوقايع كان مما يوقعهم في الريب كما يصدر عن اهل الشعر والخطابة كما قال الله تعم حكاية عنهم
لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة فكان المناسب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضافة العبد الى نفسه لتعظيمه و
للتنبيه على انه مختص به منقاد لحكمه والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات نقلا من سورة المدينة على انها او من
السورة التي هي الرتبة لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتنشيط
القاري وتسهيل الحفظ فانه اذا ختم سورة ترقى بذلك كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن
حظا تاما وفاز بطائفة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوايد ومن مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما
نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وصلة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة ممن هو على
حاله كونه اميا بريا من الكتاب لم يتعلم والاول اولى لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله وادعوا شهداءكم من دون الله والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر والتركيب للحضور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة
حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى امر قال الله تعم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم
معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله
ولا تستشهدوا بالله فانه من شعار العاجز عن اقامة الحجة او ادعوا من زعمتم انهم يشهدون لكم عند الله وينصرونكم في الدنيا ويشهدون لكم

عند الله

عند الله اعني الاصنام وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق للواقع قال ارباب المعرفة ان الله تعم جعل اعراض المعرضين و
اعراض المعرضين قباب عزته وسرادقات عزته لحبيبه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه المنزل ستره الله تعم لئلا يشاهد الموصوفون
عن سر حبيبه كالبطال المعرضون على استكباره فلم يزدهم بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعجاز القرآن الا ريبا على ريب وخسارة على خسارة
كما قال تعم وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فلما حجبوا عن مشاهدة الحبيب وعن مطالعة الكتاب قال لهم وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا سماه بالعبد مطلقا ولم يسم غيره بالعبد الا مقيدا باسمه وبصفة مخصوصة كما قال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و
قال انه من عبادنا المؤمنين انه كان عبدا شكورا لان كمال العبدية ما حصل لاحد من العالمين الا لحبيبه صلى الله عليه وآله وكمال العبدية في كمال الحرية
عما سوى الله تعم وهو مخصوص بحبيبه بهذه الكرامة كما اشار الله تعم اليه بقوله وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما خص بالحرية
اكرم باسم العبد كما قال تعم فاوحى الى عبده ما اوحى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عليه السلم وما جاء به ويميز عندهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالعرلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم عنه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فنزل لازم الجزاء منزلته على
سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز فان قلت مقتضى الحال تصدير الشرطية باذا
الذي للوجوب دون ان الذي للشك فان القايل سبحانه تعم لم يكن شاكا في عجزهم اجيب بانه اخرج الكلام ذلك المخرج للتهكم
بهم لانهم خاطبهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر و
الحجارة جمع حجر والمراد بها الاصنام التي نحتوها وعبدوها وطمعوا في شفاعتهم يدل عليه قوله تعم انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم وتنغيص لما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويغترون بها والمؤمنون وان كان منهم من يشارك الكفار في ذلك الوصف الا ان ذلك الحكم مدفوع عنهم بخاصية الايمان والمقام يابى
الا ان يكون الكافر هو المراد لان مسوق الآية في ذكر سوء صنيعهم وعن ابن عباس رض حجارة الكبريت والمراد الجمع بين عذابي الحرقة
والنتن في كلام الشيخ الاكبر رض ان ماء البحر يستحيل نارا فيسخن بها الجو ويتعذب بها احجار الجبال فيصير الارض بما فيها من البحار والجبال
سعيرا اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم اي خلقت وهيئت للكافرين خاصة ولكن يدخلها المذنبون من المؤمنين
بها بعيونهم عليها بتبعية الكافرين كما ان الجنة خلقت واعدت للمتقين خاصة ولكن يدخلها المذنبون من اهل الايمان بتبعية المتقين والجملة
استئناف او حال من النار بتقدير قد وفي الآيتين ما دل على صحة النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في
المعارضة وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن وانهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم
على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجاوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم
لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة الثالث انه عليه السلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان

ان يعارض فقد حصل جهته تأويل قال في بحر الحقائق اتقوا النار التي هي صفة القهر وصورة غضب الحق كما جاء في الحديث
الصحيح قال الله تعالى للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي وقودها الناس والحجارة يعني انا ابتلي الانسان الذي نسيان
الله تعالى من خصوصية والحجارة اى الذهب لانه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل اليها الهوى فعبر عما نعبده انا
نفس الانسان بالحجارة لان اكثر الاصنام كانت من الحجارة ومن انانية الانسان بالناس لانها تطلب غير الله وعبد لنسيان
الحق تعالى ومعاهدته يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها
واردون ولا تظنن جاهل ان مثل هذه التحقيقات مبني على بطلان ما هو المفهوم من ظواهر الايات وابطالها فمن ظن به
اهل الظاهر من العلماء والكبرياء من علمائها الوصفية وسموها انها الاصلية حاشا وكلا ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
ان للقرآن ظهرا وبطنا وظاهره ان ظاهره هو ما فسره بها اهل الظاهر فيكون باطنه ما اوله اهل الباطن فيكون تلك
التأويلات مقبولة منهم ولكن بشرط ان يكون موافقا الكتاب والسنة ويشهدان عليه بالحقية فان كل حقيقة لا يشهد عليها
الكتاب والسنة فهي الحادون زندقة لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين اقول وقد ذكر الشيخ الاكبر رض في معنى قوله تعالى
منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ان المقتصد من لا يبعد في تأويل كلام الله ولا يخرج عن مقتضى الظاهر بالكلية والمسمى من
يفرط فيه بالتأويلات البعيدة عن المعنى الظاهر ويحتمل ان يكون مما ذكره تأويل الايات الصريحة في الذم بخلاف ظاهرها لانها الظاهرة وحملها
على ما يقابلها من المدح الصريح كما يقال في قوله تعالى ... كفروا سواء عليهم الاية الذين ستروا وجوداتهم المجازية الكونية بالوجه الحقيقي
الالهي بالفناء في الله والبقاء بالله بالوجود الموهوب سواء عليهم انذار المنذرين وتخويف المخوفين وعدم انذارهم وتخويفهم
على مثل الوجود المجازي المستفاد ... لكونهم في سطوات تجليات حضرة ذي الجلال لا يؤمنون اى لا يذعنون لانذارهم وتخويفهم
ختم الله على قلوبهم جعل خزائن اسرارهم مختوما عليها بختم الغيرة ليسلم حدوث الاغيار ان تتصرف فيها بالانذار والتخويف على سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة فلا يسمعون باسماع قلوبهم الا عن المسامرات الالهية والمكالمات الغيبية مما يلهيهم الرشد والصلاح وينهيهم عن الغي
الفساد ولا ينظرون بابصار قلوبهم الا الى الحق تعالى فجعل اسماعهم وابصارهم غشاوة الغيرة الالهية كيلا يسمعوا الا منه ولا ينظروا الا اليه ولهم عذاب اليم
من نار المحبة والمعرفة التي تحرق ما سوى المحبوب فهم وذلك العذاب لهم لا عليهم فان نار المحبة والخلة برد وسلام على اهل المحبة والخلة وهذا الحمل
لبعدها عن ظاهر المعنى وايهام تبشير من يبغي عليهم الحق تعالى بالعقاب بان يترك بنيته في المقابر بل بان يطوى كتب المقال عنه لا صوبنا
لا اقدام له في امام عن الزيغ عن سواء السبيل وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب
بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر ونهي فيعطف عليه وجاز
ان يكون عطفا على فاتقوا فيكون في حيطته فان لم تفعلوا فانكم ذا لم تأتوا بما يعارضه فقد ظهر اعجازه واذا ظهر الاعجاز فمن كفر به استوجب العقاب
ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء والمخاطب هو الرسول عليه السلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة

وانما

وانما امر من امر منهم بالبشارة للمؤمنين ولم يخاطبهم بها كما خاطب الكفرة بما خاطبهم به تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا
ويهنوا بما اعد لهم وقرئ وبُشّر على البناء للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الخبر السار لانها تظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال
الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا كلهم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي الاعمال الحسنة التي سوغها
الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق
هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو التصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غنى باس لا بناء عليه
ولذلك قلما ذكرا في القرآن ذكرهما مفردين وفيه دليل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على ما هو داخل فيه
والباء محذوف من ان قياسا فهو منصوب بنزع الخافض او مجرور باضماره والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به
الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة ثم سمي بها البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب
لما فيها من الجنان وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنات ثمان وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال تجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها واللام في الانهار للجنس
او العهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر كالنيل والفرات والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وفي الاية
نعيم خصصه قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم والمراد من آمن في اللوح المحفوظ فان ايمانه من
من التبدل والتغير بخلاف من امن في لوح المحو والاثبات فان قلت البشارة انما يكون في امر لا يستحقه المخبر او لا يستحق بحصوله وبالجنة
اذا كان في مقابلة العمل كان اجر العامل والموجر غير ملوم ولا عدوم فكيف يجئ البشارة في الفوز بها قلت الاجر امر يتوهمه المحجوب القاصر
العبد واما العفو فلا يخفى عليه ان العبد لا يستحق بعمله اجرا على سيده على ان الاعمال العباد لا تكافئ سوابق النعم الدنيا وبه فضلا من ان يقتضي
اجرا في الآخرة ففي ذكر البشارة رفع لذلك التوهم وبيان ان الجنة لا تنال الا بمحض فضل الله تعالى وفي الخبر ان عابدا من عباد بني اسرائيل
وفق بعبادة ربه بعبادة عام فسأل الله تعالى ان لا يقبض روحه الا وهو في التهجد ثم يبقى الضوء عن سجوده فتم له العبادة او عمر الحيوة
ذلك فاستجاب له الحق تعالى دعاءه هذا فيحشر يوم القيمة على هيئته التي دعا الله تعالى ان يحشره عليها ثم يقول له يا عبدي ادخل الجنة بفضلي فيقول
يا رب فاين عملي فيقول الحق تعالى ان شئت ان تدخلها بعملك فلا عفي عن الحساب فيعد عليه نعمائي التي انعم بها عليه في الدنيا فيأمر بان يوضع نور بصره
في كفة من الميزان ويؤمر باعماله كلها جليلها ودقيقها فوضع في الكفة الاخرى فيرجح بها نور البصر فيطالب بعمل يعادل تلك النعمة ثم بما يعادل
سائر النعم فيقول العابد يا رب ما بقي لي عمل وراء ذلك ويتضرع اليه معتذرا من دعواه يرى ان عمله في طول عمره لا يكافئ احقر شيء من نعمه
فكيف يجل آلائه وعظائم نعمائه ثم يقول ادخلني الجنة يا رب بفضلك فيقول له ادخل الجنة بفضلي فيدخلها بفضله كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه قيل ان لهم جنات وقع في قلب

علم الله صح

التامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخرى فاريح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية لابتداء وافعال موقع الحال بتقدير الكلام كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتداء من ثمرة قيد الرزق بكونه من الجنات وقيد ابتداءه منها وابتداء من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني بالعين المشاهدة بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته فقال هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة وذلك لوجهين احدهما ما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك هذا الذي رزقنا من قبل فيقول الملك كل فان اللون واحد والطعم مختلف والثاني ما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة فاهي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك واتوا به متشابها اعتراض يقرر ما ذكر والضمير راجع الى ما رزقوا في الدارين ان من قوله من قبل يراد في الدنيا والى الرزق اي من شرعا في الجنة والتشابه بين ثمر الدنيا وثمر الجنة بالصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وقد قال ابن عباس رض ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء حقيقة مما يحتمل ان يحمل عليه قوله هذا الذي رزقنا من قبل وهو ما رزقوا في البرزخ المشار اليه بقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فان تلك الثمرات نتائج اعمالهم وثمرات افعالهم واقوالهم الدنياوية يرزقون منها بعد الموت في صور مثالية نورية مجردة عن المواد وهم في صور مثالية كذلك ثم انهم بعد ما يحشرون في ابدانهم العنصرية ويدخلون بها الجنة يرزقون بعين ما رزقوا به في البرزخ من ثمرات تلك الاعمال في صور مادية جسمانية فيرونها متحدة العين بالحقيقة لما رزقوا منها في البرزخ المثالي متشابهة الصورة فلاجرم كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا اي عين تلك الثمرات التي رزقناها من قبل في البرزخ وكيف لا يقولون ذلك وقد اتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ابلغ لاشعاره بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف وازواج اهل الجنة منهن نساء الدنيا ومنهن الحور العين ولا يبعد ان يصرف المطهرة على بناء المفعول الى نساء الدنيا فان الله يطهرهن بعدما اعترتهن التلوينات البشرية ولما ذكر شايب مطاعم اهل الجنة ومناكحها صار محلا لتوهم متوهم ان فائدة ذلك الطعام يكون ضبط البدن عن تطرق الفناء اليه ببدل ما يتحلل منه وان يكون فائدة النكاح حفظ النوع بالتوالد كما في طعام الدنيا ونكاحها فازاح هذا الوهم بقوله وهم فيها خالدون دائمون لا تنهدم ابنية ابدانهم بترك الغذاء ولا يتطرق اليهم الموت فينقطع نوعهم بترك النكاح حقيقة اشعر بذلك ان بطعامهم ونكاحهم فوائد اخرى اذ العبث لا يليق بشانهم وذلك ان الطعام يزيد بما فيه من اللذة في ابدانهم نشاطا

واشتاشا

وانتعاشا وفي ارواحهم صفاء واستعداد القبول الفيوضات الغيبية من العلوم والمعارف والاحوال والواردات وكذلك النكاح فان فيه مع ما فيه من اللذة التي لا يقاربها شيء من اللذاذ الجسمانية تاثيرا تاما في ترويح الروح وتصفيتها وتجليتها وقد ذكر بعض الحكماء انه ما من لذة من اللذات الجسمانية الا وله في الروح نكاية بالتكدير والتغيض الا النكاح فان له في ترويح الروح اثرا لا يقدر قدره ولذلك ترى الانبياء عليهم السلام مجبولين على الحرص فيه على الميل التام وذكر الشيخ الاكبر رض في الفتوحات المكية ان اهل الجنة يباشرون ازواجهم فاذا افضى الرجل الى السيئة منهن او الحوراء فله في كل دفعة لذة لا يقدر قدرها لو وجدها في الدنيا غشي عليه فتكون في كل دفعة ريح طيبة تخرج من ذكره فتتلقاها رحم المراة فتتكون من حينه منها ولد ويكمل نشاته ما بين الدفعتين ويخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المراة فهذا هو التوالد الروحاني وهم كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ولا يعودون اليه ابدا ولاحظ لهم لا بالاولاد في النعيم المحسوس فنعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في النوم وهم لا يزالون يسبحون الله تعالى ويهللون ويدعون للناكح بما صار سببا لوجودهم فاي فائدة تساوي فائدة النكاح الذي في الجنة واي لذة تقارب تلك اللذة والحمد لله على ذلك تاويل وبشر الذين امنوا بغيب الغيب الحقاني وشاهدوا ما امنوا به وعاينوا ما شاهدوا ما امنوا به وعاينوا ما شاهدوا وكوشفوا بحقائقه حصل لهم من التوحيد والتجريد والتفريد كما قال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه جنات متجلية من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاق والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والرجاء والوفاء والارادة والمحبة والحياء والعلم والمعرفة والعزم والرفعة والحكم والرحمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها مياه العناية والتوفيق والرافة والفضل كلما رزقوا منها اي من هذه الاشجار من ثمرات المشاهدات والمكاشفات واللطائف والاسرار والاشارات والالهامات والكلمات وغيرها من المواهب والاحوال رزقا اي عطاء منحة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وذلك ان اصحاب المشاهدات يشاهدون احيانا شيئا في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم ان هذا المشاهد هو الذي قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا في صورة نار فتارة تكون تلك النار نور الذكر كما شاهد موسى عم حيث قال اني انست نارا ويكون تارة نار الغضب كما كان لموسى عم اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا ويكون تارة نارا صفة الشيطنة تقع في محبوبات النفس فتحرقها ويكون تارة نور الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصور النارية المشاهدة متشابه بعضها ببعض كما قال الله واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة اي لارباب الشهود في جنات القربات ازواج من ابكار العلوم مطهرة من لمس الاغيار لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وهم في جنات جمعهن خالدون كما قال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العلماء بالله فاذا نطقوا بها لا ينكرها الا اهل الغرة بالله فصل ذكر في الفتوحات المكية ان اقسام الجنة ثلاث جنة الاختصاص وجنة الميراث وجنة الاعمال وانهارها اربعة وتكون الاربعة في كل من الجنات الثلاث فيكون عدد انهارها بحسب مواطنها اثني عشر على عدد العيون المتفجرة لبني اسرائيل قد علم كل اناس مشربهم فجنة الاختصاص جنة يدخلها الموحد من يشاء من عباده فيدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل الى ما يولد ويستهل صارخا الى انقضاء ستة اعوام ومن اهلها المجانين ومنهم اهل التوحيد العلمي واهل الفترات ومن لم

ومن لم يصل اليه دعوة رسول الله غير ذلك ممن يشاء من خلقه وجنة الميراث ينالها كل من دخل الجنة من الاماكن التي كانت معينة لاهل النار و ذلك
لانه ما من شخص من الجن والانس الا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لامكانه الاصلي حيث استوى له قبول الوجود والعدم فمن حيث
له قبول التنعيم وقبول العذاب فلهم جنة الميراث وهي التي كانت لاهل النار لو دخلوها الجنة تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ولم تقل في اهل النار
انهم يرثون من النار اماكن اهل الجنة لو دخلوها وهذا من فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار من اهلها الا باعمالهم لهذا بقي فيها مواضع خالية وهي
الاماكن التي لو دخلها اهل الجنة لعمروها فيخلق الله خلقا يعمرونها وهو قوله فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وكذلك الجنة لزيادة سعتها بقي
فيها اماكن ما فيها احد فيخلق الله لها خلقا يسكنونها وهو ان الرحمن يضع فيها قدمه فيتنعم اهل الجنة الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير وجنة الاعمال
هي التي ينزلها الناس باعمالهم فما من عمل من جهة الاعمال من فريضة ونافلة وترك محرم ومكروه الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها
ويقع التفاضل فيها بين اصحابها بحسب ما يقتضيه احوالهم فاهل النار معذبون باعمالهم لا غير واهل الجنة يتنعمون باعمالهم في جنة الاعمال وبغير
اعمالهم في جنة الاختصاص وجنة الميراث ثم ان جنة الاعمال درج كما ان النار دركات وكل درجة ينقسم الى منازل وهي مائة درجة
في كل جنة من الثمان الجنات الواقعة في الفضاء الذي بين المكوكب والاطلس سقفها تكون من حركته عليها الصور الجنانية كما تكون الارض
تكون من حركة الافلاك التي تحيط بها وصورة تلك الجنات جنات في جنة لاحاطة الاعلى منها بما هو تحتها فاعلاها جنة عدن وهي قصبة الجنة
وفيها الكثيب الذي يقع فيها الرؤية ويدور على هذه الجنة سبعة اسوار بين كل سور جنة فالتي تلي جنة العدن من الجنات جنة الفردوس وهي اوسع
الجنات التي دون عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقام ثم دار القرار هذا كله في الجنة الحسية و
اقسام الجنة من وجه آخر ثلثة جنة حسية وجنة عقلية وبرزخ بينهما على وفق النشاءة الانسانية المركبة من جسم وروح وبرزخ فالجنة الحسية تشاهد
بالحس وتخيل وتعلم والبرزخية تخيل وتعلم ولا تحس والعقلية تعلم ولا تحس ولا تخيل وللانسان فيها بالحس لذة ادراك الملاذ الحسية و
بالروح لذة ادراك العلوم والمعارف الالهية وبالبرزخ الذي هو الخيال لذة التجليات المثالية البرزخية واما الرؤية فهي تجمع جميع تلك الحقائق
الثلاث الحس والعقل والخيال في مشهد الجمع المشار اليه بلسان السنة بالكثيب وهو على ما تقرر عندي هو عالم المثال المعبر عنه بلسان الشريعة
الشريعة بنفس الرحمن فكما هو بداية سير الوجود فهو نهايته فمنه البداية واليه يعود وبالجملة هي جنتان جنة حسية وجنة معنوية كما ان العالم
عالمان عالم معنوي وعالم حسي فالجنة الحسية كالجسم والجنة المعنوية كالروح وقواها ولهذا سماها الحق تعالى الحيوان فاهلها
يتنعمون فيها حسا ومعنى والجنة تشتاق باهلها الداخلين فيها وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة اشتاقت الى بلال وعمار وسلمان
وصل في فصل اعلم ان الابدان التي تدبرها النفوس البشرية ثلاث احدها البدن العنصري الدنيوي الذي تدبرها النفس بقواها التي
تفرق بالموت والثاني البدن الثاني المكتسب من الاعمال وهو الذي ينتقل تدبير النفس اليه بعد الموت وتقوم به القوى والمشاعر لادراك
الجزئيات في عالم البرزخ المشار اليه بقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون والثالث البدن الحشري المسمى بالبدن الاخروي وهو البدن الذي
ينشئه الله تعالى من لطايف اجزاء هذا البدن العنصري ويضيف فيه النفس بالتدبير فيجمع ذرات اجزائها بالخاصية باذن باريها كما يجمع الذهب اجزاء
الزيبق المتفرقة وكما يجمع المغناطيس ذرات برادة الحديد فيغلب على ذلك البدن الذي ان كان من اهل السعادة آثار اللطافة بلا استحالة

يتفرق

حتى يتفرق تحت حكم الشيطان الروح ويستهلك آثاره وخواصه ولوازمه في آثارها وخواصها ولوازمها فينقلب كثافته
لطافة وظلمته نورا وكدورته صفاء وسفله ترفعا فينجذب بذلك من حضيض السفليات الى اوج العلويات متدرجا في مدارج العروج
الارتقاء الى ان يستقر في المواطن الجناني فوق الفلك المكوكب وتحت الفلك الاطلس فيصير بحكم موطنه جسما طبيعيا خاليا عن التضاد
والتداعي الى الانفكاك لا يتطرق اليه موت ولا فساد ولا تفرق في الاجزاء ولا يقبل نموا بالغذاء اذ لولا تركه لا احتياج الى
بغلبة بعض الطبايع على بعض بزيادة خلط تلك الطبيعة لاستقرار مزاجه لان على الاعتدال الحقيقي الذي لا يشار عليه مزاج في النشاءة
الدنياوية فيبقى في عيش رغد ابدا صحيحا سالما مخلدا آمنا عن الموت والفناء وتفرق الاجزاء ولكن هذا حقيقة ما يقال انه جل عن ان يقول
للابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والاختلال فكيف يعقل خلودها بان يقال انه تعالى
يعيد تلك الاجزاء بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها
على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن والله اعلم بحقايق الامور ولما كان ذكره من
نعيم الاخرة من الاشجار والانهار والثمرات والازواج المطهرات من قبيل التمثيل ببيان الامر الغايب بذكر مثاله في الشاهد مغايرا له
في الحقيقة فان حقايق اجناس الجنة متغايرة لحقايق الاجناس الدنيوية كما مرت الاشارة اليه مع ما كان في الايات السابقة من
تمثيل حال المنافقين بالمستوقدين واصحاب الصيب ذكر امر التمثيل وبين انه تعالى لا يستحيي من ضرب المثل فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبايح و
عدم المبالات بها وبين الخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا ولذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي
الشيبة المسلم ان يعذبه فالمراد به الامتناع اللازم للانقباض وضرب المثل بيانه وهو اعم من معاني الضرب وما ابهامية تزيد للنكرة ابهاما وشياعا و
تسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما رحمة وبعوضة عطف بيان لمثلا وقرئت بالرفع
على انه خبر مبتدا اي ما بعوض فعول وهذا القطع سمي به هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة والمعنى ما زاد عليها في الجثة كالذباب
والعنكبوت وذلك ان الكفار لما سمعوا هذه الامثال قالوا الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت فقصد بذلك
رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ان لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منه او المعنى ما زاد عليها في المعنى الذي جعلت فيه
مثلا وهو الصغر والحقارة كجناح البعوضة فانه عليه السلام ضرب به مثلا للدنيا وانما لم يستنكر التمثيل بالمحقرات لان المراد فيه ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والشرف وفي الصغر والخسة دون ان يكون على وفق الممثل فان الغرض
ليس كشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه لصورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى
الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية
وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم حقيقة
قال الشيخ الاكبر رضه وذلك ان من جهة احسنها انه ما في الوجود الا استوا الوجود كله عظيم فلا يترك منه شيء على وجه الاستحقار

الثاني ارتباط جميع الممكنات بالحقايق الالهية ولا يصح ان يكون في الالهيات تفاضل لان الشي لا يفضل نفسه ولا مفاضلة في هذه
الاعيان الا بما تنتسب هي اليه لانها لا افضل من ذاتها فلا مفاضلة هناك اي لا مفاضلة هنا فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم لمناسبة الممثل له وللحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره بجميع الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة واما
الذين كفروا فيقولون كان الظاهر ان يقول واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شي اراد الله بهذا مثلا
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين
لا يتصور اتصاف الباري تعالى به فاختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره وارادته لافعال غيره امره بها فعلى
هذا فلم يكن المعاصي بارادته وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد
مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي ذكر هذا استحقار واسترذال
ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير ووضع الفعل موضع
المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد وبيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل على ان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم وزيادة احدهما على الاخر بالعدد غير معلوم لنا وقوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور لا يقدم دليلا على زيادة اهل الضلال اذ ليس كل غير شكور غير مهدي والظاهر ان ضمير يضل به المثل او ضرب المثل كما في ضمير يعلمون
انه الحق وجاز ان يكون للقران فان نزوله سبب لانكار وسعد من سعد بالاقرار ولعل تقديم ذكر الاضلال على الهداية للاشعار بتعين السوق على
ذلك وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله
تعالى بارتكاب الكبيرة ولا يسلب عنه بذلك اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان والمعتزلة لما قالوا انه عبارة عن مجموع التصديق و
الاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتسمية
بالمؤمن غير الكامل في ايمانه اولى لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وتخصيص عنوان الفسق في ترتب الاضلال على الكافر للاشارة الى انه خروجهم
عن مقتضى العقل الصحيح في فكرة المثل وفي حقية كون القران من عند الله تعالى هو الذي اوقعهم في اودية الضلال الذين ينقضون عهد الله
صفة الفاسقين للذم والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط
احد المتعاهدين بالاخر والعهد العقد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للتاريخ لانه يحفظ ويراعى من
بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد ما وثق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من
الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة
على عباده الدالة على توحيده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ويقطعون ما امر الله به ان

ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلم
والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل فصل ووصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وان يوصل يحتمل الخفض على البدل من ضمير به ويفسدون
في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل الذي به نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا
باهمال العقل عن النظر واقتباس ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار في الايات بالايمان بها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح و
العقاب بالثواب قال اهل المعرفة عهد الله هو الذي اشار اليه في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ونقض ذلك العهد انهماكهم في اللذات البدنية والغواشي الطبيعية وتقيدهم باهواهم وشهواتهم بحيث احتجبوا
بها عن وحدة الله وتعبده وقطعهم ما امر الله بوصله اعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادي العالية والارواح السماوية التي هي الملأ
الاعلى وسكان الحضرة الالهية من اهل الجبروت والملكوت الذين تسنح لهم بذواتهم وصفاتهم وهم اهل قرابتهم الحقيقية ورحمهم الطاهرة
المأمور بوصلها حقيقة بتوجههم الى العالم السفلي ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة وعشقهم بالامور الخسيسة الفانية ولهذا قال كان
مطلوب النفس احسن كانت عن العالم الشريف ابعد حقيقة ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي يتجلى في صور المثل من المعينات
الامكانية ويظهر بها بلا احتجاب خلف الاستار وضيعها وشريفها وحقيرها وعظيمها من البعوضة مثلا الى ما فوقها من المبادي العالية فان
حقارة المظهر لا يقدح في عظم الظاهر فيه كما لا يقدح صغر المراة في كبر الشخص الظاهر فيها بحسبها على ان الحقارة امر يعتبر عند ارباب العقول
الناقصة من المحبوسين في مضيق الحس المطروحين في حضيض الالف والعادة واما في نفس الامر فان الحقير يشتمل على ما في العظيم من الحقائق
نظرا الى استجماع كل شان من الشئون الالهية على ساير الشئون وانصباغه بها من حيث اتحاد ذلك الشان بالذات وجودا وبذلك
قيل كل شيء فيه معنى كل شيء فاما الذين امنوا المتحققون بوحدة الوجود وظهوره في مراتب التنزلات فيعلمون حقيقة
ذلك التجلي والظهور من ربهم الذي هو رب الارباب اعني اسماء الالهية الموصلة للحقايق الامكانية الى كمالاتها الوجودية اللائقة
بحقايقها واما الذين كفروا استتروا على انفسهم بالتسويلات النفسانية ما ركز فيهم من دلالة التوحيد وما اودع الله تعالى في ذواتهم يوم
شهدهم على انفسهم في عهد الست بربكم فينكرون هذا الظهور فيما استحقروه من المعينات كالبعوضة والذباب ويعقلون مع ما فيهم من العظم
لو التفتوا اليه ماذا اراد الله بهذا مثلا مستنكرين ذلك الظهور وبذلك النوع يظهر سر العدول من يعلمون الى يقولون فليتنبه له
قال الحق تعالى يضل بذلك الظهور كثيرا فيحجبهم عن شهود الوحدة في عين الكثرة ويهدي به كثيرا بعدما احتجبوا عن التوحيد بحجب قيود البشرية
بمقتضى عقولهم العادية بغلبة احكام الكثرة عليهم من حين تعلقهم باطوار البشرية الى ان دعاهم داعي العقل المؤيد بنور القدس الى
خرق تلك الحجب بفناء الافعال والصفات والذات في المراتب الثلاث ولاجل كون تلك الهداية مسبوقة بالضلالة التي هي مقتضى
طبع البشرية قدم ذكر الاضلال على ذكر الهداية مع ما في الهداية من حق التقدم لشرفه وما من حق سوق الكلام من رعاية الترتيب
فليتفطن له وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن مقتضى اعتدال المزاج الداعي الى تذكر ما ركز فيهم من العلم الوهبي ونقوية بكسب

الادلة العقلية والنقلية وذلك بانهم ينقضون طاقات حبال عهد الله التي هي روابط الفيوضات الغيبية المنقذة لمن استمسك بها عن
غيابات الضلالة والغواية ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من روابط الاستعدادات التي ينبغي ان تكون بين الممكن والواجب تعالى
بصرف غرض الحاجة عنه الى الاغيار ويفسدون بذر التوحيد في الارض نفوسهم بقطع ثمار العلوم وسد مجاري الفيوضات
المفيدة عنها اولئك هم الخاسرون في راس مالهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ولما وصف الذين كفروا بالكفر وسوء
المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك فقال كيف تكفرون بالله
كيف يستخبر به عن الحال والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وفيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع الكفر عليها على الطريق
البرهاني لان صدور الكفر لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى
في انكار الكفر من اتكفرون والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها في اطوار العناصر وفي الاغذية و
الاخلاط والنطفة والمضغة المخلقة وغير المخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير
متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم عند نفخ الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فالعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا
انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه ترجعون اجيب بان تمكنهم من العلم بها لما نصب لهم من الدلايل
منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا
فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته وفي هذا المقام معنى آخر وهو انه قال كيف تكفرون بالله اي لا تكفرون انتم بالله وانما تكفرون
بانبيائه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والحيوة حقيقة
في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا ومجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفي الفضايل الكاملة
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازاء الحيوة يقال على ما يقابلها في مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ويميتكم
وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى
اريد به معنى قايم بذاته يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية من العلم والارادة والقدرة وغيرها وقرا يعقوب ترجعون بفتح
التاء في جميع القرآن قال في بحر الحقايق يجوز ان يكون الخطاب للمؤمنين والمعنى لا تكفرون بالله وانبيائه لانكم كنتم امواتا
في صلب آدم فاحياكم باخراجكم عن صلبه واسمعكم لذيذ خطاب الست بربكم واذاقكم لذاذة الخطاب ووفقكم للجواب حتى قلتم
بلى بعنايته ثم يميتكم بالرجعة الى اصلاب آبائكم والى عالم الطبيعة الانسانية ثم يحييكم ببعثة الانبياء وقبول دعوتهم ثم اليه ترجعون
بدلالة الانبياء وقدم التوحيد على جادة الشريعة الى درجات الجنات والنعيم المقيم وفيه ايضا وكنتم امواتا محرومين في
شبكتكم البشرية فاحياكم برش نور الوجود عليكم ثم يميتكم باسبال حجاب الجهل عليكم محجوبين عما كنتم عليه من العلوم الفطرية
ثم يحييكم باضافة انوار العلوم والمعارف عليكم ثم اليه ترجعون اضطرارا بالموت الاضطراري واختيارا بالفناء عن وجودكم

المجازي

المجازي الامكاني والبقاء بالوجود الحقيقي الحقاني والى الاول الاشارة بالقراءة المشهورة والى الثاني بقراءة يعقوب ولما ذكر احياهم
مرة بعد اخرى اردفه بنعمة اخرى تتوقف عليها بقاؤهم وبها معاشهم فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ومعنى لكم
لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وفي دينكم اما في دنياكم فبالانتفاع بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط واما في دينكم فبالاستدلال والاعتبار
والتعرض لما يلايمها من لذات الآخرة وآلامها ولكن لا على وجه الغرض فان الحق ان افعال الله تعالى غير معللة بالغرض فان الفاعل لغرض
يكون مستكملا به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا ينافي ان يمنع اختصاص بعض الناس
ببعض منها لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد
بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اي قصد قصدا
مستويا من غير ان يلوى على شيء واصل الاستواء طلب السوي واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء واما استوى بمعنى استولى
فصلته المعدى بها على كما في الرحمن على العرش استوى والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهة العلو والمعنى توجهت قدرته الى ايجاد السماء
والعطف بثم قيل لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر لا للتراخي في الوقت
فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الحق تقدم خلق الارض على السماء والمتاخر في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
دحو الارض وتسويتها على الوضع المشاهد فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام العلوية
والا فمبهم يفسره ما بعده كقوله ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير للضمير المبهم والحق ان الضمير للسماء المخلوقة مادتها قبلها فيها تعالى اولا
على صورة الدخان قال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها كما تمثل به المخلوقات عن التقلب او كرها كما يمثل
به المقال قالتا اتينا طايعين على ما اعطته نشاتنا وبمقتضى ما جبلتنا عليه من الطاعة الجبلية والمعنى خلق لكم ما في الارض من نباتها وزرعها
وساير ما تنتفعون به بعد ما خلق مادتها ثم شرع في تسوية السماء فسويهن بالفتق سبع سموات وحقيقة المعنى ثم ظهر باسمه المصور والمفصل
في المواد المجتمعة في جهة العلو المختلطة بعضها ببعض بحيث لا يتميز عنها فسويهن سبع سموات منفصلات متميز بعضها عن بعض
بالاشكال والخواص والآثار فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك اجيب بانه ليس في الاية نفي الزايد مع ان
ضم اليه العرش والكرسي لم يبق خلاف قلت السموات سبع في القرآن انما كان محمولا على السموات التي فيها السيارات السبع واما
الثوابت ففلك البروج مع السبع فتتم بها التسع التي اثبتها الحكماء وفصلها عنها لكونها عبارات مسكونات من اللطايف المتصاعدة
من الارض بخلاف الفلكين المحيطين بها فانهما من الطبيعيات واما العرش والكرسي فهما عن الكواكب والاطلس على ما حققه الشيخ الاكبر قدس سره
قال ارباب الطريقة خلق لكم ما في الارض جميعا اي ما خلقكم لشيء وخلق كل شيء لكم بل خلقكم لنفسه قال تعالى واصطنعتك
لنفسي معناه لا تكن لشيء غيري فانك لست لشيء غيري بقدر ما تكون لي اكون لك كما قال عليه السلام من كان لله كان الله له وليس من
الموجودات هذا الاستعداد والاختصاص ان يكون هو لله وان يكون الله له وفي هذا سر عظيم وافشاء سر الربوبية كفر فلا تشتغل
بما لك عما انت له فتبقى بلا هو ثم استوى الى السماء اي شرع في تسويتها فسويهن سبع سموات مستويات على مصالح الارض ومنافع

الطبيعيات

الخلق وفيها اشارة الى ان وجود السموات والارض كان تبعا لوجود الانسان لانه قال خلق لكم ما في الارض جميعا وقال جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم كان الله تعالى خلق السموات والارض وما بينهن وسوى بنى علي
وفق مصالحكم وانتفاعكم بهن وسكونكم فيهن كذلك سواكم فعدلكم في اى صورة ما شاء ركبك لنفخ روحه فيك ثم سواكم
بالوحي والالهام لقبول فيض تجلي صفاته فيكم كما قال عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه وهو بكل شيء عليم عالم في خلق كل
شيء كيف خلقه على اى شيء خلقه كامل في علمه متناه في حكمته وفيه تعليل لخلق المذكور كانه قال لكونه عالما بكنه الاشيا اكلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع والاستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان
اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم وازاحة لما يختلج في صدرهم من الشبهة في
جميع اجزاء كل بدن مرة ثانية فازاحها باثبات كمال العلم بعد ما ازاحها باظهار كمال القدرة بانا بداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا
منهم ومن كان في كمال العلم بمواقع الاشياء وفي كمال القدرة في ابداء الخلق لم يكن لعاقل ان ينكر اعادة خلق شيء عما بداءه
قد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو وهو وفيه تشبيها له بعضد حقيقة خلق لكم ما في الارض ابدانكم من الاعضاء والجوارح
والاعصاب والرباطات والمفاصل والعظام والعضلات التي بها تتم المصالح ويتكمل المقاصد ثم استوى الى الخلق سموات ارواحكم
متسق بهن سبع اطوار ملكوتيات تدور فيهن كواكب لوامع امداد العلوم التي بها يحصل تدبير البدن وتدبير المعاش والمعاد طورا فوق
طور فالروح النباتي ثم الروح الحيواني ثم الروح النفساني ثم النفس الناطقة ثم السر ثم الروح ثم الخفي فقدم خلق ابدانكم المكتسبة على انشاء
ملكوتياتكم بتقديم خلق الارض على خلق السموات السبع ففعل ما فعل من الخلق في الآفاق وفي انفسكم وهو بهويته في غيب الغيب قد
كان عالما بكل شيء من غير سبق للصورة العلمية على الصورة العينية ولا بالعكس فان الوجود العلمي في حقه غير مغاير الوجود العيني
لانه يعلم ما يعلم بالعلم الحضوري في عين الوجود وفي مشهد اتحاد العالم والعلوم فيكون معنى خلق لكم الارض والسماء اظهرها
لكم بعد ما كنتم محجوبين عنه على الترتيب الذي اقتضته الحكمة بتسبيب الاسباب وجعل بعض الاشياء شرطا لبعض ولكن هذا هو
نابع الصلة في قوله تعالى لكم اى اظهر بقاكم لما فانها معلومة لي في شيئتها الثبوتية علما غيبيا مشهودة لي في شيئتها الوجودية
علما شهوديا نبه ع اثبت الاشاعرة للحق تعالى صفات زائدة على الذات فلم يشكل عليهم الامر في انقلابات العلوم الالهية
واما النافون لزيادة علمه تعالى على ذاته فاشكل عليهم الامر باستشعار كون ذاته وكون علمه الذي هو عين ذاته محلا للامور المتكثرة
ومحلا للحوادث بانقلابات العلوم لان شهود الاشياء عنده ليس على وجه الترتيب الذي عند الزمانيين فانه متعال عن الزمان والمكان فالكل
مشهود له في الآن السرمدي الذي يتحد فيه الماضي والحال والمستقبل والترتيب الواقع انما نظر للمقيدين بالزمان بحسب مداركهم مثلا اذا كان لشخص
احوال مختلفة وقد صور له في كل حالة صورة وكان بينك وبين تلك الصور حجاب فان رفع لك الحجاب مرة واحدة فانت تشاهد تلك الصور مرة
واحدة وان رفع لك الحجاب منها شيئا فشيئا فانت تشاهدها شيئا بعد شيء فهذا مثال علم الحق تعالى منها وذاك مثال علم المقيدين بالزمان
قال الشيخ رض انقلابات العلوم الالهية بالاسترسال الذي ذهب اليه امام الحرمين او التعلقات التي ذهب اليه ابن الخطيب الرازي

واما اهل

واما اهل القدم الراسخين فلا يقولون فيها بالانقلابات فان الاشياء عند الحق مشهودة معلومة الاعيان والاحوال على صورها التي تكون
عليها اذا وجدت الاعيان الى ما لا يتناهى فلا يحدث تعلق ولا يكون استرسال فاذا اوجد الاعيان فانما اوجدها بما له وهي على حالتها
بما كانها وازمنتها على اختلاف امكنتها وازمنتها فيكشف لها عن اعيانها واحوالها شيئا بعد شيء الى ما لا يتناهى على التتالي والتتابع فليس في نظر
الحق زمان ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة له في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا يوصف بالتناهي ولا تنحصر ولما ذكر الحق تعالى كون
خلق الارض للناس ولانتفاعهم بها اردفه بذكر جعل آدم عليه السلام خليفة فقال واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
اذ الظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى كما وضع اذا الزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل و
محلهما النصب بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة واما قوله اذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه حيث جعله بدلا عن المفعول به فعلى
تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا واذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له
صريحا في القرآن كثيرا والملائكة جمع ملاك مقلوب ملك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس واختلف العقلاء في
حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة
مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم
الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر
من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا والمدبرات
منهم سماوية ومنهم ارضية على التفصيل المبين في مقامه والحق ان منهم مجردات ومنهم متجسدات في اجساد نورانية لهم صور مخصوصة
في البرازخ العلوية والسفلية ولهم التشكل بما شاء والاشكال المثالية بحسب ما يستدعيه الموطن ويقتضيه المقام كتشكل جبرئيل ع
بصورة دحية الكلبي رض مع ما له من الصورة المخصوصة عند سدرة المنتهى وقد ذكر الشيخ رض في اصنافهم صنف منهم تجلى لهم الحق في اسمه
الجليل فهيمهم وافناهم عنهم لا يعرفون نفوسهم ولا غيرها مواقفون لا هم هيمهم فهم في الحيرة سكارى وصنف آخر ملائكة التسخير منهم القلم
الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها الطبيعية النورانية و
الهبائية والفلكية والعنصرية والمقول لهم هذا لما له قيل الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض اوكد
فانهم افسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال والحق ان الجن لا دخل لهم في ذلك ولان المعنى
لم ينشئوا لخلق آدم ولا بسجدوا الملائكة لدولا يخلق ابليس عصيانه كما ورد بآثار وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والمراد به آدم ع فانه خليفة الله في ارضه وكذا داود وهو
المصرح بخلافتهما وان كان الانبياء كلهم خلفاء استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا
لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليهم عن تلقى فيضه وتلقى امره بغير وسط من نوعهم يواجههم بوجه ويواجه المبداء
بوجه ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن آدم ع

بان يشرفو بوجوده سكان الملكوت وبان لهم انه بالخليفة قبل خلقه وليظهر فضله الراجح على ما فيه من النقايص البشرية ويسالهم عن الحكمة في خلقه جوابه
عنهم وليبين ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى ما شاء الله في الحكم قال ارباب الطريقة
سماه خليفة لمعنيين احدهما انه يخلف عن جميع المخلوقات والخلفة للمكونات باسرها وذلك لان الله تعالى جمع فيه ما في العوالم كلها من
الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات والدنياويات والاخرويات والجماديات والنباتات والحيوانيات والملكيات فهو بالحقيقة كل شيء
ولما كرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من روحي واكرمه بها احكام العالمين ما صلح شيء من الموجودات ان يكون خليفة له لوجوب ان يكون
الخليفة على صورة المستخلف والثاني انه يخلف وينوب عن الله تعالى فيخلف بصفاته التي هي ظلال صفات الحق عن صفاته تعالى فيخلف حيوته
عن حيوته وعلمه عن علمه وارادته عن ارادته وقدرته عن قدرته وسمعه وبصره وكلامه عن سمعه وبصره وكلامه وكذلك جميع الصفات التي في حيطة تلك
الصفات السبع ليس لنوع من المخلوقات ان يخلف عنه في جميع صفاته بكمالها سوى الانسان ويخلف نوره عن نور الحق تعالى فان مثل نوره كمشكوة فيها
مصباح والمصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري الاية وليس في العالم مصباح يستضيء بنوره ما استضاء بظهور انوار صفاته في الارض خلافة
عنه الا مصباح الانسان فانه مستعد لقبول فيض نور الله لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي
زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء القلب ولو لم تمسسه نار النور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا اراد الله تعالى ان يجعل في
الارض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح السر الانسان وهي فتيلة الخفي فيشتعل مصباحه بنار نور الله فهو على نور من ربه فيكون خليفة الله في ارضه
فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرافة والرحمة بنورية تارة لمستحقها وبالعزة والغضب والقهر والانتقام بنارية
نوره لمستحقها كما قال تعالى والذين آمنوا اشداء على الكفار رحماء بينهم والملك بمعزل عن هذه الحلاوة فتحلو جوهم عن هذه الجمعية كما ظهر
في امر هاروت وماروت من الفساد في الارض لما استخلف النظام امر العالم حقيقته ذكر الشيخ الاكبر رض في الخبر ان الله تعالى خلق
آدم على صورته وذلك ان العالم بحيث نعم الكونية مظاهر جميع الحقايق الالهية وصورها التي تظهر هي بها فهو على صورة اسم الله الجامع لجميع
الحقايق الالهية اذ ليس في الامكان معنى الا وقد ظهر فيه والانسان الذي هو آدم ع عبارة عن جميع العالم فانه الانسان الصغير من حيث انه
في جميع ما خرج عنه مما سوى الله فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الالهي التي ابرزته وظهر هو عنها فارتبطت به الاسماء كلها لم يشذ
عنه منها شيء فخرج آدم ع على صورة اسم الله اذا كان هذا الاسم يتضمن جميع الاسماء الالهية كما ان الانسان يتضمن جميع المعاني وهذا حقيقة
الخلافة فان الخليفة لا يكون الا على صورة المستخلف يتخلق باخلاقه ويتصف باوصافه وينفذ امره ويسوس خلقه ويدبر امورهم ويضبط نظامهم
ويدعوهم الى الطاعة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال
المتعلم عن معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك باخبار من
او تلقي من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر فان الله تعالى اسكن الجن الارض و اسكن
السموات الملايكة فكان الجن يعبد في الارض الى ان ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وافسدوا فيها فبعث الله اليهم جندا من الملايكة فطردوهم

والحقوهم

والحقوهم بشعوب الجبال والجزائر والسفك والسكب والسبك انواع من الصب فان السفك يقال في الدم والسكب في الدمع والسبك في الجواهر المذابة
وقرئ يسفك على البناء للمفعول اي يسفك الدماء فيهم وهو مبني على طريق الانباء عن سوء ما صنعوه من التصريح تنبيه المعايب الحق من ساحة الحق
خليفة قال الشيخ الاكبر رض كان آدم ع عند الملايكة مجهول الباطن فحكموا عليه بالفساد من ظاهر نشاته لما راوها قامت من طبايع مختلفة
متضادة متنافرة فعلموا انه لا بد ان يظهر اثر هذه الامور على من هو على هذه النشاة فلو علموا باطنه وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من الصور
الملايكة جزء من خلقه فجهلوا اسماء الالهية التي نالها بتلك الجمعية فالعالم كله تفصيل آدم ع وفي تحقيق الحقايق ان هذا القول منهم يشتمل على فوايد
منها ان الله تعالى انطقهم بذلك ليتحقق لنا ان هذه الصفات الذميمة في طيننا مركوزة فلا نامن مكر انفسنا الامارة بالسوء ومنها
ان نعلم ان كل خير يحصل منا فبتوفيق الله تعالى وفضله ورحمته وان كل فساد وظلم يحصل منا فهو من شوم طبعنا كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكل فساد وظلم لا يجري علينا ولا يصدر منا فذلك من حفظ الحق ورحمته ومنها ان نعلم ان فينا استعداد
امر عظيم وشان جسيم ليس للملايكة به علم وهو سر الخلافة فلا نتغافل عن هذه السعادة ولا نتقاعد عن هذه السيادة وينبغي طلبها بحق السعي
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك التسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبحك متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم من اسناد التسبيح الى
انفسهم وكذا المعنى في نقدس لك اي نقدسك بحمدك نفعل كل ذلك لاجلك لا لان نستفيض بتسبيحك وتقديسك اجرا كما تستفيض من نعبدك
في الارض يفسدون في الارض ويسفكون الدم وانما قالوا ذلك لما شاهدوا فيمن استخلف قبل آدم في الارض والجملة حال مقررة لجهة الاشكال
كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم
على الملايكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان
به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك
القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نأتي بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عما يختص به الانسان من الفضايل بتلك القوتين اذا صارت مهذبة مطاوعة للعقل كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى
والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوة
الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون تعلمون ما في حقايقكم الروحانية من التجرد والصفاء
ولا تعلمون ما اودعت في حقايقهم الجسمانية من تعلقات ارباب المودة والوفاء وتعلمون ما هو مقتضى حقيقتكم من التسبيح والتنزيه ولا تعلمون
ما في جمعية نشاة الانسان من الجمع بين التنزيه والتشبيه وتعلمون ما في ذواتكم من التنزيه من التدنس والاستبصار ولا تعلمون ما في نشاتهم ثم
الطينية من الذلة والانكسار حقيقته ومن الاسرار المودعة في الانسان ما لا يطلع عليها الملك لانه لتركيب نشاته من ظلمة البشرية
ونور الروحانية لا يزال متقلبا بين الطرفين نزولا وعروجا فكما نزل الى حجابية الظلمة لتدبير البدن ودكت مرآة قلبه الدين
اخذته الندامة من ذلك وجاء الى الله تعالى في النجاة عند فدعاه الداعي الالهي الى ساحة قدس روحانيته وطار بجناحي شوقه وهمته الى ذروة

مقامه الذي كان فيه وجعل ترقيه بجناحي قوته الى مقام فوق ذلك المقام فكان تنزله الى ما نزل اليه عين الترقي الى ما فضل من المقاصد العلية
فالنزول بسلوك تلك الطريقة يحصل له الترقيات التي لا تحصى ولا تعد فلا يكون محصورا في مقام مخصوص كما كان للملائكة كما قالوا وما منا
الا له مقام معلوم وهو المقام في مقام التسبيح حيث قالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنها انه بجمعية نشأته
كان له القوة الفكرية لتحصيل المجهولات من المعلومات فاختص بالعلم الكسبي بعدما شارك الروحانيات في العلم الوهبي واما الملائكة فليس
لهم الا العلم الوهبي النظري الذي هو حاصل لهم بالفعل من غير ان يترقبوا لما فيهم بالقوة كما قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا وهذه القوة الفكرية
لهم هو الذي يتجابر في مقابلة الاجنحة التي اختص بها الملائكة مثنى وثلاث ورباع فان اجنحة الفكر وهي اركان البرهان ثنتين مثنى
باعتبار اشتماله على المقدمتين وثلاث باعتبار الحد الاوسط بين الحدين ورباع باعتبار تكرر الحد الاوسط فتنبه له ومنها
انه لاشتماله ببدنه وروحه على الغيب والشهادة يتمكن من العلم بالشهادة ببشريته والعلم بالغيب بروحانيته فان اهل الاثبات لا العلم
الا بما هو داخل في حقيقته مثل الجمعية عالم الغيب والشهادة تعلما وتبعا كما كان الحق تعالى عالم الغيب والشهادة ذاتا واصالة في
هذا هو الذي يستحق به الخلافة وتعلم جميع الاسماء ومعرفة حقايقها واثارها كما قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها والتعليم اما بخلق علم ضروري
بتلك الاسماء او القاء في روعه فلا افتقار الى سابقة اصطلاح ليتسلسل وآدم ان لحدوثها فيها افعل من الادمة وهي السمرة او من اديم
الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم لذلك تأتي بنوه اصنافا واختلف في المراد من
تلك الاسماء فقيل هي الالفاظ الموضوعة لمسمياتها فعلمه الحق اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وقيل سمات الاشياء و
خواصها فعلمه منافعها ومضارها وان الفرس مثلا يصلح للكر والفر وان الجمل يصلح للحمل والبقر للحرث الى ذلك وقيل ذوات الاشياء
وحقايقها وقيل بالجمع بينهما والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات و
المحسوسات والمخيلات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها حقيقة معرفة الاسماء لا يحصل بالتلفظ بالالفاظ
المقابل بالعلم بمسمياتها ووضعها لها فان الاكمه اذا تلفظ بلفظ الاحمر والاسود مثلا لا يقال انه عالم بهذين الاسمين بل يتلفظ بهما ولا
يكاد يتمكن احد من العلم بشيء يباين نشأته مباينة كلية كعلم الممكن بالواجب وانما يتمكن كل احد من علم شيء يحتوي عليه نشأته ليعلم من
جنس ذلك المعلوم وسيلة لمعرفته فقد صح انه لا يستعد لعلم الاسماء كلها بادراك مسمياتها الا من جميع الحقايق وهو الانسان فانه لكونه
اسفل الانواع واخر الموجودات كثمرة الشجرة فكما ان الثمرة قد عبرت على اجزاء الشجرة واختلط بها كذلك آدم قد عبر على مراتب شجرة
الموجودات علوياتها وسفلياتها مجرداتها وماديتها فاودع الحق تعالى في نشأته لطايف تلك المراتب كلها واوقفها على منافعها ومضارها
وساير خواصها وهو الذي هو التعلم اسماء جميع الموجودات بان يجعل ما فيه من القوى الجسمانية آلة لادراك الماديات وما فيه من القوى الروحانية
آلة لادراك المجردات وما فيه من القوى البرزخية الخيالية آلة لتلقي مكونات الحروف والالفاظ الموضوعة لتلك المسميات من الحق تعالى
في عالم المثال فقد تم له بذلك الاستعداد ان الحق تعالى علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول
عليها ضمنا اذ التقدير علم آدم اسماء المسميات ان المراد به مدلولات الالفاظ او ذوات الاشياء وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء

وقرئ

وقرئ عرضهن على معنى مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء امر بانباء الاخبار والامر به للتبكيت والتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر
الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة او في زعمكم ان خلق آدم
واولاده واستخلافهم مع ما فيهم من الفساد وسفك الدماء لا يليق بالحكم وهذا وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعترافا بالعجز والقصور واشعارا بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا فانه قد بان لهم
ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه وسبحان علم للتسبيح لم يستعمل به فعل من بابه ولا يستعمل الا مضافا منصوبا على المصدرية
تقديره اسبحك تسبيحا حذف الفعل وقيل المصدر معمول لذلك الفعل فتعذر ايراد الفعل لوقوع معموله في حيز لا يصلح لافضاء الفعل اليه
فكان من المصدر الواجب حذف فعله وتصدير الكلام بالتسبيح اعتذار عما هو في صورة الذنب من الاستفسار وترك تفويض العلم اليه
تعالى وهو مما جعل مفتاحا للتوبة في لسان الانبياء فقال موسى عم سبحانك اني تبت اليك وقال يونس عم سبحانك اني كنت من
الظالمين قلت ولعل السر في ذلك تنزيه مقام الجمع عن ان يلحقه حكم قباحة الفعل الصادر من مقام الفرق فمع ان نسبة الفعل الى
المقامين نسبة فعل العبد الى روحه وبدنه لا يستقل به احد دون الآخر فالقبح انما يلحق الفعل باعتبار ظهوره من مقام الفرق وموطن
الامكانية والله اعلم انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة من العلم لاشتماله
على العلم مع مزيته في المعنى وهو الاحكام فيما فعله قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم بها فلما انبأهم باسمائهم قال
الم اقل لكم الهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافاد الاثبات والتقرير اني اعلم غيب السموات والارض ما خفي فيهما على
الخلق يشير بذلك الى قوله اني اعلم ما لا تعلمون على وجه الحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض كان عالما
بما لا يعلمون وفيه تعريض لهم بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم ما اشكل عليهم واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون يريد ما استبطنوه من ظنهم انهم احقاء بالخلافة وهذه الآيات تدل على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
المعلم عليه لاختصاصه عرفا بمن يحترف به وان اسماء الله تعالى توقيفية وان اللغات توقيفية لان التعليم يستدعي سابقة وضع ولا
ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من اشتقاق آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الاعمى والبصير الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل وعلى ان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا
ذلك في الطبقة العليا منهم قلت اما المهيمون فمن كان من طبقتهم فلا مزيد في علمهم ولا كانت تلك المخاطبة معهم واما المخاطبون منهم
بذلك الخطاب فالظاهر انهم ان يتعلموا بتعليم الله دون تعليم غيره من المخلوقين لقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا وقوله انبئهم
عن ان يتعلموا منهم فصل لنا في تفسير هذه الآيات وجوه آخر نعتبرها بمقتضى الرد لكل التفاسير عنها الاول
علم آدم الاسماء اي الحقايق كلها وهو اصل معنى الاسم اعني الذات المعتبر معها معنى من المعاني ثم عرضهم اي آدم وذريته على وجه

قوله تعم على خوف من فرعون وملائهم برجوع الكناية الى فرعون وخواص اهله فقال انبئوني باسماء هؤلاء اى حقايقهم وخواصهم وآثارهم
فعجزوا عن معرفة حقايقهم وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا من الحقايق التى انشأت عليها لا يتعدى علمنا من ذلك الى ما يباين حقيقة
حقيقتها قال يا آدم انبئهم باسمائهم بحقايق الملائكة العاجزين عن معرفة حقيقتك ليظهر رجحانك عليهم بعلمك بحقايقهم وعجزهم عن معرفة حقيقتك
الثانى علم آدم الاسماء اى حقايق الاشياء كلها ثم عرضهم اى تلك الحقايق ادخلهم فى ذوى العقول لشرفهم البادخ بعدم انفصالهم عن
مشهد العلم وقربهم عن حضرة غيب الغيب فقال انبئونى باسماء هؤلاء بيان حقايقها كلها علويا وسفليا مجردها ومادبها قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا من حقايق العلويات التى على نشأتنا قال يا آدم انبئهم باسمائهم اى باحوال جميع تلك الحقايق واحكامها وآثارها ليظهر لهم انك كما
تعلم الحقايق السفلية من حقوا لطيفته كذلك عليها كذلك تعلم الحقايق العلوية لاشتمال لطيفته وحكمه عليها فيزيح قدرهم عليه بالجمعية فلما
انبأهم بتلك الحقايق كلها عرفوا ما كان ذاهلين فيه من جامعية آدم بقصر النظر على صورة طينية فقال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و
الارض لما لحقايق العلوية والسفلية حيث جمعتها فى نشأة واحدة آدمية باظهار ارض البشرية وابطان سماء الروحانية فيه
الثالث علم آدم الاسماء الالهية التى تستند اليها الحقايق الكونية فيوجد بها الاكوان كلها وانما نال الانسان الكامل تلك الرتبة لجمعية
نشأته الحقايق المستندة الى تلك الاسماء والى تلك الجمعية الاشارة بقوله تعم لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وكانه
نقول ما ظهرت اسمائى كلها الا فى النشأة الانسانية وهو معنى خلق آدم على صورته ثم عرضهم عرض الحقايق الكونية المستندة الى تلك الاسماء
الالهية على الملائكة الذين لم يعطهم الحق هذه الجمعية فقال انبئونى باسماء هؤلاء اى الحقايق الالهية التى هى ارباب هؤلاء الحقايق
الالهية التى هى ارباب هؤلاء الحقايق الكونية فاضافها اليهم بادنى ملابسة فعجزوا عن معرفة استناد كل كونية الى حقيقة الهية هى ربها
وموجدها لعدم سعتهم وجمعيتهم المذكورة فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اظهرت فينا من اسمائك التى يستند اليها حقايق نشأتنا
العلوية لا يتعدى علمنا من ذلك الى الاسماء التى يستند اليها حقايق نشأت السفليات انك انت العليم بكل شىء لا احد غيرك يحيط
بعلمك الا بما شئت كانهم لم يعترفوا بفضل آدم عليهم بعد فلذلك قال فى تبكيتهم والزامهم بالكلية يا آدم انبئهم باسماء هؤلاء كلها كى
يظهر جمعيتك رجحانك عليهم وهذه المعانى الثلاثة ناظرة الى القراءة الثلث ثم عرضهم ثم عرضهن ثم عرضها بملاءمة كل واحد منها نوع
من تلك المعانى فالاولى للاول وهو ظاهر والثانية والثالثة للثانى والثالث نظرا الى الكثرة فى الحقايق الكونية ذاتية والوحدة عارضة
وفى الحقايق الالهية بالعكس فاسماء بحقايق الامور واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم امرهم بالسجود اعترافا بفضله واداء لحق
التعليم واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعم فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
وذلك انسب بسوق الكلام حيث علل عن عطف الجملة على الجملة الى عطف القصة على القصة ومن اسلوب الغيبة الى الخطاب لكن ان يجمع بينهما
بان الامر بالسجود كان بالتعلق مرة وهو قوله فاذا سويته الآية وبالتنجيز اخرى وهو قوله هذا والسجود فى الاصل تذلل مع تطأطؤ الرأس
وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمراد به هنا اما الاول فكان تواضعا لآدم وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له واما
الثانى فكان المسجود له بالحقيقة هو الله تعم وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه فاللام فيه كاللام فى قول حسان اليس اول من صلى

لقبلكم

لقبلكم واعرف الناس بالقرآن والسنن يمدح به النبى صلى الله عليه وسلم او جعل سببا لوجوب ذلك السجود عليهم لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر
آياته فاللام فيه كاللام فى قوله تعم اقم الصلوة لدلوك الشمس والكلام فى ان المأمورين بالسجود كلهم او طايفة منهم ما سبق فان
قلت ما النكتة فى انه نسب القول الى الرب فى خلق آدم فيما سبق ونسبه الى نون الكناية فى الامر بالسجود له هنا قلت هو ان
الخلق عبارة عن تبليغ الحقايق الى كمالاتها الوجودية وهو من آثار الربوبية والامر بالسجود من مقام العظمة والجلال والمناسب للتعبير عنه
الانانية التى هى تباحرة الذات القاهرة لرسوم التعينات فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من
ان يتخذه وصلة فى عبادة ربه او تعظيمه وتلقيه بالتحية او تبتغى الاباء الامتناع باختيار الكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك
بالتشبع وكان من الكافرين اى فى علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله تعم اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام
كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان ابليس كان من الجن فمن الجائز ان يحمل على انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس فان قلت ابليس مخلوق من النار قطعا كالجن
المخلوق منها لقوله فى مقام ترجيح نفسه على آدم خلقتنى من نار وخلقته من طين والملك مخلوق من النور لما فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار فكون ابليس من الملائكة قلت لا منع من ان يكون ابليس مخلوقا من النار ويكون معدودا
من الملائكة فان الجوهر النارى لمشاركته لحقيقة النور فى الظهور والاظهار يصير بالصعود الى السماء والانخلاع عما فيه من الكدورات الا انها
نورا محضا ومن ذلك التراب السماوية المتكونة من اللطايف العنصرية المتصاعدة الى العلو فضلا ان يصير المخلوق من النار بالصعود ملكا نورانيا
حيث مطوعا بمقتضى المقام ثم بالنزول المتحقق بالجن ويتصف بالفسق والعصيان بما يقتضيه اصل النشأة تستدعيه الموطن فيصح لذلك
دخوله فى الملائكة لمنا ولم الامر بالسجود ومع مادل عليه قوله تعم كان من الجن اى فى اصل النشأة ففسق عن امر ربه بالرجوع الى الاصل والنزول
من اوج مقام النور والصفا الى حضيض الظلمة والخفا وقيل ابليس فى الانفس هو القوة الوهمية لانها ليست من القوى الارضية
الصرفة المحجوبة عن ادراك المعانى فيدعن بالقهر للنفس الناطقة اذعان الحواس الظاهرة لها ولا من القوى السماوية العقلية فيدرك شرفها
فيدعن بها بالمحبة طلبا للرضى لله وامتثالا لامره وكان جنيا اى من جملة الملكوت السفلية والقوى الارضية نشأ ثم اظهر الملائكة السماوية
ترفعها الى الافق العقلى لادراك المعانى الجزئية ولهذا كان فى الحيوانات العجم بمنزلة العقل فى الانسان وامتناعها عن الحكم بالتفوق على
الخلقة الطينية بعدم وقوفها على حدها من ادراك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعديها عن طورها بالخوض فى المعانى العقلية والاحكام
الكلية وكان من الكافرين المحجوبين فى الانسان عن انوار العقلية والروحية فضلا عن نور الوحدة وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة انت تاكيد اكد به الضمير المستكن ليصح به العطف وزوجك حوا والجنة الدار الموعود وهو مخلوق فى فضاء بين الفلك المكوكب
والاطلس والقول بان تلك الجنة كانت بستانا فى ارض فلسطين او كرمان لا يعبأ به وفى الخبر انه دفع آدم الى الجنة كان الجمعة و
اهباطه فى يوم ذلك صعد به وقت الضحى او اهبط وقت العصر وكان ذلك خمسمائة سنة من زمن الجنة فان يومها الف سنة

من سنى الدنيا وكلا منها رغدا اكلا واسعا رافعا حيث شئتما فى اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة
والمعذرة فى التناول من الشجرة المنهى عنها من اشجارها ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغة فى النهى
ستعلق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث
داعية وميلا نايا خذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع فان من رتع حول الحمى اوشك ان يوقع فيه والثانى
جعله سببا لان يكون من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى فان الفاء تفيد السببية مدخلها على جواب النهى
والشجرة هى شجرة الحنطة او الكرمة او التينة والاول اشهر حتى صار لشهرته مثلا فلا سعد عن الصحة وفى بحر الحقايق
يا آدم انى خلقتك للجنة منفردا وحيدا والحب لك نبعها مع كثرة تنوعها دون شجرة واحدة فارضيت نفسك بها وقنعت
بهاحتى تصرفت فى تلك الشجرة ولو كانت مكانها الف جنة اخرى لم يكن لها وكان جهنم حرصها تقول هل من مزيد ولا تمتلى حتى يضع
الجبار فيها قدمه فهنالك تمتلى وتزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط يريد من ذلك ان آدم عم همة عالية لا تشبعها الجنة بما فيها
ولا يزال يحرص لما هو فوقها من نعيم الجنة والشوق والشجرة هى شجرة المحبة غرست لآدم عم على الحقيقة لقوله يحبهم ويحبونها
وانما نهى عنها بمعنيين احدهما الغرة والدلال المحبوبى فانها من تتمة الحسن وكمالية الجمال وثانيهما التحريص والحث عليها فان كل
حريص على ما منع فلم ينهه عنها فلعله من كثرة انواع المرادات النفسانية فانزع الى ثمرة المحبة التى هى عداوة الروحانى فحرصه
عليها بنهيه عنها وهذا كان كحال موسى عم لما اراد الله تعالى ان تشرفه الى جماله وبتليه ببلاء طلب الرؤية الذى يفتح به هذا الباب
على المحبين كلمه تكليما بلا واسطة فلما اسكره باقداح الكلام واذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا اشتاق الى جماله وطمع فى رؤيته
ووصاله فلما سكر القى جلباب الحياء وقال رب ارنى ثم تردى برداء الكبرياء وتأزره بازار العظمة والعلاء فقال لن ترانى فكذلك حال آدم عم
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه الجنة فى جواره وروحه حتى اخلص شاهد جمال الحق فى مرآة كل جميل من جمال الله
وانبت شجرة المحبة بين يديه ودله عليها بنهيه ومنعه عنها فقال لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين على انفسهم باستجلاب
المحبة اليها لان المحبة مشلاة منا البلاء والولاء توأمان والجنة دار السلام والسلام لاهل الغرام ودار السلام فلما ذاقا
شجرة الغرام اخرجا من دار السلام كما قيل فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك شيب بالخمر فلما اضاء الصبح فرق بيننا
واى نعيم لا يكدره الدهر فازلهما الشيطان عنها الضمير اما للشجرة اى اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ومن تلها
ونظيره عن هذه وقوله تعالى وما فعلته عن امرى واما للجنة بمعنى اذهبهما عنها ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان
ذل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله اياهما هو قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما على قوله انى لكما لمن الناصحين فى انه تمثل لهما فناولهما بذلك او القاه اليهما على طريق
الوسوسة وفى انه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة
ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله العليم

فاخرجهما

٩٠

فاخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم اوهما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة وقيل اهبط آدم وحوا وابليس
والحية والطاوس بعضكم لبعض عدو اى متعادين بعضكم على بعض بتضليله ولكم فى الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته والكلمات هى ما كان الحق تعالى عنهما فى
قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رض قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى الى الجنة قال نعم
فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهى الاعتراف بالذنب والندم
والعزم على ان لا اعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن
انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع واذا وصف بها العبد
كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ فى الرحمة غير ان
فى عين غضبه على آدم سببا كمالا له وجعل بعده سببا قربه منه وفى بحر الحقايق ان آدم اصبح محمول العناية مسجود الملائكة متوجا
بتاج الكرامة متلبسا بلباس السعادة منطقا بنطاق القربة متقلدا بقلادة الزلفة لا احد فوقه فى الرتبة ولا شخص معه فى الواقعة يتوالى
عليه النداء كل لحظة يا آدم يا آدم فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يلبث حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف ان
اخرج من غير مكث ولا بحث فازلهما بلا لقد بحسن التدبير اى غر تلك العزة والزاهة وكان للشيطان فى هذا الامر كذنب يوسف
حين اخذ بالجناية ولطخ فوه بدم كذب فاخرجهما من اخرجهما مما كانا فيه من السلامة الى الملامة ومن الفرح الى البرح ومن المنحة الى المحنة
ومن القربة الى الغربة ومن الالفة الى الكلفة ومن الوصلة الى الفرقة وكان آدم عم قبل اكل الشجرة مستأنسا بكل شئ فاتخذ بعد
اكلها كل شئ عدوا فهكذا شرط صحة المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذات المحبوب لا تقبل الشركة فى التعبد كذلك لا تقبل الشركة
فى المحبة ولهذا قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكذا كان حال الخليل فى البداية يتعلق بالكواكب والقمر والشمس ويقول هذا ربى فلما ذاق شجرة
الخلة قال لا احب الآفلين انى برئ مما تشركون فلما استقر حبة المحبة كالبذر فى قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الارض
مستقر شخصه قال ولكم فى الارض مستقر ومتاع اى تمتع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية الى حين ادراك ثمرة شجرة المحبة تلك
الثمرة هى المحبة المعرفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وبذر تلك الثمرة ليس الا المحبة كما اخبر النبى صلى الله
داود عم قال يا رب لم خلقت الخلق قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق ليعرف فثبت ان بذر المعرفة هى المحبة
فافهم واغتنم لعلك تشم رائحة منها فتسعد ثم ان اول نبات نبتت امطار الالطاف الربانية من الجنة المحبة فى قلب آدم وطينة الانسانية

كان بنات كلمات ربنا ظلمنا انفسنا الآية لانه ابصر بنور الايمان الهادى انه ظلم نفسه اذ اكل حبة المحبة ووقع فى شبكة المذلة
ولم يهتد ربه بمغفرته ويعتنه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذى اهبط اليه ولخسر راس مال استعداد السعادة الازلية ولم يمكنه
الرجوع الى ذروة مقامات القربة فاستغاث الى ربه وقال ربنا ظلمنا انفسنا مضطرا وكانت الحكمة فى ابعاده باهبط هذا الاضطرار
والالتجاء فانه يجيب المضطر اذا دعاه فنبا به العناية لحل بيته وافاض عليه سبحانه رحمته فتاب عليه واخرج من بنات الكلمات شجرة
الاجتباء واظهر على دوحتها زهرة التوبة واثمرها ثمر الهداية وهى المعرفة كما قال ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى تاويل
آدم فيما يتعلق بالانفس هو القلب سمى آدم لتعلقه بالجسم الظلمانى دون الملازمة لها اذ الادمة اللون الذى يضرب الى السواد
ولو لا تعلقه لما سمى آدم وزوجته هى النفس وسميت حوا لملازمتها الجسم الظلمانى اذ الحوة هى اللون الذى يغلب عليه السواد
الجنة المامور على ملازمتها اياها هى سماء عالم الروح التى هى روضة القدس اى الزما سماء الروح وكلا منها رغدا حيث شئتما توسعا
وتقضيا فى تلقى معانيها ومعارفها وحكمها التى هى اقوات القلبية والفواكه الروحية توسعا بالغا على اى وجه كان ومن اى
مرتبة وحال شئتما اى هى دايمة غير منقطعة ولا محجورة ولا تقربا شجرة الطبيعة والهوى التى بجهتها فتكونا من الظالمين الواضعين
النور فى محل الظلمة او الناقصين عن نور استعدادكما وحظكما من عالم النور فازلهما الشيطان حملهما على الزلة من مقامهما الى
مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل الملاذ الجسمانية فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والروح والدوام قلنا اهبطوا منها جميعا
الزمناهما بنو جهما الهبوط الى الجهة السفلية التى هى العالم الجسمانى بعضهم يعادى بعضا لكون مطالب الجهة السفلية جزئية
محصورة فى ضيق المادة لا يحتمل الشركة فكلما حظى بها احدهم منها غيره فتعد فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب
الكلية ولهم فى هذه الجهة استقرار وتمتع الى حين تجردهما بالموت الارادى او انقطاع حظوظهما ولهم فى هذه الجهة يقيام احدى
القيامتين الصغرى والكبرى قال ارباب المعرفة فتلقى آدم من ربه كلمات اى استقبل من جهة ربه انوارا واطوارا من الملكوت
والجبروت وارواحا مجردة اذ كل مجردة كلمة لانه من عالم الامر كما سمى عيسى كلمة او تلقن منه معارف وعلوما وحقايق فتاب عليه
فتقبل رجوعه اليه بالتجرد عن الملابس الطبيعية والانخراط فى سلك الانوار الملكوتية والاتصاف بالكمالات القدسية والتحلى
بالعلوم الحقيقية والله تعالى هو الموفق واليه المرجع والمآب وقلنا اهبطوا منها جميعا كرر ذكر الاهباط لاختلاف المقصود
فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يتخلدون منها والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى
نجا ومن ضل هلك وللتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم
الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكن كل واحد منهما كفى نكالا لمن اراد ان يذكر وا جميعا حال فى اللفظ تاكيد فى المعنى كانه قيل
اهبطوا انتم اجمعون فلا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاءوا جميعا حقيقة لما امر آدم
بالهبوط من مقام التجرد والجنانى الى موطن التعلق الدنس متحرزا بانقطاع تمتعه منه بالموت تلقى باستعداده ما هو
مقتضى مقامه المنزل اليه من التناسل والتوالد لا بقاء النوع من ربه اى الاسم الرب الذى كان هبوطه مظهر التام لذلك

الاسم لكمالية فى الابوة فان الاب مظهر ربوبية الحق تعالى ولذا قد كان يطلق اسم الرب على الاب الجانى فهم من التقليد فمنع منه
الادنى قول عيسى انى ذاهب الى ابى وابيكم كلمات بعض تعينات ذرياته الذرية المستنبطة فى شخصه عم بكلمة منها اسم
المسيح فتاب عليه باعطاء ما استدعاه انه هو التواب الرجاع عن اعاده بلسان الاستعداد لكل دبر ددعاه ذكر الكريم
الذى لا يقطع عن احد من نعمة انعمها عليه او قد عوض خيرا منها فاما الموعود بالهبوط فى الامر الواقع آدم وابليس فانهما معا انه
على المعصية وابليس داخل فيها بالوسوسة بل على ذلك مرتبة المعاداة على الهبوط حيث قال بعضكم لبعض عدو وفى الكشاف
آدم يخصوص فانه من تكليف الاهتداء بالهدى ولا دخل لغير آدم فيه وهذا هو قوله قلنا اهبطوا يخاطب آدم عم بما اشتمل
عليه شخصه من ذريته المشار اليهم بقوله واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية فانهم كانوا موجودين فيه بالقوة
مشهودين للحق تعالى بالفعل سامعين لخطابه منها من الجنة دار العزة والوصال الى الارض دار الذلة والابتلاء جميعا مجتمعين فى
مستوى صلب ابيكم للجامع بوصف الجمال والجلال لخلفه على الصورة الى ان تميز السعيد عن الشقى والمومن عن الكافر بالدعوة
المذكورة بعقد الميثاق كما قال فاما يأتينكم منى هدى اى لا يأتينكم منى هدى بانزال الكتب وارسال الرسل وانما جئ
بحرف الشك وايتان الهدى كاين لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا فمن تبع هداى فلا خوف عليهم الشرط الثانى مكرر
ولا هم يحزنون بفوات محبوب وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اى فمن تبع ما اتى به الرسل مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا يخافون تمام آيات من العقاب ولا يحزنون على ما فاتهم من
حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرتهم بنور الهداية واهتدائهم الى ما لا يقاس بلذات الدنيا من اذواق الروحانية والفتوحات
الغيبية والمشاهدات القلبية وقرئ فلا خوف بالفتح لنفى الجنس وبالجملة فالخوف والحزن منفيان عن متبعى الهدى فى الآخرة
دون النشأة الدنيا كما ان وعيد من يقابلهم ايضا مخصوص بالآخرة كما قال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا جمع آية وهى
العلامة ويقال للمصنوع آية من حيث انها تدل على وجود الصانع ولكل طايفة من القرآن المتمايزة عن غيرها بفصل اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون اى من لم يتبع بل كفر بآيات الله جنانا او كذب بها لسانا فجزاؤهم فى الآخرة الخلود فى النار ودل
بقوله هم فيها على عدم خلود عصاة المسلمين فيها وفى بحر الحقايق لما ابتلى آدم عم بالهبوط الى الارض بشره انه امده ووصيه
بالهدى لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة انبيائه وانزال الكتب فمن تبع الهدى برهنه بنور المحبة من صفات الحيوانية والسبعية
وابطال السعادة الابدية باستيفاء التمتعات الدنيوية ولا هم يحزنون على هبوطهم الى الارض لتربيته بنور المحبة اذ هم وصلوا باتباع
الهداية وجذبات العناية الى ذروة حظاير القدس والذين كفروا استروا بنور المحبة بتعلقات الشهوات وظلموا انفسهم بتكذيب آيات
البينات حتى افسدوا الاستعداد الفطرى وضيقوا بنور المحبة وقصروا فى تمتع شجرة الانسانية باثمار التوحيد والمعرفة اولئك اصحاب
نار جهنم القطيعة خالدين فيها لانهم اخلدوا الى الارض الطبيعة واتبعوا اهواءهم تنبيه حكمة نهى الحق آدم عم عن اكل الشجرة
وتمكين ابليس من وسوسته وافتنان آدم به مع كمال حزمه وعقله ونسيانه عهد الحق تعالى مع سبحان الحق تعالى نبهه بعداوة ابليس فذكره

نهی الحق تع حیث قال ما نهاکما ربکما عن هذه الشجرة والامر من الحکم المسکوت عنها لا یطلع علی حقیقتها احد لم نوقف فی بحر سر القدر
وسر سره ولتذکر من نفعها الذکری بالتأمل فی حقیقة معنی قوله علیه السلم احتج آدم وموسی عند ربهما فحج آدم موسی قال موسی
انت آدم الذی خلقك الله بیده ونفخ فیك من روحه واسجد لك ملائکته واسکنك فی جنته ثم اهبطت الناس بخطیئتك الی الارض
فقال آدم انت موسی الذی اصطفاك الله برسالته وبکلامه واعطاك الالواح فیها بیان کل شیء وقربك نجیا فبکم وجدت الله
کتب التورة قبل ان اخلق قال موسی ع باربعین عاما قال آدم هل وجدت فیها وعصی آدم ربه فغوی قال نعم قال افتلومنی علی
ان عملت عملا کتبه الله علی ان اعمله باربعین سنة قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فحج آدم موسی ولما عد النعم الالهیة لبنی آدم ع
وذکرهم انه اخرج اباهم عن الجنة وقد عهد الیه ان من تبع من اولاده الهدی فلا یخاف سوء العاقبة وان من لم یتبع خاب وخسر ذکر
بنی اسرائیل الذین هم من خواص اخلاف آدم ع بعد ما انعم علیهم من النعم وطلب منهم الوفاء بالعهد فقال یا بنی اسرائیل یا اولاد یعقوب
واسرائیل لقب یعقوب ع ومعناه بالعبریة صفوة الله وقیل عبد الله وقری اسرائل بقلب الهمزة یاء واسرائیل بحذف الیاء واسرال
بحذفهما اذکروا نعمتی التی انعمت علیکم بالتفکر فیها والقیام بشکرها والمراد النعم المخصوصة بالموجودین منهم او بهم وبآبائهم
من الانجاء من فرعون وغرق عدوهم والعفو من اتخاذ العجل وقری اذکروا علی وزن افتعلوا ونعمتی باسکان الیاء وحذفها وصلا
علی القاعدة واوفوا بعهدی ای بما عاهدتمونی من الطاعة اوف بعهدکم ای بما عاهدتکم من حسن الاثابة واوفوا بعهدی
الذی اخذت منکم یوم المیثاق علی التوحید اوف بعهدکم الذی اخذته علی الهدایة الی الصراط المستقیم وللوفاء بهما مراتب
متفاوتة اولها منا الاتیان بکلمتی الشهادة ومن الله حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق فی بحر التوحید بحیث
نغفل عن انفسنا فضلا عن الغیر ومن الله تع الفوز باللقاء الدائم ومما روی عن ابن عباس رض اوفوا بعهدی فی اتباع محمد اوف
بعهدکم فی رفع الاصار والاغلال وعن غیره اوفوا باداء الفرائض وترك الکبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة
علی الطریق المستقیم اوف بالکرامة والنعیم المقیم فبالنظر الی الوسائط وقری اوف بالتشدید للمبالغة والکثرة وفیها ایماء الی
ان الجزاء باضعاف العمل وایای فارهبون فیما تأتون وتذرون وخصوصا فی نقض العهد وهذا آکد فی افادة التخصیص
من ایاك نعبد لما فیه من التقدیم ومن تکریر المفعول والفاء الجزائیة الدالة علی تضمن الکلام معنی الشرط کانه قیل ان کنتم راهبین شیئا
فارهبونی والرهبة خوف مع تحرز قال اهل المعرفة الخوف ان یکون من العقاب والرهبة من السخط والقهر والاعراض و
الحجاب والخشیة اخص منها لکونها مخصوصا بحجاب الذات قال الله تع یخشون ربهم ویخافون سوء الحساب وکذا الهیبة لانها مرتبت
بعظمة الذات نکتة اوفوا بعهدی الذی خصصت به الانسان دون خلق آخر وهو محبتهم ایای اوف بعهدکم وهو
محبتی ایاکم کما قال الله تع یحبهم ویحبونه وایای فارهبون ای فان احببتم غیری فارهبوا من ان احظکم من قربتی ومحبتی وشهود
جمالی وجلالی وکشف اسراری ودقایق معرفتی وحقایق وصلتی وامنوا بما انزلت مصدقا لما معکم تخصیص الایمان
بالذکر تمام الامر بالوفاء به لانه العمدة من العهود والمنزل هو القرآن وتصدیقه لما معهم من الکتب من حیث انه نازل علی الوجه

الذی نعت فیها او من حیث انه مطابق لها فی القصص والمواعید والدعاء الی التوحید والامر بالمعروف والنهی عن المنکر والعدل
بین الناس والنهی عن ذلك من الاحکام الکلیة التی لا تتبدل بالازمان والادیان وان خالفها فی بعض الجزئیات فان ذلك بسبب
تفاوت الاعصار فی المصالح من حیث ان کل واحدة منها حق بالاضافة الی زمانها فقد روعی فیها صلاح من خوطب بها حتی لو نزل
المتقدم فی ایام المتأخر لنزل علی وفقه وفی هذا التقیید تنبیه علی ان اتباع الکتب السابقة لا ینافی الایمان بالقرآن بل یوجبه
ولذلك عرض بقوله ولا تکونوا اول کافر به بان الواجب ان یکونوا اول من آمن به لانهم کانوا اهل العلم بشانه و
المستفتحین به والمستبشرین بزمانه واول افعل لا فعل له وافراد کافر بعد جمع ضمیر الجمع تقدیرا اول فریق او بتأویل
لا یکن کل واحد منکم اول کافر به کقوله کسانا حلة فان قیل کیف نهوا عن التقدم فی الکفر وقد سبقهم مشرکوا العرب
اجیب بان المراد به التعریض بان یکونوا اول مؤمن به لانها نطوق به الظاهر ولکن ان یقول المراد اول کافر به من کفر الجحود
فانهم هم الذین جحدوا بها واستیقنتها انفسهم ویتوجه عن ذلك ان لا تکونوا اول کافر من اهل الکتاب والحق ان الخطاب لکل جمیع اهل
ذلك الزمان وان خص بالذکر بنو اسرائیل لکثرتهم وللاهتمام باسلامهم والمعنی لا تتقدموا یا اهل زمان الدعوة فی سلوك
طریق الکفر فیقتفی آثارکم من وراءکم من اولادکم کما قال نوح ع انك ان تذرهم یضلوا عبادك ولا یلدوا الا فاجرا کفارا
ولا تشتروا بآیاتی ثمنا قلیلا لا تستبدلوا بالایمان بها حظوظ الدنیا فانها وان جلت قلیلة مسترذلة بالاضافة الی
ما یفوت عنکم من حظوظ الاخرة بترك الایمان قیل کان لهم ریاسة فی قومهم ورسوم وهدایا منهم فخافوا فوتها لو
اتبعوا رسول الله صلعم واله فاختاروها علیه وقیل کانوا یأخذون الرشی فیحرفون الحق ویکتمون وان عمر بن الخطاب
کان المعنی لا تشتروا بآیاتی الداعیة لکم الی الآخرة ثمنا قلیلا من متاع الدنیا فما متاع الحیوة الدنیا فی الآخرة الا قلیل وایای
فاتقون بالایمان واتباع الحق والاعراض عن الدنیا ولما کانت الآیة السابقة مشتملة علی ما هو کالمبادی لما فی الآیة الثانیة
فصلت بالرهبة التی هی مقدمة للتقوی الذی فصل بها الثانیة وایضا فان الخطاب بالاولی لما عم العالم والمقلد امرهم
بالرهبة التی هی مبداء السلوك والخطاب بالثانیة لما خص اهل العلم امرهم بالتقوی الذی هو منتهاه وقال فی
بحر الحقایق لا تشتروا بآیاتی التی اریتها للمؤمنین فی الآفاق وفی انفسهم من کشف الحجاب والاسرار ومشاهدات الانوار ثمنا
قلیلا من مشاورة النفس لالتفات الی حرکات ومعاملات توجب الحجب والاستار والرکون الی شیء من الاحوال والمقامات
فتقطعوا طریق ظهور الحق والوصول الله علی انفسکم بالاختیار وایای فاتقون ای فاتقوا بی منی وفروا الی منی لتسلموا من مکری و
قهری وکید انفسکم وضلالتها ولا تلبسوا الحق بالباطل اللبس الخلط وقد یلزمه جعل الشیء مشتبها بغیره والمعنی لا
تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذی تخترعونه وتکتبونه حتی لا یمیز بینهما وتکتموا الحق جزم داخل تحت حکم النهی فعله نهوا عن
التلبیس علی من سمع الحق والاخفاء عن من لم یسمعه او نصب باضمار ان علی ان الواو للجمع ای لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وکتمانه ویعضده انه
فی مصحف ابن مسعود رض وتکتمون ای وانتم تکتمون بمعنی کاتمین وانتم تعلمون عالمین بانکم لابسون کاتمون فانه اقبح اذ الجاهل یعذر

حقيقته في مصحف ابن مسعود رض ويكتمون الحق وانتم تعلمون بتقييد النهي بالجملة الحالية وهذا لا يستقيم بالمعنى
الذي ذكرناه فانه يشعر بان لا يكون لبس الحق بالباطل مستقبحا لذاته بل لما يصحبه من كتمان الحق فلا بد من ان يحمل على ما
ذكره اهل التحقيق من ان المعنى لا تخلطوا سلوك طريق الوصول الى الحق بالباطل الذي هو تعلق القلب بما سوى الله تعالى فان
ذلك انما يستقبح ممن يكتم الحق بالباطل بقصر النظر الى الكثرة ويكتم ما هو الحق من ظهور الوحدة في تلك الكثرة واما من يحجب الحق
بالباطل بالقول بظهور الحق في جميع الملابس والمظاهر فلا يلحقه هذا الذم مع ان صاحب الكثرة ايضا انما يذم بقصر النظر الى
الكثرة لو لم يكن من المحجوبين عن سر التوحيد وكان عالما بذلك السر كما تدل على نفسه لشدة ركونه الى الكثرات دل على ذلك
قوله وانتم تعلمون فالعلم قيد الكتمان والكتمان مع العلم قيد اللبس فتنبه له واشكر الله تعالى على بروز تلك الحقيقة من
مجلة الغيب الى منصة الظهور وتيقن مكان القراءات الشاذة واعلم بان شيئا منها لا يخلو عن فايدة مخصوصة بل بان معنى
القرآن لا يكاد يتم بدونها فانها من الحقائق معنى القرآن ضاق عن حيازتها في مضيق العبارة البشرية قالب واحد فتشعبت في
تلك الحقائق القوالب ليتم بها كمال جامعيته كما نبهتك عليه في اوائل الكتاب وارجو من الله عز وجل ان لا يحجب عن شيء من فوائد تلك
الشواذ في جميع ما احاله من تفسير الآيات ومن الله الاعانة والتوفيق واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة قيل فيه دليل على ان الكفار مخاطبون مكلفون بالفروع وهي مسئلة مختلف
فيها والحق انهم مكلفون بها بشعبة التكليف بالاصول كما ترى انه هنا امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصولها والزكوة من زكى الزرع
اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر في النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من
تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال
تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه قال ارباب الطريقة اقيموا الصلوة بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع و
الخشوع واتوا الزكوة بتزكية النفس عن الحرص بالدنيا والاخلاق الدنية وتطهير القلب عن رؤية اعمال السيئة واركعوا مع الراكعين
اي اقتدوا في الانكسار ونفي الوجود بالمنكسرين المتبرئين من الوجود لنيل الجود حقيقة الصلوة ثلاث هيئات القيام والركوع
والسجود فالقيام مشير الى مقام الفرق وقد وافقه من الحكم قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي عابدين والسجود مشير الى مقام الجمع وقد
طابقه في المعنى قوله فاسجدوا لله والركوع مشير الى الجمع بين الجمع والفرق اي رؤية الوحدة من غير قطع النظر عن احكام الكثرة
فقد وافقه كل الموافقة قوله تعالى واركعوا مع الراكعين اي انقطعوا الى الحق بوجه مختلطين بالخلق بوجه وقد قال عيسى عم كن
وسطا وامش جانبا فقد تبين لك بهذا سر تخصيص الركوع بالذكر من بين اركان الصلوة مع اشارة دقيقة الى سر ادراك
الركعة بادراك الركوع مع الامام دون ادراك السجود معه فليتفطن له اتأمرون الناس بالبر تقرير مع
توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في

عبادة الله

۲۳

في عبادة الله تعالى وبر في مراعات الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رض
انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم
تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول افلا تعقلون قبح
صنيعكم فيصدكم عنه او فلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله
على ما يحسن ثم القوة التي بها تدرك النفس هذا الادراك والخطاب في الآية وان كان مع كفار اهل الكتاب ظاهرا الا انه لا يتجاوز عن
اهل الاسلام حكمها بل هم المقصودون بالخطاب بها فهي ناعية على العلماء السوء الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتمرون به وينهون عن
المنكر ولا ينتهون عنه بل على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنعه وخبث نفسه والمراد حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة والتوجه الى الكعبة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف
النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصايب روي انه عليه الصلوة والسلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي
الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر وجملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع التواضع والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع
بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم
يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما قارب العلم في الرجحان اطلق عليه بتضمين معنى التوقع
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها
ولذلك قال عليه السلام جعلت قرة عيني في الصلوة قال ارباب الطريقة استعينوا على طلب الحق وترك الباطل بالصبر عن شهوات النفس و
متابعة هواها والصلوة التي هي دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب وانها اي الاستقامة لكبيرة امر عظيم وشان
صعب الا على الخاشعين وهم الذين تجلى الحق تعالى لاسرارهم فخشعت له انفسهم كما قال عم اذا تجلى الله لشيء خضع له الذين يظنون قرين
بنور التجلي انهم ملاقوا ربهم اي يشاهدون جمال الحق تعالى وانهم اليه راجعون بجذبات الحق التي جذبة منها توازي عمل الثقلين يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم وربط بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها
واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى ع وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم
والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا

مصدرا

لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون
ما اراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي فان ذلك اليوم لكل امرئ شأن يغنيه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل اي الشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه والعدل الفدية واصله التسوية سمي
الفدية لانها سويت بالمفدي والضمير في منها للنفس الثانية العاصية وكذا الضمير في ولا هم ينصرون بارادة النفوس الكثيرة الدال
عليه التنكير في سياق النفي والتذكير باعتبار ارادة العباد وتغير السياق لرعاية رؤس الاي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر
والاية لا تصلح دليلا على نفي الشفاعة لاهل الكبائر لانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب
معهم وانه الاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم يشفع لهم حقيقة يا بني اسرائيل يريد بهم بني ادم بلسان الاشارة
وخصهم بالخطاب لكونهم العمدة منهم لكثرة عددهم وفوز فضلهم بنبوة وعلم وعبادة اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يعني تكريمهم بجمعية
جميع مراكب العناية من روحانيتهم الطيبات بحسب ما يوافق المواطن من الارزاق الصورية والمعنوية واني فضلتكم على العالمين العوالم
العلوية والعوالم السفلية بقاطبتها كما قال ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا اي على جميعهم تفضيلا ونوعان التفضيل وهو تفضيل الجمع على التفرقة فاشكروا على النعمة الجسمية واتقوا يوما يتجلى الحق فيه باسم
القهار وهو اليوم المشار اليه بقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فيومئذ لا تملك نفس لنفس شيئا من الجزاء والشفاعة والفداء
النصرة والامر يومئذ لله وهذا في بعض مواقف القيمة الى ان تسبق الرحمة الغضب فيتجلى الحق لهم باسم الرحمن بعد ما تجلى لهم باسم القهار
فيأذن لهم الرحمن لاختصاصه بالامر في الشفاعة فيشفع بعضهم بعضا كما قال لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل
على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب
لملك مصر ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم وكان فرعون موسى وليد بن مصعب بن ريان وريان هو فرعون يوسف وكان بينهما
اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم سوء العذاب اصل السوم الذهاب في طلب الشيء والسوء في الاصل مصدر ساء اريد الشيء
والمعنى يبغونكم العذاب السيء والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون
ابناءكم بيان يسومونكم ولذلك لم يعطف ويستحيون نساءكم يتركونهن احياء لمصلحة الخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
راى في المنام او قال الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهد في رد قضاء الله فلم يرده اجتهاده الحسنا او في ذلكم بلاء اختبار
الاختبار من الحق يكون بالمحنة تارة وبالمحنة اخرى قال نعم وبلوناهم بالحسنات والسيئات وبلاء هم هنا يحمل المحنة فيكون الاشارة الى النجاة
ويحمل المحنة فيكون الاشارة الى ما صنعوا من الذبح ويجوز ان يكون الاشارة الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخلصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله
فعليه ان يشكر على ما يراه خيرا او يصبر على ما يراه شرا ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه يسلككم فيه وقرئ فرقنا لكم

على بناء

على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه وانتم
تنظرون ذلك او تنظرون جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان نغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون
ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين تحقيق ان اهل الباطن في الحكايات القرآنية
طريقة في تطبيق الافاق بالانفس يأولون الدعاة من الانبياء بالقلب والروح بحسب ما تقتضيه سوق الكلام ويأولون معانديهم من الكفار
بالنفس والطبيعة وقواها كذلك تنبيها للطالب على سعة نشأته الانسانية فيزداد له بذلك علو في الهمة ونصب المانية من نهضات الطابعة
العلوية لقواه السفلية فيحصل له بذلك بهز عطفه في قهر القوى النفسانية وتخليص لطيفة قلبه وروحه عن كيد تلك القوى وقهرهم واعداءهم و
ولذلك عرض عريض تملي عليك شيء منها في موارد الحكايات ان شاء الله تعالى منها حكايات موسى عم وفرعون وهي جلها ومعظمها لا يخلو طرف من
من القرآن من بيانها فتنكر عليك تأويلها في مواقعها وفي تحقيق الحقايق لتأويل هذا المقام ان البحر هو الدنيا ومادة شهواتها
ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب وفرعون هو النفس الامارة وقومه صفات النفس وهم اعداء موسى وقومه يطلبونهم
ليقتلوهم وهم سايرون الى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا امامهم ولا بد لهم في السير الى الله تعالى من العبور على البحر فلولم يخض البحر
بلا ضرب عصا لا اله الا الله على البحر بيد موسى القلب فانه له يدا بيضاء في هذا الشان لغرقوا كما غرق فرعون وقومه فيضرب موسى القلب
عصا الذكر مرة بعد اخرى لينفلق بحر الدنيا بنفي لا اله ويسكن ماء شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية
على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيدخلها موسى القلب وصفاته عابرين فينجيهم عناية الحق الله الى ساحل وادي الى ربك المنتهى ويقال
لفرعون النفس وقومها اغرقوا فادخلوا نارا فافهمها فان للقرآن ظهرا وبطنا ولكن من نقص المراد من الايات على امثال هذه التأويلات
نقطع النظر عن مدلولاتها الاصلية فحكم عليه بالكفر من الايمان بظاهرها وباطنها والعياذ بالله من ذلك واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عاد موسى
بقومه الى الشام وعده الله ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن
كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات في الطور حقيقة امر
الايجاد قايم على التربيع سرا وما نا اليسوا لذلك قد تربعت امهات الصفات التي يبتنى عليها الايجاد ثم تربعت الطبايع ثم العناصر
ثم الاخلاط او اصول صور عالم الشهادة العشرة التي هي الجوهر والاعراض التسعة فكان لعقد الاربعين الحاصل من ضرب الاربعة في العشرة
في ترتيب الكمال علامة تبتنى قاعدته عليه ولهذا كان مدة تخمير ادم اربعين صباحا ومدة قرار النطفة في الرحم اربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك وقد قال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه الى لسانه ولكن هذا هو سر
الاربعين في الميقات واما ذكر الليلة فلانها ادخل في امر القربة من النهار ولقوله تعم ان اقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل والخبر بنزول له
الى السماء الدنيا في الليل وقد اسرى بعبده ليلا فخصها بالذكر ليكون النهار لها تبعا وفيه مشير بذلك على ان العبادة مطلوبة منه في

٢٤

في ذلك الاربعين ليلة واياما فلو ذكر الايام لسبق الى الوهم اختصاص الايام بذلك نظرا الى ان الله تعالى جعل الليل محلا للاستراحة
ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى وانتم ظالمون واضعون العبادة في غير محلها ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس وهو فوق المغفرة الذي هو الستر مع بقاء الاثر في النفس ودون الصفح الذي يكون بمحو
صورة الجريمة بالكلية وافراغ الصدر عن ذكرها راسا من بعد ذلك بعد الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا على نعمة العفو ولعل
من الحق تعالى محمول على التعليل انما كان لاستحالة الترجي والتوقع منه والعلاقة كون المعلول مرجوا متوقعا عند وجود العلة
قال ارباب الطريقة الشكر على الثلاثة اوجه شكر بالاقوال وشكر بالاعمال وشكر بالاحوال فشكر الاقوال ان يتحدث بالنعم
مع نفسه اقرارا ومع غيره اظهارا ومع ربه افتقارا كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقوله عم التحدث بالنعم شكر وشكر الاعمال
ان يصرف نعم الله تعالى في طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك بها ما فاته من الطاعات وما بادره من المعاصي لقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وشكر
الاحوال ان يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد فلا يرى الا المنعم ويكون شكره مرآة جمال الشكورية ويرى المنعم في النعمة النعم
من المنعم والشكور في الشكر والشكر من الشكور ويرى شكره ووجوده نعمة من نعم المنعم ورؤية النعمة والمنعم نعمة اخرى الى غير نهاية
فيعترف بعجزه عن اداء شكر النعم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق
والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى الحق انه الحكمة النبوية التي بها يفرق
الانبياء بين الحق والباطل قال ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال عليه السلام اوتيت القرآن وما يعدله لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر
في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم خالقكم فاقتلوا
انفسكم تماما لتوبتكم امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة وكان الرجل يرى بعضه و
قريبه فيشفق به فارسل الله عليهم سحابة سوداء لا يتباصرون فيه فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعى موسى و
هارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكان القتلى سبعين الفا ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة
الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم خطاب من الله تعالى على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعارا بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة العجل
الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو
التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين في الانعام عليهم قال ارباب الطريقة لكل قوم
عجل يعبدونه من دون الله فقوم يعبدون عجل الدرهم والدينار قال رسول الله صلعم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد
الخميصة وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
وهذا ابغضها عند الله تعالى لقوله عم ما عبد اله ابغض على الله من الهوى فالحق تعالى آتى موسى القلب كتاب الالهام وحكمة
الحدس يغلط بهما القوى الطبيعية يقول يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم بالتبري عما سواه ولا

يمكنكم

٢٥

ولا يمكنكم ذلك الا بقتل النفس الامارة التي تعبد عجل الهوى فاقتلوا انفسكم بسيف الرياضة وسيفها عن حظوظها وافنائها الخاصة
بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التي هي روحها التي يحيى بها فان ساعدتها في ذلك قوتا الوهم والخيال ووافقتها ساير القوى
فقد نجت ونجا وكان ذلك جزاءهم عند بارئهم فتاب عليهم ورحمهم انه هو التواب الرحيم نكتة المقصود من قتل النفس هذا اذهاب
حياتها العارضة ليحيى بحياتها الاصلية على طريقة البقاء في الله والبقاء بالله ولما كان قوم موسى من المتوغلين في الصورة عاكفين
عليها كل العكوف فكان دعوة نبيهم ايضا بالآيات الظاهرة فما خاطبهم بامر معنوي الا اظهر لهم صورة في الحس بين امر قتلهم النفس
بقصة قتلهم بالصعقة واحيائهم بعد الموت ليبين لهم المقصود مما امروا به فقال واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
اي لاجل قولك او من يقولك بان الحق تعالى هو الذي اعطاك الكتاب وكلمك حتى نرى الله جهرة عيانا والجهرة في الاصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة وقرئ جهرة بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب
المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن
ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار
من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او باثره وجاز ان يكون المعنى وانتم تتبعون ببصركم نحو ما طلبتم رؤيته ثم بعثناكم من بعد موتكم قيد البعث
لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب
يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر
الى الطلوع وبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يستضيئون به وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول اي قلنا لهم كلوا وما ظلمونا فيه اختصار اصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره ومن حجب الحقايق قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم بامر الشرع وما ظلمونا
بتصرفاتهم بالطبع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى قال اهل المعرفة واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك الايمان الحقيقي حتى نصل الى مقام المشاهدة والعيان فاخذتكم صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي وانتم تراقبون
ثم بعثناكم بالحيوة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله وظللنا عليكم الغمام غمام
تجلي الصفات لكونها تحجب شمس الذات المحرقة بالكلية وانزلنا عليكم من جملة الاحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة وازالة
رذائل اخلاق النفس كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف الحقيقية التي نشرها عليكم رياح الرحمة والنفحات الالهية
في تيه الصفات عند سلوككم فيها كلوا اي تمتعوا ولو لم تلتفتوا من هذه الطيبات وما ظلمونا ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات
انفسهم ولكن كانوا ناقصين حقوق انفسهم بحرمانها من خزائنها واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس فكلوا منها

حيث شئتم رغدا واسعا وادخلوا الباب اى باب القرية فيكون هذا القول وحيا الى يوشع بن النون فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس فى حيوة موسى ع سجدا ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حط وهى
فعلة من الحط وقرى بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطا نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم قرا نافع بالياء
وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذى قيل لهم اى امرا غير الذى امروا به فبدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض وقيل
قالوا موضع حطة حنطة استهزاء وقصر النظر على الحظوظ الصورية فانزلنا على الذين ظلموا كرر ذكر ظلمهم مبالغة فى تقبيح امرهم
واشعارا بان الانزال عليهم بظلمهم والمراد بالظلم بوضع غير المأمور به فى موضعه او ظلمهم على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتهم الى
ما يوجب هلاكهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم فانه من لم يعرف قدر النعماء يقرع
باب البلاء ليجرى عليه احكام القضاء والرجز بالكسر وقرى بالضم ما يعاف عنه والمراد به الطاعون روى انه مات به منهم فى ساعة اربعة
وعشرون الفا قال اهل المعرفة لما طلب المحجوبون مقام المشاهدة بقولهم ارنا الله جهرة قيل لهم ادخلوا هذه القرية
اى روضة الروح المقدسة التى هى مقام المشاهدة وادخلوا باب الله الذى هو الرضا كما قال عليه السلام الرضا بالقضاء باب الله الاعظم سجدا
بخضوع خاضعين لما يرد عليكم من التجليات الوضعية والفعلية واطلبوا ان يحط عنكم ذنوب صفاتكم واخلاقكم وافعالكم فنغفر الله
ذنوب المحجوبين ويزيد المحسنين ثوابا حسابهم الذى هو كشف الذات لقوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم بان طلبوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها فى موضع طلب الاتصاف
بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية كما روى عنهم حنطة سرا اى نطلب غذاء النفس فانزلنا على الظالمين منهم خاصة عذابا
وضنكا وضيقا وظلمة فى مضيق النفس واسرا فى وثاق الهوى واحتجابا فى قيد الهوى وحرمانا وذلا بجذبة الجاذبات السفلية
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة القلب الى طاعة النفس حقيقة اعلم ان متعلق الرؤية من الحق تعالى ليس الذات المطلقة
لاحتجاب شمس احدية الذات بالحجب التى لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه اى انوار ذاته ما انتهى اليه بصره من خلقه فهى منزهة من
ان يدركها حس ويسعها خيال او يحيط بها علم وانما المرئى فى مشاهدة الحس والخيال والعقل مرايا تجليه بالتجلى منها
فيراه من يراه وراء حجب المحسوسات بالتجلى فى مشهد الحس ووراء حجب الصور المثالية بالتجلى فى مشهد الخيال ووراء الصور العلمية بالتجلى فى
مشهد العقل والرؤية الموعودة فى الجنة وهى الرؤية التامة التى ليس للتجلى منه كشف فوق ذلك هى الرؤية التى تكون فى مشهد المثال
العيانى الذى منه ابتداء الامر فى القوس النزولى واليه يعود فى القوس العروجى وهو المقام المحمدى فى المبداء والمعاد فى المبداء بالعيان
وفى المعاد بالكثيب يراه المؤمنون فى ذلك المشهد الرؤية التامة بتبعية محمد ص فى جنة العدن بجميع الحقايق الثلاث المذكورة الحس
والخيال والعقل لما فى ذلك المشهد من خاصية الصباغ كل شان بصبغ جميع الشئون فيحصل للرائى فيها القوة البصرية ادراك ما يدرك بجميع القوى

الحسية والخيالية والعقلية من المحسوسات والمخيلات والمعقولات فيرونه تعالى فى حجاب الرؤية التى هى الحجاب الذى يرتفع بينه وبين
العبد بجميع القوى الظاهرة والباطنة من دون نية قوة النور البصرية وهذا هو معنى رؤية الحق تعالى بالبصر فى الاخرة من لم يوجد ذوقا فليكن
بلا كيف كما ذكره الاشاعرة فنعم البيان ذلك قبل الوصول الى العيان واذ قد مهدنا لك ما تلونا عليك من شرح معنى الرؤية فنقول تحقيق
معنى الايات هو ان قوم موسى ع طلبوا رؤية الحق تعالى فى مرتبة صفة الالوهية وكان عليهم ان يسألوها فى مرتبة الربوبية لما فيها من
اعتبار تبليغ الحقايق الى كمالاتها اللائقة بمنشأتها ولهذا السر تجد الرؤية حيثما وردت فى لسان الشريعة ما وردت الا وهى مقرونة
بذكر الرب قال عليه السلام سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقال عليه السلام لم اعبد ربا لم اره وقال موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك
فافناهم الصاعقة التجلى المعنى الالهى عن بشريتهم وعن تركيبهم لخفة ما يسعهم من وصف الربوبية فبقوا موتى ناظرين باسرارهم عن مشاهدة
ما طلبوا مشاهدته لتعطل الالات بكليتها ثم لطف بهم الحق تعالى فبعثهم من موتهم ذلك وظلل عليكم ظلة الحجاب واخفى عليهم سر الوجود المجازى
لئلا تتلاشى انياتهم فى نور شمس الاحدية وانزل عليهم طيبات الرزق من التجلى الصفاتى وسلوى التجلى الافعالى من زوجين منهما الارزاق
المعنوية من العلوم والمعارف ثم هداهم طريق الوصول الى الحق والرؤية التى تكون بجميع الحقائق الروحية والبدنية والبرزخية فامرهم ان
يدخلوا فى قيود قرية البشرية والتلبس باحكامها الكلاوية والكاحوية لهم سلوك طريق ذلك المقصد بان يدخلوا من باب العبودية
منصرفين عن طريق العادة متلبسين بالخضوع والخشوع عارجين فى المعارج التجلى بحط القيود عن ذواتهم وافناء الافعال والصفات
عنهم ليغفر لهم خطايا صفاتهم الفانية المقيدة بالصفات الباقية المطلقة ويزيد المحسنين الباذلين بوجوداتهم البقاء بالله ذاتا
وصفة فيفوزوا بما طلبوا من الرؤية بقيام بصر الحق مقام بصرهم فان صفات الحق تعالى لاتحادها بذاته مطلقة عاملة كل واحدة منها
عمل ما سواها فيصير حسهم بذلك حسا مطلقا فيقوم بصرهم مقام ساير قواهم فيبصرون ببصرهم ويخيلون ويعقلون به فيتم لهم الرؤية
البصرية بذلك فسلك هذا المسلك فريق منهم الى ان وصلوا الى مقصودهم وبدل الذين ظلموا منهم فيما امروا به فى طريق الوصول فلم يدخلوا
فى قرية البشرية من غير باب العبادة وتحلوا بافعالهم وصفاتهم البشرية فامتنعوا من ان يعرضوها من ليس بظلوم ولا عدوم فيضاعفها
لهم اضعافا كثيرة فانزل على الذين ظلموا هذا الظلم لامر ظلمهم فى سؤال الرؤية لجهلهم بطريق المسئلة رجزا من السماء حجابا وبعدا وطردا
بما كانوا يفسقون بخروجهم عن الطريق المستقيم الى طريق دواعى النفس والشيطان فافهم جدا وكن بنعمة ربك من الشاكرين واذا
استسقى موسى لقومه لما عطشوا فى التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اما العصاء فكان من آس الجنة ولها شعبتان
تشتعلان فى الظلمة واما الحجر فقيل كان حجرا معينا حمله معه من طور وقيل اهبط جبرائيل من الجنة الى آدم فوصل الى شعيب فاعطاه موسى
مع العصا وقيل لم يرد به حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف بنا لو نزلنا ارضا لا حجر فيها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه عصاه اذا نزل
فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اى فضربت به انفجرت وقيل عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان فيه وانما كانت العيون اثنتى عشرة لانهم كانوا اثنى عشر سبطا قد علم كل اناس مشربهم كل سبط فكان فى
ذلك صونا لهم عن التنازع والتشاجر اى فقلنا لهم لما انفجرت العيون كلوا واشربوا من رزق الله من المن والسلوى وماء العيون

وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ العثي المثبت في الارض بالفساد حردع بنحو الفساد ثم قيد به كما في اسرى بعبده ليلا
حقيقة تفجر الماء من الحجر خرق عادة ظهر من يد موسى عم لا ينكره من آمن من المعجزات الانبياء عم والفرق بين مثل هذا الماء
وبين ما يظهره ارباب المشعبذ هو ان هذا الماء يروي العطشان دون الماء الذي يريه المشعبذ وكذا امر الطعام نفرق بين الطعام
الذي يأتي به نبي او ولي من الغيب وبين ما يأتي به المشعبذ بانه لا اشباع وعدمه ويعلم ان الحكمة في انفجار الماء من الحجر هو ان ظهور حقيقة
الحقائق في الاشياء ليس على وجه التجزي والانقسام وانما هو بظهورها بالكلية في كل شيء فالكل في الكل بالقوة بتفاوت ظهوره في الاشياء
بتفاوت ما فيها من القابليات فيظهر من تلك الحقيقة في الشمس ما يبسط الشمس بها وفي الذات ما يسع للذرة منها في البحر والقطرة
ما يسعانه منها وهذا معنى قوله كل شيء فيه معنى كل شيء وعلى هذا جاز ان يستخرج من الذرة ما فيه بالقوة من الشموس ومن القطرة
ما فيه بالقوة من البحور كما يستخرج من البيض الدجاج ومن النواة الشجرة فلا تكون في جواز انفجار العيون من حجر طوله ذراع في ذراع
في شك هذا وان في خصوصية الحجر وضربه بالعصا سرا يستدعيه الحكمة الالهية فان القدرة والحكمة تأبى ان يظهر شيء من القوة الى الفعل
الا بواسطة سبب من الاسباب بشابة امر من الامور العادية فغاية الامر الخفي في الاعجاز ان يظهر على يده شيء من غير ان يكون له سبب عادي
واما ترك السبب بالعادة بالكلية فلا يتصور وان كان مسنا بسنة الله تعالى وجاريا على مقتضى حكمه ورعاية امر العادة وحق السمة في
الحجر والعصا هو ان الماء يعتاد خروجه من الحجر قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ويحتاج الى نوع من الضرب كما في المشهود وان
الحجر مستودع مادة الماء لانه متكون من الماء فان اصل عالم العنصريات الماء فهو قابل لانفجار الماء منه والعصا فيه صورة التأثير تكون
وصف السياسة تفجر التبرص بينهما في استخراج الماء جريا على سنة الله تعالى في الجمع بين القابل والفاعل في استفتاح النتائج في الآفاق
والانفس ولن تجد لسنة الله تبديلا ومن جملة تلك السنة في الانفس انه لما استسقى موسى الروح من ربه ماء الفيض العلي بجود
اعضائه العطش في تيه البشرية امره بضرب عصا النفس الناطقة التي هي محل اعتماده والة الهش على غنم جوارحه على حجر الدماغ
الذي هو مستودع ماء العلم فانفجرت بتأثير الفاعل في القابل اثنتا عشرة عينا من مياه القوى المدركة اعني المشاعر العشرة و
قوتا العاقلة النظرية والعملية قد علم كل عضو من الاعضاء مشربه من تلك العيون لم يتخط الى غيره فشرب العين من مشرب ماء القوة
الباصرة والاذن من منهل قوة السامعة الى غير ذلك واختص القلب لبرزخيته بين لطائف العالم الانسانية وكثائفه بمشربي
العاقلة النظرية والعملية كلوا واشربوا من رزق الله الماء العلمي الذي رزقكم فاستخلصتم به مما تأكلون وتشربون من مآكل الدنيا
ومشاربها ولا تعثوا في الارض البشرية مفسدين بتعرض سخط الله تعالى وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ
وَاحِدٍ يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى ووحدته باعتبار انه لا يختلف ولا يتبدل ولذلك اجموه وهم كانوا
اهل الفلاحة فنزعوا الى اصلهم اشتهوا ما الفوه فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ فاسأل لنا من ربك يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا
تفسير وبيان وقع موقع الحال والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرى

قثائها

٣٧

وقثائها بالضم وهو لغة فيه قَالَ اي الله او موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى اردون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرى ادناه من الدناءة بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهْبِطُوا مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه
اذا خرج منه والمصر البلد العظيم وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود فَإِنَّ
لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ من ألوان الطعام وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه واليهود في غالب الامر
اذلاء ومساكين اما على الحقيقة او لتكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء
فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذَلِكَ اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيات الله بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من انزال التورية وفلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر ويقتلون النبيين بغير الحق قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به
جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ يتمادون في
العصيان اي جرهم العصيان والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب تؤدي الى ارتكاب كبارها
كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها تذكرة هذا حال من لم يرض بقضاء الله ولم يشكر لنعمائه ولم
يصبر على بلائه الى نفسه بالخذلان ورده الى مقاساة الذل والهوان فيلقي جلباب الحياء ويقطع حبل الوفاء بسكين
الجفاء ويبيع بسفك الدماء وانما اصاب بني اسرائيل ما اصابهم لكونهم متوغلين في انهم لم يرضوا لانفسهم بطعام واحد ولم يكتفوا بمعبود
واحد حتى قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فاجعل بالك فان نفسك انس لما بها من خسة الطبع وسوء الوهم لا يصبر على طعام
بطعمها ربها الواحد من واردات الغيب يشتهي ما تنبته ارض البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية واخذ من ابن بصل
الحق من حضيرة قدس الروحانية الى مقام كثافة الجسمية فيضرب عليك الذلة اللازمة لاتباع الشهوات والحرص في المقتنيات ويحملك الى دوام سكنى
الجهة السفلية فتستحق البعد والطرد بالاحتجاب عن الآيات وقتل انبياء القلوب والاباءات لغيبتها العياذ بالله من ذلك إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
بالسنتهم يريد به المنافقين بدين محمد صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ هَادُوا تهودوا اي دخلوا في اليهودية ويهود من هاد يهود كانهم سموا باسم
اكبر اولاد يعقوب عليه السلم وَالنَّصَارَى جمع نصران والياء في النصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم نصروا مع المسيح
او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران وَالصَّابِئِينَ قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وصاروا عبدة الملائكة او
الصابئ الخارج وقرأ نافع وحده بالياء مرضيا اذا مال لانهم خرجوا من دينهم وقالوا من الحق الى الحق مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
صَالِحًا اي من آمن من هؤلاء الكفرة ومن المؤمنين بالسنتهم اي دخل فيهم الايمان الحقيقي بالله واليوم الآخر ودخل في الاسلام بالعمل الصالح
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ حين يخاف الكفار من العقاب وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يحزن المقصرون على تضييع العمر
تفويت الثواب قال اهل الطريق لهم اجرهم عند ربهم في مقام العبدية والوصول ولا خوف عليهم من حجاب الانانية والاثنينية

تان بها ينقطع الطالب عن المطلوب ويحجبه بحجب المحب المحبوب ولهذا قال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان الولي من اخرجه الله
من ظلمات الانانية والاثنينية الى نور الوحدة والهوية كما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى عم والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل عم بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي ورجاء منكم ان تكونوا متقين
وجاز ان يكون متعلقا بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد
اخذه باستيلاء قوة الطبيعة فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوفيق للتوبة او بارسال محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في زمان الفترة تذكر ثم لتجد كل احد ان يعامل مع الله هذه المعاملة يعني الحق ميثاقه في بالميثاق
الامتثال بالاوامر والنواهي اذا اخرجهم الوالي برحمتهم بطور السياسات الشرعية فاذعنوا لها ثم بالتكليف ثم اذا انتهزوا فرصة تولوا عن الوفاء
كانوا لكن قال فيهم اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكيف لا يحذرون عن الاصرار على المعصية بالرجوع عن الميثاق والاعتداء في العهد
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا ان يجردوا يوم السبت للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها
ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه من الماء واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
من البحر وكان الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين الصورة القردية والخسوء وهو
الصغار والطرد ... صورة الامر والمراد به سرعة التكوين فانهم صاروا من حينهم كذلك قال مجاهد ما مسخت صورهم لكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها نكالا اي
المسخة عبرة تنكل المعتبر وتمنعه من الاتيان بمثل ما اتوا به ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها للعاصرين لهم ومن بعدهم من الذين تنحى
عن ... السياسة وموعظة للمتقين المنتهين عن الموعظة والمراد انا المتقون من قومهم او كل متق سمعها الى يوم القيامة تنبيه
اعلم ان الناس لو اهملوا وتركوا وخلي بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا في اللذات الجسمانية والغواشي الظلمانية بسبب اعتيادهم بها من
الطفولية والصبى حتى نال استعدادهم وسقطوا عن رتبة الانسانية فمسخوا وان حوفظوا بالسياسة الشرعية والحكم والاداب والمواعظ
والوعد والوعيد ترقوا وتنوروا فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها في الاوقات المعينة ليزول عنهم ما ادرن الطباع
المتراكم في اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة ... واعتدال الاشتغال بالاشتغال الديني في ساعات اليوم والليلة بالصلوات
الخمس المزيلة للكدورات الحاصلة في الخمس ووضع بازاء وحشة تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بالاشغال والمكاسب اجتماع يوم واحد
على العبادة والتوجه لتزول وحشة التفرقة بانس الاجتماع فوضع لليهود السبت وللنصارى الاحد ولهذه الامة الجمعة ومن لم يراع هذه
الاوضاع والمراقبات اصلا نال نور استعداده فمسخ كما مسخ اصحاب السبت حيث اعتدوا في سبتهم بالانحطاط عن العالم العلوي

الانساني

الانساني الى الافق السفلي الحيواني وهو معنى قوله كونوا قردة خاسئين واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
اول هذه القصة واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت هذه القصة عليها لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر
والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصتها انه كان فيهم شيخ موسر وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه
موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه بفنائهم ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل فجحدوا واشتبه الامر فامرهم الله ان يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء قالوا ذلك استبعادا لما
قاله موسى عم واستخفافا به وقرأ حمزة بالسكون وحفص عن عاصم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ
في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وحقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا
به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا
بكر لا مسنة ولا فتية وتركب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر
فحق اضافته بينا ... الى متعدد روي انه عليه السلم قال لو ذبحوا اي بقرة شاؤوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وفيه دلالة على ان المأمور بالذبح لم يكن بقرة معينة ويريد ذلك تقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء
فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واسناد الفاقع الى اللون وهو
صفة صفراء لملابسته بها وفي ذلك زيادة تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها تسر الناظرين اي تعجبهم بحسنها و
السرور وكان سيدنا علي نبينا وعليه التحية والسلم يلبس النعل الصفر ويقرأ الاية وهذا هو السر في تحريم لبس الثوب الاصفر تحرزا عن
فرط الفرح وزيادة الانبساط في الطبيعة فان ذلك يلهي النفس ويطربها ويزيدها في مهاوي الهوى قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد ان البقر تشابه علينا اعتذار عن ذلك التكرير اي ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر وتشابه بالتاء ويشابه بالياء وتشابه بطرح التاء وتشابه بادغام التاء في
الشين بالتذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة ومتشبه و
انا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب ولا لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية للتاكيد وقرئ لا ذلول
بالفتح اي لا ذلول حيث هي كقولك ... تسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها من وشاه وشيا اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة و
حقيقتها الان وقرئ الآن بالمد على الاستفهام ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا له

المعونة

البقرة المعنوية فذبحوها **وما كادوا يفعلون** اى ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجا الى الفعل وانما قال ذلك اما لتنزيل كثرة مراجعاتهم منزلة عدم ارادة الفعل او لانهم ارادوا ذلك لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمن البقرة المعنوية اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم استودعكها لابنى حتى يكبر وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير **تاويل** البقرة هى النفس الحيوانية وذبحها قمع هواها التى بها حياتها ومنعها عن افعالها الخاصة بسكين الرياضة ووصفها بانها لا فارض ولا بكر اى غير مسن لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها لعادتها كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد ولا فتية لقصور استعدادها عما يراد منها وعسر تحملها الرياضة لعدم تكامل قواها عوان بين ذلك بين نقصد الشيخوخة ورعانة الشباب ثم وصفها بانها صفراء وذلك ان لون الجسم اسود لعدم النورية ضد لون النفس الحيوانية اخضر لظهور النورية فيها مع غلبة السواد عليها لعدم ادراكها ولون اللطايف الروحية ابيض لتجردها عن سواد الجسم وقوة ادراكها فلزم ان يكون النفس الحيوانية لمجاورتها اللطايف الروحية اصفر بغلبة البياض على الخضرة فاقع لونها لصفاء استعدادها وشعشان نور القلب عليها تسر الناظرين لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على استعداد لوجوب محبتهم المستعدين وسرورهم بحضورهم ثم لما اشتبه عليهم البقرة الموصوفة بهذه الصفات لكثرة اصناف وعدم كون كل مستعد طالبا كما قيل ما كل طبع قابل طالبا ولا كل طالب صابرا ولا كل صابر فى الجهاد وصفها بانها بقرة لا ذلول لا يحمل الذلة فتثير ارض الحرص على الدنيا بما وجهه عند الخلق فيذهب ماء وجهه ويكون ممن قيل فيه من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب ولهذا الوصف معنى آخر وهو انها غير مذللة منقادة لا وامر الشرع تثير ارض الاستعداد بالاعمال الصالحة ولا تسقى حرث المعارف والحكم التى فيها بالقوة بماء العلوم الكسبية والافكار الثاقبة فعلى الاول الذلول بمعنى الذليل ضد العزيز وعلى الثانى ضد الصعب وعليه قوله عليه السلم طوبى لعبد ذلت نفسه وحسنت خليقته وانفق من فضل ماله والمعنى على الاول ان المامور بالذبح هى النفس العزيزة واما الذليل فلا لياقة له لذلك وعلى الثانى ان المامور بالذبح النفس الصعبة اما الذلول فلا حاجة لها اليه وقوله مسلمة على التاويل الاول بمعنى مسلمة عن عيوب النفوس المنغمسة فى طلب الزخارف المتهالكة على جمع الحظوظ الفانية وعلى الثانى المستسلمة لاوامر الشرع ولواهبه وقوله لا شية فيها اى لا يخالطه لون طلبها لون الزيد والغيور فان مثل ذلك من الطالب يسحق الوصول الى المطلوب فذبحوها وما كادوا يفعلون يشير بذلك الى ان ذبح النفس مقتضى الطبيعة الانسانية من ذبحها من الصادقين بسيف الصدق وكان ذلك من فضل الله وحسن توفيقه **واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها** وقع نيكم قتل نفس ثم تدافعتم فيها اى دفع قتلها كل عن نفسه الى صاحبه **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهر ما كنتم تكتمون فيها من القتل **فقلنا اضربوه** عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على التاويل بالشخص او القتيل **ببعضها** اى البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها يعنى القلب واللسان وقيل بلسانها وقيل بذنبها وقيل بعجب الذنب **كذلك يحيي الله الموتى** كلام يدل على ما حذف اختصارا اى فضربوه فحيى فاخبرنا بقاتله كذلك يكون احياء الموتى والخطاب لمن حضر حياة القتيل او لمن حضر نزول الاية **ويريكم آياته** دلايله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس يقدر على احياء النفوس كلها وسر الاشتراط بالشروط المذكورة دون ان يحييها اسور **منها** استنان التقرب الى الله بتقديم قربان عند نزول

الخطاب

الخطاب ودفع الحاجة الى الحق فى كشفها **ومنها** انتفاع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد **ومنها** التنبيه على ان الحق نعم لا يمضى ما اقتضاه قدرته الا بمشاركة ما تستدعيه حكمة من التسبيب للاسباب فانه تعالى منزه من ان يعطل شيئا منها عما اقتضاه لا سيما حكمته الباهرة المبنية عليها امر الايجاد **تاويل** القتيل هو القلب الروحانى وحيوته فى قتل النفس الحيوانية وتدارؤهم اختلافهم فى ان القاتل كان من الشيطان ام من الدنيا ام من النفس الامارة بالسوء فامروا بقتل النفس وضرب القتيل القلب ببعضها وجعل ذلك سببا لحيوة الميتة من اراد حيوة قلب وقلبه فليذبح بقرة نفسه بسيف المجاهدة ليحيى قلبه بانوار المشاهدات وكما ان القتيل ضرب بلسان البقرة حتى حى باذن الله وقال قتلنى فلان كذلك نضرب بلسان النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب ابدا ومثال ذكر ليحيى القلب بنور ضوئه وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء **كذلك يحيي الله الموتى** كما احيى الشيخ الاسرائيلى المقتول حتى تداروا فى قتله بضرب ذنب البقرة المذبوحة ليحيى ويشهد على قاتله كذلك نقول الحق نعم يوم القيمة للموتى النفس الحيوانية اذكروا اذ قتلتم نفسا النفس الناطقة السيماء بالقلب اى قتلتم الحقيقة الانسانية باضاعة عمد حيوتها التى هى رضاء المعبود والعقوبة بنعيم دار الخلد فادارأتم فيها فمنكم من احالها الى الشيطان ومنهم من احالها الى الدنيا ومنهم من احالها الى قرينها السوء فيامر بضربه ببعض بقية البدن الدنيوى المذبوح بسكين الاجل عن المقتول كالقلب غير الوجه الزمنى وذلك البعض هو عجب الذنب الذى تنشا منه النشاة الاخروية كما روى فى الخبر عن النبى صلعم كل ابن آدم تاكله الارض الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب فمعنى الضرب هناك ان يضرب على تلك اللطيفة الانسانية من بعض بدنها الدنيوى فيه فيركب بذلك نشاته جسما وروحا فيحيى بذلك ويشهد على قاتله الذى هو النفس الحيوانية الامارة بالسوء ويقظ بذلك سر تاخير قوله واذ قتلتم نفسا عن مقامه وهو ان يكون القصة تماما موزونا بها القصة الاخروية جامعا بين الحكم دنيا ما هو حجة عليه ليكون انفى للانكار وادخل فى المجاز الى الاقرار كذلك يريكم آياته الدالة على حقية الاحياء فى الاخرة لعلكم تعقلون لكى تستعملوا قوتكم العاقلة فى تحقيق الامور الى ان تبلغ مبلغا تستكشف بها امثال تلك الدقائق الخفية عن اوهام اكثر الناس **ثم قست قلوبكم** القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار **من بعد ذلك** يعنى احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب **فهى كالحجارة** فى قسوتها **او هى اشد قسوة** منها وقرى اشد بالفتح عطفا على الحجارة يعنى او كمثل اشد قسوة من الحجارة فاو بمعنى بل كما فى ارسلناه الى مائة الف او يزيدون وانما جاز الاضراب بل فى كلام الله تعالى لانه اضراب عما غلط فيه غيره بالحزر والقياس فالمعنى انها يجب ان يحزرها الناس كالحجارة وهى اشد قسوة **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء** من غير ان يجرى بل يدوم راكدا **وان منها لما يهبط من خشية الله** تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما ينفجر منه الانهار ومنها ما يتشقق فينبع منه الماء ومنها ما يتردى من اعلى الجبل من غير سبب ظاهر بل انقيادا لامر الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله **وما الله بغافل عما تعملون** من اعمال اهل القساوة وقرا ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده من صيغة الخطاب **تبصرة** قال ارباب التحقيق اشار بقوله ثم قست الى حالات القلوب بعد الصفاء الفطرية ولما يعرض بها القسوة بالتعلقات البشرية واشار بقوله فهى كالحجارة او اشد قسوة الى ان قسوتها على وجهين احدهما قسوة كقسوة الحجارة والثانية قسوة فوق قسوة الحجارة فالذى قسوته فى رتبة قسوة الحجارة فمنها

ماهو كالحجارة التي يتفجر منها الانهار وهو القلب الذي تنور بالنور الالهي مستغرقا في البحر العلمي فانفجرت منها انوار العلم كقلوب اهل اليقين
ومنها ماهو كالحجارة التي يشقق فيخرج منها الماء فيحفظ انها لمكانه وهو القلب الذي اوتي من العلم تحفظا ودعى فانتفع به الناس كقلوب
العلماء الراسخين ومنها ماهو كالحجارة التي تهبط من خشية الله وهو القلب الذي خشع وانقاد واستسلم واطاع كقلوب العباد والزهاد
من المسلمين واما القلب الذي قسوته فوق قسوة الحجارة فهو القلب الذي لا يتلين بالخوف ولم يتأثر بالعلم لتردده واستكباره وهي قلوب الكفار
ومثله مثل الحديد التي لا تلين الا بالنار وهذا الوجه هو الموافق للقراءة الشاذة او اشد قسوة بفتح اشد عطفا على الحجارة و يكون
او على هذا التقسيم بان قسم الحق تعالى القلب بقسمين قسم كالحديد مثلا وقسم كالحجارة باقسامها الثلاث فانه يكن في فوايد الشواذ على
ثقة تنبيه نسبت الخشية الى الحجر فيه اعلام ان الجماد بمبدايه حي بالحيوة الذاتية ولولا الحيوة والعلم لم يكن مسبحا ونعني بالحيوة
الذاتية الحيوة التي يكون صفة نفسية للشي لا يزول عنه مادام هو هي ولا يكون لحيوة ذوي الارواح من تركيب نشأتها من الحصة الملكية و
الملكوتية فيزول الحيوة عنها بالتفريق فللحي في مراتب الممكنات بالحيوة الذاتية شيان احدهما الاجسام والثاني الارواح المدبرة لها
قال الشيخ رضي الله عنه حيوة الجمادات ذاتية لها فحياتها الذاتية التي لا يجوز زوالها عنها فانها صفة نفسية لها تسبح ربها قال الحيوة
للارواح المدبرة للاجسام كلها الترابية والنارية والنورية كالضوء للشمس سواء فالحيوة لها وصف نفسي وما يظهرون على شي الا حي و
موتهم في القيامة ليس الا الصعق وقال الجمادات اعرف بالله من سائر المولدات وهي مصروفة بتصريف الله لا تصرف لها بنفسها ف
النبات وان خلق المعرفة مثلها فانها نزل عن درجتها بالنمو وطلب الرفعة بنفسه والجماد ليس له العلو في الحركة واذا رقي به الى العلو
وتركته مع طبعه طلب السفل وهو حقيقة العبودية والعلو نعت الهي فان هو العلي فالحجر هرب عن مزاحمة الربوبية في العلو فهبط
من خشية فلا اعلى في الاشياء من الجماد ثم بعده النبات ثم بعده الحيوان ثم بعدها الانسان الذي ادعى الالوهية فعلى قدر ما ارتفع عن درجة
الجماد يحصل له من ذلك الرفعة صورة بها عن اصله الذي هو العبادة فالحجارة عبيد محققون ما خرجوا عن اصولهم في نشأتهم سوى ان الله
تعالى جعلها المحل الحيوة بتفجر الانهار منها ومحل العلم باعطاء الخشية فانما يخشى الله من عباده العلماء فجمعت بين العلم والحيوة مع
اتصافها بالمساواة وذلك لحقيقتها في مقام العبودية فلا يزال عن ذاتيها لانها لا يحب مفارقتها موطنها لما لها من العلم والحيوة
افتطمعون الخطاب لرسول الله صلعم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم اي يحدثوا لكم الايمان والتصديق يعني اليهود وقد كان
فريق منهم طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه يغيرونه كنعت محمد صلعم واية الرجم او
بما يشتهونه من بعد ما عقلوه ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هؤلاء
ومقلديهم كانوا على هذه الحالة فاطمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين
امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين اظهروا الكفر منهم ولم ينافقوا عاتبين
على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلعم ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم
بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عند الله كما يقال عند كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل المراد عند
ذكر ربكم افلا تعقلون ذلك اما من كلام المعاتبين من اليهود والمعنى افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين

متصل

متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون اي هؤلاء المنافقون او اللايمون لهم
كلاهما حيث يتواصلون بينهم بانكار الحق واخفاء الحال عن المسلمين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها
ابطانهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاءهم ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ويعرفها بينوا هذا
احد معاني اعجاز القرآن حيث يخبرهم عن خفيات ضمايرهم ومخبآت سرايرهم وهم غافلون عن اطلاع بطايرهم لا يعرفون المعجزة ولا يؤمنون بها
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب التورية او لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء منقطع
٤٢١ اي لا يعتقدون الا اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لا تمسهم
الا اياما معدودة والاماني جمع امنية وهو ما يتمناه المرء ويقدره في نفسه ويطلق على الاكاذيب لقربها منه وان هم الا يظنون ما هم
الا قوم يظنون لا علم لهم فويل تحسر وهلاك وقيل واد او جبل في جهنم كانه سمي به لانه موضع جعل لاهل الويل للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولما كتبوه من التأويلات الزايغة بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا اي ليحصلوا به عرضا
من اعراض الدنيا فانه وان جل فهو قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف و
ويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما وذلك لانهم اعتقدوا ان زمان
العذاب يساوي زمان مباشرة الذنب ولم يعلموا ان الذنب اذا كان معتقدا فاستيثاب في النفس وهيئة راسخة فيها وصار ملكة كان
سببا لتخليد العذاب ولو لم يكن كذلك لما كان الطاعات ايضا سبب الخلود في دار الثواب قل اتخذتم عند الله عهدا وعدا بما تزعمون
وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام متصلة بمعنى اي الامرين كاين او ... فوكد على الله ما لا تعلمون على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل تقولون على سبيل التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا
ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم من كسب سيئة خصلة قبيحة والكسب استجلاب النفع وايراده في مورد الاقتراف
يعني استجلاب الضر واقع على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار هو كالمحاط
بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم يحط الخطيئة به
بالخطيئة ولذلك فسرها السلف بالكفر ومقابلته بقوله والذين امنوا مما يؤيده وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة
مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مايلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان
لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرأ نافع
خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها
في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا قال في بحر الحقايق الاشارة في تحقيق الايات ان بعض المومنين

بالعقل من الفلاسفة والطبايعية وغيرهم لفرط عقلتهم وغلبات مغالبطظنونهم فظنوا ان قبايح اعمالهم وفضايح افعالهم واقوالهم لا توثر في صفاء ارواحهم وبعيد احوالهم فاذا فارقت الارواح الاجساد يرجع كل شيء الى اصله الاجساد ترجع الى العناصر والارواح الى حظاير القدس ولا يزاحمها شيء من نتايج الاعمال الا اياما معدودة وذلك من فطام الارواح عن الكيان المتمتعات الحيوانية وهذا ظن فاسد وكفر صريح من تسويلات الشيطان وهواجس النفس لما يشاهد كل احد من ان استيفاء اللذات النفسانية تورث الاخلاق الذميمة والملكات الردية من الحرص والحسد والكبر والتكذيب تلك الاخلاق وان كانت من صفات النفس الامارة بالسوء الا ان القلب بمجاورتها يتدنس بها ويتكدر بها صفاوه فيتبدل اخلاقه الروحانية الملكية من المروة والصدق والعفة والحياء بالاخلاق الحيوانية والشيطانية فيستحق بذلك العذاب فوقها بحلوم فكذبهم الله فقال بلى من كسب سيئة واحاطت خطيئته الاية من اقترف ذنبا ظهر اثره على مراة قلبه بقدره رين فان صقل وجرم آيته بصقل التوبة فقد محى عنها ذلك الرين وان لم يتب واصر على سياته حتى احاطت بمراة قلبه رين سيات المتراكمة بحيث لا يبقى فيها الصفاء الفطري وخرج منه ضوء الايمان ونور الطاعات كان من اصحاب النار خالدا فيها والعياذ بالله من ذلك **والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** هذا على ما جرت عليه عادة الحق نقم على ان يأتي بوعد بعد الاشتغال بوعيد تاليفا للقلوب بحسن الدعوة وتعديلا للنفوس في القيام بحق الخوف والرجاء وفي عطف العمل على الايمان دلالة على خروجه عن مسمى الايمان وان كان داخلا في كمال الايمان والكلام فيه مستوفى في مقامه **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله** اخبار في معنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو خبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بحكاية ما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب والاشارة فيها ان من شرط العبودية تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل معبود من هوى او حظ اخلاقا او استحلال ثناء اذا استجلب بطاعته الى نفسه حظا من حظوظ الدنيا والاخرة او داخله بوجه من الوجوه من رجا او شوبا او ظن ان نجاته بعمله فهو ساقط عن رتبة الاخلاص **وبالوالدين احسانا** متعلق بمحذوف تقديره وتحسنون **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو من الانسان ولد فقد اخذ اصله ومن البهايم ما فقدت امه ومن الدرة ما فقد اختها ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** اي حسنا وسماه حسنا قرا عليه حمزة والكسائي ويعقوب بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ان يامر بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله تعالى ويهديهم الى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم اليهودية **ثم توليتم** خطاب على طريقة الالتفات اي اعرضتم عن الميثاق **الا قليلا منكم** يريد به من اقام دينه على وجهه قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون** قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة قال اهل التحقيق واذ اخذنا ميثاق على بني اسرائيل عاهدناهم بالتوحيد مقتضى التوحيد ملاحظة الحضرة الربوبية ومشاهدة تجلياتها في مظاهرة والقيام بحقها

على حسب ظهور اوصافها واقلها من يظهر عليه صفات الربوبية واثارها في عالم الشهادة هما الوالدان لكان السببية والتربية والعطوفية التي هي اثار الموجد الرب الرحيم فيهما له فالاحسان اليهما بجانب يلي عبادة الله بل هو نفس عبادة الله بحسب ظهوره في مظهرها ثم ذوي القربى لظهور المواصلة والمرحمة الالهية فيهم بالمنسبة اليه ثم اليتامى لاختصاص ولاية وحفظ نعمهم فوق من علاهم اذ هو ولي من لا ولي له ثم المساكين لتوليته رعايتهم بنفسه بلا واسطة غيره ثم ساير الناس للرحمة العامة بينهم التي هي ظل الرحمانية فالاحسان المامور في الاية على درجاتها وتفاضلها في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله تعالى مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها واحكامها **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم** نهي في صورة الاخبار على نحو ما سبق والمراد به لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او لانه يوجب قتل نفسه قصاصا والمراد لا تفعلوا ما يرديكم ويمنعكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تعرضوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي **ثم اقررتم** بالميثاق واعترفتم بلزومه **وانتم تشهدون** توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار والشهادة عليه والجملة خبر انتم وهؤلاء تاكيدا وهو لا اخبر على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون والجملة حال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ تقتلون على التكثير **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين والباقون بادغام التاء في الظاء وقرئ باظهارهما وتظاهرون بمعنى تتظاهرون **وان ياتوكم اسارى تفادوهم** وذلك ما روي ان قريظة كانوا خلفاء الاوس والنضير خلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر واحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى او اسارى جمعه كسكرى وسكارى وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم **وهو محرم عليكم اخراجهم** متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان والجملة بعده تفسير له **افتؤمنون ببعض الكتاب** يعني الفداء **وتكفرون ببعض** يعني حرمة المقاتلة والاجلاء **فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا** كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه **ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب** ب
لان عصيانهم اشد المعاصي وقيل يردون على الخطاب موافقة لقوله منكم **وما الله بغافل عما تعملون** تاكيد للوعيد وقرا ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة** اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة **فلا يخفف عنهم العذاب** بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة **ولا هم ينصرون** بدفع شيء منها عنهم قال اهل التحقيق **واذ اخذنا ميثاقكم** اي في عهد الست بربكم **لا تسفكون دماءكم** بامتثال اوامر الشيطان في استيفاء الحظوظ النفسانية وترك حيوتكم الاصلية وخواص افعالكم **وتخرجون انفسكم من دياركم** اي ذواتكم اي مقاركم الروحانية

والروضات القدسية ثم اقررتم بجبولكم لذلك وانتم تشهدون عليه باستعدادكم الاولية وعقولكم الفطرية ثم انتم هؤلاء الساقطون
عن الفطرة المحتجبون عن نور الاستعداد الاصلي تقتلون انفسكم بغوايتكم ومتابعتكم الهوى وتخرجون فريقا منكم من ديارهم او طانهم
القدسية الاصلية باغوائهم واضلالهم وتحريصهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى تظاهرون سعاودون عليهم بالاثم بارتكاب
الفواحش لبعدكم بكم عنها والعدوان اى بالاستطالة على الناس ليصل اليهم ظلمكم عليهم والزامكم اياهم رذايل القوتين البهيمية والسبعية
كما هو عادة ملاحدة المسلمين من اهل الاباحة المدعين للتوحيد وان يأتوكم اسارى في قيد تبعات ما ارتكبوها وشين افعالهم
القبيحة اخذتهم الندامة وعيرتهم عقولهم وعقول ابناء جنسهم بما لحقهم العار والشنار تفادوهم بكلمات الحكمة والموعظة والنصيحة
الدالة على اللذات المستعلية عن اللذات العقلية الروحية وان عاقبة اتباع الهوى وخامة مشاركة البهايم والهوام في افعالها فاذا
رءوية فيتعظوا ويتخلصوا عن قيد الهوى برهة من الزمان من غير ان يكون لهم قدم صدق وثبات في ذلك كما هو المشاهد من حال علوج مدعي التوحيد
والمعرفة والحكمة وابتاعهم في كل زمان افتؤمنون ببعض الكتاب كتاب العقل والشرع قولا واقرارا فتفرون وتصدقون بان اتباع
الهوى والنفس مذموم موجب للوبال والهلاك والخزي وتكفرون ببعض فعلا وعملا فلا تنتهون عما نهيتكم عنه من استحلال المحرمات والمنهيات
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي افتضاح حاله في الحيوة الدنيا ويوم القيمة اى حال المفارقة التي هي القيامة الصغرى قبل القيمة الكبرى
يردون الى اشد العذاب الذي هو تعذبهم بالهيأت المظلمة الراسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها وما الله بغافل عما تعملون احصاها
وضبطها في انفسكم وكتبها عليكم كما قال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا
من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة واراد
بجبريل وقيل روح عيسى ووصفها بالقدس لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم يضمه الاصلاب والارحام
الطوامث وقيل الانجيل او الاسم الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالسكون في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه قال ابو البقاء الفاء ههنا لربط
ما بعدها بما قبلها والهمزة للتوبيخ استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع مراعاة للفواصل او لانه حكاية الحال من استحضارها في النفوس فهو لما سبب الحال الماضي ذلك
من اسم فضيلة او للدلالة على انهم بعد فيه لانهم كانوا معترضين قتل محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سحروه وسموه بالشاة قال في بحر الحقائق
الروح ههنا هو النور الاعظم من الله نعم يحيي به من يشاء من عباده ويجبر به من فيكون محفظا بتلك الحبة من سائر الناس كقوله نعم او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا اى من ذلك النور وقال نعم كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح القدس منه اى بنور منه واما اضافة الروح الى القدس فمعنى نور
الله المقدس عن وصمة الحدوث والاشارة في قوله ففريقا كذبتم هوانا وصلنا لهم الخطاب وارد فنا رسولا بعد رسول في الحج والى
ولكنكم اصغى الى دعائهم بسمع الهوى فما استلذته نفوسهم قبلوه وما استثقلته اهواءهم جحدوه وهذا حال اكثر البطالين الذين تشبهوا
بالطالبين الصادقين بعضهم بالزي واللباس وبعضهم بالعلم والوعظ لاقتناص قبول الناس في زماننا هذا من اهل البصيرة من المشايخ الواصلين

والعلماء الراسخين يصغون الى كلماتهم واشاراتهم بسمع الهوى فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استكرهته اهواؤهم واستقبحتهم عقولهم
العادية ردوه ورداءه طردهم بل طعنوا فيه وسفهوا عليهم جهلا بحالهم ونكرة بمقالهم فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب
ويقاتلون فريقا بالجدال واثارة الفتنة حسدا وانكارا وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به
نعهمه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم لا تسع علما الا وعته
ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او كونهم ملعونين من الله ابن لهم دعوى العلم والاستغناء عنك
فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم
اى لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وهو الحق لان الكافر ما لم يكن ملعونا نوحي ايمانه فلما ادركها اللعن وصيرهم صم بكم عمي انقطع الرجاء عن ايمانه
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على
الحال من كتاب وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر في موضع المضمر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم بئس شيئا باعوا به انفسهم او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اى كفروا طلبا لما ليس لهم وحسدا ان ينزل الله الله
لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر
والحسد على من هو افضل الخلق وللكافرين عذاب مهين اى عذاب يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه مطهرة لذنوبه
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة بامرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما
وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر من التواري وهو من الاضداد يقال وراء لكل بعض خلفك باعتبار انك تتوارى به وبعض
قدامك باعتبار انك تتوارى به وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما
كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع
ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسند اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به وقرأ نافع وحده انبياء الله
مهموزا في كل القرآن نكتة اذا قيل للمنكر يا عتقد مواهب الحقاني التي اهداها الله اولياءه من اسرار القرآن وحقائق معانيه وهي
مقررة بالبراهين من الآيات والاخبار والآثار المنقولة عن المشايخ المتقدمين سمح بانفسهم بعض التمس منهم مما يوافق عقولهم وقالوا
نعتقد القرآن ولا نعدل لظاهره انتم تنكرون بما وراء حظوظهم مع انه الحق من انهم محققا لما معهم فقل لهم لما تجادلون اولياء الله ان كنتم تعتقدون
القرآن فان ما ينطق به الاولياء فهو من اسرار القرآن وحقائقه فالذي ينكرها لا يكون معتقدا للقرآن حقيقة والمقاتلة مع الاولياء يكون

كالمقاتلة مع الاولياء فانهم ورثة الانبياء وقد قال الله تعالى من عادى وليا فقد بارزني بالحرب وانما اغضب كما يغضب الليث الحرد

ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل

الها من بعده من بعد مجيء موسى بالنبوة او من بعد ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او اعتراض

بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة

اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة

واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وا

شربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي

قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن

في قلوبهم ما سول لهم السامري وحلوليه ومع منه الحق اي على وجه غير معتاد فتمكن في وهمهم ما اعتقدوه من حلول الحق تعالى في الاجسام تعالى

عن ذلك علوا كبيرا قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف اي القبائح المذكورة في الآيات ان كنتم

مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح وما رخص لكم فيها ايمانكم بها

قال ارباب الطريقة ان الانبياء يدعون العباد الى التوحيد وافراد معبود عن كل مشهود ومحدود ومعدود ولكنهم لم يجيبوا الا الى عبادة

ما يليق بنظرهم وخستهم فقوم عبدوا الصنم وقوم عبدوا العجل وقوم عبدوا الهوى وقوم عبدوا الدنيا وانهم لم يظلموا الا انفسهم لوضعهم

العبادة في غير معبودها مع ان الله تعالى اخذ ميثاقهم بعبوديته من غير شرك ورفع فوقهم طور الامانة التي عرضنا على الانسان في الميثاق

الاول وقال خذوا ما آتيناكم من خطاب الست بربكم بقوة بشوق وصدق جواب بلى واسمعوا الخطاب بسمع الاجابة في الثبات على

العبودية قالوا سمعنا وعصينا اجبنا بالقول بالثبات ولا استقامة عليها واشربوا في قلوبهم عجل الدنيا بكفرهم بردتهم اقدامهم

عن صراط العبودية بالميل الى الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة كما ان الكفر رأس كل خطيئة قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان تعبدوا عجل

الدنيا ان كنتم مؤمنين حقيقة لا مجازا بالرسم والعادة قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم

كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا من دون الناس سائرهم او من دون المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين

لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التوجه اليها والذار المشوب بالآلام كما قال سيدنا علي على نبينا وعليه السلام جزى الله

الموت خيرا به وقال عمار رضي بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان بلال حين احتضر وكان اهله ينادي واكرباه يقول

هو واطرباه هذا مع ما لهم من خوف الخاتمة فكيف من زعم ان الجنة سالمة لا يشاركه فيه غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم

من موجبات دخول النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية والمراد بايديهم انفسهم فان اليد لما كانت مختصة بالانسان آلة

لقدرته عبر بها عن النفس تارة وعن القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا النقل عنهم واشتهر فان التمني

من عمل القلب لا يخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب عينا وعن النبي عليه الصلوة والسلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان

بربعة

بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم

ونفيهم اياه عن غيرهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة تنكير الحيوة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرى بالالف واللام

ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف

لدلالة المعطوف عليه وافراد المشركين بالذكر لان حرصهم على العمر شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة ولكنهم احرص منهم لان المشركين وان كان

حريصا على الحيوة لاستيفاء اللذات العاجلة ولكن ليس لخوف العذاب لانكاره للبعث فيكون القابل بالبعث احرص لخوفه العذاب او الزيادة

في التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار يود احدهم

بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف واحتمل ان يكون صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء ويكون من الذين اشركوا

خبره والتقدير ومن الذين اشركوا ناس يود احدهم لو يعمر الف سنة اي يعمر الف سنة فان لو بمعنى ليت لكن بعد فعل المودة بمعنى ان وعلى هذا

التقدير يكون المراد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله وما هو بمزحزحه مبعده من العذاب ان يعمر الضمير

لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي ما احدهم بالذي يزحزحه من النار تعميره او الضمير لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه واصل سنة سنهة

على سنوات والله بصير بما يعملون فيجازيهم عليه نكتة من علامات الاشتياق تمني الموت قال بعضهم اقتلوني يا ثقاتي ان في

قتلي حياتي ومماتي في حياتي في حياتي وحب الحيوة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله تعالى فاشدهم غفلة احرصهم للبقاء في الدنيا فالعبد المطيع يحب الرجوع

الى سيده والآبق لا يريد الرجوع اليه وفي الحديث الصحيح من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فان قلت

اليس كل احد يكره الموت بطبعه قلت كراهة الطبع للموت لا تقدح في هذه الفضيلة فان الانسان لاشتماله على الحقيقة المختلفة

جاز ان يكون راغبا في شيء من وجه كارها له من وجه آخر ككشارب الدواء المر للشفاء فانه راغب فيه بعقله وان كانت طبيعته متنفرة

عنه وكذا المؤمن حيث انه منزه عن المؤلفات الى ان يغلب امر عقله على مقتضى طبعه بحيث حكم عقله فيؤثر الموت على الحيوة لكن يؤثر

المنفعة لاجله في سبيل الزاد المرعى الراجح الحاجة في تركه وفي الخبر ان من قرأ سورة الاخلاص في اول النهار وكل الله به

ملكا يدفع عنه الموت في نهاره الى الليل ومن قرأها في اول الليل فعلى ذلك فيكون العبد على ذلك اذ قرأها ليلا ونهارا الى ان يبلغ الى اجله

الموعود الذي لا يؤخر فيأتيه ملك الموت فيقول له الموكل له اخل بيني وبينه فان الحق تعالى وكلني به لادفع عنه الموت فيقول ملك الموت

انا ما جئت الا بحيث بعثني الله به لا بشروى ثم احيره بين الحيوة والموت فيأذن له الملك الموكل به في ذلك فيقول ملك الموت ان الله تعالى

بعثني اليك لاخيرك بان الله عنك راض فان شئت امهلتك في حيوتك وان شئت قبضت روحك فيقول المؤمن ما كنت بآكل الى

الآن في لم اكن مشتاقا مرضاة ربي فاذا كان الامر على ذلك فعجل في راحة نفسي عن هذا المضيق فيقبض روحه برضاه فان قلت اليس

طلب طول العمر قد ورد في الاخبار والآثار فما وجه تمني الموت للمؤمن مع ذلك قلت تمني الموت للمؤمن ليس بمقام له حتى يكون

مداوما عليه انما هو ثمرة الشوق والشوق حال يطرء ويزول عن قريب فلعل من اذا اخذ الشوق بمجامع قلبه وذكر موطنه في

حضرة القرب القدس ومنى من الحق تعالى التخلص عن مضيق عالم البشرية وسجن المهاوي الدنيوية ثم اذا سرى عنه تلك الحالة ونظر الى

٤٢

فرطانة فيما مضى من عمره وتقصيراته فيمكان حريا بان يطلب من الله تعالى المهلة وطول البقاء في دار الكسب لا لاستيفاء حظه من الحظوظ الاخروية
بل لاكتساب ما يرضى به ربه ويجعله ذريعة لوصول حضرة الربوبية وفقنا الله تعالى وجميع المسلمين لاكتساب ما يرضى ربنا من الطاعة واعاذنا
عن اقتراف ما يسخطه من المعاصي امين قل من كان عدوا لجبريل نزلت في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل اليه فقال جبريل
فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلم فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو الله ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة
حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ
جبرائيل وجبرائل وجبرين ومعناه عبد الله فانه نزله القرآن واضماره من غير ذكر يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم
يحتج الى سبق ذكره على قلبك كان حقه ان يقول على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او
كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم عليه مقامه وقيل
الجواب محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله
عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وافراد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر
والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب
لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا
نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بتبصره معجزة كل نبي كان ظهورها في مشهد
كاحياء الطيور لابرهيم عليه السلام والعصا واليد بيضاء لموسى عليه السلام فكان بزوال عبوره الزمان وكانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم انزال الايات البينات
القرآنية التي يتجدد سماعها عن حاملها في اوقات الازمان والاحيان فيكون اعظم المعجزات قدرا وفيها تراءى هداية الناس كما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما اوتيته وحي اوحاه الله تعالى الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة فالايات البينات هي ما جمعته القرآن من المعجزة الباهرة من جزالة اللفظ وبلاغة النظم
وايجاز الكلام مع اشباع المعنى والاشتمال على فحاوى جميع الكتب المنزلة من المواعظ والحكم مع ما خلت عنه تلك الكتب ببسطها

سعتها

وسعتها وان الله تعالى قد اكمل بها الدين واتم به نعمه على عباده من احكام الشريعة وآداب الطريقة واسرار الحقيقة بحيث لم يترك دقيقة يحتاج
اليها الكاملون الواصلون السالكون في اثناء سلوكهم وسيرهم الى الله تعالى الا اودعها فيه كما قال تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
ما فرطنا في الكتاب من شيء فما يكفر بتلك الآيات البينات الا الفاسقون الذين خرجوا من نور الروحانية الى ظلمات البشرية الحيوانية وسدت
عن الادراك بصايرهم وسبق من الله تعالى بالشقاوة قسمتهم فكما لا يعقل من بحجاب الحجاب النهار نهار فكذلك لا يدرك من لم يستبصر بانوار تلك
الايات وظن بهديها لاجرم كلما عاهدوا عهدا كان نسوا سابق التقدير لهم بعض عليهم لاحق التدبير منهم كما قال اوكلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ
الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون
او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفيا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية وراء ظهورهم مثل اعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء
الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني انهم علماء لكنهم يتجاهلون عنادا فيالهم من الخذلان والحرمان حيث كفروا
بآيات الله وكذبوا رسله ونبذوا عهده واتبعوا ما تتلوا الشياطين تقرؤها من كتب السحر على ملك سليمان اي في عهده كانت الشياطين
يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا الاكاذيب يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل
ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والطير والريح وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب
الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبذلك تميز الساحر عن النبي عليه السلام والولي فاما ما يؤتى
به من خوارق العادة واما سائر ما يتعجب منه من افعال اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية وما يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته
سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار ببابل بلد في سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين وقرئ بالرفع على تقدير هما هاروت وماروت
ولعل ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكين عابا على بني آدم في عصيانهم واستدعيا من الحق تعالى ان يؤتيهم على الناس فيقضيا فيهم بالحق فلما جاءهم
في ذلك فمثلهما بشرين وركب فيهما الشهوة على السنة التي اقتضت حكمته كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون فولاهما في الارض يحكمان بين الناس كما وافقه قراءة ملكين بكسر اللام فما مر عليهما شهر حتى افتتنا بزهرة فزنيا وشربا الخمر وقتلا
النفس وقد اوردنا قصتهما في نظم القصص على ابين وجه ولا نطيل كتابنا هذا بايراد القصص فيه فمن اراد فليقف عليها لئلا يفضي الى
الاملال على الكاتب والسآمة على القاري والمطالع فيتوه وما يعلمان اي هاروت وماروت السحر من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة اي محنة بتعجبه ونعقله لحق فتنة وابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عن عمله بقي على الايمان فلا
تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر غير ممنوع ولعل فائدة التمكن من الفرقة بين السحر والمعجز حتى تفطن
بذلك سحرة موسى عليه السلام فعرفوا ان امر موسى عليه السلام خارج عن طريق السحر فآمنوا به فدلهم العلم به على الايمان فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه

عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما خصه بالذكر لكونه اعظم ما يتضرر به الناس وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله ويتعلمون ما يضرهم لانهم
يقصدون به العمل ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اى اليهود
لمن اشتراه اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله ما له فى الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
يتفكرون فيه او يعلمون قبحه وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب و
اتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خير مما شروا به
انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية ليدل على ثبوت المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه
شئ لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او ترك العمل بالعلم قال فى بحر الحقائق الاشارة فى تحقيق
الآيات ان روح الانسانى فى اصل الفطرة كان مناسبا للارواح الملكية فى استماع خطاب الحق واستكمال الكمالات قبل هبوطه الى
العالم الجسمانى كما اجابه بقوله الست بربكم قالوا بلى فاخذ منهم العهد على هذا ثم نبذ ذلك العهد فريق منهم بعد هبوطهم الى
العالم الجسمانى بالتعلقات الجسمانية وتتبع اللذات النفسانية ولما جاءهم رسول من الهامات الحق مصدق موافق لما معهم من كتاب العهد
والميثاق عند استماع الخطاب نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله الذى الهموا الذى عاهدوا عليه وراء ظهورهم بترك العمل
كانهم لا يعلمون فى اصل الفطرة واتبعوا ما تتلوا شياطين النفوس به على ملك سليمان الروح الذى هو خليفة الله فى ارضه اى
ما حدثت به انفسهم من استهوته الشياطين وغرتهم به انه من سليمان الروح وما كفر سليمان الروح ولكن شياطين النفس والهوى
كفروا يعلمون الناس السحر من مخيلات الهواجس وموهمات الوساوس التى تملى النفس ببيان هو كالسحر لقوله عم ان من البيان لسحرا وما
انزل خذلانا وفتنة من العلوم الضارة من النافعة على ملكى الروح والقلب المتعلقين ببابل الجسد رؤسهما بالتفاتهما الى
السفليات هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوى الروحانى اهبطا الى ارض العالم الحيوانى بالخلافة مرتين
للحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة الدنيا وانخداعها فوقعا فى شبكة الشهوة التى ركبت فيهما ابتلاء ولى بحانا وشربا
خمر الشرع والمعقل التى تخامر العقل وزنيا ببغى الدنيا وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين رؤسهما بالالتفات الى السفليات و
اعراضهما عن العلويات ثم انهما لما انكسا عن استقامتهما وحرما من استماع خطاب الحق وكشف الحقائق والعلوم النافعة الموجبة
ابتليا بانزال اباطيل العلوم الضارة المؤدية الى النقص مثل شبهات زنادقة الفلاسفة على قدم العالم وسلب الاختيار عن الله تعالى
ونفى العلم بالجزئيات منه وامثال هذه الاباطيل التى زلت بها اقدام خلق عظيم فى الجاهلية والاسلام ومع هذا لما معهما من خصوصية
الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من القوى البشرية من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية حتى ينبهاه انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين مراء القلب وزوج دينه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اشارة ان الضار هو الله كما ان النافع هو الله تعالى
ولبئس ما شروا به انفسهم اى باعوا بالحظوظ النفسانية الحقوق الروحانية لو كانوا يعلمون غاية ما خسروا من دولة الايمان وسعادة العرفان والتقا
ونهاية ما يصيرون اليه من العقاب والحرمان ولو انهم آمنوا بما اعد الله لخواص عباده مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر ببال احد

ما يستمدون

ما يستمدون به الى استجلاب الحظوظ وترك الحقوق واثروا الاقبال على الله على ما يشغلهم عن الله تعالى لا يقبلوا على ما لهم فيه خير فخر للدارين فالهم
من خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه فسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن
او سبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهو راعينا فنهى المسلمون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى
انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير و
راعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الحمق لما شابه قولهم راعينا وسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا
الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود اذا سمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعنى
الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة
المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود و
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء والمراد بالخير الوحى او النصرة او ما يعمهما وغيرهما من الخيرات والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئ من يشاء ويعلم الحكمة ويؤيد بالنصرة من يشاء لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم لا يبعض مثقال
ذرة من بحر افضاله بان يفيض على العالمين سجال نواله وفيه اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله
بل لتخصيص مشيئته وما علم فيه من حكمة تقتضيه ايها الاخ الشفيق والرفيق الحقيق بسلوك الطريق التحقيق قد مر بك من اول
السورة الى ههنا قوارع الآيات التأكيد بسوء عاقبة المعاندين من اهل الكتاب لا ينبغى لك ان اردت الانتفاع بالآيات البينات
والاهتداء بالدلالات الواضحات ان تحمل مخاطبات الكفار من النصارى واليهود وقوم عاد وثمود والمعاتبات التى عليهم بالكلية
فتمشى عنها جانبا لا تنسب اليك شيئا مما سمعت عن زلاتهم ولا تشارك نفسك فى شئ من فضائح حالاتهم تعرض عنها فى تلاوتك خلى القلب
فارغ البال وتغتر ببراءة ساحتك عن مساويهم فى الافعال والاقوال بل عليك ان تتأمل فيما استوجبوا من التوبيخات والتقبيحات
وبعثهم اعقبته سوء صنيعهم من الطرد واللعن والعذاب والنكال فان الحق تعالى ما ذكر لنا حكاياتهم وما اظهر لنا مقابح افعالهم
ومفاسد نياتهم الا لان يكون لنا فيها تذكرة وفى سلوك طريق الحق تبصرة والعاقل من يتعظ بغيره وعليك ايضا ان تعتصم
بجوامع الكليات القرآنية وعزائم الآيات الفرقانية المسوقة فى الحكايات على معانيها المخصوصة بذلك المساق فتحترز عن بواطن
اسرارها وتحجب عن ادراك خبايا احدها ومطلعها ومن ذلك ان الله تعالى قرر فى قوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء على ما اقتضاه المساق
من ذم اليهود بالحسد على اهل الاسلام فى انزال الكتب وارسال الرسل كما مر آنفا بل عليك ان تعرف عن مساقه متكشفا عن
حقيقة معناه مستنبطا منه ذوقا منطوقه ومحواه فيقول يختص الحق تعالى برحمته الرحمانية التى هى افاضة نور الوجود من
يشاء ايجاده من الحقائق العلمية الامكانية فيخرج من العدم الى الوجود والله ذو الفضل العظيم يفيض عليهم من فضله العميم
الذى هو الرحمة الرحيمية فنون من الكمالات الوجودية بحسب استعداداتهم وفى الآية جمع بين المراتب الثلاث الالوهية والرحمانية

على وفق آية بسم الله الرحمن الرحيم فاكرم بها آية عظيمة واحسن بها من جهة وما زيد في لطافتها وبضاعة في طراوتها وحلاوتها
اضمار الاسم ذكرا فاضة نور الوجود واظهاره في نشر هنا شر الجود فان الاول ينمي الى غيب الهوية ولا اسم هناك ولا رسم ولا اشارة
اليه ولا عبارة عنه بخلاف فاضة الكلام فانها منسوبة الى الاسماء الالهية المشتمل عليها اسم الله الاعظم وايضا الايجاد انما هو
بظهور الوجود في مظاهر المراتب لكن ينبو ظهوره فيها بخفائه في استتار تلك المراتب بخلاف التجلي فانه مبني على اعتبار المعرفة
ليصح به قضية تبليغ الشيء الى كماله اللايق بشانه فتنبه لما نزل من المعارف التي خلت عن ذكرها كتب المتقدمين والمتاخرين والحمد
لله على ذلك ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم ويامر بخلافه
والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل بالشمس ونقل النقل منه ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك
نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
عن القلوب ما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك بنسخها وابن كثير وابو عمرو
ننسأها اي نؤخرها من النساء نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
قرا ابو عمرو وننات بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو
خير منه والاية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان الشرطية وما يضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام
شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الزمان والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في زمان قد يضر في غيره قال صاحب التاويلات اعلم ان الاحكام المثبتة في اللوح المحفوظ اما مخصوصة و
اما عامة والمخصوصة اما ان تختص بحسب الاشخاص واما ان تختص بحسب الازمنة فاذا نزلت الى قلب النبي فالذي تختص بالاشخاص يبقى
ببقاء الاشخاص والتي تختص بالازمنة تنسخ وتزول بانقضاء تلك الازمنة قصيرة كانت كمنسوخات القرآن او طويلة كاحكام
الشرايع وكانما في حكم ثبوتها في اللوح اذ كانت فيه كذلك والعامة تبقى ما بقي الدهر كتكليم الانسان واستواء قامته مثلا
الم تعلم الخطاب للنبي صلعم والمراد هو وامته وافرده بالذكر لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض
هو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ لان مالك الشيء قادر على التصرف فيه كيف يشاء ولذلك ترك العطف
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على وفق مصالحكم والفرق بين الولي والنصير ان
الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور قال اهل المعرفة الم تعلم ان الله له ملك السموات
الارواح والارض الاجساد وهو المتصرف فيهما بيد قدرته فلم يبق شيء غيره ينصركم بليكم الحق ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء يامر وينهى
كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد توصيتهم بالثقة برسولهم و
ترك الاقتراح عليه نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد

ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر
بعد الايمان اشارة تريدون ان تسألوا رسولكم من قبل اللذات الدنية الجسمية وقضاء الشهوات الخسيسة النفسية كما سئل
موسى من قبل وسئل بدل اللطيفة بالسوء فقد ضل طريق السرور وتردى في مهاوي الغرور ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم الى ان
يردوكم من بعد ايمانكم كفارا حال من المخاطبين حسدا عليه ومن عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك
من عند انفسهم وتشهيهم لا من اهل التدين والميل الى الحق وان تكون صفة لحسدا اي حسدا منبعثا من عند انفسهم من بعد
ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه
حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء النضير ان الله على كل شيء
قدير فيقدر على الانتقام منهم قال ارباب الطريقة ان من ادركه الخذلان ولحقه الخسران ود ان يرد اهل الارادة
من طريق السعادة ويقطع عليهم سبيل السلامة ويوردهم موارد الملامة وهذا من نتايج آفة الحسد كما كان لابليس لما
طرد عن الباب فاحتال في اخراج آدم عم عن الجنة وازل قدمه عن طريق الصواب فمن اول منه كوكب العناية كيف يرضى لغيره بطلوع
شمس الهداية ولكن الله ولي الكفاية لاهل الهداية وهكذا حال علماء الرسم مع ارباب السلوك يقطعون عليهم سبيل السلوك بالنصح تارة
وبالتقريع والتخويف اخرى وطريقة اهل الحقيقة ان يعفو عنهم فانهم معذورون في ذلك اذ لم يذوقوا برد حلاوة ما اذاقهم الله تعالى وصفحوا
عن مساوي اخلاقهم وغل قلوبهم فانهم لم يهتدوا بانوار ما هداهم الله تعالى حتى ياتي الله بامره فيهم من الهدى والردى فان الله قادر على
كلا الامرين فسبيل المريد الثبات على قدم الصدق بالعبودية مع الحق واستعمال الخلق مع الخلق وبذل المجهود في طلب المقصد كما نبه عليه الحق
تعالى بقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة وما
تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة تجدوه عند الله ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل عامل و
قرئ بالياء فيكون وعيدا لاهل الكتاب نكتة وما تقدموا من صفاتكم الناقصة بالتلبس بالملابس الامكانية ليطرحها عن انفسكم
تجدوه عند الله في الحضرة العندية كاملة اضعافا مضاعفة فبافناء صفاتكم يكون باقيا ببقاء الحق ذاتا وصفة كما قال تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة الاية وقالوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى اعتمادا على فهم السامع وهود جمع هائد كعوذ وعايد تلك
امانيهم اشارة الى ما قالوه من اختصاصهم بدخول الجنة والاماني جمع امنية من التمني جمع الخبر باعتبار كثرة ذلك التمني لكثرة المتمني له
قل هاتوا برهانكم على ما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
اخلص له نفسه وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الآخرة قال ارباب المعرفة قالت اليهود لن يدخل الجنة المعهودة اي جنة الظاهر وعالم الملك التي هي جنة الافعال
وجنة النفس الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة المعهودة عندهم اي جنة الباطن وعالم الملكوت التي هي جنة الصفات وجنة

القلب لهم من كان نصرانيا ولهذا قال عيسى عليه السلام فى دعوتهم الى جنتهم لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وكانت دعوته الى سماء الروحانية لكن
امانيهم اى غاية مطالبهم التى هى مواضع حرصها واحتجبوا بها عما فوقها قل هاتوا برهانكم دليلكم الدال على نفى دخول غيركم جنتكم ان كنتم صادقين
بل الدليل دال على نقيض مدعاكم فان من اسلم وجهه لله اى ذاته الموجود مع جميع لوازمها وعوارضها لله بالتوحيد الذاتى عند التجلى الكلى والفناء
فى ذات الله وهو محسن اى مستقيم فى احواله بالبقاء بعد الفناء مشاهد ربه فى اعماله راجع من الشهود الذاتى الى مقام الاحسان الصفاتى
الذى هو المشاهدة بالوجود الحقانى لمكان الاستقامة والعبادة لله لا بالوجود النفسانى فله اجره عند ربه اى ما ذكر من الجنة واصفى
والذى اختصاصها بمقام العندية بالمشاهدة التى احتجبتم عنها ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى مع زيادة على ما ادعيتم من الجنة التى هى علم
حرمتم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنة الافعال والصفات و اللذات
بها فلم استراحة فيها من شهود جمال الذات فانهم وان تركوها شوقا الى تجلى الذات فانها حاصلة لهم بل هو ادنى مقاماتهم تحت جنة الذات
وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم
وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم
الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم يعنى عبدة الاوثان والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فانهم
يقولون مثل ما قالوا بل هما عذرا اذ ليس عليهم لا حجة العقل واهل الكتاب محجوجون بالعقل والشرع فان قيل قد صدق كل من الفريقين فان
كلا الدينين بعد النسخ ليس بشىء اجيب بانهم لم يقصدوا ذلك بل قصد كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ
منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق
ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار قال فى بحر الحقايق الاشارة فى الاية ان اكثر الحسد والحقد و
التباغض يكون من جهال العلماء الذين مقصدهم فى التعلم المباهات بين السفهاء والممارات مع العلماء وطلب الرياسة وقبول الخلق
وجمع المال فاذا ناظر بعضهم بعضا وهم يتلون القرآن ويدعون انهم العلماء رد بعضهم على بعض وسفه بعضهم بعضا كذلك قال الذين لا يعلمون
العلم والدين والقرآن من الزنادقة والفلاسفة واهل الملل مثل قولهم للمسلمين ما انتم على شىء فالله يحكم بينكم بين المسلمين وبين اهل البدع
والاهواء المختلفة يوم القيمة بقيام الحق فيما كانوا فيه من الحق يختلفون بالباطل ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى
لتعطيل مكان مهيا للصلوة وان نزلت فى المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه وسعى
فى خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع
فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين فيكون فيه وعد للمؤمنين بالنصرة
واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة
مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم فى الدنيا خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية عليهم ولهم
فى الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم قال ارباب الطريقة مساجد الله التى يذكر فيها اسمه النفس والقلب والروح وذكر

كل مسجد

كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد
القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالركون
الى الكرامات والقربات ومن اظلم ممن منع مساجد الله هو الله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها اهل المشاهد بقدم السلوك الا الخطوات الخوف
من سوء الحساب واليم العقاب لهم فى الدنيا خزى من ذل الحجاب ولهم عذاب عظيم بحرمانهم من جوار الله العلى العظيم وقال بعضهم
من اظلم اى انقص حقا واخس حظا ممن منع مساجد الله اى مواضع سجود الله التى هى القلب التى يعرف الحق فيها فيسجد بالفناء الذاتى
ان يذكر فيها اسمه الخاص الذى هو الاسم الاعظم اذ لا يتجلى بهذا الاسم الا فى القلب وهو التجلى بالذات مع جميع الصفات وسعى فى خرابها
بتكديرها بالتعصبات الباردة وغلبة الهوى واستيلاء التمنيات عليها ومنع اهلها المستعدين عنها باللزوم والمرح وتهييج الفتن اللازمة
لتجاذب قوى النفس ودواعى الشيطان الرجيم والوهم اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين منكسرين لظهور تجلى الحق فيها لهم فى الدنيا
خزى اى افتضاح وذلك لظهور بطلان دينهم ونسخه بدين الحق وانهدام دينهم ونسخهم ولهم فى الاخرة عذاب عظيم هو الاحتجاب عن الحق
بدينهم ومعتقدهم وحصول الحق فيما تورد عندهم من الاعتقاد وفى الحديث ما معناه ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقداتهم فيعرفونه
ثم يتحول من تلك الصورة الى صورة اخرى فينكرونه فيكونون بذلك كلهم ضالين محجوبين الا ما شاء الله وهو الموحد الذى لم يتقيد بصورة
معتقده المخصوص المحصور ولله تعالى هو يقول الحق وهو يهدى السبيل ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض
كلها لا يختص بها مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففى اى مكان
فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان مكان التولية لا يختص بمسجد او مكان التولية لا يختص بمسجد
او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع عليم باحاطته بالاشياء علما ورحمة بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن
كلها قيل نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاهم وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة قال ارباب الطريقة الاشارة فى الاية ان
الله تعالى منزه عن الجهات وان تعين جهة الكعبة لجمع القلب بحقوق التوهم فان للوهم فى جمعية القلب حالة التوجه اثر عظيم وانما الاعتبار
لتوجه القلب بجمع الهمم الى الله فان لكل قلب وجهة هو موليها فما حصل توجه القلب الى الله فاينما توليتم تجدون الله ان الله واسع
فضله ورحمته كل شىء وفيها اشارة اخرى ان القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله تعالى فى كل قلب مغرب ومشارق و
طارق فطارق القلب هو من زجل النفس بطوارق تغلبات المنى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح
تشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القلب واضحه والدلالات لايحة فاذا انجلت شمس صفات
الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة طويت بايدى سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض
ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء ولا شتات العبدية فى كعبة العندية ونودوا بعد الفناء من
عالم البقاء رفعت القبلة وما بقى الجهات فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلوب من يشاء من عباده ليسعه عليم

بتوسيع القلب لسعته بلا كيف ولا حيف كما قال نعم لا يسعني ارضي ولا سمائي الحديث دقيقة لله المشرق اي عالم النور والظهور
الذي هو جنة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه والمغرب اي عالم الظلمة والاختفاء الذي هو خيال اليهود والنصارى وقبلتهم بالحقيقة
هو ظاهره فاينما تولوا بالله تعالى المحض صيرا بالجهة الشاملة فثم وجه الله وهو قبلتكم فلقبلتكم مقام البرزخية الظاهر والباطن والجامعية
للاول والآخر ولعله هو المراد بقوله عليه السلام بين المشرق والمغرب قبلتي ولك ان تقول فيه اشارة على قلوبكم بالظهور فيها والتجلي لها بصفة
جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه والغروب فيها بستره واحتجابه بصورها وذواتها واختفائه بصفة جلاله حالة البقاء بعد الفناء
فاي جهة يتوجهوا حينئذ فثم وجهه لم يكن شيء الا اياه وجل ان الله واسع جميع الموجودات شامل جميع الجهات والوجودات عليم
بكل العلوم والمعلومات وقالوا اتخذ الله ولدا لما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بعض
العرب الملائكة بنات الله وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك لانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان
الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باطنة الفناء لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا ولعل السبب
الاول في هذه الضلالات ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله عليه باعتبار انه السبب الاول وكذا قالوا ان الاب هو الرب
الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع
منه مطلقا حسما لمادة الفساد بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه استدلالا على فساده والمعنى انه خالق ما في
السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون له لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان
بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما غلب عن ذوي العقل او لا بالمعرض
اهل العلم عما وعكس ثانيا بالتعبير عنهم بصيغة الغائبين لان المراد من الاول ولد كرد لهم بالملوكية ومن الثاني بيان عزهم بالانقياد والطاعة
واستدل الفقهاء بالآية على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي المنافاة بينهما حقيقة
قالوا اتخذ الله ولدا بالقول بصدور الاشياء منه بالعلية والتاثير في الخارج فان معلول الشيء منزل منزلة ولده سبحانه ان يكون
علة في الاشياء المغايرة له مغايرة التمييز المتجارحي يكون كل شيء محض ماهية مخصوصة وجود مخصوص فان ذلك يبطل قاعدة التوحيد
الوجود بل جميع الممكنات من عالمي الارواح والاشباح له بمعنى انها مراتب ذاته ومظاهر نور وجوده وليس في المظاهر سوى الظاهر شيء
يكون له وجود سوى وجود الظاهر وانما امتياز المظاهر عنه بتعينات التي هي امور عدمية واعتبارات نسبية محله بل في مرتبة عز الهوية
لا امتياز لها عنه لا علما ولا عينا فلا يكون في الوجود شيء سواه حتى يكون له ولدا اي معلولا ومخلوقا او ما شئت ان تسميه كل له
قانتون منقادون له انقياد الظل للشخص موجودون بوجوده ساكنون بسكونه متحركون بحركة الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية و
عليك ان تفطن بان استعمار ما حكي عن مثل قولهم هذا في مواضع من القرآن لا ينفك بالرد على ستر وحدة الوجود بدقايق الاشارات
ولطائف الكنايات على الوجه الذي سمعته ولا فساد ما قالوه حيث حمل على الولادة الجسمانية بين عند من له ادنى فهم ولا يحتاج
الى البرهان عليه مرة او مرارا فلنتنبه بديع السموات والارض مبدعهما او بديع سمواته وارضه والابداع اختراع الشيء لا عن شيء

دفعة وفيه استظهار الدليل على نفي الولد لان التوليد انما يكون بخروج الشيء عن مادة مندرجا في الاطوار والاندفاع على خلاف ذلك
ويحاضر ذلك قراءة بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح تقديرا عني قال بعض العارفين بديع السموات والارض
اي مبدع سمواته وارضه غير مسبوقة بمادة ومدة بل هي ظلال الذاته منورة باسم النور اي موجودة بوجوده الظاهر فيها ولولم يكن جهات الامكان
واعتبارات العقل بحسب التعينات لما اعتبرت وجوداتها اصلا اذ هي بلا هو عدم شيء فلا تكون معه موجودة بالمقارنة بل بالتحقق بوجوده ولم
عدم بالمفارقة بل لا باعتبار العقل فهي باعتبار تعيناتها خلقه وباعتبار حقيقتها حق واذا قضى امرا اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء
قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما
يقول له كن فيكون اي احدث فيحدث وفيه تقرير لمعنى الابداع في استظهار الدليل على نفي الولد حقيقة قال اهل الظاهر
ليس المراد بهذا القول حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وانت على بصيرة
مما قدمت في صدر الكتاب من بيان مراتب الكلام وقسموقيا مه بذات الحق تعالى وسماع الحقائق العلمية له تدرك تمكن فان ابعلم مضمون
واشكل استعمر عليه وفي كلام الشيخ الاكبر رض ان الحق تعالى تكلم في الازل بكلم غير منقطعة بتقطيع الحروف ولا منتهية بانتهاء النفس جمعة
من الازل الى الابد بلا لذة في الاسماع لا تقلد وقدها ولا تفتر من اللسان بيانها يسمع الحق تعالى بها اسماع الحقائق الامكانية باسماع استعدادا تها
سمعا منهم من سمع في سمع فاسمعها حقيقة من الحقائق الموقرة سارعت الى الاجابة وتكونت من حينها لم تتخلف عنها طرفة عين ولم يكن لها
تخلف وذكر في سر كلمة كن ما مضمونه ان امر التكوين يدور على التثبيت الذي هو اول مراتب التوحيد فان الواحد لا يصدر عنه شيء اذ لا ثاني
لا بد بينهما من امر متوسط يربط احدهما بالآخر ويكون جامعا فحينئذ تكون منها ما تكون بحسب ما عليه هذان الامران وهذا هو حكم الاسم الموجد
الثلاث وللافراد فكان له الحكم في الايجاد ولهذا كان مفتاح كلمة الايجاد اعني كلمة مشتملة على ثلاثة احرف حرفان ظاهران وحرف مستتر
وهي الواو المحذوفة لسكونها وسكون النون وكانت البسملة وهي مفتاح كلام الله مشتملة على اسماء ثلاثة فصار سر التثليث ساريا في
الاكوان محسوساتها ومعانيها ولذلك ابوين وتنتجة بين مقدمتين وقال الذين لا يعلمون من جهال المشركين ومتجاهل اهل الكتاب لولا
يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او تاتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني استهانة بما اتاهم الله من الآيات كذلك
قال الذين من قبلهم مثل قولهم قالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وفيه تسلية للنبي قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا قال
في بحر الحقائق قال الذين لا يعلمون ان الله تعالى متكلم من الازل الى الابد بكلام واحد وكلامه المتعلق بجميع المكونات امر التكوين وهو خطاب كن
فاسمع السموات والارض قوله ائتيا طوعا او كرها فسمعتا وقالتا اتينا طائعين واسمع المكلفين امر التكليف فقالوا لولا يكلمنا الله او تاتينا آية
وما علموا ان الله يكلمهم على الدوام ولكن لهم آذان لا يسمعون بها وانهم عن السمع لمعزولون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كما اسمع قوما اخبر عنهم
بقوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ولو اسمعهم خطابه بسمع الظاهر وقلوبهم مستغرقة
٤٨

فهذه وهم موقنون كما سمع موسى اسمع نفرا خطابه فلم يطيقوا استماعه فاماتهم ثم احياهم فبعد ما راوا الآيات الواضحة حرفوا وبدلوا فالدلائل لا تغني
وان وضحت لمن خذله الشقاوة والآيات لا تجدي لمن حكمت عليه الغباوة والى مثل هؤلاء اشار بقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم تشابهت قلوبهم بالموت عن حيوة المعرفة وقال في حق من احيى قلبه بحيوة المعرفة قد بينا الآيات لقوم يوقنون إنا أرسلناك
بالحق متلبسا بالحق مؤيدا بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما بالهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال ذات
يوم ليت شعري ما فعل بابوي فنزلت قلت ان صح ذلك فحكمه مدفوع بما اورده القرطبي رحمه الله في التذكرة عن انه عليه السلام قام على
قبر ابويه يدعو لهما بالخشوع فاحياهما الله تعالى فآمنا به ثم عادا الى مثواهما مبينين وجاز ان يكون نهي ولا تسأل على قراءة النهي تعظيم
عقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او المستمع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم النار المتوقدة
نكتة إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا والحق هو الله تعالى يعني ارسلناك مبشرا للمؤمنين بالله ومنذرا لهم بالله لا بالجنة والنار
كسائر الرسل في انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا بحقيقة بشرهم بحبك وانبعثك بالوصول الى
الله وانك سراج بتبين طريقه الى الله وانذرهم لم يحبك بالانقطاع عن الله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم الذين زلت اقدامهم
عن الصراط المستقيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن
اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب
إن هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم
الزائفة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك
من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه اشارة لن يرضى عنك
يهود نفسك ولا نصارى اهويتك حتى تتبع ملتهم توافقهم في طلب الشهوات النفسانية وتتبع اللذات الجسمانية وتخلع عن الصفات
الروحانية قل ان هدى الله هو الهدى اي الذي دعاني الله اليه من التخلق باخلاقه والتنور بانواره هو الهدى لا الذي تدعونني اليه من
الصفات البهيمية والاخلاق الشيطانية ولئن اتبعت اهواءهم والمكاشفات الروحانيات ما لك عن الله من ولي في الخلاص عن الدركات السفلية
ولا نصير على الدرجات العلوية الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته برعاية اللفظ
عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه من القرآن فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين عالمي زمانكم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية

المقص

والمقصود من القصة وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال
المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وفي قوله ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وبالعشر التي هي سنة خمس في الرأس الفرق
وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف
الابط وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وعلى ان
٤٦ المعنى على هذا انه ابتلي من ربه اي قبل البلاء منه واستعد له وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فأداهن كملا وقام بهن حق
القيام وفي القراءة الثانية الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه دقيقة معنى الكلام على القراءة الثانية ان ابراهيم
ابتلى من ربه تبرع الحافظ اي قبل البلاء منه واستعد فاتمهن الحق تعالى اي وفاه حق استعداده بالابتلاء الذي يتم به امر
الخلافة ونور الامامة قال اني جاعلك للناس اماما اسم من يؤتم به والامامة عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا
كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي والذرية نسل الرجل من الذر بمعنى التفريق
او من الذرء بمعنى الخلق قلبت همزتها ياء قال لا ينال عهدي الظالمين فيه اجابة ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريتي ظلمة
وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها نكتة الولاء مظنة البلاء فان اريد الولاء لا يبرز عن
معدن الانسان الذي هو محل الابتلاء الا بالتهاب نار البلاء للولاء كلهب الذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء فابتلاء ابراهيم عليه السلام
بما اوجبه الرسالة والخلة فامر بالصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات فصبر على كل مكروه صادفه في ماله وولده
ولعده وعلى كل مألوف فقده في المال بالبذل وفي الولد بالذبح وفي النفس بالفداء وامر بالتبري عما سوى الخليل ورفع الوسائط
بينه وبين الخليل والرضا فيما اختاره الخليل اما ترى فقوله اني بريء مما تشركون واما رفع الوسائط فقوله حين عرض له جبرائيل عليه السلام
في الهواء وهو يقذف في لجة الهلاك الا بلى قال له هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا واما الرضا فعند ذبح الولد اظهر الرضا
بامر ربه ولم يراجع الحق تعالى في ولده كما راجعه نوح عليه السلام في ولده فلما اتم الخليل ما امر به حض بعد الرسالة والخلة بالامامة العامة
لمن بعده من الانبياء والرسل حتى خوطب نبينا عليه السلام باتباعه في سنته وكليات احكام الشرعية والتوجه الى البيت الذي امر ببنائه
وإذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وأمنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او
يامن حاجه من عذاب الآخرة او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج كما ذهب اليه بعضهم واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على
ارادة القول او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد وهو امر استحباب ومقام ابراهيم عليه السلام
الذي فيه اثر قدمه او الموضع الذي كان فيه حين رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال
هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف
لما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم عليه السلام مصلى

وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس موسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها قال ارباب المعرفة البيت هو القلب كما قال الله تعالى لداود يا داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب قال فرغ لي
قلبك فالمعنى اذ جعلنا القلب الانساني مثابة يرجع اليه الطلاب وزوارى كما يرجعون الى الكعبة بالصورة وامنا للسالك من تصرفات
الشيطان ومكايده حين بلغ منزل القلب خزاين الحق ملك اين محروسة لاصبعين من اصابع الرحمن وانما جولان لص الشيطان
في ميادين الصدور لقوله تعالى يوسوس في صدور الناس واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى اي اذا وصلتم كعبة القلب فاجعلوا مقام الروح
الخليل قبلة توجهكم فيكون قصدكم وذهابكم الى الله لا الى ماسواى فانكم مامورون باتباع ملة ابرهيم وكان ملته ما قال اني ذاهب الى ربي
وفي التأويلات اتخذوا مقام ابرهيم الذي هو مقام الروح والخلة مصلى موطنا للصلوة الحقيقية التي هي المشاهدة والمواصلة الالهية
والخلة الذوقية وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي اي بان طهر الحذف الجار عن ان المصدرية قياسا ويجوز ان
يكون ان حرف تفسير لتضمن عهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومما لا يليق به او اخليصاه للطائفين حوله والعاكفين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد قال اهل المعرفة عهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما بتطهير
القلب من ادناس تعلقات الكونين واوصاف ملاحظة الاغيار للطائفين اي للسالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب في
سيرهم العاكفين الواصلين الى مقام القلب المتوكل الذي هو توحيد الافعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس واذ عاجوا منه والركع
اي الخاضعين الذين بلغوا الى مقام تجليات الصفات وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين في الوحدة وجه اخر الطائفون واردات
الحق تعالى والهاماته واشاراته ومحادثاته ولوامع انواره وطوالع اسراره فجملتها بلسان القوم احوال والعاكفون انوار معرفته
ومحبته وحقايق صفاتية فجملتها المقام فالاحوال يكون لاصحاب التلوين ولارباب التمكين والمقام لا يكون الا لارباب التمكين والركع
السجود فاشارتها الى صفات القلب المطهر وهي الارادة والصدق والاخلاص والخضوع والخشوع والدعاء والتضرع والابتهال والانكسار و
الخشية والهيبة فجملتها العبودية واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا ذا امن او امنا اهله وارزق اهله من الثمرات الحبوب و
الفواكه من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض للتخصيص والسبب الحامل له على ذلك التخصيص انه تأدب بتاديب
ربه اياه حيث قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فنبهه الحق تعالى على الفرق بين الامامة والرزق فان الرزق رحمة دنيوية تعم الكافر
والمؤمن وبهذا المعنى قال اي الله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار المضطر لكفره وتضييعه
ما اسعته به من النعم وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فامتعه واضطره بصيغة الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره
وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي جهنم قال الرجبي لطريقة ان ابرهيم الروح يدعو ربه ويقول رب اجعل هذا بلدا امنا
يعني الجسد الذي فيه كعبة القلب امنا من تصرفات الشيطان واعوانه وغلبات الهوى من صفات النفس الامارة بالسوء وارزق اهله
يعني النفس والقلب والسر والقوى الروحانية والجوارح والاعضاء من الثمرات يعني من ثمرات العبودية التي هي من مواهب الحق تعالى و الطافه
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر يعني من يؤمن منهم بما امر الله به ونهاه عنه ويعمل لله وفي الله وبالله فيكون قصده طلب ما عند الله

والفوايد

والفوايد الروحانية الاخروية من اللذات الجسمانية الدنيوية فمن ثمرة النفس اطمئنانها بالعبادة والطاعة وامتثال الاوامر لكيلا تكون مامورة امارة
وثمرة القلب اطمئنان بذكر الله ومحبته والشوق الى لقايه وثمرة السر التبري عما سواه والتسليم لاحكامه في طلب رضاه وثمرة
القوى الروحانية استعمالها في طلب اسرار الحق تعالى والمشاهدات الروحانية والمكاشفات الربانية والعلوم اللدنية وثمرة
الى قيام العبدية وثمرة الحواس استعمالها فيما امرت به وانزجارها عما نهيت عنه وكذا ثمرة الاعضاء والجوارح ومن كفر منهما بالعصيان
عما امر به فامتعه قليلا هو زمان حياته ثم اضطره الى عذاب النار القطيعة وبئس المصير هم واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس ورفعها البناء عليها وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها وحكاية الحال الماضية بصيغة المضارع
لاستحضار تلك الصورة في ذهن السامع تعجيبا وتنويها لذلك الامر واسمعيل عطف على ابرهيم لانه كان يناوله الحجر وكان له
مدخل في البناء وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما
انك انت السميع العليم قال في بحر الحقايق كان بدو امر البيت ان آدم لما اهبط الى الارض فقد ما
كان يجد من روايح الطاف الحق تعالى في الجنة واستوحش انزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ولها بابان الى المشرق والمغرب كذلك
وفيه قناديل من الجنة فطاف بها آدم ثم رفعت في زمن طوفان نوح ع فكذلك لما اهبط الروح الى الارض الجسد وفقد ما كان من روايح
الطاف الحق تعالى في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من يواقيت جنة حظيرة القدس له بابان باب شرقي الى حضرة
رب العالمين يطلع منها شوارق الالطاف وباب غربي الى مغرب الجسد منه تخرج الشوارق اليه وفيه قناديل حظيرة القدس وهي العقل بقواه
لادراكه وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم مستورا بنور جواب بلى وهو الحجر الذي يلزم ان يصلح ويقال يمانا بوعدك و
وفاء بعهدك فلما كان ايام طوفان آفات الصفات البشرية من ايام الطفولية الى اوان البلوغ وفوران الشهوة رفع الله تعالى بيت المعمور
القلب الى السماء الرابع اي حجبه باستار خواص العناصر الاربع فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت المقدس القلب وعمارته امر ان يرفع
قواعد بيت القلب فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باعمال احجار اعمال الشريعة ويناولها بيد الصدق ابرهيم الروح وهو يبني الى ان بلغ
موضع الحجر فنودي من جبل قبيس الهوى ان لك لدي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار الصفات النفس وهوى فوضع مكانه ابيض
فلما المسته ايدي حيض الذات الدنياوية ومس ركي الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما اتما رفع قواعد القلب رجعا بصدق البيت
الى حضرة الربوبية وقالا ربنا تقبل منا انك انت السميع بما نتكلم به وما نضمره ولا نتكلم بل العليم بما يختلج البال فما نعلم ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين
على ان المراد هما وهاجر وان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة
عليهم وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وارنا عرفنا مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج
لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وتب علينا لعلهما قالاه ذلك هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم

لمن ثاب اشارة الى ان ابرهيم الروح اسمعيل النفس مطيته سلام بما بعد فراغهما من عمارة بيت القلب ان يجعل سعيهما مشكورا ويجعل مستسلمين
منقادين لاحكامه الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فهي احكام الشرع واما الباطنة فهي احكام الازلية الحقيقية التي جف بها القلم كلها
دينا واجعلنا لك ومن ذريتنا اي المتولدات من القوى امة مسلمة لك حتى لا تتحرك منا عرق الا بانقياد اوامرك ونواهيك ولا
يخطر ببالنا خاطر الا بالهامك ودواعيك وارنا مناسكنا اذ لا طريق لنا الى معرفة ذلك الا باعلامك وتب علينا بتوفيق ترك
حظوظنا والقيام باداء حقوقك بعد القيام بجميع اوامرك حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا وترجع اليك عن شهود افعالنا
لئلا يخطر الشرك الخفي ببالنا في توهم شيء منا بالذات وانا بك لا بنا فلا يكون رجوعنا الا بك وانك انت التواب فارحمنا
فانك انت الرحيم وابعث فيهم في الامة رسولا منهم ولم يبعث من الانبياء غير محمد صلعم فهو المجاب بهم دعوتهما لما قال انا دعوة
ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وقد رأت في المنام ان نورا خرج منها فاضاءت لها قصور الشام يتلوا عليهم اياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليهم من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من
المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الغالب الذي يغلب الحكيم المحكم في افعاله اشارة
افيض على سر القلب انوارك واردفضلك ليكون السر رسولا في الامة المسلمة من الاوصاف الانسانية واخلاقها فياخذ من
انوار وارداتك ويبلغ اليهم يتلوا عليهم بلسان الانوار ايات وارداتك ويعلمهم اسرار الكتاب ومعانيه وحقايقه و
لطايفه والحكمة وهو كل جزء معنوي يوتيه الله بوارد فضل من القلب فيخصه بذلك ويزكيهم ذلك الوارد عن الاخلاق الذميمة والصفات
الردية انك انت العزيز المنيع الذي لا يهتدي اليه الا بهدايته ولا يوصل اليه الا بجذبات عنايته الحكيم اي ذو الحكمة ليثبت الحكمة
لهم من صفاته بقدر من لم يؤت الحكمة من خلقه فهو على وصف جهوليته انه كان ظلوما جهولا ومن يرغب عن ملة ابرهيم استفهام
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من اذلها واستخف
بها وسفه بالكسر متعد وبالضم لازم ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك لانه
كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اشارة ما يرغب عن ملة ابرهيم الروح وهي التوجه بالكلية الى الحق تعالى والتبري عما سواه
في تصحيح الخلة الا النفس الامارة التي من خصايصها الظلومية والجهولية حتى لا تعرف قدر مقام الروح واختصاصه بالقرب واستحقاقه
الخلة ولا تعرف بضاعة نفسها وعماها وضلالتها وصفاتها المذمومة وان هلاكها في هواها فترغب في متابعة هواها عن
مطاوعة الروح في طلب الحق اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له فكانه قال كان له
مقام الاصطفا لانه بادر الى الاذعان حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام حقيقة
هذا المقام لابرهيم عم مقام الصديقية فانه كان صديقا نبيا ويعني بمقام الصديقية قبول نور الايمان من الداعي بمجرد الدعوة من غير توسط
دليل وحجة وهذا المقام في لطايف الحقايق الانسانية ليس الا للروح فانه يقبل نور الفيض الالهي من غير واسطة ثم يفيض على ما دونه

من القلب

من القلب في النفس والقالب والحواس والمشاعر ومثاله في النيرات الفلكية مثال الشمس بنسبة نورانيته بالاصالة ويفيض النور على ساير النيرات
من الثوابت والسيارات وكان ابرهيم عم ما لم يصل الى مقام الروح لا يزال يستدل على ربه بايات الكواكب على لطايف حقايقه القلبية
والنفسية فلما شاهد الشمس الروح قام في مقام الصديقية وخلع عن نفسه بقية الاستدلال وتثبت بذيل الاسلام والاستسلام حيث قال
ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التوصل الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وقرا نافع وابن عامر
اوصى والاول ابلغ والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة والجملة والتحقيق عوده الى الخصلة الصديقية المفهومة من قوله اسلم قال
اسلمت اعني قبول دعوة الداعي من غير دليل على ما اشرنا اليه ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على
انه من وصاه ابرهيم يا بني باضمار القول ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان فلا تموتن
الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات
على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه ومن حقه ان لا يحل بهم
ونظيره في الامر مت وانت شهيد وفيها اشارة الى انكم لفنائكم فلا تفنون الا في الاستسلام وجودكم لنا ربوبية الله روي ان اليهود قالوا
لرسول الله صلعم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق عم اسمعيل من ابائه لانه كالاب لقوله عم عم الرجل صنو ابيه الها واحدا
بدل من اله ابائك وفائدته التصريح بالتوحيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد تلك امة قد خلت
يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل
اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلم ولا تسالون عما كانوا
يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو
للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابرهيم اي بل يكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملة ابرهيم ملتنا او بالعكس حنيفا مائلا
عن الباطل الى الحق حال من المضاف او من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما
انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا لانه سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط يعني الصحف وهي منزلة عليهم ايضا كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الولد او الحافد يريد به ابناء يعقوب ٤

وذرياتهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى يعني التورية والانجيل افردهما بالذكر تعظيما ولكون النزاع وقع فيهما
وما اوتي النبيون المذكورون منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان
امنوا بمثل ما امنتم به يريد بما امنتم به يشهد له قراءة من قرأ بما امنتم به ونظيره ذلك وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه
وان تولوا فانما هم في شقاق وهو المنافاة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
عنك يا محمد شرهم يعني شر اليهود وفيه تسلية وتسكين للمسلمين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوهم وهو السميع العليم اتمام
الوعد بمعنى انه يسمع اقوال اعدائكم ويعلم اخلاصكم فيجازيكم بايمانكم او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
يعاقبهم عليه اشارة ان يهود الشيطان الانساني ونصارى الهوى النفساني وعن كل واحد منهم للامة المسلمة من طينة الانسان
الى دينه ويقول كونوا على ديني فلا دين الا ديني ويناديهم منادي الطاف الحق بل نتبع الروح حنيفا مائلا الى الحق وما كان من المشركين ملة ابرهيم ص
الملتفتين الى غير الحق قولوا امنا بالله وما انزل الينا من انوار الواردات والالهامات وما انزل الى ابرهيم الروح الى تجلي صفات الحق
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط المتولدات من الروح وما اوتي موسى القلب وعيسى السر وما اوتي النبيون وهم المدركات
الروحانية والعقلية من ربهم مكاشفات الاسرار الربانية ومشاهدات الانوار الالهية لا نفرق بين احد منهم اذ هو من اصناف الطاف
الحق ونحن له مسلمون فان امنوا اي جنود الخيال والوهم وساير القوى الطبيعية بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا فان كل ذلك يكون سبب
بلوغ النفس الناطقة الى كمالها فبالخيال تكون عابدا وبالوهم عارفا وبالهوى عاشقا ولهذا قال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك
احد طريقا الى الله وان تولوا فانما هم في شقاق يعني العداوة والمخالفة بتفرق الاراء والاهواء فسيكفيكهم الله يا سالك شرهم
وهو السميع بمقالاتكم العليم بحالاتكم ومعالجتكم صبغة الله نصب على المصدر اي صبغنا الله صبغة او على الاغراء الزموا
صبغة الله وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هداية وطهر قلوبنا
بالايمان تطهيرا وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل صبغ الثوب او للمشاكلة
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ومن احسن من الله
صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض لهم اي لا نشرك كشرككم كما ان للكفر صبغة ظلمانية
صبغة وصبغة الدين هي صبغة الله فليست العبرة بما يتكلفه الخلق وانما العبرة فيما يسره الحق فنصيب الاشباح من صبغة الله توفيق
القيام بالاحكام وحظ القلوب منها تصديق المعارف بالعوارف وكفل الارواح منها شهود الانوار وكشف الاسرار وحق
الاسرار منها فناء التلوين من صبغة الحق وبقاء التمكين في صبغة الله ومن احسن من الله صبغة فانها ازلية ابدية لا تغير فيها ونحن له
عابدون يعني لصبغة احكامه الازلية المنقادون ولصبغة انواره الابدية مكاشفون قال اهل التحقيق ان كل ذي اعتقاد ودين ومذهب
باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه فالمقيدون بالملل المختلفة مصبوغون بصبغ نبيهم والمتمذهبون بصبغ امامهم وقادتهم

والحكماء

والحكماء بصبغ عقولهم واهل الاهواء والبدع المتزندقة بصبغ اهوائهم ونفوسهم والموحدون بصبغة الله خاصة لا صبغ احسن منها من الى
ذلك قوله ونحن له عابدون اي متعلق عبادتنا هويته ومقام اطلاقه من غير النظر الى شيء من مقتضيات اسمائه المتقابلة فافهم
قل اتحاجوننا في الله تجادلوننا في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحلونه فان كرامة النبوة اما بفضل من الله على من يشاء فالكل
فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا قلنا ايضا اعمال فربما يعتبرهم الله
في اعطائها ابانا ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم وذلك لان صبغنا هو صبغ الله دون
صبغ الاهواء والاراء التي لكم اشارة قل اتحاجوننا في الله وانتم محجوب صبغة الخليقة واستار اوصاف البشرية محجوبون وهو
ربنا يربينا في حجر العناية بالبان الهداية وربكم يربيكم بالبان الخذلان في حجر الكفران والعصيان من اغواء الشياطين ولنا
اعمالنا مثمرة القبول والنجاة ولكم اعمالكم مثمرة الرد والهلاك لانا نحن له مخلصون ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في الله او ادعاء اليهودية والنصرانية على
الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله نفى الامرين عن ابرهيم كما في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية
والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او لا اظلم منا ان كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير و
الزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الاية تحذير عن الاقتداء بهم
سيقول السفهاء الخفيفة العقول من الناس يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به
توطين النفس واعداد الجواب لهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما يرتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت
المقدس تارة والى الكعبة اخرى وبالحقيقة هو طريق الوصلة التي يستوي الجهات بالنسبة اليها كما لكون المتوجه اليها في جهة
كان ايما تولوا فثم وجه الله اشارة من سفاهة اهل الغيبة وجهالة اصحاب الحجبة اذا خفيت عليهم احوال ارباب
القلوب ومشاهداتهم في الغيوب معترضون على حركاتهم وسكناتهم ويطعنون في كل شيء من معاملاتهم ومعاملاتهم لانهم
ينظرون اليهم بنظر الاستقباح فقال نعم منهم الله المشرق والمغرب فان شرقوا فلله فان غربوا فبالله فلا توجه

لعلو بهم الا الى وجه الله يهدى من يشاء من اوليائه واحبائه الى صراط لقائه المستقيم بالآية وبغاية وكذلك اشارة الى مفهوم الآية
المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو
فى الاصل اسم للمكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى الافراط والتفريط كالسخاء بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل
على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات
فتشهدون بذلك انتم على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة
التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وشهادة
الرسول وان كانت لهم لا عليهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى شهادته بعلى وتقديم الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم قال فى بحر الحقائق ان الله تعالى جعل بمحض العناية والكرم هذه الامة وسطا عقد الامم وجعل فى هذه الامة طائفة
الطائفة زبرجدها بهم يمطرون وبهم يرزقون وهم الاقطاب عليهم المدار وبهم يحفظ استحكام الاقطار فمن قبلته قلوبهم هو المقبول
ومن ردته قلوبهم هو المدبر المردود لانهم يشهدون بالحق يشاهدون وينظرون ببصيرة النور ولهذا قال لتكونوا يعنى خواص الامة شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا فكان الرسول عليه السلم مقاما اعلى من مقاماتهم وشهودا فوق شهودهم ليكونوا الله عليهم مشرفين على سرائرهم
مطلعين على ما فى ضمائرهم من الكفر والايمان والطاعة والعصيان فيشهدون عليهم كما قال عليه السلم انتم شهداء الله فى ارضه وهذا زمرة من
القوم وانصار واعزم من عقلاء المذنب اليوم وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الصخرة
لقول ابن عباس رض كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه والمعنى ما جعلنا قبلتك المنسوخة الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اى الا لنمتحن الناس فنعلم من يتبعك فى الصلوة الى الكعبة عند تحويل القبلة
ممن يرتد عن دينك لالفته بقبلة آبائه وجاز ان يكون التى مع صلتها مفعولا ثانيا للجعل والمعنى ما جعلنا قبلتك الكعبة التى كنت تريدها
وان كنت مأمورة بالتوجه الى بيت المقدس يدل على ذلك قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء الا لنمتحن الناس بها فان قلت كيف
لنعلم وهو عالم بالاشياء قبل تكونها اجيب بان هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء لا العلم الازلى والمعنى ليتعلق
علمنا به موجودا او قيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه ويشهد قراءة ليعلم على البناء للمفعول او المعنى لتميز الثابت
عن المتزلزل فوضع العلم موضع التميز لكونه مسببا عنه وتوافقه ذكر من والتحقيق فيه ان الحق تعالى بحسب تعبيره العقول البشرية علمين
علما فى مرتبة الجمع وعلما فى مرتبة الوجود فالعلم الذى فى مرتبة الوجود يتجدد بتجدد المظاهر تنزل عن رتبة القدم بالظهور فى
مراتب الامكان والاصباغ بصبغه ولعل هذا هو حقيقة قوله ليعلم رسوله والمؤمنون وان كانت لكبيرة اى انها كا

كبيرة لما على الذين هدى الله الى حكم الاحكام وجعله ثابتا على الايمان وفى الجزان القبلة لما حولت الى الكعبة ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية
وقالوا رجع محمد الى دين آبائه قال اهل المعرفة انها كبيرة على من نظر بعين التفرقة ومن نظر بعين الحقيقة فهديه الله تم التسليم فى العبودية فيستسلم
للاحكام الربوبية وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى القبلة المنسوخة لما روى انه عليه الصلوة والسلم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف
بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت الآية ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا اعمالهم التى قصدوا بها
الامتثال لامر الله تعالى وتقديم الرؤف مع انه ابلغ المحافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر
حقيقة سر تحويل القبلة ومحاذاة النبى عم للقبلتين هو ان ارتباط الخلق بالحق من وجهين وجه سببى ووجه خاص فالوجه السببى هو
النظر الى الاسباب وترتيب المسببات عليها وملاحظة العلل وانتساج المعلولات منها والوجه الخاص هو رؤية استناد جميع الكائنات
الى الحضرة الالوهية من غير رؤية سبب وتوسيط علة بل باستواء الموجودات فى نسبة استنادها الى موجدها والتوجه الى بيت المقدس
صورة توجه النبى لكثرة ما حوله من الاسباب الدينية والبركات الظاهرة وبذلك غلب حكم الكثرة والكون الى الظاهر على الامة
المتوجهة اليه والتوجه الى الكعبة صورة الوجه الخاص لانقطاعها عن الاراضى العامرة الى واد غير ذى زرع ولكونها من اقطار الارض بمنزلة
المركز من الدائرة التى يستوى مساحات الخطوط الخارجة منها اليها فالجمع بين هذين الطريقين الحقين الذين احدهما مقتضى القدرة
والآخر مقتضى الحكمة امر الحق تعالى نبينا عليه السلم بالجمع بينهما بالجمعية التى فى نشأته وفى نشأة خواص امته فقال وما جعلنا القبلة
التى كنت عليها اى ما جعلنا قبلتك الكعبة التى كنت تريدها بعد نسخ ما امرناك به من التوجه الى بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول صورة
ومعنى اما صورة فبالتوجه الى ما وجه اليه والتحول الى ما حول نحوه من الامكنة لا يتقيد بمكان خاص منها واما معنى فبالنظر الى ما صرف اليه
من طريق الوجه السببى والوجه الخاص من غير ان يتحصر فى طريق واحد منها وذلك لسعة وسهولة فيه عليه السلم تعلمه سر التحول والتقلب المشار اليه بقوله
كل يوم هو فى شان فكان سهل القبول لما القى اليه سريع الامتثال لما امر به فيتبعه فى ذلك من كان مراده وصوله الى الاطلاق اقرب والى
جهة الوجوب اميل ولهذا كان سيدنا على على نبينا وعليه التحية والسلم اسهل قبولا والين عريكة فى قبول ذلك الامر من غيره ممن ينقلب على عقبيه
يرجع من طريق الوحدة والاطلاق على عقبى قدمى السببية والعلية فيقع مطروحا فى مهاوى احكام الكثرة فان الجمع بين المتقابلين والاحاطة
بالمتضادين كما قال وانها لكبيرة شاقة على من يمشى على قدمى السببية والعلية الا على الذين هدى الله وارشدهم طريق التوحيد بالسير فى الله بمحاهى
فناء الافعال والصفات الى ان يرتفع بهم الجذبة الالهية الى ذروة مقام الوصلة فتستوى عندهم الجهات وتنحل لديهم الوجوه وما كان الله
ليضيع ايمانكم صلوتكم الحقيقية الى بيت مقدس الوجه السببى لايمانكم برجوع الاسباب والعلل الى حضرة مسبب الاسباب ان الله بالناس
الذى نسوا حكم الوجه الخاص بلا اعتداد بمباشرة الاسباب لرؤف رحيم يرفق بهم برأفته ورحمته فى اسبابهم فى طرف الوجه السببى الى
ان ترقيهم الى مدارج مقام الاطلاق وصرف النظر عن الآثار بالفناء التام ثم بالجمع بين الطرفين بالبقاء بعد الفناء فكان الاول
اثر رؤفه قبله والثانى اثر رحيمية قد نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلعم
يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى العرب الى الايمان بل هى القبلة فى الحقيقة

ومحل نظر الجسمانيات ومحل توجهها الى برى الحديدة المجاورة للمغناطيس توجه اليها بطبعها بل محل نظر النفوس البشرية ومطرح هواها
توجه اليها النفوس المجاورة لمغناطيس الايمان وتميل اليها كما قال تعالى حكاية عن ابرهيم ع واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وكذا نعلم
ان الرؤية والابصار من الله تعالى المعلم بالمبصرات ولعل العلم المترتب على الوجود الذى يعتبر بحسب المدارك البشرية علما متجددا فلنولينك
قبلة ترضيها لتمكننك من استقبال قبلة بحاله وتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمه فول وجهك اصرف وجهك
شطر المسجد الحرام نحوه والحرام المحرم اى محرم فيه القتال وانما ذكر المسجد لان النبى ص كان بعيدا عن المسجد فكان فى ذكره اشعارا
بان البعيد يكفيه مراعات الجهة وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ترغيبا على المنكرين بذكر وصف الحرام فان فيه كمال الاحترام روى
انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى
باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما له وايجابا لما كان فيه رغبته ثم عمم
الخطاب تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحريضا للامة على المتابعة نكتة قال الشيخ رض هذا التقييد لا يدفع حكم اينما
تولوا فثم وجه الله ولكن اختار كون هذا التقييد فى حال مخصوص وهى الصلوة وفى ساير الاحوال لا جعل كون هذا التقييد فجمع كون بين التقييد
والاطلاق كما جمع لنفسه بين التنزيه والتشبيه فقال ليس كمثله شئ الاية وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لما كان
فى كتبهم من ان هذا النبى ص يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائى بالتاء تاويل قد نرى تقلب وجهك فى جهة سماء الروح فى مقام الجمع عند الاستغراق فى الوحدة والاحتجاب بالحق
عن الخلق فيثقل عليك حمل النبوة والدعوة لحصر التفاتك الى الكثرة ورجوعك الى الخلق فلنولينك قبلة ترضاها فنحول وجهك الى قبلة
القلب بانشراح الصدر فانها قبلة ترضيها لوجود الجمع هناك فى صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة فترعى تلك القبلة بدعوة الخلق
الى الحق مع بقاء شهود الوحدة فول وجهك شطر المسجد الحرام جانب الصدر المشروح المحرم عن وصال صفات النفس ودواعى الهوى و
الشيطان اليه وحيث ما كنتم المؤمنون سواء كنتم فى جهة مشرق الروح او مغرب النفس فولوا وجوهكم جانبه لتيسر عليكم الترقى عن حالكم و
مقامكم والتوقى عن احتجابكم بدواعى الهوى والشيطان وان الذين اوتوا الكتاب العقل الفرقانى ليعلمون انه الحق من ربهم بنور العقل المؤيد
بنور الشرع لا المحجوب بالقياس الفكرى رزقنا الله بفضله الهداية وعصمنا بعنايته عن الضلالة والغواية ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة ما تبعوا قبلتك يعنى انهم ما تركوا قبلتك بشبهة فتزيلها بحجة وانما خالفوك
مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم ذكر ذلك قطعا لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا
الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وانما وحد قبلتهم مع تعدد قبلتيهم لانها وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة
الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود يستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس فى بلاد قدس لتصلب كل حزب بما هو فيه
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم اى بان كون الحق جاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين تهديد

وبالغ

وبالغ فيه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه قال اهل المعرفة ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية دالة على حجة
صحة نبوتك وحقية قبلتك ولو كانت من كتابهم او كانت عقلية قطعية ما تبعوا قبلتك لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم بها وما
انت بتابع قبلتهم لعلوك عن رتبة دينهم وبرفعتك عن مقامهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض لكون تضاد جهاتهم ناشيا من التضاد المركوز
فى طباعهم ولئن اتبعت اهواءهم المتفرقة من بعد ما جاءك من علم التوحيد الجامع انك اذا لمن الناقصين حقك وحق مقامك الذين
اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله ص وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه كما يعرفون ابناءهم
اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم سئل عبد الله بن سلام عن رسول الله ص فقال انا اعلم به منى بابنى فقيل
ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم من الذين عرفوه ليكتمون الحق
وهم يعلمون وذلك لانهم لم يعطوا نور فهم الكتاب ليعرفوه حق المعرفة فيكتمون الحق الذى جحدوا الحق من ربك كلام مستانف
واللام اما للعهد اى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كا
لذى عليه اهل الكتاب وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او
فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى النبى عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه بل المراد تحقيق الامر فانه بحيث لا يشك فيه ناظر
وامر الامة باكتساب ما يزيح عنهم الشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة لكل امة قبلة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو
موليها وجهه والله تعالى موليها اياه وقرئ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات الفاضلات من
الجهات وهى المسافة للكعبة اينما تكونوا من الجهات المتقابلة والاقطار البعيدة يأت بكم الله جميعا يجمع صلوتكم الى جهة واحدة
ان الله على كل شئ قدير يقدر على جمعكم الى جهة واحدة بادراككم على معرفتها ادلة القبلة علما كما فى عموم الاوقات او تحريا كما فى وقت
الاشتباه او المعنى اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها
يحشركم الله الى المحشر للجزاء ان الله على كل شئ قدير من الاماتة والاحياء قال ارباب التحقيق فى الاية اشارة الى معنيين احدهما
ان لكل احد منكم غاية وكمالا بحسب استعداده الاول والحق تعالى موجه وجهه اليها او هو موجه وجه نفسه اليها فتوجهوا بمقتضى هويته
واستعداده باذن الله تعالى واستبقوا الخيرات فبادروا الامور المقربة اياكم من كمالكم وغاياتكم التى خلقتم من اجلها كما قال عليه السلام اعملوا
فكل ميسر لما خلق له اينما تكونوا من مقام وصال دون تلك الغاية او يخالفها لكونه فى مقابلها يأت بكم الله جميعا الى تلك قريبا او بعيدا بحسب
اقتضاء تلك المقربات واستباقها والثانى ان لكل حقيقة من حقايق كل انسان قبلة هو موليها ان وكل اليه فقبلة البدن ما يستلذ به الحس
للحس من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب والمنكوح وامثالها وقبلة النفس هى الدنيا وزينتها ورفعتها والحرص جمعها والتفاخر بها
قبلة القلب هى التنزه والزهد والشوق وما هو من هذا القبيل وقبلة الروح التوحيد والمعرفة وكشف العلوم والمعانى والاسرار فالنفس
والبدن مزاحمان القلب والروح فى قبلتهما لو وكلا اليهما فلا ينتظم الامر فى التوجه ويؤدى التفرقة الى التعطيل فالامر المفصل ان يخرج هولاء
الحقايق من طباعهم واهوائهم ويطيعوا ربهم فى اقبالهم الى القبلة بامره فيجعل قبلة البدن الكعبة وقبلة النفس الطاعة والعبودية وترك

الهوى وقبلة القلب الصدق والاخلاص والايمان والايقان والاحسان وقبلة الروح التسليم والرضى بامر القضاء والفنا في الله
والكون مع الله على ما اراد الله بلا عرض والاعراض واشار بقوله فاستبقوا الخيرات الى انكم اذا اسرعتم فيها كم به قدرة و
استطاعة من العبودية فاينما تكونوا يأت بكم الله جميعا بجذبات الالوهية الى ما كنتم تكونوا بكم بل تكونوا بالله ان الله على
كل شيء من اشياء الانسان قدير على ان نفنه عنه ويبقيه به ومن حيث خرجت من اى مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت والله وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
قراه ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر
ذلك تاكيدا لامر التحويل بكونه امرا عظيما حقيقا بان يؤكد بما اكد به مع ما فيه من بيان عدم اختصاص ذلك الى المكان الذي
جاء الوحي فيه لاحتمال ان يسبق ذلك الى بعض الاوهام فعمم حكمه حالة الخروج عنه وكل مكان اقام فيه من اقطار الارض اشارة
قال الشيخ رضي الله عنه باى وجه خرجت من الحق الى الاكوان ومشاهدة ذلك فول وجهك شطر المسجد الحرام اى ارجع بالنظر في استقبل
بالافتقار والاضطرار الى ما منه خرجت فانه لا وجهة لك غيره فانظر بحر محيطا بك وانت تظن انك خرجت عنه وهو من ورائك
محيط وحيث ما كنتم من الاسماء الالهية والاحوال فولوا وجوهكم شطره اى لا تعرضوا عنه فان الاعراض عن الحق وقوع في العدم والعدم
شر محض كما ان الوجود خير محض لئلا يكون للناس عليكم حجة علة اخرى للتحويل والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع
احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين
قومه وحبا لبلده ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم لا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما
امرتكم وفي كلام اما منا على نبينا وعليه التحية والسلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك ولاتم نعمتي عليكم و
لعلكم تهتدون علة لمقدر اى وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني
لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم وفي حديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال
فاذكروني يتلوا عليكم آياتنا ويبلغكم ما اوحي به من الآيات ويزكيكم يحملكم على ما يجعلكم ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة
قدم التعليم فيما حكى عن دعاء ابرهيم عليه السلام التزكية واخره هنا عنها لفائدتين احديهما التنبيه على ان العلم المعتد هو المبني على تزكية المحل
عما يتنفر من المعاصي وسوء الاخلاق كما قال واتقوا الله ويعلمكم الله والثاني اظهار ما اراده من الداعي ما سأله بالمزيد كما هو شأن
الجواد فقدم التزكية لئلا يلزم التوافق بين ما سأله ابراهيم وهو قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر فان ادراكه بالكتاب
القرآن وبالحكمة ما علمنا النبي عليه السلام من المعارف التي بها نفوسنا وعقوله ويعلمكم ما علم ارباب القلوب من اسرار التوحيد بالتعليم الباطني
المرتب على تصفية الباطن وتصحيح المناسبة بصحة المتابعة والاختصاص بالشأن العظيم كرر له الفعل ليدل على انه جنس آخر فا

ذكروني

فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر قال في
بحر الحقائق في الآية اقاويل قال ابن عباس رضي الله عنه اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي
وقال ابن كيسان اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وقيل
اذكروني بالصبر اذكركم بالاجر وقيل اذكروني بالتقوى اذكركم بدعوى البلوى وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة
وقيل اذكروني بالانابة اذكركم بالبشارة وقيل اذكروني بالتوكل اذكركم بالكفاية وقيل اذكروني في الخلاء اذكركم
في الملاء وقال عليه السلام يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء
ذكرته في ملاء خير من الملائكة وان تقرب الي بشبر تقربت اليه ذراعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وقال الربيع في هذه الآية ان الله
ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقال بعضهم اني لاعلم حين يذكرني ربي قيل كيف ذلك قال اذكروني اذكركم فاذا ذكرت الله
فهو ذكرني واعلم ان الذكر مراتب وللذاكر ايضا مراتب فذكر اللسان وذكر الاركان وذكر النفس وذكر القلب وذكر الروح وذكر السر فذكر
اللسان بالاقرار فاذكروني بالاقرار اذكركم بالايمان وذكر الاركان بعمل الطاعات فاذكروني بالطاعات اذكركم بالكرامات وذكر النفس
بالاستسلام للاوامر والنواهي فاذكروني بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام وذكر القلب بالتخلق بالاخلاق اذكركم بالاشتياق وذكر
الروح بالتفريد والمحبة اذكركم بالتوحيد والقربة وذكر السر ببذل الوجود والفناء فاذكروني ببذل الوجود والفناء اذكركم ببذل
الشهود والبقاء وهذا هو الذكر الحقيقي بان يجعل الذاكر مذكورا والمذكور ذاكرا بل يكون الذكر والذاكر والمذكور واحدا يقول الشمع
للفراش اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي فذكر الفراش للشمع في نفسه ان يبذل نفسه لشعلة الشمع فتذكره شعلة الشمع في
نفسه بالحرقة عليها فلا يبقى التميز بين الشمع والفراش فان طلبت الفراش وجدت الشمع وان طلبت الشمع وجدت الفراش كما قيل انا
من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا فلما بذل الفراش للشمع وجوده نال من وجود الشمع مقصوده
وهذا تحقيق قوله لا يزال يتقرب عبدي الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث والشكر على نوعين
شكر النعم وشكر المنعم وشكر النعمة ايضا على نوعين لان النعمة منها ظاهرة كصحة البدن وسلامة الحواس والمال والجاه فشكرها ان يستعان
بها على الطاعات بما يناسب كل واحد منها ومنها باطنة وهي المعاني الواردة على القلوب فشكرها بدوام المراقبة والتزام الحافظ الاسرار وشكر
المنعم ايضا على نوعين شكر نعمة التوفيق من المنعم وشكر نعمة وجود المنعم ببذل وجوده لوجدان وجود المنعم وفنائه في
وبقائه بوجود وجوده وهذا الشكر هو الذي اشار بقوله واشكروا لي اى شكر نعمة وجودي ووجداني بجودي لازيد في غيبتكم عنكم وشهودكم لي
ولا تكفرون بترك طلب الزيادة فان الطاف مع خواص عبادي غير متناهية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واداء شكرها رؤية العجز عن
اداء شكرها كما قال داود عليه السلام الهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك فاوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان
الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة نكتة لما كان القيام باداء الشكر امرا متعذرا اراد تدارك امر العباد في الخروج عن عهدة

شكر النعم فقال استعينوا على اداء الشكر بالصبر صح الله وهو من اعمال القلب والصلوة وهو من اعمال البدن فيما لا ذمتنا اعمال القلب والبدن
يعينكم الله على القيام بحق الشكر ان الله مع الصابرين بالعون والنصر ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء و
لكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هو امر لا يدرك بالعقل بل
بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة
لما يحس به من البدن يبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء
لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة تم وقيل لا تحسبوا ان من قتل من اهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله في سبيل الفناء
في الله اموات فان قلت اوصاف وجودهم فانها احياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه في الله كان بقاؤه بالله فتارة يفنيهم
بسطوات تجلي صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات الطاف الجمال فهم بين روضة وغدير يسرحون في رياض الجلال والجمال ولكن لا يشعرون
لعمى بصيرتكم وحرمانكم عن النور الذي يبصر به القلوب اعيان عالم القدس وحقائق الارواح حقيقة ليس المراد بحياة الشهداء
بقاء نفوسهم لاستواء جميع النفوس البشرية في ذلك ولا تمثل ارواحهم بالابدان المثالية النورية لاستواء جميع المؤمنين في ذلك وكونهم
احياء بالعلم والعرفان لاشتراك غيرهم معهم في ذلك ايضا ولا بدان تكون لهم اختصاص بامر لا يشاركهم فيه من عداهم ولعل ذلك
ما مر في من كلام الشيخ رضي ان الشهداء لا ينقطع تصرفهم في هذا العالم الحسي فلهم ان ينصروا من اراد النصرة من اهل الدنيا ويعاونوا من اراد
معاونته منهم باذن الله تعالى ولقد ورد في الحكايات المروية عن صلحاء المسلمين في الغزوات وغيرها ما يصدق ذلك وهذه الكرامة
لهم مكافات احتملوه من اعباء الصبر على بذل المهجة في سبيل الله ومعاينة اسباب الموت وتيقن الازهاق على من يعاديه رغما وهوانا في
الصبر على الاستعار على ان اختصاصهم بتلك الدرجة من نتائج الصبر ونبه بهذه الآية على قوله ان الله مع الصابرين ورتب عليها آية الصبر
على البلاء فجعلها محفوفة بالصبر من الجانبين وقال ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يريد ان يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء بشيء
من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه من المكروهات المتوقعة في عالم الانقلاب المحفوف باسباب المتاعب
والآلام بكمال رافته ورحمته او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة فاخبرهم به ليخفف عليهم مكابدة ما اصابهم بعد عن ابن الخطاب
قال لمان الله تعالى ما اصابني بمصيبة الا انى قدرات على نفسي الشكر بها على ثلاثة احدها ان الله تعالى دفع عني ما هو اشد منها والثاني
ان الله تعالى رفع لي بها درجة في الآخرة والثالث ان تلك المصيبة قدرت لي في امر دنياي دون امر ديني ونقص من الاموال و
الانفس والثمرات عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون واسترجع فيقول الله تعالى
ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

الخطاب

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن يأتي عنه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله ع كل شيء يؤذي المؤمن فهو له
مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان وبالقلب بان يلاحظ ما خلق هو لاجله وانه راجع الى الله ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما بقي
عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه المصيبة ويستسلم لها والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة
الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلعم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا القضاء تعالى قال ارباب التحقيق البلاء من الله تعالى لاستخراج جواهر الاخلاق الانسانية من معادنها لان الناس معادن
الذهب والفضة والسنة في استخراج جوهري الشكر والصبر الابتلاء وهما الجزع والكفران وهما جوهران من معادن
النفسانيات لاهل الرد والسخط فالبلاء يجوز ان يراد به الابتلاء بالشهوات كان الظاهر منه الابتلاء بالمحنة فانه من امور
المذكورة الظاهرة في المحنة بلاء وهو متضمن لمنحة جليلة من النعم الالهية اما الخوف فهو موجب لانكسار النفس وانهزامها واما الجوع فانه
يضعف به القوى الطبيعية المردية ويسد به طريق الشيطان الى القلب واما نقص الاموال فلما فيه من تقليل مواد الشهوات الزائدة في طغيان النفس
واما الامراض البدنية فلما فيها من تذكر الموت والتنبيه على الرجوع من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قال عليه السلام لا خير في بدن لا يولم
واما موت الاولاد والعشاير فلما فيها من قطع التعلق عن الدنيا وقصر الامل والتبتل الى الله بالكلية ونعم المعين على الوصول الى المقاصد الدينية
هؤلاء فليكن العبد صابرا على ظواهرها التي هي انواع المحن شاكرا على بواطنها التي هي اصناف النعم الالهية والالطاف الربانية نكتة بشر
الصابرين بعد ما لوقاتهم بلذة محبتي فقوة ارادتي الذين اذا اصابتهم مصيبة من نصرفاتي فيهم شاهدوا آثار قدرتي بل انوار تجليات صفاتي
وقالوا انا لله الى العقوا انهم ملكه التصرف وانا اليه راجعون اي ليس لنا وجود حقيقي نملكه بل وجودنا مجازي وله الوجود الحقيقي
وانا اليه راجعون ببذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي في مقام العندية فيخرج من عندنا ببذله عندنا ليدخلنا في مقعد صدق
عند مليك مقتدر اولئك صلوات من ربهم بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتي المنور بانواري ورحمة وبنور هداية
يهدون بها الخلق الى ولاي واولئك هم المهتدون بجذبات الحق الى مقام العندية ولما كان جملة ذكر من الخوف والجوع ونقص المال ونقص
البدن بالامراض واتعاب الانقطاع عن الاهل والاولاد وعن الثمرات المألوفة في الاوطان مما يحتاج الحاج بيت الله تعالى من شيء منها
كما هو المعلوم المشهود لكل احد ذكر تلك المصائب والامر بالصبر عليها تذكر الحج فكان جعل ذكرها تمهيد التوطين النفس على شدايد الحج ومشاقه
فقال ان الصفا والمروة هما علمان لجبلين بمكة والصفا في اللغة الحجر الابيض الصلب والمروة الحجر الاسود الرخو من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت
وزيارة على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف من اصنام قريش على الصفا ونائلة على المروة وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكرهت الاصنام تحرج المسلمون ان نطوف بينهما لذلك فنزلت والاجماع على مشروعه في الحج
والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فمنهم من ذهب الى عدم وجوبه لقوله فلا جناح واجيب بان نفي الجناح دل على الجواز الداخل في معنى الوجوب

فلا يقعد وذهب بعضهم الى انه واجب يجبر بالدم وذهب الشافعي انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة
وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف اي تطوع تطوعا حسنا او الخير هنا مخفف الخير لا بمعنى الاجر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
تطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى شي من طاعاتهم عليه قال ارباب المعرفة
ان صفا وجود القلب ومروة وجود النفس من شعاير الله من اعلام دينه ومناسك القلبية كاليقين والاخلاص والتوكل والرضا والقالبية
كالصلوة والصيام وساير العبادات البدنية فمن حج البيت اي بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرت الالهية بالفناء الذاتي الكلي
او اعتمر زار الحضرت بتوحيد الصفات والفناء في انوار تجليات الجمال والجلال فلا جناح عليه في ان يطوف بهما اي يرجع الى مقامهما
ويتردد بينهما لا بالوجود التلويني فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفي الحرج فان في هذا الوجود سعة
بخلاف الاول ومن تطوع خيرا من باب المعاليم والشفقة على الخلق والنصيحة لهم وغير ذلك من ابواب الاخلاق بعد كمال السلوك
والبقاء بعد الفناء فان الله شاكر يشكر عملهم بمزيد الثواب عليهم بانه من باب التصرف في الاشياء بالله ان الذين يكتمون ما
انزلنا من البينات والهدى يعني احبار اليهود كتموا الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يهدي الناس الى الايمان به من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من
الملائكة والثقلين الا الذين تابوا من الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله
في كتابهم لتتم توبتهم فاولئك اتوب عليهم ما رجع اليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة
وافاضة الرحمة اشارة ان الذين يكتمون ما افضنا عليهم من نتايج انوار المعارف وعلوم تجليات الافعال والصفات
هدى الاحوال والمقامات بالتلوينات النفسية الحاصلة بالمكاشفات القلبية والمسامرات السرية والمشاهدات الروحية من بعد ما بيناه
للناس في كتاب عقولهم المنورة بنور المتابعة المدركة لاثار انوار القلوب والارواح ببركة الصحبة اولئك يلعنهم الله بردهم وابعادهم ويلعنهم
اللاعنون من الملا الاعلى بحجابهم وترك امدادهم من عالم المدد والنور الا الذين تابوا اي رجعوا عن ذنوب احوالهم واظهروا واصلحوا ما
مع الله بالاخلاص ما احتجب عنهم فاولئك اقبل توبتهم وانا التواب الرحيم وفي الاية اشارة اخرى وهي ان كتمان ما كوشف به
اهل العلم والوقايع من نتايج علوم الحقايق واسرار القران والاخبار وهذا يد الطريق الى الله تعالى يوجب المقت ويخشى عليه عذاب
الذل والحجاب كما قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم علمه الله تعالى فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
اي من لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم وهم احياء وهذا لعنهم وهم اموات وقري والملائكة والناس اجمعين عطفا على محل اسم الله فانه فاعل في المعنى
او فاعل لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما وتهويلا لشانها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والاشارة في الاية ان اللعنة

والبغضاء

والبغضاء من الحق تعالى توجب اللعن من الملائكة والناس كانهم يتوافقونه في المحبة والبغض قال الله تعالى اذا احب الله تعالى العبد نادى جبريل
ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا نادى جبريل ان الله تعالى ابغض فلانا
فابغضوه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي الخلق قال فيوضع له البغضاء في الارض والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق للعبادة واحد
لا شريك له يصح لان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لما يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره
وهما خبران اخران لقوله الهكم قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في
خلق السموات والارض جمع السموات وافرد الارض لان السموات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارض
واختلاف الليل والنهار يريد تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم
او بالذي ينفعهم والمقصود منه الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه
ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر والفلك يستوي فيه المفرد والجمع ولعلهما محمول على الجمع ههنا
للتانيث وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به
الارض بعد موتها بالنبات وبث اي نشر وفرق فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون
النبات به وبث الحيوانات في الارض وتصريف الرياح في مهابها وقرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر
بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشية الله
واشتقاقه السحاب من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام
ويل لمن قراها فمسح بها سبلته اي لم يتفكر فيها تاويل ان في خلق سموات الارواح وارض النفوس واختلاف النور والظلمة بينهما
وفلك القوة الفكرية التي تجري في بحر العلوم والكسبية بما ينفع الناس للشهود الازلية في كسب ما يذكرهم عهودهم وما انزل
الله من سماء الروح من ماء فيض العلم الوهبي اللدني فاحيى به ارض النفوس بعد موتها بالجهل وبث فيها من كل دابة يعني بها القوى الحيوانية
التي هي الة في كسب العلوم والمعارف وتصريف رياح الخواطر الرحمانية والنفسانية والشيطانية المعبر عنهما بالصبا والدبور في قوله عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وسحاب العقل المسخر بين سماء الروح وارض النفس من اصبع الصفات الجلالية والجمالية الرحمانية
لايات لقوم يعقلون بالعقل النوراني المنور بنور الشرع المجرد عن شوب الوهم نكتة ان العالم بما فيه خلق بتبعية الانسان فان الحكمة
في خلق هذه الاشياء لتكون كل شي مظهرا لاية من ايات الله تعالى فايدة هذه الاشياء من الايات المودعة فيها فان يدركها عائدة الى
الانسان لانهم قوم يعقلون الايات كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او ما هو
اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينهم وبينه في

المحبة والطاعة والمحبة اسم مصدر بمعنى الحب وهو ميل القلب الى ما يناسبها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع
محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة فهم يحبونها بالحقيقة لانفسهم فلا جرم ستزول محبتهم بتغير اغراض النفوس
ويؤثرون انفسهم عند خوف الهلاك ومضرة النفس بالتوجه اليهم وكذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند حلول الشدائد ويعبدون
صنما زمانا ثم يرفضونه الى غيره اشارة والاهل المحققين ان لم يكن اهل المحبة مستانسا طرحته الغرض الى محبة الانداد ابدا وهي
كل ما يحب الناس من دون الله تعالى اما من جنسهم كالازواج والاولاد والاحباب والرؤساء والملوك اما من غير جنسهم كالحيوانات
والدراهم والدنانير وسائر اموالهم بالاقبال عليهم والتوجه الى نحوهم والتفكر في احوالهم يحبونهم كحب الله او كما يحب الله فيكون تلك الاشياء
عندهم مساوية في المحبة مع الله فيكون هذه الاشياء اندادا وشركاء بالنسبة اليهم ويكون هي محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير فهي آلهتهم
كما ان الله اله الخلق فهم جعلوا لانفسهم آلهة اندادا والذين آمنوا اشد حبا لله من غيرهم لانهم لا يحبون الا الله لا اختلاط حبهم لمحبة غيره و
لا يتغير ويحبون الاشياء لمحبة الله بقدر ما يجدون فيها من جهة الالهية كما قال بعضهم للحق حسنا وللخلق حسنا واذا اختلفا فالحق احب الينا
اي اذا لم يتوجه الالهية فهم بمخالفتهم اياه انقطعت محبتنا عنهم والتحقيق في ذلك ان المحبة نوعان محبة هي من صفات الانسان وهي
هوى النفس ومحبة هي من صفات الحق تعالى وهي الارادة القديمة التي اقتضت خلق الاكوان كما قال تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق ليعرفوني فمن وكل الى محبته الانسانية بل جذبته العناية الازلية وخطته في سلك من يحبهم للكمالات الابدية فيجعل
لهم الحق بصفة المحبة فانعكست تلك المحبة من مرآة قلبه اليه فتلك المحبة يحبهم ويحبونه فانها لا تتعلق بغير الله تعالى لانها من عالم الوحدة فلا
تقبل الشركة فكان كما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الاعداء احبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والاحباب احبوا الى الله تعالى
بمحبة باقية ربانية حقيقة المحبة والحب لطيفة ناشئة من الحبة التي تنبت منها الشجرة وتنشئ منها اصولها وفروعها فان حبة المحبة
في رتبتي الغيب والشهادة منشأ شجرة الآثار ومبدأ تفاصيلها زرعت حبة الارادة بيد القدرة في ارض العدم وسقيت بماء العلم
المنفجر من عين الحياة فظهرت اول ما ظهرت في الغيب بصورة حبة حقيقة الحقائق التي هي الحقيقة المحمدية في مرتبة الغيب وهي اول نقش
ولذلك قال ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فانشئ من تلك المحبة شجرة الحقائق العلمية الالهية والكونية المسماة
بالاعيان الثابتة فاثمرت الشجرة في عالم شهادة العقل فانشئت منها شجرة النفس فاثمرت الشجرة حبة الهيولى فانشئت منها شجرة
الجسم فاثمرت حبة آدم فانشئت منها شجرة الافراد الانسانية فاثمرت حبة النشاة الشخصية المحمدية وبها انتهى سير
حقيقة الحقائق في مراتب الغيب والشهادة فهي اول حبة المحبة في الاول وآخر حبة المحبة في النهاية ولذلك سمي حبيب الله فافهم
تكن على بصيرة في تحقيق المراتب ان شاء الله تعالى ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون
العذاب او عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه وقوعه ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان

والتقدير

والتقدير ولو يرى الذين ظلموا انداده غيرنا فعرفوا لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وان الله شديد العذاب
عطف على ما قبله قرأ يعقوب وان بالكسر في الموضعين على الاستيناف قال اهل التحقيق ولو يرى الذين ظلموا يعني وضعوا محبة
الله تعالى في غير موضعها اذ يرون العذاب عذاب حجابهم بانهم ان القوة والقدرة كلها لله ليس لآلهتهم شيء منها وان الله شديد العقاب
بان يحجبهم بالكلية في نار الحرمان بالسلاسل النادية المستفادة من محبتهم اياها لكان لا يدخل تحت الوصف وفي بحر الحقائق ولو يرى
الذين ظلموا اذ يرون العذاب عذاب القطيعة من الله تعالى والم نار فراقه ليتحقق لهم ان القوة لله جميعا اي قوة كل الم وبلية ووجع كل
داء وعلة من قوة عذاب القطيعة مستمدة منها وجميعها مندرج في ضمن عذاب فقدان الله والحرمان منه وان الله شديد العذاب يعني
ان شدة عذاب الدنيا والآخرة توجد في شدة عذاب فقدان الله ولا توجد شدة عذاب فقدان الله في الشدائد كلها كما قال وان عذابي هو
العذاب الاليم اي عذاب فرقتي وقطيعتي وذلك كما ان لذة وجدان الحق تعالى ووصاله يندرج فيها لذة وجدان كل شيء ولذة وجدان
جميع ما في الكون لا تسع شيئا من لذة وجدان ووصاله تعالى ولذلك المؤمنون اشد حبا لله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
الواو للحال والعطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من
الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء
للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا
فنتبرأ منهم كذلك مثل هذه الاراءة الفظيعة يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهو ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب
والا فالنصب فيه على الحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص
والرجوع الى الدنيا اشارة كل وصلة وصحبة ومحبة وموافقة ومتابعة يكون مشوبة بالهوى ومعلولة بالريا والاغراض الفاسدة
والاطماع الحيوانية فانها ينقطع بانقطاع الحياة الدنيوية الفانية فاذا انقطعت عنهم هذه الاسباب نادى منادي العذاب يكون حاصل امرها
العداوة والفرقة والتبري كقوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين بخلاف المواصلات الدينية والمحبات الالهية المبنية على المناسبات
الروحية والتعارف الازلي فانها يبقى ببقاء الروح ابدا بل يزيد في الآخرة بارتفاع الغواشي البدنية والكدورات الجسمانية والاغراض الداعية الى المنازعة
كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين بل لا يزداد بعضهم الى بعض بطول الزمان الا محبة وودادا كما قال قد طال الى لقائكم اشواقي
والهجر في الفراق من اماني لو قطعت الوزاق اربا اربا في المحبة حبكم كما هو باق كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم يعني حسرات على ما فاتهم
من الدرجات والقربات والكرامات وما هم بخارجين من نار الحسرة والقطيعة الى الآباد يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال عما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل
كل ما في الارض والمراد بالطيب ما يستطيبه الشرع وجاز ان يراد ما يستطيبه الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا
بالشيطان في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة بضم الخاء وهو ما بين قدمي

للخاطئ وقرئ بفتحتين على انه جمع خطوة بفتح الخاء وهي المرة من الخطو إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة
لمن يغويه إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتسلطه على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم
بجعلهم بمنزلة المأمورين له والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع ووجه جواز العطف اختلاف الوصفين فان سوء على المنكر باعتبار اغتمام
العاقل به وكونه فحشاء باعتبار استقباحه اياه وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد كالزنا والسرقة وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن في الاحكام وسائر العقائد الكلية تأويل كلوا مما في الارض
تناولوا من اللذات والتمتعات التي في الجهة السفلية من عالم النفس والبدن على وجه حلال طيب اي على قانون العدالة باذن الشرع واستصواب العقل بقدر
الاحتياج والضرورة ولا تتبعوا خطوات الاعتدال الذي هو طيب فتقع الى حدود الاسراف فانها خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين يريد ان يهلككم و
يبعدكم الى ... بارتكاب الاسرافات المذمومة فانه لا يحب المسرفين او بارتكاب التفريط اذا عجز عن حملكم على الاسراف فانه لا يزال
من العدالة التي هي ظل الوحدة الالهية الى حد حاشيتها ولذلك قال سيدنا علي على نبينا وعليه التحية والسلام لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا
فان الجاهل بحكم الشيطان انما يأمركم بالسوء اي الاضرار والاذى الذي هو افراط القوة الغضبية والقبائح التي هي افراط القوة الشهوانية
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي الذي هو افراط القوة النطقية لتشوب العقل بالوهم الذي هو الشيطان المتخيل وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا اي ما وجدنا عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا
الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ
الواو للعطف تقديره اتتبعونهم والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وفيه
دليل على منع تقليد الجاهل واما من علم انه محق كالنبي والمجتهد التابع للدليل فاتباعه واجب وذلك ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله وَمَثَلُ
الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً النعق هو التصويت على البهائم والمعنى مثل داعي الذين كفروا كمثل
بهائم من ينعق بما لا يسمع من نعق عليه الا دعاء ونداء شبههم بالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مقصوده وتحس بالنداء ولا تفهم معناه
ويجوز ان يكون من باب التمثيل المركب بان شبههم في دعائهم الاصنام بالناعق على البهائم ولعل هذا اقرب لكونه مغنيا عن الاضمار صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ
رفع على الذم اي هم صم فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ جاز ان تكون الفاء للسببية فان النظر العقلي انما يكون بواسطة استعمال الآلات الحسية فمن كان
كالفاقد للحس بترك استعماله كان فاقدا للنظر العقلي بالحالة تبصرة قال في بحر الحقائق مثل الذين كفروا في عالم الارواح عند الميثاق
اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير والارواح كانت جنودا مجندة في
اربعة صفوف فكان في الصف الاول ارواح الانبياء وفي الصف الثاني ارواح الاولياء وفي الصف الثالث ارواح المؤمنين وفي الصف الرابع
ارواح الكافرين فاحضرت الذرات التي استخرجت من ظهر آدم ع وامتزت كل ذرة بازاء روحها فخاطبهم الحق بقوله الست بربكم فالانبياء سمعوا كلام

الحق

استقبحه

الفحشاء اي م

الحق كفاحا بلا واسطة وشاهدوا انوار جماله بلا حجاب ولهذا استحقوا ههنا الرسالة والمكالمة والوحي والاولياء سمعوا كلام الحق وشاهدوا انوار
جماله وراء حجاب ارواح الانبياء ولهذا احتاجوا ههنا الى متابعة الانبياء فصاروا عند القيام باداء حق متابعتهم مستحقي الالهام والكلام من وراء
الحجاب والمؤمنين سمعوا خطاب الحق من وراء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الانبياء وقد بين هذه المراتب الثلاث بقوله ما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فالوحي للانبياء والحجاب للاولياء وارسال الرسول للمؤمنين والكفار لما سمعوا الخطاب من وراء
الحجب الثلاث كانوا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء فما شاهدوا من انوار جمال الحق ولا ... كثيرا وما فهموا اشياء من كلام الحق الا انهم سمعوا من
ذرات المؤمنين من وراء الحجاب فلا يقلدوهم فيه لاجل ما كان شانهم التقليد مستوليا على طبيعتهم ههنا فقلدوا ما الفوا عليه آباءهم ثم انهم لما
تعلقت ارواحهم بالاجساد وتكدرت بكدورات الحواس والقوى النفسانية واظلمت بظلمات الصفات الحيوانية اصمهم الله واعمى ابصارهم
الآن بصمهم عن استماع دعوة الحق من الانبياء وسمع القبول بكم عن قول الحق والاقرار بالتوحيد عمي عن رؤية الآيات والمعجزات فهم لا يعقلون لانهم ابطلوا اصفاء
عقولهم الروحانية وحرموا عن فيض الانوار الربانية وانهم لا يعقلون انهم صم بكم عمي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لما وسع
الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا وان يقوموا بحقوقها كما قال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
على ما رزقكم واحل لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتعرفون بانه مولى النعم فان العبادة لا تتم الا بالشكر
نكتة ان الله تعالى امر المؤمنين باكل الطيبات كما امرهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة لغايتين احديهما ان يكون اكلهم بالامر ليطيعوا
فيتميزوا بذلك عن الحيوانات ويخرجوا من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع والثاني ليشبههم بالانبياء بامر الاكل كما شبههم بالانبياء بامر الصلوة والزكوة قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يوجر في كل شيء حتى اللقمة يضعها في فم امرأته إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ يعني اكلها والانتفاع بها وهي التي
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بالميتة ما ابين من حي والسمك والجراد مخرجان عنها عرفا مستثنيان فيها شرعا وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ خص اللحم
بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن جرت العادة بان
يرفع الصوت بالتكبير اذا رءى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره وقصر الحرمة على المذكورات باعتبار ما استحلوه لا مطلقا فان
وراء ذلك محرمات بينها الكتاب والسنة فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ من الجاء الى اكل الميتة حال كونه غير باغ مضطرا اخر باستيثار نفسه
عليه وغير متجاوز عن حد سد الرمق فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ في تناوله وقيل المراد غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح الاكل للعاصي بالسفر
لانه رخصة والرخص لا تناط بالمعاصي كما في قصر الصلوة وافطار رمضان إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لما فعل رَحِيمٌ بالرخصة فيه تبصرة كما حرم على
الظاهر اكل هذه المحرمات حرم على الباطن شهود غير الله من الموجودات فالميتة هي جيفة الدنيا كما قال قائلهم وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب
همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها والدم الشهوات النفسانية قال عليه السلام ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم الحديث ولو ان الشهوات في الدم مستكنة لما كان للشيطان اليه سبيل ولحم الخنزير اشارة الى هوى النفس وتشبيه النفس
بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخباثة ظاهرها وباطنها وما اهل به لغير الله هو كل ما يفعل من الخيرات لما فيه من غير اخلاص لله
بل للرياء والسمعة في سبيل الهوى فمن اضطر اليها لحاجة نفسانية واما لضرورة امر الشرع باقامة احكام الواجبات عليه فليتشرع في

منها عن ابتغائه اي عن حرص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وعن مولع على الشهوات بالحرام والحلال ولا عاد اي غير متجاوز من الدنيا حد القناعة
عن الشهوات ما لم يحجب عن الحق ولا يتخذ وخطا ما احل الشرع فان الله تعالى اوحى الى داود عم حذر وانذر قومك عن اكل الشهوات فان القلوب
المعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة فلا اثم على من قام على هذه الحدود التي حدها الشرع ومن لم يكن من المستهلكين في طريق الحق ووصل
فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلا فاما ان يكون به محل في الله او يكون قائما بالله او يكون عالما بالله ولا يكون الرابع فيكون من حزب الشيطان
ان الله غفور رحيم لمغفرة العالمين لدبا نار الرحمة والقايمين به بانوار الرحمة والماحين فيه باوصاف الرحمة ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا من حطام الدنيا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اي في الحال
لانهم ياكلون ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليهم فكانهم اكلوا النار وفي المال لانهم لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم
ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال عليه السلام كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة ذلك عبارة عن غضبه
عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم قال في
بحر الحقائق الاشارة فيها ان العلماء المداهنين الذين يكتمون الحق من ذلك عن الملوك والوزراء وارباب الدنيا اما خوفا عن انقطاع مرتبتهم ونقصان
قدرهم عندهم واما طمعا في احسانهم وبرهم معهم او لانهم شركاؤهم وهم في بعض احوالهم من حب الدنيا وجمعها والحرص في طلبها او طلب
مناصبها وحب رياستها او بالتنعم في الماكول والملبوس والمركوب والمسكن والزينة في كل شيء فعند ذلك يداهنون ويشترون
بالكتمان ثمنا قليلا من متاع الدنيا وهي متاع قليل اولئك ما ياكلون في بواطنهم الا نار الحرص والشهوة والحسد التي تاكل الحسنات القلبية
والاخلاق الروحانية كما قال عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فنعوذ بالله منها للطاعات ويحيط القلب بالنار لمناسبة في
العمل بهذه اوات في كل علم وقول وفعل يصدر من العبد على خلاف الشرع شررا مخفيا من نار السعير فيحصل تلك النار في قلب العبد من ذلك العمل
حينئذ كما ان في كل عمل وقول وفعل يصدر من العبد على وفق الشرع نورا مخفيا من نار المحبة يستولي على القلب فيحرق كل حجب عن الله في الحال
ومثال ذلك ان في الحلو حرارة مخفية فاذا اكل الرجل ذلك الحلو يحصل تلك الحرارة في المزاج في الحال ويحرق الرطوبات والاخلاط فمن نزلك
حال من اكل ذلك الثمن القليل او اكل مال اليتيم او غضب غضبا شديدا حتى تراه كانه اشتعل بالنار المحسوس بل صار كشعلة نار في الحس بل تلك
النار المعنوية اشد تأثيرا فيه من النار المحسوس لانه ربما انه قد يموت باستيلاء النار الغضبية عليه في زمان لا يموت بالنار المحسوسة اذا اشتعلت عليه
في ذلك المقدار من الزمان فلم يؤمن بمثل هذه الاشياء من لم يعرفها كما يجب ان يؤمن بتسبيح الجمادات لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم في مباشرة الامور الموجبة لدخول النار من غير مبالاة كانهم من عدم مبالاتهم
متناهون في الصبر عليها ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فتركوه بالتكذيب والكتمان
وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض الكتب وكفرهم ببعض وللعهد فالاشارة اما الى التورية واختلافهم
فيه تخلفهم عن المنهج المستقيم في تاويلها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم انه سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد

لفي خلاف

لفي خلاف بعيد عن الحق تنبيه هذا الوعيد عن بعيد عن علماء ملتنا الذين رخي الاختلاف فيتمسك كل احد باية يراها موافقا لرأيه
ومذهبه يحتج بها على من يخالفه في مذهبه ويرد عليه لاحتجاجه بما يراه موافقا لرأيه فيظن ان القرآن متدافع بعضه ببعض ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة
ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم فقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقرا حمزة وحفص
ليس البر بالنصب وفيها يحتمل ان يأول بالمشرق والمغرب هنا هوان يقول ليس البر ان تجعل وجهة اما الى مشرق العقل الصرف ومقتضياته في
الاعتقاد والعمل والتخلق بالاخلاق بان تقتصر النظر على مقتضيات العقل في سلوك طريق الحق باتباع النواميس الحكمية من غير النظر الى ما جاء
الشرع ونطق به الكتاب والسنة فان العقل من غير استظهار الشرع عن واف بما يرتضيه الحق تعالى من العبد في سلوك طريق الفوز والنجاة و
اما ان تجعل قبلة احوالك مغرب ظلمة الطبيعة ومقتضياتها بان تقتصر النظر عليها فتذهب كل التسويلات النفسانية الى مهالك اودية الضلالة و
تخبط في سلك المعطلة والدهرية وانما البر ان تجعل نفسك تابعة للشرع وتمشي حيث مشى بك الشرع في الاعتقاد والعبادات والاخلاق
كلها كما قال ولكن البر من امن بالله والملائكة والكتاب والنبيين اي لكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن بالله او ولكن ذا البر
من امن ويؤيده قراءة من قرا ولكن البار والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال
على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير
لله اي على حب الله لئلا يشغل قلبه عنه ولانه تعالى يرضى باتيانه وقيل الضمير للمصدر اي على حب الايتاء يعني بطيب النفس فان الكرم هو
الفرح وطيب النفس بالاعطاء والجار والمجرور في موضع الحال على كل حال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم وقدم ذوي القربى لتضاعف
الاجر فيهم كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه
الخلة وابن السبيل المسافر سمي به لملازمة السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل اقدمه والسائلين الذين الجاهم
الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب اي في تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى وابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من
الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقها كانت في المال سوى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في الباساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة العدو
اولئك الذين صدقوا باتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل ومقاصد هذه الاية بما
اشتملت عليه من كليات امر الدين ومعظمات شعاير ارباب اليقين منحصرة في ثلاثة اشياء الاول الاعتقادات الصحيحة واليها اشار
بقوله من امن بالله والكتاب والنبيين والثاني الاعمال الصالحة واليها اشار بقوله واتى المال واقام الصلوة واتى الزكوة والثالث
الاخلاق المرضية واليها اشار بقوله والموفون بعهدهم والصابرين في الباساء والضراء ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق والتقوى وقد قال عم

من عمل بهذه الآية فقد استكمل الآية تأويل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل مشرق الارواح ومغرب عالم الاجسام فانه تقيد واحتجاب ولكن البر
بر الموحد الذي آمن بالمبداء والمعاد في مقام الجمع اذ التوحيد في مقام الجمع يلزمه البقاء الابدي وهو المعاد الحقيقي ومشاهدة الجمع في تفاصيل
الكثرة لم يحتجب بالجمع عن التفصيل الذي هو باطن العالم المشار اليه بالملائكة وظاهره المشار اليه بالنبيين والجامع بينهما المشار اليه بالكتاب
الجامع للاحكام الظاهرة والحكم والمعارف الباطنة وآتى المال المنفق عليه من العلوم والمعارف على حب مولاه من اقامة متحلي في محبته ليكمل
امر خلافته وهم ذوي قربى القوى الروحانية يتعلق بهم من الروح وقرابتها للقلب ويتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت
عرضا تها بسطوات تجلي صفات الحق ومساكين القوى الطبيعية لكونها دائمة السكون لتراب البدن وابن السبيل الحواس والمشاعر فانهم
في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والموهومات والمحسوسات والسائلين وهم الدواعي الحيوانية والروحانية ويعطى في الرقاب
اي في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين وعتق رقبته عن عبد بيوما في الدارين فان الكاتب عبد ما بقي عليه درهم فعلى العبد المستقيم
في مقام القلب ان يفيض على جميع حقايق نشأته من العلوم والمعارف ما يليق بشأن كل واحد منها فاذا تخلص السر عن اسر الاغيار بدوام
المراقبة صار اهل المشاهدة واقام الصلوة على الحاضرة مع الله بالله وآتى الزكوة مواهب الحق الى اهل استحقاقها فمن فعل ذلك فقد وفى
بعهده الى التوحيد بالعبادة وصبر على باساء مراعاة الحقوق وضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء المشهود وحين باس
محاربة الشيطان اولئك الذين صدقوا الله في الوفاء بعهده وعزمهم السلوك بعملهم واولئك هم المتقون من شرك الانانية
بالاستهلاك في الهوية يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب علاوة وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان لا يغلب احد على الآخر بل يتساووا في القصاص فلا عرض
اذن بالمفهوم بان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى فان المفهوم انما يعتبر اذا لم يكن للتخصيص غرض سوى تخصيص الحكم وترتيب
هنا ما هو الغرض وانما منع من منع قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي على نبينا وعليه التحية والسلام ان رجلا قتل
عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان
الصديقين كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الجناية على الاطراف فمن عفي له من اخيه شيء
اي شيء من القصاص في قتل العبد كما ذهب اليه جمهور المفسرين وذكر الشيء ليدل على ان بعض الاولياء اذا عفى يسقط القود
وعدي عفي الى شيء بتضمين معنى الترك ومثل ذلك في القرآن شايع قال الله تعالى واصبر نفسك اي احبسها وتعدى في له باللام لانه يتعدى
الى الجاني والى الجناية بعفى كما في قوله تعالى عفى الله عنك وعفى الله عنها واذا عدي بعن الى الجناية تعدى الى الجاني باللام وعليه ما في الآية فان
التقدير فمن عفي عن جنايته من جهة اخيه يعني بيد ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه وصية
بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل قيل كتب على

اليهود

اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتوزيع الحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد
ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعفي احدا قتل بعد
اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية البلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا
الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لانهم كانوا يقتلون بغير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص القاتل سلم الباقون ويصير ذلك
سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الآخرة
وقرئ ولكم في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم في الخطاب
ليحملهم على التامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او لعلكم تتقون
عن القصاص فتكفوا عن القتل تاويل ارباب المعرفة القصاص قانون من قوانين العدالة فرض لازالة عدوان القوة السبعية وهو ظل من ظلال علمه
تعالى وعدله لا يتجرد عن شوب الفضل ولذلك انما تصرف في عين جانبه كاملة … بسبب الصدق عند تجلي صفات جلال الحق تعالى في عين شواهد وجوده
فله في القصاص حيوة حقيقية لانه اذا اتلف فيه صفة الخلق عنه قال تعالى من قتلته فانا ديته ولهذا المعنى خص اولي الالباب بالنداء ثم قال لعلكم تتقون
يعني تتقون عن ترك وجودكم ببذل قشر الروح الانساني عند شهود الجلال الوحداني والجمال الصمداني فتؤيدوا بلب الروح الرباني كقوله وايده بروح منه
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي على نبينا وعليه التحية والسلام ان
مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب
وتذكير فعلها … وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث بالمعروف فلا يفضل الغني
ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد بتقدير حق ذلك حقا تاويل كتب معنى نكتب قال اهل المعاني ليس شيء من القرآن منسوخا …
دخل النسخ في احكام ظواهره فلا يدخل في حكم باطنه فيكون ابدا معمولا بالمواعظ والحكم والاسرار ومن ذلك ان يقال في التاويل هذه الآية
كتب عليكم اذا حضر الحق … احدكم بالتجلي والشهود الموت اي موت النفس الحيوانية عن صفاتها لان في حيوة الروح بالشهود موت النفس كما ان في حيوة
النفس بالحظوظ موت الروح فالموت على هذا هو لنا … في تذكير كتب مع الاسناد الى الوصية بحسب الظاهر وصح الحمل على هذا المعنى
بحسب الباطن وهذا من خفيات اسرار القرآن يختص الحق تعالى بفهمه من يشاء من عباده والحمد لله على ذلك وعلى هذا يكون قوله ان ترك خيرا مستأنفا و
الوصية للوالدين جوابا للشرط باضمار الفاء كما قررنا في الكتب الادبية جوازه والمعنى ان يوصي المتنفس بما له من القوى والحاسات للوالدين الروح والبدن و
الاقارب التي هي المولدات منها بان يخرج بالموت الاختياري عن التصرف في الامور بتلك القوى ليتصرف الروح فيها بما يرتضيه ويتفق على البدن والقوى
التي عليه بعضها بما يقتضيه العدالة الالهية فيعطي كل ذي حق حقه فيكون رؤيته وسمعه ومشيه وبطشه وشهوته وغضبه مطهرة عن شوائب الاغراض
الدنية فالبري اي لا يسمع الا بالله ولا يمشي ولا يبطش الا كذلك فيصير الاهواء بذلك ربا واحدا والمحابي محبوبا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا كما قال
قائلهم وكل لهم سؤل ودين ومذهب ووصلكم سؤلي وديني هواكم واسم من الانام مرادي وهي مناي منا كم واختاري رضاكم فمن بدله غيره
من الاوصياء الشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق عنه فانما اثمه اثم ذلك التبديل على الذين يبدلونه لانهم الذين خانوا في اخلاق الشرع

إن الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص جنفا توقع ميلا بالخطاء أو إثما الحيف في الوصية وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وأبو بكر موصٍّ مرضيّ فأصلح بينهم بين الموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع فلا إثم عليه في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق
بخلاف الأول إن الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم به يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم
في اللغة الإمساك عما تنازع إليه النفس وفي الشرع الإمساك عن المفطرات فإنها معظم ما تشتهيه النفس لعلكم تتقون المعاصي فإن الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبدؤها أي تتقون الإخلال بأدائه لأصالته وعموم الأمر به قال الشيخ رض لعلكم تتقون أي تحترزون الصوم جنة ووقاية
فإن النبي صلعم الصوم جنة والجنة الوقاية وذلك لما فيه من وجه تنزيه وهو الحق فيكون حاجبة بين العبد وربه أياما معدودات
موقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبله ونسخ به وهو صوم عاشوراء
وثلاثة أيام من كل شهر وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام كما روي أن رمضان كتب على النصارى فوقع في حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه
عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم والظاهر في نصب أياما الظرفية لكتب مخلصا عن تعلق بصوموا وعن إعمال المصدر مع الفصل
فمن كان منكم مريضا يضره الصوم ويعسر معه أو على سفر أو فيه إيماء بأن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر فعدة من أيام أخر أي فعليه صوم عدد
أيام المرض أو السفر من أيام أخر إن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
وإليه ذهب الظاهرية قال أرباب الطريقة الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب يشير إلى صوم القلب والروح والسر الذين آمنوا
بشهود أنوار الحضور مع الله تعالى فصوم القلب صونه عن شهود غير الله فمن أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل ومن أمسك عن الأغيار فنهاية
صومه أن يشهد الحق والمشير في قوله ع صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته علامة الحق نعم عند أهل التحقيق فينبغي أن يكون صوم العبد ظاهرا وباطنا
لرؤية الحق وإفطاره بالرؤية كما قال شعر أيامه اقتصام حرفي عن شهود سواكم وحق له لما أشرقت نواكم ويفطر قوم حين يبدو هلالهم
ويبقوا لهلال الصبح حين يراكم قوله عليكم يشير بخطاب الجمع إلى أن الصيام كتب على جميع الأعضاء والقوى والحقائق الإنسانية فصوم
اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر بالغفلة والريبة وصوم السمع عن استماع المناهي وصوم النفس عن التمني والملاذ
والملاهي وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن رؤية وجود غير الله وإثباته قوله
كما كتب على الذين من قبلكم فيه إشارة أي أن وجود أجزاء الإنسان من الجسمانيات والروحانيات كانت صائمة قبل التركيب عن المشارب
كلها فلما تعلق الروح بالقالب صار أجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية فلأن كتب عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب عليهم وهم مفردات
لعلكم تتقون عن مشارب المركبات وتصومون عنها مع استعداد الترتيب ثم أخبر عن كمال لطفه مع العباد بتقليل الأعداد بقوله أياما معدودات
والإشارة فيه أن صوم في أيام قلائل معدودات متناهية وعزائمه صومكم وفوائدها في أيام غير معدودات ولا متناهية فلا يهولنكم سماع
خطابه وهذا كقوله وجاهدوا في الله حق جهاده ثم قال وما جعل عليكم في الدين من حرج ثم تمم فضله ولطفه بعباده بقوله فمن كان منكم مريضا
أي وقع له فترة في السلوك لمرض عرض قلبه من غلبات صفات النفس ودواعي البشرية والانحراف عن مزاج الطلب أو على سفر أي وقع له نقلة في أثناء

السلوك

السلوك لطلب العلوم الرسمية التي يستعان بها على طلب مقصوده الحقيقي فليمهل حتى تستدل الداء وتقوى صحته ويدركه العناية ويتهيأ له
الأسباب المعينة في الطلب فيتدارك ما فاته من آداب السلوك ووظائف الأوقات في أيام أخر وذلك منن الله تعالى في تسهيل أهل البداية استغفار
ذلك عنهم واجبا أحوالهم وعلى الذين يطيقونه الصيام إن أفطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان بإضافة الفدية إلى الطعام وجمع مساكين وقرئ يطوقونه أي يكلفونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويطيقونه أي يتكلفونه أو
يتقلدونه ويطوقونه بالإدغام وعلى هذه القراءات يحتمل أن يكون معناه الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الإفطار
والفدية فلا يقال بالنسخ فيه وقد أول به القراءة المشهورة أي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو خير له وأن تصوموا ٦٢
أيها المطيقون أو المطوقون وجهدتم طاقتكم أو المرخصون في الإفطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير أو منهما مع التأخير للقضاء
إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي اخترتموه شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو بدل
من أياما معدودات ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للعلمية والألف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف للأمن من الالتباس وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه
من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه في أيام شدة الحر حينما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي أنزل فيه القرآن
أي ابتداء فيه إنزاله وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن
النبي ع وآله نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين
قال الشيخ رض إن الله تعالى أنزل هذا الكتاب فرقانا ليلة النصف من شعبان وأنزله قرآنا في رمضان كل ذلك في السماء الدنيا ومن هناك نزل في ثلث وعشرين
سنة فرقانا نجوما آيات وسورا لمعالج يريد من نزوله إلى الأرض في شهر شعبان تجلى فرقانا ومن نزوله في شهر رمضان تجلى قرآنا فمنا من يتلوه فرقانا
القرآن ومنا من يتلوه بنفسه فذلك الفرقان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن أي أنزل وهو هداية للناس
بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه خبر شهر
رمضان أي جعل الموصول بصلته صفة والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه
والمعنى من حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والأصل أن يقال فمن شهده فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الأول للتعظيم ونصب
على الظرف ونصب الضمير الثاني بحذف الجار اتساعا ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر كرره ليعلم أن هذا الحكم ثابت في
الناسخ ثبوته في المنسوخ أو لحمل الأيام المعدودات على غير شهر رمضان يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي يريد أن ييسر عليكم بعينه
فأباح الفطر للسفر والمرض وفيه إشعار بأن رخصة الإفطار للمريض والمسافر فيما إذا كان يصيبهما بذلك مشقة أو يخاف على المريض زيادة مرض
وقد تعارضت أدلة الأوائل فيه ولعل المختار ما ذكرناه لما روى أيوب عن عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا

الصوم في السفر فقال عروة كانت عائشة تصوم في السفر وقال سالم انما اخذت عن ابن عمر لا يصعب اصليهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم غفرا ان كان
يسيرا فصوموا واذا كان عسيرا فافطروا ولتخالف النفس بما نزعت والتيسير **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون**
الواو للعطف واللام مزيدة زيادة مطردة فيما بعد فعل الارادة صريحا كما في قوله يريد الله ليخفف عنكم او ضمنا كما في قوله امرت لاعدل بينكم
والمعنى يريدان تكملوا عدد ايام الشهر لقضاء ما افطرتم ويريدان تكبروا الله على ما هداكم اليه من التخفيف فلا تردوا عليه هديته ويريدان تشكروا
له على ذلك التخفيف فانه نعمة انعمها عليكم لكمال لطفه بكم **اشارة** فمن شهد منكم الشهر اي ادرك من تبدو امر امساك عن المشارب
بالكلية فليصمه اي فليداوم على ملازمة الامساك كقوله عليه السلام لحارثة اذا اصبت فالزم وقال ابو يزيد ناداني ربي وقال انا بدك فان صوم رمضان
كما يرمض ذنوب قوم فشهود رمضان الحقيقي يرمض رسوم قوم فشتان ما بين من يحرق ذنوبه رحمة وبين من يحرق رسومه حقيقة والاشارة
في قوله يريد الله بكم اليسر هو انه لو ان اراد بعباده اليسر لما كانوا طالبين لليسر فان صدق الطلب من العبد دليل ارادة العطاء من الحق كما
قال قائلهم لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا وقال بعضهم حقق رجاء اهل الوفاء بالعطاء واملى قلوب العشاق
بلدغ الاشواق للبقاء حيث قال يريد الله بكم اليسر وازال عن صدور العابدين مكونات التشجي وازاح عن قلوب المجاهدين مخيزات
الظنون حين قال ولا يريد بكم العسر ولتكبروا الله اي لتعظموه عن الانفصال والاتصال على ما هديكم الى عالم الوصال بتجلي الجمال ولعلكم
تشكرون نعمة الوصال باداء حق التنزيه لذات ذي الجلال ثم انه تعالى لما امرهم بصوم شهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف
التكبير والشكر عقبه باية دالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعواتهم تأكيدا لما حث عليه فقال **واذا سألك عبادي**
عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد وباحوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداع اذا دعان**
تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة والاصل داعي حذفت الياء للتخفيف وهو قياس شائع في القرآن فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهامهم فيما استغاثوا بان رد الدعاء بسبب عدم ... العبد لدعاء الحق في الطاعة والابتلاء لما لم يكن لهم التخلف
عن الامتثال بالامر كانت دعوة مستجابة لا محالة كما قال عليه السلام وكل نبي مجاب وكذلك كل من كان اثبت قدما في اتباع النبي
والامتثال بالامر كان اشد اجابة في الدعاء كما في الدعاء كما يحكى عن كمل الاولياء والانبياء **نكتة** قال الشيخ رضي الله عنه قدم
اجابته لنا اذا دعوناه على اجابتنا له اذا دعانا وجعل الاستجابة للعبيد لانها ابلغ من الاجابة فانه لا مانع له سبحانه عن الاجابة
فلا فائدة للتأكيد وللانسان موانع من الاجابة وهي الهوى والنفس والشيطان والدنيا فامر بالاستجابة واين الاستفعال من الافعال
وليؤمنوا بي امر بالثبات عليه **لعلهم يرشدون** راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق قريب **اشارة** من يكون
مخصوصا بخصوصية عبادي تكون سؤالهم عني لا عن غيري فاني بالطف اليهم اقرب اليهم منهم بهم اجيب دعوة الداع اذا دعاني
فان الاجابة مني فليستجيبوا لي حتى يتصفوا بصفتي فيستحقوا الاجابة بقوله اجيب دعوة الداع اذا دعاني وقوله ادعوني استجب لكم
فلعل يعترض ان للدعاء شروطا فالا يستجاب فيه فللاخلال ببعض شروط ومعظم ذلك التوقي عن الحرام وقد قيل الدعاء مفتاح

باب السماء

باب السماء واسنانه لقمة الحلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يقول يا رب يا رب مطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك ومن شروطها المعنوية تخلية السر عما سوى الله حتى لا يكون
مطلوبه الا الحق فاذا طلبه وجده لا محالة كما قال الا من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني واذا وجد كل مطلوب ومن لم يجده
لم يجد شيئا وكذا اوعد الاجابة بالدعاء في الاية فقال اجيب دعوة الداع اذا دعاني وادعوني استجب لكم **حقيقة** الدعاء
مستجاب عند الله تعالى اينما كان وعلى اي وجه كان فان الحق تعالى غني مطلق منزه عن ان يحمل العبد على السؤال ثم لا يعطيه
سؤله وان يعده بالاجابة ثم يخلف وعده تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما ما يتخلف حصوله عن دعوة الداعي فالحكمة فيه ان سنة الله
تعالى جرت على ترتب المسببات له سببا قريبا فينجز حصوله فيقال قد استجيب دعوته وربما يسبب له سببا بعيدا فلا ينجز فاما
ان يتراخى اجله الى ان يسوق السبب الميسر في زمان نجوبه فيقال البطائ بها السبب فهو واصل اليه لا محالة في نشأته الاخروية
وعلى حسب ما تقتضيه تلك النشأة من توجيه حال الداعي واستعداده ولا يكون ذلك الانفعال الا لما كان للحق تعالى بذلك العبد من كمال
اللطف حيث ابدله بالفاني الباقي وعلا الادنى من غائلته ما هو عوض ما هو قليل ما هو اكثر منه بمراتب لا تعد ولا تحصى فان المعد عند الله له
في كل نشأة صورة لائقة بتلك النشأة متفاوتة بتفاوت النشأة في الضيق والسعة والكدورة والصفاء والنور والظلمة
فالحق تعالى اعلم بمصلحة العبد اما ان يعجله في الاجابة او يؤخره الى ما هو خير له **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم**
روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او ان يرقدوا ثم ان عمر باشر بعد العشاء
فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي
يصبح فيها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو ما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء
اشارة هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه
باللباس او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور **علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم** تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب والاحسان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب **فتاب عليكم** لما تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم**
ومحا عنكم اثره **فالان باشروهن** لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كني به عن الجماع **وابتغوا ما كتب الله لكم** واطلبوا ما قدر لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل المعنى النهي عن العزل وقيل من غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتب الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر** شبه اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه وبذلك خرج عن الاستعارة الى التمثيل وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا

ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في
المساجد معتكفون فيها والاعتكاف فيها هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل
يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت
فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يرتع فيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون
مخالفة الاوامر والنواهي قال ارباب الطريقة ان لخواص الانسان بحسب التركيب الروحاني والحيواني تلونا في الاحوال
لا بد لهم منه فتارة يكونون بحكم غلبات الصفات الروحانية والواردات الربانية في ضياء نهار النورانية ففي تلك الحالة لهم سكر يغنيهم
عن المشارب النفسانية فيصومون عن الحظوظ الانسانية ولو بقوا على تلك الحالة لتلاشت صفات الجلال ارواحهم وطاشت
وما عاشت ابدانهم كما من الله عليهم بقوله تعالى قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه وتارة يكونون بحكم الدواعي والحاجات الحيوانية مردودين الى ليلة ظلمات الصفات البشرية وفي تلك الحالة لهم صحو يعيدهم
الى احكام عادات الطبايع الحيوانية ولو بقوا على تلك الحالة لماتت قلوبهم بالآفات وفات لهم من الحقوق ما فات كما قال الله تعالى
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة الآية فخصهم الله تعالى بنهار في كشف الاسرار وبطلوع شموس الذات ليصوموا فيه
عما سواه ويعيشوا بضياء هداه وبليلة في اسبال ستار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها فقال لهم احل لكم ليلة الصيام اي ليلة
يستريحون ويستعدون لصيام غدها الرفث الى نسائكم وهي التمتعات النفسانية من الاستمتاع بالدنيا وبه المستريح للنفس لتقوى بها
فيها تصرف الرجال والنساء لاستيفاء الحظوظ تقويا على اداء الحقوق هن لباس لكم يستركم ليحميكم عن حرارة شموس الشهود كيلا تحرقكم
بسطوات تجلي صفات الجلال وانتم لباس لهن اي بلباس صفاتكم الحميدة وانوار اعمالكم الصالحة تسترون معايب الدنيا وتمتعاتها
وقبايح شهوات النفس ولذاتها كما قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح علم الله انكم من خصوصية البشرية كنتم تختانون انفسكم
باستيفاء حظوظكم الحيوانية في ليالي الطلب من ضعفكم واستيلاء شهوتكم فتاب عليكم بافناء صفاتكم وافعالكم وعفا عنكم بافناء
ذاتكم ومحو وجودكم بالكلية فالآن باشروهن اي بعد فناء صفاتكم وذاتكم والبقاء به بعد الفناء عن انانيتكم رخص لكم في
مباشرة الحظوظ النفسانية بقدر الحاجة الضرورية الانسانية بالامر لا بالطبع وابتغوا بقدر هذه المباشرة ما كتب الله لكم من
المقامات العلية والدرجات الرفيعة وكلوا واشربوا اي تمتعوا بالحظوظ لدفع الحاجات الانسانية في ليالي الصحو حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر اي حتى يظهر آثار انوار شموس صفات الجلال ويمحي ظلمات صفات الاماني والامال ثم اتموا الصيام
الامساك عن ذكر ما سواه في نهار السكر من الامتناع عن الاستمتاع الى الليل اي ليل الصحو بعد السكر فكما ان الرزق منقسم الى حالة قبض
و الحالة بسط فالاول منقسمة ايضا الى قبض وبسط وزيادة ونقصان وحجب وجمع وفرق واحد وورد وكشف وستر سكر

وهو

وصحو واثبات ومحو وتلوين وتمكين ولا تباشروهن اي ولا تشتغلوا ... ب بالحظوظ والارواح بالاسترواح والاسرار
بالاستظهار من الاغيار وانتم عاكفون في المساجد اي مقيمون في مقامات القربة والوصلة مجاورون في حظاير القدس و
مجالس الانس بان يخرجوا من مقام اداء حقوقكم الى ساحات استيفاء حظوظكم بل كونوا اوقات احتياج الى الضروريات بالصورة
معها وبالباطن مع الحق وهذا هو مقام التمكين تلك حدود الله اي تلك القربة والوصلة والاعتكاف والتبتل اليه حدود الله
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف ولا تقربوا بالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف كذلك يبين الله مظاهر الله
آياته نزل بظواهرها على ظواهر الاحكام وبواطنها على خفيات الاسرار للناس لاهل الانس والطلب لعلهم يتقون لكي يتقوا
بانوار العواطف والجود عن ظلمات شركة الوجود ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا يأكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي
لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او حال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي او نصب باضمار ان ولا تلقوا امرها
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور و
اليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان
الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي
لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار وكان شريح يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي
بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما اشارة ان الله تعالى خلق الاموال بمصالح قوام النفس وخلق النفس للقيام
بمراسم العبودية وان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية ليعلم ان الاموال والانفس ليست لهم وانها لله تعالى فلا يتصرفوا
في الاموال والانفس الا بامر الله تعالى ثم قال ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي الاموال التي اشتراها الحق منكم كانت بين ايديكم بالامانة لا يحل لكم
فيها باطل اي بهوى النفس والحرص والشهوة والاسراف على الغفلة وكلوا بالحق وبالامر والقناعة والتقوي على الطاعة والقيام بالعبودية
وتدلوا بها الى الحكام يعني الى النفس الامارة بالسوء لتأكلوا فريقا من اموال الناس اي من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية بالاثم
اي بالقطيعة والغفلة كاكلة البهائم يأكلون لحظ النفس البهيمية فيكون مرجعكم ومثواكم النار كقوله تعالى يأكلون كما تأكل الانعام والنار
مثوى لهم يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل الامر فرد الله تعالى عليهم السؤال
على هذا الوجه ودلهم على معرفة امر اخر هو انفع لهم واليق بحالهم واهم لهم في امر دينهم فكأنه قال ما لكم ومعرفة الحكمة في اختلاف حال الهلال
وانما عليكم ان تسألوا عن فائدة ذلك على ما انعم الله به عليكم في هذا الامر من الفوائد والمصالح لتقوموا في سلوك طريق شكره على
الاستقامة والاجتهاد فامره ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة

يعرفون بها اوقاتها وحضور الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وفي تقاديم نسكه ولحلها بعد واحد والمواقيت جمع ميقات
من الوقت وهو الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار
اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا وكان يروى
ذلك عن غير من يكون من الحمس وهم قريش وكنانة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة
على اثره من الباب وهو محرم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمس فقال الرجل ان كنت احمس فاني احمس رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله
الاية وبين لهم ان ذلك ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين حال الاهلة
والدخول من غير الابواب او انه لما ذكر ان الاهلة مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما
لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جوابا سالوه تنبيها على ان اللائق بهم ان
يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى
وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها حال الاحرام وغيره
قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر واتقوا الله بتغيير احكامه والاعتراض عليه
لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر نكتة ان لكل شيء سببا ومدخلا لا يمكن الوصول اليه ولا الدخول فيه الا باتباع
ذلك السبب والمدخل كما قال وآتيناه من كل شيء سببا فاسباب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل هو التقوى وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها اي من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار بيده الى صدره
لذلك قال ولكن البر من اتقى فبقدر السلوك في مراتب التقوى يكون الوصول الى حضرة المولى كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم
واتقوا الله اي اتقوا بالله عما سواه اي اجعلوا الله نصب محاذيكم ومتقاكم ومفركم ومرجعكم كما كان قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك
لعلكم تفلحون لكي تنجوا وتخلصوا من مهالك النفوس باعانة الملك القدوس قال في التاويلات ليس البر بان تاتوا بيوت قلوبكم
من ظهورها من طرق حواسكم ومعلوماتكم الماخوذة من المشاعر البدنية فان ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن ولكن البر من اتقى
شواغل الحواس وهواجس الخيال واتوا البيوت من ابوابها الباطنة التي تلي الروح والحق فان باب القلب هو الطريق الذي ينفتح منه الى
الحق واتقوا الله في الاشتغال بما يشغلكم عنه لعلكم تفلحون حقيقته وجه اتصال الاية بالسؤال عن الاهلة هو ان مثلهم في
طلب معرفة الحقائق الاشياء كحقيقة حال الاهلة مع احتجابهم في معرفة الاشياء بصورها الحسية مثل من يريد ان يدخل البيوت من ظهورها
دون ان يدخلها من ابوابها وبيان ذلك هو ان وجوه حقائق الاشياء ومراتب التعينات هي جهة المبداء وابوابها من تلك الجهة تنهايد
عليها الفيوض الوجودية والجودية ومنها تكون رجوعهم الى الله تعالى واما الجهة التي الينا هي جهة المظهرية لا محالة فالصور الحسية التي هي عالم
الملك ظهر عالم الملكوت وعالم الملكوت ظهر عالم الغيب الالهي وهو وجه تلك العوالم كلها وجهتها التي منها ومدخل معرفتها فمن قصد معرفة
حقائق الاشياء على ما هي عليه فلا طريق له الا ان يغوص في بحار المعرفة الالهية بفناء علمه في علم الحق تعالى وقيام علم الحق مقام علمه

ليعلم

ليعلم بالعلم ما عليه المبدا تعالى من النعوت والاوصاف وانه ما من وصف من اوصاف الاكوان الا وله منشا ومستند في الحقائق الالهية
لا نشا بها منها بانبساط الوحدة الحقيقية في مراتب الكثرات ثم بعد الوصول الى ذلك المقام الاعلى والمستند الاسنى بحسب ما يستدعيه
نشاته ويقتضيه استعداده يرجع القهقرى سايرا في مراتب العوالم سالكا اياها متنزلا من عالم الى عالم تحته الى ان ينتهي الى عالم المحسوسات
بعد ما تدرج من اسفلها الى اعلاها فيطلع في ذلك الرجوع بالعلم الموهوب على حقائق الاشياء على ما هي عليه وعلى كيفية احوالها واوضاعها
فيكون بذلك داخلا في بيوت حقائق الاشياء من ابوابها ومداخل معرفتها بحيث يكون بعين العلم بالعالم الاعلى عالما بما في العالم الذي
دونه وهكذا الى نهاية العوالم فان تلك العوالم متطابق متوافق بعضها مع بعض لا نشائها من اصل واحد وان لحق ذلك الاصل في
كل عالم ما يستدعيه تلك المرتبة ويقتضيه ذلك الموطن من اللواحق واللوازم ثم ان الداخل في بيوت معرفة الحقائق من ابوابها على الوجه المذكور
قليلون وهم الخواص من الانبياء ومن على قدمهم من كمل الاولياء وذلك هو سر اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في البيت من بابه نحو ما الحماسة كما مر
ذكره ولا ينبغي ان يظن ان قوله عليه السلام انا احمس مبنيا على جري العادة التي كانت بينهم فانه عليه السلام اجل قدرا وارفع منزلة من ان يمشي في
المناسك على عادة قومه من غير ان يكون له مستند من عند الله تعالى ومن غير ان يكون له فيما فعله ايماء واشارة الى سر خفي وهو ههنا هو الايماء الى انه
هو ومن يشاركه في الشرف وعلو المرتبة مخصوصون بالدخول في بيوت معرفة حقائق الاشياء من ابوابها وفي هذا المقام من الاسرار ما لا يسعه البيان
ولا يفي بحقه تحرير البنان واذا كان الاطناب فيه مملا للمومنين ومخلا بالمقصود وفي هذا المقام من الاسرار ما لا يسعه البيان ولا يفي فليصرف
عنان القصد نحو كشف شيء من احوال القمر وسر اختلاف اشكاله في منازله مع حصول نوره فيما بين ارباب العقل هو ان القمر كوكب مظلم في نفسه
قابل للاستنارة بصقالة وجهه وكدورة ثخنه يكتسب النور من الشمس فيضيء نصف منه ابدا لمحاذاته للشمس ويكون المضيء منه وقت الاجتماع من نصفه
وجهه الاعلى فيكون وجهه الذي الى الارض مظلما فاذا زال عن الاجتماع يشرع الوجه الذي الى الارض في الاستضاءة وينحرف الظلام الى الوجه الاعلى
فيظهر الهلال ثم يزداد في الضوء بازدياد بعده عن الشمس الى ان يستقيم بدرا بالمقابلة ثم ياخذ في القرب من الشمس فياخذ الضياء في الانتقاص
والظلام في الازدياد الى ان يجتمع بالشمس فيرجع وجهه الاسفل الى ما كان عليه من الظلام والمنشا في ذلك كله على قاعدة سر الوجود في مراتب
التنزلات ومطابق العوالم بعضها لبعض هو ان حقيقة الشمس في العالم الالهي هو نور الوجود وحقيقة القمرية هو مرتبة اعلى الماهيات التي
هي الحقايق العلمية فكما ان الشمس منيرة في نفسها منورة لغيرها من الاجسام والقمر مظلم في نفسه قابل للاستنارة بنور الشمس فكذلك عين الوجود
نيرا منها عن شوب العدمية منيرة بنفسها منورة لغيرها من المراتب الوجودية والقمرية مظلم في نفسه لما فيه من شوب الاعتبارات والنسب
قابل لاستفاضة نور الوجود لاتحادها به في مرتبة غيب الغيب مشاركتها اياه في حكم الوحدة الحقيقية التي لا انفكاك لها الكثرة الا الاعتبارية فيغلبه
حكم الاحدية الوجود على واحدية المرتبة وقوة سطوته عليها وهي معنى اجتماعه بها من فوقها تختفي الماهيات تحت اشعة جلال احدية الوجود لاختفاء نور القمر
بمحاذاة الشمس له من فوق فيكون النشاة العدم ويغلبه احكام واحدية المرتبة على احدية الوجود وهي معنى انحرافه عنها يكون الاستنارة نشاة الوجود فتظهر
الحقائق في الخارج شيئا فشيئا ظهور نور القمر بانحراف الشمس عنه فلا تزال الحقايق الكونية بتلك مترددة في الوجود والعدم تدخل شيئا فشيئا في مجال
الظهور وتخرج شيئا فشيئا الى مكامن البطون فينعدم بتلك العالم الكلية في كل آن وتوجد في آن آخر بوجود ثان على قاعدة تجدد الامثال المرلي

ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا هذا هو صورة حقيقة الشمس والقمر في عالم الغيب
لما اتى بها من الاحوال والاحكام واما صورة تحقيقهما في عالم الملكوت فحقيقة الشمس هو الوجود باعتبار ظهوره بصفة التاثير والايجاد في
عالم الاجسام وهو العقل الكلي وحقيقة القمر هو الوجود باعتبار ظهوره بصفة التدبير والتصرف في عالم الاجسام وهو النفس الكلية وشمس العقل
مبزغ بنور جميع العقل لكونها ظلا له ومرتبته في التنزل فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى العقل فاذا حكم عليها العقل واستمد منها للتجرد و
للانجذاب الى المبدا وهو صورة اجتماعه بها تعطلت عن امر التدبير والتصرف في الاجسام فكانت النشاة نشاة الموت واذا حكم عليها
الطبيعة واستمدت منها التعلق بالمواد وهو صورة انخرامها عنها كانت النشاة نشاة الحيوة فبذلك لا تزال مولدات عالم الامكان تدخل
شي منها في الظهور فيحيى ويخرج شي منها الى البطون فيموت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فبالطريقة التي سلكنا بل في هذا المقام عرفت حقيقة حال القمر بالدخول في بيت معرفته
من ابن وتبين لك ان اختلاف حالتي الضوء والظلام ببعده من الشمس وقربه منها من اي شي نشا وعلى اي اصل تفرع حيث عرفت ان حقيقة
الشمس والقمر هو حقيقة الوجود وللهمة قد تحققا في مرتبة الجوهرية ثم في مرتبة الجسمية من اللوازم والخواص والاحكام والاوضاع ما يقتضيه
المقام ويستدعيه الموطن مع بقاء ما لهما من الصفة النفسية على حالها في جميع المواطن والمشاهد بحسب ما يليق بتلك المواطن والمشهد
حقيقة الشمس لم تزل مشغولة بصفة التنوير والاظهار والتبيين في كل مرتبة بحسب ما يليق بها وكذلك حقيقة القمر لم تزل مشغولة بصفة الاستنارة
والظهور والخفاء والزيادة والنقصان بحسب ما يناسب المرتبة التي ظهرت فيها على ما بيناه مما لا مزيد عليه وههنا رمز مكنون وسر مصون يكشف
القناع عن وجه شاهد الحقيقة بالكلية ساذكره لك ان احسست من اصفاء اليه واستمعت المنظر فيه وهو ان ما بينا عليه الامر من انطباع
نور الشمس في جرم القمر انما يوافق القول باتصاف الماهية بالوجود وهو امر يعبر عنه من يرى ان قيام الوجود بالماهيات او ظهوره فيها بحسبها فيلزمه
القول بكون العالم في نفس الامر على ما هو عليه في الظاهر من الوجود والشيخ الاكبر رض منع مسئلة انطباع نور الشمس في وجه القمر وانما بنى الامر
في اختلاف شكل القمر على قاعدة الشعاع والانعكاس فجعل القمر كالمراة يقع عليه الشعاع الخارج من الحدقة فينعكس عنه الى الشمس بتساوي
زاويتي الشعاع والانعكاس ثم شرح في طريقه الذي مضى فيه مذهبا بانه يحكي عن نور الشمس في محلها مغلطا من الحس في الحكم برؤيته في جرم القمر
فيكون انتقاص النور وازدياده في المرائي ناشيا من اختلاف زاويتي الشعاع والانعكاس وانفراجهما بحسب القرب والبعد على النهج المبين
في مقامه وهذا الذي بنى عليه الامر من كون القمر طريقا في وقوع النظر على نور الشمس من غير حصول النور في جرم القمر اوفق لما هو المقرر عند
اهل التحقيق من ان الاعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود وان العالم على نور الوجود من غير اعتبار حصول الوجود في الماهية ويعبر في
ذلك بالمراة وما يظهر فيها من صور الاجسام المحاذية بها فكما ان المراة المنصوبة في البيت المنقوش السطح والسقف والجدران يكون
على هذه القاعدة وهي الحق خالية عن الصورة اذا لم يكن فيه من ينظر اليها القمر يكون باقيا على ظلامه لو قدر ان لا يكون على وجه الارض
ناظر ينظر اليه وكذلك العالم يكون باقيا على عدميته لو قدر ان لا يكون في العوالم العلوية والسفلية ناظر وحيوة نفسية تجمع بين نشاتي
الروح والبدن المادي او المثالي وسيتحقق ذلك في الطامة الكبرى يموت فيها كل ذي حيوة ويتعطل النفس بالكلية عن التدبير في

للابدان

في الابدان فتصير روحا مجردا ولا سبق لها جسم وروح باقيين على عدميتهما من غير ان يكون هناك من يغلط في الحكم بوجودهما لان ذلك منشاء
من النفس بحيوتها الكونية التركيبية في الانسان والملك والجن ثم بعد تعلق الارواح بالابدان على طريق التدبير والتصرف يرجع الى العالم
على ما هو عليه الان من ظهوره في نظر الناظرين يراه المحقق على عدميته والغالط على موجوديته بقيام الوجود به غلطا بينا وظهوره فيه غلطا
حقيا والحاصل ان رؤية الوجود في التعينات غلط من العقل كما ان رؤية الصورة في المراة على القاعدة الحقة غلط من الحس كما ان النظر اذا
نظر في محسوس بحسه او في مخيل بخياله او في معقول بعقله فالمدرك في نظام الحس من الوجود لا بظهوره في ذلك المنظور اليه لما فيه من
اتصافه بالوجود بل يكون المنظور اليه طريقا في النظر على الوجود فيريه بحسب ما هو عليه من الصفات والاحوال فليكن نظرك في شهود
الحقيقة على وجه ظهورها بالتعينات لا على وجه ظهورها فيها لتتخلص من شبكة غلط العقل وتفوز في شهود الحقيقة بالدرجة العليا
والرتبة القصوى ان شاء الله وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم اي الكفرة
كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ولا تعتدوا بابتداء القتال وبقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة
وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان والمشايخ والرهابين ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير قال الربيع بن انس
هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر بقتال المشركين كافة فيكون منسوخا بمثل قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل وحرم واخرجوهم من حيث اخرجوكم وقد فعل ذلك من لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من
القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالخروج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم
في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا
تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا
حرمته ووبال الهتك يعود عليهم وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتل بعضكم كذلك
جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر
لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن
الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء
الظلم والعدوان باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم
والفاء الاول للتعقيب والثاني للجزاء اشارة قاتلوا من يمنعكم من السير في سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من
شياطين الجن والانس حتى نفوسكم فان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ولا تعتدوا اي ولا تتجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا
بالطبع ولكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة مقيدا بالاستطاعة وهذا الجهاد المذكور في قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا هو الذي وجب على المبتدي وهو في رتبة التقوى الذي في قوله فاتقوا الله ما استطعتم واما الجهاد على المنتهي
في رتبة التقوى الذي في قوله اتقوا الله حق تقاته هو كما اشار اليه بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم فذكر بذلك ما اسلفنا لك

من القرآن وان نسخ احكامها الظاهرة فحكم الباطنة تكون ثابتة ابدا والمعنى اقتلوا كافر النفس وصفاتها بسيف العزم وصدق الرياضة
والمجاهدة حيث ادركتموها وظفرتم بها وجاهدتها في مخالفة واخرجوهم يعني صفات النفس وهواها من قلوبكم كما اخرجوكم من جمعية
القلب وحضوره والفتنة اشد من القتل بمخالفة هواها يعني المحنة التي ترد على القلوب طوارق فتنة النفس بتجهاعه اشد ثم اشد
من المحن التي ترد على النفوس من القتل بمخالفة هواها فانه حيوتها بما فاتها وحيوة القلوب لا يكون الا بالله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
يعني لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها حتى تكونون امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح ولا تنازعوهم حيث لا ينازعونكم وكونوا
مراقبين احوالكم وحضور قلوبكم مع الله تعالى كما قال عليه السلام دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم فان قاتلوكم نازعوكم
في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى علاقة تصدكم عن الله
فان انتهوا فان الله غفور رحيم يعني اذا انقطع عنكم مزاحمة النفس وهواها وانخمدت نار شهواتها وسكنت دواعيها وقنعت بما لا
بد منها فصارت كالذي لا يجوز اذيتها اذ عن هامع ذنبها واعطاء حقها باداء الحقوق وترك الفضول في الحظوظ ولا تؤذوها بالتعلق في
مجاهداتها فان تعذيب النفوس ليس بمقصود بل المطلوب فراغ القلب عما سواه وحضوره مع مولاه وانما تعذيب النفوس لدفع فتنتها
لقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعني فتنها معارضتها ومنازعتها مع القلوب بدواعيها وشهواتها فعلاجها بما تستحق اضدادها
حتى يصير مزاجها في العبودية ويكون الدين لله يعني استسلامها في الدين لله فلا تعارض حكم من الاحكام ولا تنازع في شيء مما يرد به الاسلام فان
انتهوا يعني استسلم النفوس بعد فلا عدوان ولا تعذيب الا على الظالمين الذين يعبدون الهوى والدنيا دون المولى الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المراد المشركون عام الحديبية نحو في القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين يحرسهم ويصلح شأنهم اشارة
ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتواني النفس ونزاعها وغلبات صفاتها واستيلائها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة
بالساعة والحرمات قصاص فاقضوا الفايت واقتصوا للحقوق فمن اعتدى عليكم من صفات النفس بالغلبة فاعتدوا عليها وعالجوها
بضدها فان غلبت بالبخل فعالجوها بالسخاء وان غلبت بالغضب فعالجوها بالحلم وان غلبت بالحرص فعالجوها بالترك وان غلبت بالشهوة
فعالجوها بالرياضة والعفة وعلى هذا بمثل ما اعتدى عليكم اى بقدر ما غلبت عليكم واتقوا الله في افراط الاعتداء احترازا عن هلاك
النفس بكثرة المجاهدات في تفريط الاعتداء احترازا عن الركون الى الشهوات وهلاكها في ورطة الافات واعلموا ان الله مع المتقين
بالنصرة على جهاد النفس وقهرها وسعيها عن الاعتداء وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوى العدو ويسلطهم على
اهلاككم ويؤيده ما روى ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها

نزلت

نزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة
والمراد بالايدي الانفس والتهلكة الهلاك والهلك واحد والمعنى لا توقعوا انفسكم في الهلاك واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين يخصهم باللطف والرحمة قال اهل الاشارة انفقوا في سبيل الله ما معكم
من العلوم بالعمل بها ولا تدخروها لوقت آخر عسى لا تدركونها فلا شيء اضر من التسويف ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالافراط
والتفريط اى الافراط في الحظوظ والتفريط في الحقوق واحسنوا مع نفوسكم بوقايتها عن نار الشهوات ومع قلوبكم برعاية
عن رين الغفلات ومع ارواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع اسراركم بكفايتها عن ملاحظة المكونات ومع الخلق بدفع
الاذيات عنهم وايصال الخيرات ومع الله تعالى بالعبودية في المأمورات والمنهيات والصبر على الشدائد والبليات والشكر على النعم و
المسرات والتوكل عليه في جميع الحالات وتفويض الامور اليه في الجزئيات والكليات والتسليم للاحكام الازليات والرضا
بالاقضية الاوليات والفناء عن الارادات المحدثات في ارادته القديمة القائمة بالذات ان الله يحب المحسنين الذين نالوا في العبادة
نعمة المشاهدة فذاقوا في العبادة لذة المشاهدة واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو
على هذا يدل على وجوب كل واحد من الحج والعمرة ويؤيده قراءة واقيموا الحج والعمرة وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا وان تخلص النية فيهما لا تشوبها بغرض دنيوي او يكون النفقة المصروفة فيهما حلالا
فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه والمراد حصر العدو لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية فما
استيسر من الهدى فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر والمعنى ان احرم المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر له من بدنة
او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وذهب بعضهم الى ان محله الحرم
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله معناه على الاول لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى حيث يحل ذبحه فيه حلالا كان او
حراما وعلى القول الثاني حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه ولا انتصار على الهدى
دليل على عدم وجوب القضاء وذهب بعضهم الى وجوبه والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدى جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدى جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل
ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى ان النبي عليه الصلاة والسلم
قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او
انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم اذا زال الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اى فمن
استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهر الحج وقيل معناه من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران نذبحه اذا احرم بالحج

ولا يحل منه وقيل دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلثة ايام في الحج في الايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل
وقيل في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجه وثامنه وتاسعه وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وقيل الرد
اذا نفرتم وفرغتم من الاعمال وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة كاملة فذلك الحساب وفايدتها ان لا
يتوهم ان الواو بمعنى او والكاملة صفة موكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة لكمال العدد فانه اول عدد كامل
اذ به ينتهى الاحاد وتتم مراتبها ذلك اشارة الى الحكم بالتقريب المذكور لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وهو من
كان من الحرم على مسافة القصر وقيل من كان مسكنه وراء الميقات وقيل غير المكى وذهب بعضهم الى ان ذلك اشارة الى التمتع
فلا يكون التمتع صحيحا لحاضرى المسجد الحرام واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج فانه لا يتكرر
ويتوقعه تكرر ساير العبادات واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتعدكى يصدكم العلم به عن العصيان قال
ارباب الطريقة اتمام الحج باتمام صورته واتمام حقيقته اما اتمام صورته فان تقوم بشرايطه المشروعة وتكون
قصدك بان تخرج عن بيتك لا للتجارة ولا للنزهة ولا للريا والسمعة بل يكون خروجك خالصا لله واما اتمامه بحقيقته
فان يكون خروجك من وجودك وقصدك الى الله بالله لا لشيء من المقاصد في الدارين فان احصرتم بعداوة النفس
وغلبة الهوى او علالة القلب وبكلالة الروح او باستعلاء الاحوال او بتمنى الامال عن حقيقة الحج الذى هو التوجه
التام الى كعبة الوصال وقرب حضرة ذى الجلال فما استيسر من الهدى والهدى علاه الروح واوسطه القلب وادناه النفس فهدى
بما كان الحصر منه ولا تحلقوا رؤسكم لا تخرجوا عن الحج ولا تشتغلوا بمصالح احوالكم حتى تبلغوا المقصد والمقصود فمن كان
منكم مريضا يعنى عرض لاحدكم ضعف في الطلب او فترة في رفعة الهمة ولم يجد بدا من الاخذ بقضاء الرخص فليتحمل ان
لا يسترهن خطوة عن الطريق ولا يوهن لجهة عن هذا الفريق بل بلا ذم عتبة الفوز في انتظار الفرج بالصبر وتدارك
الامر بما اشار اليه بقوله ففدية من صيام اى صيام اى بالامساك عن المشارب او صدقة اى الخروج عن مقام الاستغناء
بالتضرع والابتهال او نسك اى بذبح النفس في ساعات الشدايد والصبر على البلاء وبذل المجهود في نيل المقصود فاذا امنتم اى اذا زال
الحصر واشرق نور الاقبال هواء الزمان وفضاء العمر بتجدد عهد الطلب بالمقطع كلفة التعب فليستانف الوصلة توقا ولنقرش التوق
بساطا ولتجدد للقيام بحق السرور انشاطا وليكمل الحج والعمرة وليستديم القيام باحكام الصحبة والخدمة فما استيسر من الهدى استدراكا لما
فاته في ايام الفترة واستغفارا عنها وادراكا لما استقبله من العواطف وشكرا لها والهدى هو ان يهدى باعز شىء من امواله واجتهاد اليه وبرهه على
اصحابه واخوانه في الدين واعوانه في الطلب فمن لم يجد في الظاهر يسارا وسعة فصيام ثلثة ايام الحج وسبعة في باقى العمر يعنى عليه الامساك عن مشارب
ارباب الوصول عند غلبات الاحوال وبعد الرجوع الى الاعمال واتقوا الله شديد العقاب على الغافلين من اهل الخطاب والموصين عن طريق الصواب
قال ارباب الارشاد وامواج توحيد الذات وعرف توحيد الصفات باتمام جميع المقامات والاحوال بالسلوك الى الله وفى الله فان احصرتم

بمنع كفار النفس الامارة اياكم عنهما فما استيسر من الهدى اى فجاهدوا في سبيل الله بسوق هدى النفس وذبحها بفناء كعبة القلب وفيما استيسر اشارة
الى ان النفوس مختلفة في استعدادها وصفاتها فبعضها موصوفة بصفات الحيوانات الضعيفة وبعضها بصفات الحيوانات العسيرة الانقياد
وربما كان لبعضها صفة لم تترشح فيها او يترشح ساير صفاتها ومثل هذا الحاج محصرا بها ولا تحلقوا رؤسكم لا تزيلوا اثار الطبيعة وبخار وطيب
القلب ونزاع الخاطر من الهوام والتعلقات والعادات حتى يبلغ هدى النفس محله فنا منوا من بها اياه والتشويش وتكدر صفاء وكم
بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب فمن كان منكم مريضا اى ضعيف الاستعداد بعلة دخل في زمنه في جبلتها او مكتسبة من العادات
او به اذى من راسه اى حمق عما ميلى تعممه وتعلقات ورذايل وهيئات ولم تترشح له السلوك وعا المجاهدة على ما ينبغى واراد ان تنقص على طبيعة
القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا يحط عن درجته وان لم يرق فعليه فدية من امساك عن بعض لذاتها ويشوا عليه النفسانية او فعل بر
او رياضة ومجاهدة بقمع بعض القوى المزاحمة فليحفظ وقته وليراع صفاءه بزهد او عبادة او مخالفة نفس فاذا امنتم من العدو المحصر فمن تمتع
لضعف نفسه وجمودها فانهارها فصيام ثلثة ايام في الحج فعليه الامساك عن افعال القوى التى هى اصول التوبة في وقت التجلى
والاستغراق في الجمع والفناء في الوحدة فانها لا بد من ان تحجب وتحيض النفس وهى العقل والوهم والمخيلة وسبعة اذا رجعتم الى مقام التفصيل
والكثرة وهى الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة تلك عشرة كاملة اى تلك الامساكات عن احوال هذه القوى والمشاعر الذى توجب كما فاعل
قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال كما قال كنت سمعه الذى به يسمع وبصره به يبصر الى اخر الحديث ذلك لمن لم يكن اهله نعم
حاضرى المسجد الحرام من المحجوبين الكاملين الحاضرين في مقام الوحدة فانه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه الى الله
حقيقة مراتب النفوس ثلاث النفس الامارة والنفس المطمئنة والنفس اللوامة فالمحصر عن الحج في قوله تعالى فان
احصرتم هو صاحب النفس الامارة وعليه الهدى قتل النفس قطعا ولا يحل له التوجه الى مشاغل الدين به حتى يبلغ الهدى محله
والمريض ومن به اذى من راسه هو صاحب النفس اللوامة وعليه العزيمة على التسهيل والتجزى والسعة والامن من الحصر بالكلية هو صاحب النفس المطمئنة
المسلمة باسلام صاحبها وله حالتان الاولى انه اذا وصل بالسير بالله وهو السفر الثالث الى مشهد الوصال بالفناء التام بفناء حضرة
ذى الجلال لم يرجع من عالم الوصال الى عالم الاعمال بالسير من الله بالبقاء بعد الفناء فهو وان كان كاينا بين الخلق صورة فهو باين عنهم
حقيقة فلا يزال غريقا في بحر الشهود مستغرقا المشاهد الجود في حضرة الوجود ومن ذلك المقام ما ذكر الشيخ رض في الفتوحات المكية ان ابا يزيد
قدس سره لما اقيم مقام الوصال خلع عليه خلعة الخلافة وامر برده الى عالم الاحكام لدعوة الخلق اسمى الحق فلما انفصل عن ذلك المشهد خر مغشيا
عليه فنودى له ان ردوا الى عبدى فانه لا طاقة له بفراقى والثانى ان يرجع ذلك الى عالم الكثرة ومقام التقييد بالاحكام بالسير
من الله وهو السفر الرابع الذى للاولياء بالنزل لاجل دعوة الخلق وتكميلهم فاشار بقوله فمن تمتع بالعمرة الى الحج الحال الراجع من
مقام الوحدة والوصال الى عالم الكثرة والاشتغال بالاعمال وذكرات فرحة الهدى ان تموتوا ومن قول من اراد ان ينظر الى ميت
يمشى على وجه الارض فلينظر الى ابن ابى قحافة فان لم يستطع لذلك فلا بد له من الامساك عن امور معدوده عن ثلاثة اشياء
في وقت الجمع والاتصال وعن سبعة اشياء في وقت الفرق والانفصال اما الثلاثة في وقت الجمع المعبر عنه بالحج فرؤية الافعال

بعرفة فانه هو معرفة المقاصد صورة ومعنى اما صورة فلقوله عم الحج عرفة اى معظم الوقوف بعرفات واما معنى فان المعرفة اشارة
الى المعرفة والمعرفة معظم اركان الوصلة واما القسم الذى يتعلق بالمصالح الدينية فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفة
المعرفة عند الافاضة منها ففى الآية تقديم وتأخير تقديره اذا افضتم من عرفات فليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
وذلك لان حال اهل السلوك فى البداية ترك الدنيا والتجرد عنها وفى الوسط التوكل والتفريد وفى النهاية المعرفة
والتوحيد فلم يسلم الشروع فى المصالح الدينية الا لاهل النهاية لتحققهم فى المعرفة وعلو همتهم حيث طهر الله قلوبهم من حب
محبة الدنيا الدنية وملاها حاوزا وصبورا وسرورا بالطاف الحق فلا اعتبار لزينة الدنيا وشهواتها عندهم فلو
تصرفوا فى شىء منها لم يكن تصرفهم لحظوظ النفس بل لمصالح الدين واصابة الخير الى الغير ولهذا قال ثم افيضوا من حيث افاض
الناس والناس ههنا محمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء فمعناه لا تفيضوا يا ارباب الطلب الا بعد الوقوف بعرفات
المعرفة فاذا افضتم من عرفات المعرفة فافيضوا من حيث افاض الانبياء فى القيام باداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله لا لاستيفاء الحظوظ ولما علم الله تعالى ان الافاضة من عرفات المعرفة الى مصالح الدنيا ورعاية حال الخلق و
دعوتهم الى الله امر خطر لا يخلو عن نوع من الحظوظ على الافاضة شرط لدفع الخطر وازالة الحظوظ احدهما المواظبة على
الذكر فى المشعر الحرام الذى هو القلب الذى حرم عليه الاطمينان مع غير ذكر الله وحده عز قال واذكروه كما هديكم اى واذكروه لتهدى
نفوسكم كما هدى قلوبكم كيلا تقع النفوس فى حفر حب الدنيا ولا تميل الى استيفاء حظوظها وان كنتم من قبله لمن
الضالين يعنى كما كنتم قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين فى طلب الدنيا وحظوظ النفس الثانى الاشتغال
بالاستغفار لازالة عين المخالطة مع الخلق وكدورة بقايا اثار حظوظ النفس وهذا كما قال عليه السلم وانى ليغان على قلبى
وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة قال اى باب المعرفة فاذكروا الله عند المشعر الحرام اى شاهدوا جمال الله
عند الستر الروحى بالخفى فان الذكر فى هذا المقام هو المشاهدة والمشعر هو محل الشهود بالجمال المحرم من ان يصل اليه نظر
الغير واذكروه كما هديكم الى ذكره فى المراتب فانه تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم الى الذكر بالقلب
وهو ذكر الانفعال الى تصور نعماء الله والائه منه ثم ذكر السر وهو كاشف علوم تجليات الصفات ثم ذكر الروح وهى
مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع النعيت وان كنتم من قبله لمن الضالين
اى من قبل الوصول الى عرفات المعرفة والوقوف بها لمن الضالين اى من قبل الوصول الى عرفات المعرفة والوقوف بها لمن
الضالين عن هذه الاذكار ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى افيضوا الى ظواهر العبادات والطاعات وساير وظايف
الشرعيات والمعاملات من حيث اى من مقام افاضة ساير الناس منها وكونوا كاحدهم قيل للجنيد رحمه الله ما النهاية
قال الرجوع الى البداية واستغفروا الله من ظهور النفس وترمها بالحال وطغيانها قال عليه السلم اللهم ثبتنى على دينك فقيل له
فى ذلك فقال او ما يؤمننى ان مثل القلب كمثل ريشة فى فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم

العبادات

العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم قال الشيخ رضى الله عنه اشتغلوا
بالثناء على الله بما هو اهله على طريق الفخر اذ كنتم عبيده ونخوة العبد بسيده فانه مضاف اليه العبد لا فخر له بابيه وان فخر بابيه فانما
افتخر به من حيث ان اباه كان مقربا عند سيده او اشد ذكرا نصب على المصدر بالعطف على الذكر المحذوف تقديره فاذكروا الله
ذكرا كذكركم آباءكم او ذكرا اشد من ذكركم آباءكم اشد وهو صفة المصدر مقامه فحصل فيه ابهام فعبر بالمصدر تمييزا وانما عدل عن الاصل
الاسلوب الى ذلك تقريرا وتأكيدا فان وجدان الشىء بعد الطلب بعد الابهام اوقع فى النفس واشد استقرارا من وجدانه فى بدء الحال
وانت بما بيناه لك من التحقيق الذى اوردناه مفصلا فى مؤلفاتنا النحوية تخلصت عن التكلفات التى ارتكبها الاصحاب فى بيان اعراب
هذا المقام فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين وتقسيمهم الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد به
الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا فى الدنيا اجعل ايتاءك ومنحك ايانا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق اى
نصيب وحظ لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير و
فى الآخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وعن سيدنا على على نبينا وعليه السلم الحسنة
فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقال الحسن عليه السلم الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة
وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار ولعل امثال ذلك يكون من باب التمثال
بذكر ما هو من معظم الباب اولئك اشارة الى الفريق الثانى لهم نصيب مما كسبوا اى من جنس ما كسبوا وهو جزاؤه او من
اجل ما كسبوا او المراد بالكسب الدعاء فانه من الاعمال والمعنى مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وجاز ان يكون الاشارة الى الفريقين
فى الوجوه المذكورة والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة قال الله تعالى وما امر الساعة الا
كلمح بالبصر وذلك لانه تعالى لا يشغله شان عن شان فهو فى يوم القيمة مع كل احد فى حساب عمله فى آن واحد فقيل المعنى يوشك ان
تقوم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب قال ارباب الطريقة فاذا قضيتم مناسككم اى قضيتم مناسك وصلكم
وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من اهل الكمال الواصلين فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظايف ذكر الله فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد
ذكرا اى كما تذكرون فى حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفى حال رجوليتكم بالمجد والافتخار بل اشد ذكرا و
اكثر فى الافتقار والافتخار لان الطفل يمكن له الاستغناء عن ابيه وكذا البالغ قد يفتخر او باحد غير ابيه واما العبد فلا يمل من دون الله
من ولى ولا واق وهنا هو ما يقال من ان العبد ينبغى ان يكون نسبته الى الله تعالى من نسبة العبد الى مولاه فى الالتجاء اليه والفقر به لا نسبة الولد
الى ابيه فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتركن الى زخارفها وشهواتها وتستحلى الجاه والقبول فيها
عند اربابها حتى ينسى المقصد الاصل والمقصود الحقيقى ومن ذلك ظن الطالب الممكور انه استغنى عن الجد والاجتهاد فاهمل وظايف
الذكر ورياضة النفس ومحاضرة القلب ومراقبته فاستولت عليه النفس وغلبت عليه الهوى فاوقعته فى اودية الهجران والفراق و

وما له في الآخرة من خلاق ومنهم يعني من اهل الوصول والكمال وارباب القوة واصحاب الاحوال من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة اي نعمة
من النعم الظاهرة وهي العافية والصحة والسعة والامن والفراغة والطاعة والاستطاعة والبذل والعطاء والوجاهة والقبول
ونفاذ الامر وطول العمر في العبودية والتمتع من الاموال والاولاد والاصحاب والارشاد والاخلاق وفي الآخرة حسنة اي من النعم الباطنة
وهي الكشوف والمشاهدات وانواع القربات والمواصلات والعلو على المقامات بتعاقب الجذبات والتمكين في الاحوال بحصول القوة
والكمال والفناء والفناء في الفناء والبقاء بعد الفناء وقنا عذاب النار اي نار القطيعة وحرقتها اولئك لهم نصيب ... والبائنين
الواصلين الثابتين حظ دائم ونصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات وغاية ما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب بكل
المرتفعين فيما سألوا فيعطيهم بحسب نياتهم على قدر همهم وطوياتهم وفي سريع الحساب اشارة اخرى وهي سرعة الحساب فيما يخطر
بال العبد في الحال يحاسب به ويظهر اثر نور تلك الحسنة وظلمة تلك السيئة التي خطرت بالبال في قلبه ووجه الجزاء بلا توقف
قبل ان يتكلم بها او يعمل بها فاذا عمل بها زاد اثرها واذا تركها فاما الحسنة فيبقى اثرها واما السيئة فيمحى اثرها واثبت مكانها حسنة
وذلك قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي من نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار
وقيل قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه من تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال ومعنى
نفي الاثم بالتعجل والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من
التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق اشارة اذكروا الله بملازمة العبودية في ايام معدودات العمر
من البداية الى النهاية بجميع اجزاء الوجود كما نقل عن بعضهم وقد سئل عن نهاية هذا الامر فقال من المهد الى اللحد وقال بعضهم لو سلمت
ثقلت عن الازل الى الابد وايام عبادة الرجل في عمره ثلاثة يوم الصبي او يوم الشباب ويوم الشيخوخة فمن تعجل بالسوق والنقل
الى الآخرة في يوم ثانيه شبابه فلا اثم عليه بالعصيان في مرتبة لفوات عبادة يوم الشيخوخة عنه ومن تأخر الى يوم ثالثه يوم الشيخوخة
فلا اثم عليه في ... منه لضعف القوى والآلات في القيام بوظائف العبادات والمجاهدات لمن اتقى اي ذلك الحكم لمن كان ثابتا في
التقوى راسخا في الاستقامة مع المولى واتقوا الله في جميع الاحوال بتزكية النفوس وتصفية القلوب في حفظ الاعمال واعلموا انكم اليه
تحشرون في يوم من تلك الايام فانتهزوا الفرصة بالاشتغال بالاعمال الصالحة من قبل الوصال من حضرة ذي الجلال وكل يحتمل
الايام الثلاثة في الرجوع عن حج الوصال متنزلا الى عالم الاعمال على المراتب الثلاث الروح ثم القلب ثم النفس فمن تعجل الى الحظوظ
في يوم روحه وقلبه فلا اثم عليه ايضا في الاشتغال بحظوظهما لان حجابهما رقيق قريب من النور ومن تأخر الى الثالث الذي هو
النفس فلا اثم عليه ايضا في الاشتغال بحظوظها ولكن ذلك لمن اتقى من ان يكون تصرفه في حظوظها بل يكون تصرفه بامر يتعلق
الشرع فاوجب الاحتياط في امره لقيد النفس لان حجابها اغلظ وعن النور ابعد ومن الناس من يعجبك قوله يروقك

وبعض

ويعظم في نفسك والعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا
واسباب المعاش او يعجبك في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال
للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم
واحرق زرعهم واهلك مواشيهم وكما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث و
النسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة
الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا
وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل هو الهوي البعيد العمق المظلم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص
بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش تنبيه هذه الامور المذكورة في الحقيقة صفات النفس الامارة بالسوء تظهر المستورات
المموهة والاقوال المزخرفة وتستر قبائحها واوصافها وفضائح اخلاقها وتعلق الصداقة وتخفي العداوة وترى انها ولي الاولياء
وانها اعدى الاعداء وهي الد الخصام واذا تولى اي صار لها ولاية والتمكن سعى في ارض القلب بالفساد وتهلك الحرث ببطل حرث
الصدق في ترك الدنيا وطلب الآخرة والتوجه الى الله والنسل والاولاد الاخلاق الحميدة والخصال الشريفة والله لا يحب الفساد من اهل
في امر الدين واذا قيل له اتق الله يعني ارباب النفوس المتمردة من اهل التكبر والانفة اخذته العزة بالاثم سمعتا اسماعهم عن قبول
الحق وتمادت نفوسهم في الباطل ولو ساعدتهم العناية وادركتهم العاطفة النقاد والمنة لاجراهم الى الجنة ونبههم عن نوم الغفلة
ودلهم على طريق الوصلة لكن من رزق الابعاد سلك طريق العناد ونكل عن منهج الاسترشاد وضل عن سبيل الرشاد فحسبه جهنم و
لبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يبيع نفسه يبذلها في الجهاد حتى يقتل طلبا لمرضاة الله
وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم
ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء و
كلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ووضع الظاهر موضع الضمير بعنوان العبودية تنصيصا على انهم صاروا عبيدا مماليك
لله تعالى بهذا البيع نكتة هؤلاء باعوا انفسهم باختيارهم وثمنهم مرضاة الله فهم الاولياء وخواص الناس واما الذين اشترى
الله منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فثمنهم الجنة وهم عامة المؤمنين فشتان ما بينهما يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في
السلم كافة السلم هنا الاستسلام ويطلق ايضا ويراد به الصلح بفتحها ابن كثير ونافع والكسائي وكسرها الباقون وكافة اسم
للجملة من الكف لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين

او ادخلوا في الاسلام بجملتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها
او ادخلوا في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او ادخلوا في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا
بشيء والخطاب للمسلمين والحق ان الكل مراد ان كل ما وسعه اللفظ وصححه العقل وجوزه الشرع فهو معنى كلام الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق قال ارباب
الطريقة يا ايها الذين آمنوا خطاب مع شخص الانسان وجميع اجزائه فكما ان لسانه دخل في الاسلام بالقول فينبغي ان يدخل اركانه
فيه فالعين بالنظر والاذن بالسمع واليد بالبطش والرجل بالمشي بان يستعمل كل منها لاوامر الحق وتجتنب عن نواهيها بل بان تترك
كلا بعينه مطلقا ويقنع على ما لا بد له منه وهذا دخول الجوارح الظاهرة في الاسلام وهو هين بالنسبة الى دخول الجوارح الباطنة في
الاسلام فهو معركة ابطال الفرس ومنزلة الرجل البالغين فدخول النفس في الاسلام بخروجها عن كل صفاتها الذميمة وتعززها عن طبعها
في اتباع الهوى وترك مألوفاتها وتنورها بنور الاسلام واطمئنانها بالعبودية لتستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين بخطابه تعالى يا
ايتها النفس المطمئنة الآية ودخول القلب في الاسلام بتصفيته عن رذائل الاخلاق النفس وحسناته اوصاف الحيوان وتحليته بشمائل
اخلاق الروح وتعاسير اوصاف الملك ودخول الروح في الاسلام تخلقه باخلاق الله تسليمه للاحكام الازلية وقطع النظر عما سوى الله
متصرفات الجذبات الالهية ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي ولا تكونوا
على سيرته وصفته وهو الاباء والاستكبار فانه ضد الاسلام فمعاندة هذه الاجزاء دليل متابعة الشيطان وهو يريد ان يستحق
فوز اسباب ارتكاب الاسرافات المذمومة العداوية الغريزية لكم على الاخلاق حيلة لحيلتكم لكونه نارى الفطرة يريد منكم الا ان
تكونوا نارين لا نوريين فان زللتم عن مقام التسليم لامر الله من بعد ما جاءتكم دلائل تجليات الافعال والصفات فاعلموا
ان الله عزيز قادر على قهركم حكيم لا يقهر الا على مقتضى الحكمة والحكمة تقتضي قهر المخالف المنازع لتقرير المطيع الموافق وتزيد في
الطاعة هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي
امر ربك او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة كقلل وقلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال
كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لان مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الوسائط في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه
وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقراءة
الباقين على البناء للفاعل بالتانيث على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول قال في بحر الحقائق عجز عن اهل
العقيدة واحوالها بكلام مرتب الى افهام العوام فاما الذين في قلوبهم انوار الايمان وشرح الله صدورهم بنور الاسلام فقد فهموا

معقود

مقصود الكلام في هذه الآية وامثالها وانتفعوا بها بلا توهم تشبيه وتخيل تعطيل واما الذين في قلوبهم زيغ الهوى فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فشرعوا فيها باهوائهم وفرقوها بارائهم فوقعوا في اودية الضلال فهلكوا واهلكوا خلقا بالجهالة
فناداهم العزة يا اهل الغرة وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانهم اصحاب الكشوف وارباب المشاهدات فيتجلى الحق
لهم ويقع لهم تارة بصفات الجمال فيرتهم لطفه من اصناف الطافه ولطائف اعطافه مع خواص عباده ومرة بصفات الجلال
فيريهم سطوته من آثار هيبته وقهره مع المتمردين من اهل عناده فيحل لهم كل اشكال وينجيهم من كل ضلال ويغنيهم بها عن كل تفسير
وتأويل يخلصهم عن كل تشبيه وتعطيل فكم شفوا بحقائق ما اجرها ولكن تضيق عنها علانية نطاق المنطق ولا يسع اظهاره في ظرف
الحروف كما قيل وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا عن معانيه قاصر بل لا منتهى لها خطى العقول والاوهام ولا يدركها
الابصار والبصائر والافهام فان هذا انما يكاشف لخواص الاولياء في حال غيبتهم عن الخلق وشهودهم للحق وهم مسلوبو المنطق مغلوبو
العقل ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التي درج عليها المتقدمون مكلمين عقولهم بالتيقن وسعها طمعا في ان يبالي
بالمآل فكانت عاقبتهم الحيرة والضلال حقيقة شهود الحق تعالى لا يكون الا بالتجلي والتجلي لا يكون الا بالتنزل في المراتب
التي هي حجب وجهه الكريم المتفاوتة في الغلظة والرقة المشار اليها بقوله عليه السلام ان لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة فلا بد في الظهور
من صورة وذلك بالاحتجاب بحجاب فان ظهوره تعالى بالاحتجاب مع احتجابه بالظهور ومراتب تجلياته اربع الاولى في المثال العمائي
ويختص برؤيته في ذلك التجلي اهل الجنة في عالم الكثيب في جنة العدن الثاني في مرتبة العقل ويختص بشهوده في ذلك المشهد ارباب
العقول المؤيدة بنور القدس الواصلون الى مقام الروح بصورة علمية الهية هي باعلام الحق تعالى دون الكسب من طرق المشايخ
الثالث في مرتبة المثال البرزخي يشاهده في ذلك المشهد ارباب القلوب المطهرة عن دنس التعلقات بما فيهم من صفاء القوة الخيالية
التي هي جدول من عالم المثال المطلق البرزخي وعموم بني النوع الانساني في النشأة الاخروية لغلبة احكام عالم البرزخ عليهم
الرابع في مرتبة المحسوسات التي هي نهاية مراتب الحجاب الظلمانية وهي ابعد المراتب واكثف الحجب فيكون الشهود فيها اقل لذة مما في
فوقها فان المراتب المذكورة وان كانت كلها حجبا ففيها ما ترى من التفاوت في الكثافة واللطافة والظلمة والنورانية
الكشف هو التجاوز من حكم موطن اسفل واكثف الى حكم موطن اعلى منه والطف فيكون المحجوب بالحس اذا شاهده في المثال
مكشوفا وكذا المحجوب بالمثال البرزخي اذا شاهده في المثال العماري يكون مكشوفا فهو غاية الكشف الذي ليس وراءه كشف وهو
المسمى بالرؤية كما سيرح لك زيادة بيان فيه ان شاء الله تعالى وحدة الكشف في المثال البرزخي على التفاوت الذي فيه يتفاوت حال
الكاشف في الصفاء والتجرد وصحة الاعتقاد فان مثل التجلي مثل الماء ومثل الاعتقاد مثل الظرف فيكون التجلي في كل اعتقاد صورة
يناسب ذلك الاعتقاد ويوافقه وبذلك يرجح العلم الذي يكون بالتعليم الالهي على العلم المكتسب من طرق المشاعر على التجلي المثالي لانه
يكون محدودا ابدا بحد الاعتقاد دون العلم المذكور واذا قد مهدنا لك ما قد ذكرناه فليتبين لك سر التجلي الالهي في يوم القيامة وهي التجلي
المثالي البرزخي بصورة الغمام وذلك ان العوالم التي هي مراتب تنزلات الوجود متطابقة متوافق بعضها مع بعض لا يتكلل سفل

فهو ظل ما هو على مثله والظل مطابق لذى الظل بالحالة لما كان للتجلى الاول الثانى العمائى الذى هو بمثابة التجلى الذى فى الجنة صورة
الغمام كان العماء المشار اليه فى قوله عليه السلام حيث سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء
الغمام الرقيق كان التجلى المثالى البرزخى ايضا فى صورة ظلل الغمام تطبيقا بين صور المراتب وللتفاوت الذى بين المثال العمائى و
المثال البرزخى فى اللطافة والكثافة عبر عن الاول بالعماء الذى هو السحاب الرقيق وعن الثانى الغمام وذكر الشيخ رضى الله عنه فى
ذكر تجلى الحق تعالى فى ظلل الغمام ونزول الملائكة فى ارض الحشر ما حاصله هذا اعلم ان الناس اذا قاموا من قبورهم واراد الله ان
يبدل الارض غير الارض ادخل الناس فى ظلمة لا يطلع احد على ما يجرى من ذلك فيبدل الارض كما يشاء بارض اخرى تسمى الساهرة وهى
الارض فى علم الله تعالى فيمده سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها ما يشاء الله اضعاف ما كانت من احد وعشرين جزءا الى تسعة
وتسعين جزءا حتى لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم ان الله تعالى يقبض السماء الدنيا اليه فيطويها كطى السجل للكتاب ثم يرميها
على الارض واسعة وهى قوله تعالى وهى يومئذ واهية ويرى الخلق الى الارض التى نزلها فيقفون ينظرون ما يصنع الله بهم فاذا هبطت
السماء نزلت الملائكة على ارجائها ووقفن على نواحيها فيرى اهل الارض خلقا عظيما اضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله قد نزل
فيهم فيقولون لهم افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطفون صفا مستديرا حول نواحى الارض ثم تنزل
اهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله تعالى اليه ويرمى بكواكبها فى النار وهم اكثر عددا من اهل الاولى فيقول الخلائق افيكم ربنا
فتفزع الملائكة من قولهم ويقولون سبحان ربنا ليس فينا وهو آت ثم تنزل اهل السماء الثالثة ويقبضها الله تعالى ويرمى بكواكبها
فى النار فيقول الخلائق افيكم ربنا فتفزع الملائكة من قولهم ويقولون سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد
سماء الى ان يقبض الله السابعة فينزل اهلها فيرون خلقا اكثر من جميع ما نزل فيقول الخلائق افيكم ربنا فيقولون سبحان ربنا
قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتى الله فى ظلل من الغمام والملائكة وعلى المجنبة اليسرى جهنم ويكون اتيانه اتيان الملك فيصطف
الملائكة سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا ابصر الناس جهنم فزعوا باجمعهم فزادهم رجل واحد وفزعوا الا النبيين والذين لا يحزنهم
الفزع الاكبر فان الله تعالى ينصب لهم قبل مجيئهم منابر من نور يكونون عليها فاذا فر الناس من جهنم فرقا من عظيم الهول فى ذلك
اليوم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم ويطردهم الملائكة وزعة الملك الى المحشر وينادى بهم انبياؤهم ارجعوا فينادى بعضهم بعضا
فهو قوله تعالى يا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد ثم قال الله تعالى يتجلى لهم فى ادنى صورة من الصور التى كانت تتجلى لهم قبل ذلك
فيها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه
بها فيقولون نعم فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون انت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد
لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل الله ظهره طبقة نحاس كلما اراد ان يسجد خر الى قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق
الآية سل بنى اسرائيل امر للرسول او لكل واحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او
آية فى الكتب شاهدة على الحق وكم خبرية او استفهامية مقررة ومن يبدل نعمة الله اى آيات الله فانها سبب الهدى الذى

هو اجل

هو اجل النعم وتبديلها بجعلها سبب الضلالة او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من
معرفتها فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى يكونوا تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من
شىء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله تعالى فى
الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض حقيقة ان للفعل الصادر من العبد بسببين نسبة الى
الواجب تعالى ونسبة الى العبد ومثال النسبتين عندنا نسبة افعالنا الى ارواحنا من وجه والى ابداننا من وجه وهذا احد
محامل قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه ومزيد التحقيق فيه يرجع الامر اليه تعالى بالكلية باندراج قدرة العبد فى
قدرة الله تعالى اندراج نور الكواكب فى نور الشمس فافهم ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار و
صهيب اى يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم فى عليين وهم فى اسفل السافلين ولانهم فى كرامة وهم فى مذلة وانما
قال والذين اتقوا بعد قوله الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء
فى الدارين بغير حساب بغير تقدير والمراد انه يرزق العباد على تفاوت فى السعة والضيق من غير ان يكون ذلك
التفاوت بحساب اعمالهم واخلاقهم بل بحسب ما تقتضيه مشيته وارادته لحكمة خفية لا يدركها عقول العباد ولذلك يسخر
بعضهم من بعض بسبب ما بهم من الفقر والحاجة ويجاز ان يكون المعنى والله يرزق من يشاء فى الآخرة من الدرجات لا يدخل تحت
الحساب ولا ينتهى الى ابد الآباد فيكون تسلية لمن يسخر منه فى الدنيا كان الناس امة واحدة كانوا متفقين على الحق
فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان فاختلفوا فيما هم عليه فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
بالجنة والنار عن كعب انه قال الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكور فى القرآن بالاسم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به جنس الكتاب بالحق حال من الكتاب اى
ملتبسا بالحق شاهدا ليحكم بين الناس اى الله والنبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى كانوا عليه و
ما اختلف فيه فى الحق والكتاب الا الذين اوتوه اوتوا الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما
انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل الواضحة التى اتى بها الانبياء من المعجزات او
الدلائل العقلية التى نصبها الحق تعالى على اثبات التوحيد بغيا بينهم حسدا وظلما بينهم لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف باذنه بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم عن عوج لا يضل سالكه اشارة كان الناس فى بداء الامر على فطرة الله التى فطر الناس
الناس عليها من وقت اجابوا للخطاب الست بربكم بجواب بلى الى ان ولدوا فان كل مولود يولد على الفطرة الاصلية

ثم اختلفوا في البشارة الدنيوية لغلبة صفات نفوسهم وتنزع أهوائهم فإن تضاد أصول فيهم وما في طباعهم من خواص النفخ
الخاص ودفع التضاد الخاص يقتضي التعادي والتخالف فبعث الله النبيين ليدعوهم من الخلاف إلى الوفاق ومن
الكثرة إلى الوحدة ومن العداوة إلى المحبة فتفرقوا فريقين فالسفليون الذين رسخت في طباعهم محبة الباطل وغلب على
قلوبهم الدين وذلك استعدادهم بغلبة هواهم ازدادوا بتكلل الدعوة خلافا وعنادا فكأنهم ما اختلفوا إلا عند بعثة
النبيين وإتيانهم الكتب لظهور الحق وأما العلويون الذين بقي فيهم الصفاء الأصلي والاستعداد الأولي فهداهم
الله إلى الحق الذي اختلف فيه وسلك بهم الطريق المستقيم حقيقته كان الناس أمة واحدة أي أمة محمد
صلعم بالدعوة الروحية في عالم الأرواح فإنه كان نبيا يومئذ كما قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وجميع
أهل الملل كانوا في دعوته مستفيضين منه أنوار الهداية لعدم ما يقتضي التخالف والتضاد من مقتضيات الزمان
والمكان والأوضاع والأحوال والدواعي والأغراض فلما نزلت الأرواح إلى مضيق مكان الجسمانيات وزمانها
تعذر جمعهم في دعوة نبي واحد فبعث الله النبيين لدعوة الأمم في الأمكنة المختلفة والأزمنة المتلاحقة بحسب
المناسبات المخصوصة فيما بينهم ليحكم الأنبياء المبعوثون بالنيابة فيما اختلف فيه الناس بمقتضى صفات البشرية
لتعذر جمعهم في دعوة محمد صلعم بالأصالة فهدى الله تعالى من أراد هدايته بدعوتهم وعلى هذا فالحاجة إلى تقدير فاختلفوا
قبل فبعث الله النبيين وقد دلت الآية على أن الهداية للإنسان وهو مقتضى الرحمة الإلهية ذاتية وأن الضلالة
وهو مقتضى الغضب الإلهي عارض بعروض لوازم التلبيس بلابس الأبدان العنصرية المتضادة الأركان والطبائع
إذا كان كذلك كان المرجو مآل الكل إلى الرحمة لأن ما بالذات لا يزول بما بالعرض مع ما بشرنا الله به من سبق
رحمته على غضبه وقال إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة خاطب به النبي
والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وأم منقطعة والهمزة فيها
للإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم مثل الذين خلوا مضوا من قبلكم يعني حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء
والضراء بيان له على وجه الاستئناف وزلزلوا أزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول و
الذين آمنوا معه متى نصر الله قالوا ذلك لاستبطائهم النصر واستطالة الأمد وتناهي الشدة بحيث تقطعت حبال الصبر
وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك مرض فلان حتى لا يرجونه ألا إن نصر الله قريب استئناف على إرادة
القول أي فقيل لهم ذلك إسعافا لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر بتصبره أن الله تعالى خلق الجنة وحفها بالمصاعب والمصائب
وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب قال رسول الله صلعم لا يزال البلاء موكلا بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله تعالى
وما عليه خطيئة وسئل رسول الله صلعم عن أشد الناس فقال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا ابتلي على
قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب وقال رسول الله صلعم أعظم الجزاء

مع عظم

مع أعظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وهكذا سنة الله تعالى في خلقه ابتلى الأنبياء
بفنون من مقاساة الشدائد والمحن ثم نادى آخرين وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا الآية يعني ما مستكم
البأساء والضراء مثل ما مستهم هكذا درج الأولون والآخرون أنهم سلكوا طريق أولئك بعظم البلاء فمن كان أقرب إلى المولى فهو
بالبلاء أولى يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رض أن ابن الجموح الأنصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا
ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل
عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم لأن اعتداد النفقة باعتبار المصرف والحق أنه جواب لما تضمن السؤال من المنفق والمصرف
فإنه أشار بقوله من خير إلى أن المنفق ينبغي أن يكون من خير المال كما قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وأشار بقوله فللذين
إلى المصرف وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم يعلم كنهه ويوفي ثوابه وقد عمم فيه الأمر بعد ما أجاب بالخير الذي هو الإنفاق فقال أي
نوع من الخير المال أي نوع فعلتموه قولا كان باللسان أو عملا بالجوارح أو إنفاقا من المال فإن الله يجازيكم به قال أهل الإشارة
السؤال بماذا ينفقون من باب حسن الأدب على المطلب كيلا يتصرفوا في شيء من أموالهم بالهوى والطبع بل بالأمر والشرع فإن
الإنفاق بالهوى والطبع يورث الذلة والظلمة والإمساك بالأمر والشرع يوجب الرفعة والقربة فليس للعبد تحرك إلا بإذن مولاه
ولا سكون إلا على وفق رضاه لأن العبودية الوقوف حيث ما وقف بك الأمر والصرف حيث ما صرفك الأمر كتب عليكم القتال وهو
كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف وعسى
أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى أن تحبوا
شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت
ينعكس الأمر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم
تعرف عينها تنبيه حقيقة الجهاد رفع الوجود المجازي فإنه الحجاب بين العبد والرب كما قال ابن منصور بيني وبينك إني
فارفع بجودك إني من البين ولا شك أن الطبع يكره ذلك كراهة عظيمة وفيه خير النفس بأن تتبدل أوصاف الوجود المجازي بأوصاف
الوجود الحقيقي وإنما الطبع يحب التمتعات البهيمية واللذات الجسمانيات وهو شر لها لحرمانها بذلك عن السعادة الأبدية واللذات
الروحانية والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما أودع الله في كراهة النفس من راحة القلوب وما أودع في مشتهاها من الجوع للقلوب كما قيل
موت القلوب حياة نفوسها من شاء أن يحيى يموت يسألونك عن الشهر الحرام روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش
ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر

الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والاسارى فنزلت وعن ابن عباس رض لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنيمة
وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى منع دلالة
الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله صرف ومنع عن سبيل الطاعة
الله وكفر به بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله منه اهل المسجد الحرام وهم النبي
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش و
الفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل ان
استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة في الدنيا والآخرة
اما في الدنيا فلفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية واما في الآخرة فبسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
كساير الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا و
جاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
اي ثوابه جعل ثوابهم مرجوا اشعارا بان العمل غير موجب للاجر ولا قاطع في الدلالة على السعادة لان العبرة بالخواتيم والله غفور
لما فعلوا خطاء رحيم باجزال الثواب اشارة ان الذين آمنوا ايقانا وهاجروا اوطان النفس ومألوفات الهوى وجاهدوا في
سبيل الله جنود الشياطين والنفس الامارة اولئك يرجون رحمة الله بتجليات الصفات وانوار المشاهدة يسألونك عن الخمر
والميسر كان المسلمون يشربون الخمر لعدم ورود النهي عنها في بدء الاسلام ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول
الله في الخمر فانها مذهبة للعقل والمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون تحرجا عن الاثم ثم دعا عبد الرحمن ناسا منهم
فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ودعا عتبان بن مالك
سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا
الى رسول الله صلعم فقال اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا والخمر
في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكر اي يحجزه وهو حرام مطلقا

وكذا

وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وذهب بعضهم الى ان نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور بزوال العقل الذي هو مناط التكليف
ولعل قوله وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء وذلك باعتبار كثرة المفاسد الناشية منهما التي هي اسباب الاثم فان الآثام يتكثر بكثرتها
ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتقوية الطبيعة و
اثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما كذا ذكر وكان الظاهر على هذا ان يقول
اثمهما اكثر بالثاء لان المذكور قبل كثرة منافعهما لا عظمها بل المعنى ان الاثم الشرعي الحاصل منهما اعظم اثرا من المنافع الدنيوية
الحاصلة منهما لدوام نكاية الآثام الشرعية وسرعة زوال المنافع الدنيوية فصرف سوق الكلام البالغ في هداية المخاطب مبلغ
الكلام بهذا العدول عن الظاهر عن اعتبار المعنى المذكور لئلا يسبق الى فهمك ان حرمة الخمر والميسر لترجح مضارهما على منافعهما
وان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل فيجعل العقل حكما في الانتهاء عنهما فان الانتهاء عن المنهي على هذا لا
يوجب استحقاق الثواب على الترك بخلاف الترك للنهي الشرعي فان تارك الفعل المنهي للنهي الشرعي يستحق الثواب بتركه كما يستحقه
بالامتثال بالمأمور به نكتة ذكر الشيخ رض ان حرمة الخمر من الاحكام النازلة بسبب المسئول لا ابتداء فانها حرمت لسوء دواعي
النفوس الابية وهذا هو وجه الامتنان بالخمر في قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية فانها من المنافع للناس وعلم بين الحكم
النازل باستدعاء المخلوقين ثم قال ولا تورثك هذا التفاوت وعليك تعقل الحكم على اي وجه كان فان في ذلك نوع من ابتلاء
النفوس فلا يأمن مكر الله الا القوم الفاسقون تكملة لذكر ارباب المعرفة ان لكل من الخمر والميسر ظاهرا وباطنا فظاهرهما
للعوام وفيهما اثم كبير فاثم الخمر باثارة قوتي الغضب والشهوة المتضمن لجميع الاخلاق الذميمة ولهذا سماها النبي صلى الله عليه وسلم
ام الخبائث واثم القمار بتمرين النفس في سلوك طرق الحيل والخداع في الفعال واعتياد اللسان بالكذب والفحش في المقال وباطنهما
للخواص وهما منافع لهم فاما الخمر الباطن فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من ساقي تجلي الصفات تسكر القلوب بالتواجد
عن المواجيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بلحاظ الجمال عن ملاحظة الكمال وهذا شراب فيه فضل ومنافع للناس كما قال
قائلهم فصحوك عن لفظي هو الوصل كله • وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا • فما مل ساقيها وما مل شاربا • عقار لحاظ
كاسه يسكر اللبا • واما القمار الباطن فهو القيام على ساق الانفاق بالسخي في هلكة المال وترك النظر في المال وعدم
المبالاة برفض ما ينسب اليه وبناء امر الفقير على قانون لا يصح عليه ويسألونك ماذا ينفقون وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا تنفق فقال قل العفو قرأ ابو عمرو بالرفع العفو معناه الذي ينفقون هو
العفو وقرأ الآخرون بالنصب على معنى انفقوا العفو والعفو هنا ما تيسر وسهل انفاقه وهو الفضل عن الحاجة دون ما يبلغ منه

الجهد كما قال عليه السلام خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل المراد من العفو القدر
الذي اذا انفقته لم يبلغ اثره عن قلبك من العفو بمعنى المحو وذلك القدر القليل وهذا كله في حق العام واما الخواص فالعفو في
حقهم ايثار الغير على انفسهم كما قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما كان اطعام سيدنا علي وبنيه
عليهم التحية والسلام في اطعام الطعام كذلك يبين الله لكم الآيات اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد وما ذكر من الاحكام
ومحل الكاف النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد كاف الخطاب والمخاطب به كثيرون
على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون
بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم
اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعد لمن
خالطهم باحسان ووعيد لمن خالطهم بافساد اى يعلم امره فيجازيه على ما صنع ولو شاء الله لأعنتكم اى لو شاء الله
اعناتكم لاعنتكم اى لحملكم بالشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على
الاعنات حكيم يحكم بما يقتضيه الحكمة ويسع له الطاقة قال في بحر الحقائق اختلاف حالهم بالتأديب والتعليم وبذل
النصح لهم اتم من اصلاح حالهم وكلم في ذلك خير ثواب اجر عند الله وان تخالطوهم في المعاملة والمجالسة والمواكلة فاخوانكم
فكونوا معهم كما تكونون مع اخوانكم في الصبر على الاحتمال عنهم والشفقة عليهم بكل حال من غير زيادة وملال والله يعلم نية
المصلح في الاصلاح من نية المفسد في الافساد ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم
اى لا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات ايضا لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله عما يشركون ولكنها خصت في هذا الحكم عن سائر المشركات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى
انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة فاتته امرأة تسمى عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال
ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت
ولأمة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والجملة معترضة ولو بمعنى ان وهو كثير وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبلها عليه والمعنى ان اعجبتكم
وان اعجبتكم فالمؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك

اشارة الى

اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الى الكفر المؤدي الى النار فلا يليق بالمؤمنين موالاتهم
ومصاهرتهم والله يدعو الى الجنة والمغفرة يعني اولياء الله وهم المؤمنون بحذف المضاف تفخيما لشأنهم يدعون
الى الاعتقاد والعمل الصالح الموصلين الى الجنة فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين
آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة
الهوى قال اهل الاشارة بصلة رحم الدين والتمسك بعضهم ببعض من المسلمين خير من صلة حبل الكفر والتمسك بعضهم ببعض الكفار وان
كان فيه ما يعجبكم من مستحسنات الهوى ومشتهيات النفس فانها تدعو الى النار لانه حفت النار بالشهوات وترك ما يعجبكم
امر الله وان كان لكم فيه كراهة فانه يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه لان الجنة حفت بالمكاره ويبين آياته للناس يظهر الله
في كل شيء آثار الطافه مع عباده الناسين عهد الميثاق وما شاهدوا من الطافه وعاينوا بلا واسطة لكي يتذكروا ما شاهدوا و
يشتاقوا الى ما عاينوا او لا يغتروا بالبدل فان كثر آباد ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت و
المحيض مصدر كالمجيء والمبيت اصله الانفجار والسيلان قل هو اذى اى الحيض مستقذر ومؤذ من يقربه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من
البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن وترتيب الحكم بالفاء على
وصفه بالاذى اشعار بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو عند الشافعي ان يغتسلن بعد
الانقطاع يدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عباس رضي يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما
قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذي امركم الله
حلله ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كالحائض والاتيان في غير
المأتى قال ارباب الاشارة محيض النساء بسيلان الدم من الفرج ومحيض النفوس بغلبات الهوى في مسالك الشهوات
ودواعي الصفات البشرية والحاجات الانسانية وكما ان المحيض يمنع النساء عن الصلوة فغلبات الهوى في طلب المشتهيات
يمنع الرجال عن لذة المناجات والارتقاء في معارج الوصول الى القربات وكل قطرة من الهوى تكدر بحارا من الصفا فنودي
قلوب الرجال من سرادقات الجلال فاعتزلوا النساء النفوس عند محيض غلبات الهوى حتى يطهرن اى يفرغن عن قضاء الحوائج
الضرورية للانسان من المأكول والمشروب وغيرهما فاذا تطهرن بماء التوبة والاستغفار ورجعن الى الحضرة في طلب القربة
فأتوهن بالتصرف فيهن من حيث امركم الله عند ظهور شواهد الحق لزهوق باطل الهوى ان الله يحب التوابين عن اوصاف
الوجود ويحب المتطهرين بماء الصفاء بنور الشهود نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم

اى من جهة شئتم ومن اى شئ اردتم بعد ان يكون القبل هو المأتى روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الدليل على حرمة اتيان المرأة فى دبرها اما تعريضا فهو جعلها حرثا ومحل الحرث منها القبل دون الدبر وهو من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة واما تصريحا فقوله عليه السلم ان الله لا يستحيى من الحق لا تاتوا النساء فى ادبارهن وقوله عليه السلم ملعون من اتى امرأته فى دبرها وقال ارباب الحكمة من اتى امرأته فى دبرها لم يأمن ان يولد الولد مخنثا والسبب فى ذلك ان فى الانسان مادة يوجبه تنصب فى اعضاء التناسل فتحرك الشهوة بما تحدث فيها من حكة لا تندفع الا بالجماع فاذا اتى المرأة فى دبرها انصبت تلك المادة فى قصبة برها كما يكون ذلك لا رباب الابنة فاذا عرضت تلك الهيئة الوالدة فربما جاءت الولد على تلك الهيئة لانعقاد من نطفة الوالدين وكون النطفة تأخذ من جميع اعضائهما والله اعلم **وقدموا لانفسكم** ما يدخر لكم من الثواب قيل المراد طلب الولد وقيل التسمية قبل الوطى **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه **واعلموا انكم ملاقوه** بعد الموت فتقدموا ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدايم حقيقة الدنيا التى هى محل تمتعكم ونشر بذركم مزرعة آخرتكم فتصرفوا فيها كيف شئتم بمباشرة ما شئتم من طرق التجارة والعمارة والحراثة ومزاولة ما اخترتم من صنوف الحرف والصناعات سالكا فيها مسلك الحليم مراعيا فيها طريق المشروعية بالوقوف عند الحد الذى يحده الشارع فى الشبه والمحرمات وقدموا منها ما هو حسب الحكيم الى دار مقركم ومحل استقراركم ادخارا لانفسكم واتقوا الله احترزوا واجتنبوا عن حب الدنيا والركون الى زخارفها ونسيان الآخرة بالاعراض عنها واعلموا علما يقينا انكم ملاقوه مشاهدون اياه بالانتقال من الدنيا الى الآخرة فان الدنيا محل ظهور الاسم الظاهر ومقام سلطنته فتكون المعانى والغيوب فيها مستورة وحقايق الامور ملتبسة مختلطة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون واما الآخرة فهو موطن ظهور اسم الباطن ومقام سلطنته فينعكس فيها الامور وتنقلب فيها الاحكام والخواص والآثار فيرى الحق تعالى فيها بانكشاف الغيبات وظهور المعانى والخواص وصيرورة المشاعر منصرفة فى ادراك المعانى كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وبشر المؤمنين المصدقين بتلك الانتقالات والانقلابات بحسن اللقاء من الحق تعالى والفوز بدرجة الوصال من حضرة ذى الجلال **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة وفى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة تطلق على معنيين احدهما ما يصير عارضا وحايلا بينك وبين الشئ والثانى ما يجعل حاجزا ومعرضا للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا اسم الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فى الايمان اذ بمعنى الامور المحلوف عليها وان مع صلتها عطف بيان لها وعلى هذا المعنى قوله عليه السلم لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك ومعناها على الثانى لا تجعلوا

الله

الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف بها فان ذلك وصف مذموم وان تبروا على هذا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين **والله سميع عليم** بنياتكم قال فى بحر الحقايق عظموا الله ونزهوه ان تحلفوا به فى معرض كل عرض خسيس وحظ دنى وان تجعلوا ذكره وسيلة لجلب الخيرات وذريعة لدفع المضرات والله سميع عليم يسمع القول اذا ذكر بالتعظيم ويعلم عظمته فى القلوب فيجازيهم على قدر تعظيمهم اياه **لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم** اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه بان سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله جريا على ما اعتادت به السنتهم **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقيل اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها **والله غفور** حيث لم يؤاخذكم باللغو **حليم** حيث لم يعجل المؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة **للذين يؤلون من نسائهم** اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بمن لتضمين هذا القسم من الحلف معنى البعد **تربص اربعة اشهر** التربص الانتظار والتوقف اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفىء ولا طلاق **فان فاؤا** رجعوا فى اليمين بالحنث **فان الله غفور** يغفر للمولى اثم حنثه اذا كفروا ويغفر له ما طاب بالايلاء من ضرار المرأة بالفيئة التى هى كالتوبة **رحيم** يرحمه له الرجوع ابقاء للعلقة النكاحية **وان عزموا الطلاق** اى صمموا قصدهم **فان الله سميع** لطلاقهم **عليم** بغرضهم فيه فلا يطالب المولى بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه **والمطلقات** يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ذلك **يتربصن** خبر بمعناه الامر وتغيير الاسلوب للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله **بانفسهن** تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يحملها على التربص **ثلثة قروء** اى فى مدة ثلثة قروء او يتربصن مضيها والقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلوة والسلم دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين وانه واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن** من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك **ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على ان ذلك الكتمان ينافى الايمان فان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل **وبعولتهن** اى ازواج المطلقات **احق بردهن** الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة

فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لاضرار المراة وليس المراد منه تعقيد الرجعة بقصد الاصطلاح بل التحريض
عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب
استحقاق المطالبة عليها لا فى جنس الحق وللرجال عليهن درجة زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها اولهم عليهن شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن ويشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح تنبيه ولهن مثل الذى
عليهن بالمعروف يشير الى ان للعباد حق فى ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا فى ذمة عباده فمهما يراعى العبد حق الربوبية ويتقرب اليه
شبرا فالله تعالى احق ان يراعى حق العبودية فيتقرب اليه ذراعا ولله تعالى فى رعاية حق العباد درجة عليهم لانهم يراعون بحقه بحسب
عجزهم وضعف نشاتهم وتغير احوالهم والله تعالى يراعى حقوقهم على قدر كماله وعظمته وقدرته وسعة فضله وبقاء الدوام قال ان الله تعالى
بمثل تقربه هؤلاء والله عزيز اعز ان يراعى العباد مع عجزهم وضعفهم حق ربوبيته وهو لا يراعى كمال ربوبيته حق عبادة
حكيم لا يقتضى حكمته ان يطالبهم عالا يستطيعون بل بحكمته يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان اى
التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه الصلوة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق
الشرعى تطليقة على التفريق فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان
لا يراجعها حتى تبين وهو على القول الثانى تخيير بين الامساك والتسريح بعد ان علمهم كيفية التطليق كانه قيل اذا علمتم كيفية
التطليق فالواجب احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اى من الصدقات روى ان جميلة بنت اخت
عبد الله بن ابى كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى
وراسه شىء والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر بالاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل
فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام
واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله اى الا ان يخاف
الزوجان تركا قامة احكام الله من حقوق الزوجية وبهم من ترك الخوف بمعنى بالظن ويؤيده قراءة بعضهم الا ان يظنا
وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وان بصلته على هذا بدل من الضمير بدل الاشتمال والمعنى الا ان يخاف عليهم ترك
حدود الله فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لا على الرجل فى اخذ
ما افتدت به نفسها واختلعت ولا على المراة فى اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما بين من الاحكام فلا تعتدوها
بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد وظاهر الاية يدل
على ان الخلع لا يجوز من غير شقاق ولا يجوز ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع
عن العقد لا يدل على فساده اشارة ان اهل الصحبة لا يفارقون صاحبهم بجريرة واحدة صدرت منه كالحر عتين

بل يتجاوز

بل يتجاوز عنه مرة ومرتين وفى الثالثة فامساك بمعروف او تسريح باحسان اما صحبة جميلة او فرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى
مرتين وفى الثالثة قال هذا فراق بينى وبينك فاما الصحبة عن تعظيم وحرمة ونجاب لذة العمر لا خلاق الذميمة واضاعة
الوقت فى تحصيل المقت من عمر مضى فى الطريقة ولا محمود فى الشريعة وفى قوله ولا يحل لكم لا بد اشارة الى ان لا يحل لاهل الصحبة
وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الاخوة فى الدين وربما خلعوا عنهم قلوبهم بعدها
انقوهم الهمم لعله الا ان يخافا فاترك حدود الله فى رعاية حق الصحبة بان يؤدى الصحبة الى مداهنة واهمال فى حق من
حقوق الدين فلا مع حينئذ عن القطع بالكلية لرعاية الحدود فان طلقها تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر
الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد اثنتين فلا تحل له من بعد اى بعد ذلك
الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج واستدل بظاهره من اقتصر فى
التحليل على مجرد العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان معه مثل هدبة الثوب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة فالحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق وعن العود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان يتراجعا اى ان يرجع
كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزوج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ما حد الله
وشرعه من حقوق الزوجية وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى
العلم اشارة ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى ويعفو عن سيئاته تارة بعد اخرى فان
اصر العبد على خطائه فداوم على جفائه فان الله تعالى يبتليه بالخذلان ويجعله قرين الشيطان كما قال تعالى ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ثم اذا فارق قرين الشيطان ورجع الى جناب الرحمن وقرع باب
الندامة بانامل تبة وقام على قدم التوبة فى طلب الرجعة والاوبة قال له من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب حج نفسك
وقال من طلبنا فلا حاجة يلزم عتبة بابنا مساء وصباحا فان فارق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمة فاخرجه بفضله
عن الخذلان وتداركه بالغفران والرضوان وهداه الى درجات الجنان وجعله من اهل القربات والرضوان كما قال تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف الاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى ينتهى به والبلوغ هو الوصول الى الشىء وقد يقال
للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فقاربن جعلهن
من غير ضرار وخلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا

ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فهي عنه بعد
الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل والالجاء الى الافتداء
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون
في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا
نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شيء عليم تأكيد للامر وتهديد للمعرض عنه بتبصرة ضمن الآية مع ما فيها من بيان
الاحكام مجامع طرق التذكير من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعظيم آيات الله وشكر نعمائه فقال فامسكوهن
بمعروف الآية يريد ان الاذية والمضارة ليست من شرط الاسلام ولا من آثار الايمان ولا من اشعار المسلمين عموما
وللزوجات في ذلك خصوصية فيجب حسن المعاشرة معهن وترك اذيتهن وترك الحاج بهن فاما تخلية سبيل من غير جفاء
او قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء وبلا اعتداء ومن يفعل شيئا من الاذية والمضارة والاعتداء بالجفاء فقد ظلم نفسه
وهو يحسب انه ظلم غيره لان الله تعالى يجازي الظالم والمظلوم يوم القيمة فيجازي المظلوم من حسنات الظالم ويجازي الظالم
من سيئات المظلوم ثم قال ولا تتخذوا آيات الله هزوا فمنع الهوان والاستخفاف بآيات الله تعالى وذلك بتلاوة ظاهرها
من غير تدبر معانيها وتفهم اشاراتها وتحقق اسرارها وتتبع حقايقها والتنور بانوارها والاتعاظ بمواعظها ثم قال
واذكروا نعمت الله عليكم بحث واطلق النعمة ولم تشكل ظواهرها التي هي الحيوة والرزق وسلامة الاعضاء و
الجوارح وبواطنها التي هي بعثة الرسل وانزال الكتب واعلام الحكم والهام الخيرات ثم خصص الباطنة بالذكر لكونها
هي المقصودة بالذات وبالاصالة ثم ضم التذكرات بالتأكيد عليها والتهديد للمعرضين عنها واعلموا ان الله بكل شيء
مما تعملون بمن حرف الجملة وما تتركونه منها عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
والبلوغ ههنا بمعنى تمام المدة وكان فيما قبل بمعنى المقاربة منها بقرينة ذكر الرجعة فيما قبل وذكر الاستيناف النكاح
ههنا فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخطاب للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار
حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها
اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن فان ذلك بسبب توقفه على اذنهن
وقيل الخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة من التزوج بالغير عدوانا وقيل الخطاب
للناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له العضل

في الاصل

في الاصل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها ولم يخرج اذا تراضيتم اي تراضيت الخطاب والمخطوبات
بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه
دلالة على ان العضل عن التزوج من غير الكفو غير منهي ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر الاشارة الى ما مضى ذكره من الحكم والخطاب للجميع على تأويل القبيل او لكل واحد والخطاب للرسول عم
على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد وتخصيص
الوعظ بالمؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع بسماعه ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم واطهر
من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن
اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد
له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين
كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فلا يحمل على سنة وبعض الثانية مجازا لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب هو الذي يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه و
على المولود له اي الذي يولد له يعني الاب فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع رزقهن وكسوتهن طعام المرضعات ولباسهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه بعضهم ما دامت في نكاح الوالد او في عدة نكاحه بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن على الوالد والتقييد بالمعروف ودلالة على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده اي لا يكلف كل من الوالدين الآخر ما ليس في وسعه
ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف وعلى الوجهين يصح حمله على صيغة
المعلوم وصيغة المجهول ومآل المعنى واحد وفي اضافة الولد اليها واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان
يتفقا على استصلاحه والاشفاق به فلا ينبغي ان يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود
له رزقهن وما بينهما تعليل والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة تتوجه الى مال الصبي وفي ذكر
الوارث تعليل لتعلق حق المؤن به بانتقال مال الوالد اليه فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا
صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل
وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او غيره فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وان
اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح
الله

الله حاجتي واستجمتنا اياها حذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه على اطلاقه بل على ان للزوج
ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب شرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الا
سترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد تنبيه الآية تدل من اولها الى آخرها على اصناف الطافه في
الآية ونهاية مع عبيده وما يشير الى ان الله تعالى ارحم بهم من الوالدة المشفقة على ولدها ان غاية الرحمة التي تضرب بها المثل
للامهات فان الله تعالى امر الامهات بكمال الرحمة في ارضاع المولودات وقال والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين ثم رحم على الامهات المرضعات وقال وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ثم على الوالد فقال بالمعروف ثم تمت
الرحمة بالعدل والنصفة على الاقوياء والضعفة وقال لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
يعني في الارضاع وما يجب عليها من الشفقة وفيما يلزم من النفقة ثم انه تعالى كما اوجب حق المولود على الوالدين اوجب حق الوالدين
على المولود فقال وعلى الوارث مثل ذلك وهو المولود ثم انه تعالى لكمال لطفه مع العباد لما علم ضعف الانسانية وعجز البشرية
خفف عنهم ورخص في الفطام قبل الحولين والاسترضاع لغير الوالدين مراعيا في ذلك الاحتياط في حال المولود وقال فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ثم وعدوا وعد كل واحد منهم في رعاية حق الآخر واهماله لقوله واتقوا الله
واعلموا ان الله بما تعملون وفي رعاية الحقوق واهمالها بصير فيجازي المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة وهذا ايضا من كمال اللطف
والرحمة حقيقة قال الله تعالى من قبل واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم وقال هنا واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير جعل متعلق العلم الاشياء كلها ومتعلق البصر امرا واحدا وكذلك في مواضع الذكر فكان فيه ايماء
بان متعلق بصره هو المبصرات لا غير وانت تعلم ان البصر غير خارج عن العلم فقلنا اضطررنا بالقول بان له تعالى علمين علم غيبي
محيط بحقايق الاشياء في شيئيتها الثبوتية وعلم عيني من في تعينات الاشياء في شيئيتها الوجودية وذلك احدهما المتعلق
بالاشياء العلم الثاني هو البصر من حيث التعلق بالمبصرات كما انه السمع من حيث التعلق بالمسموعات ولو ورد اذن الشارع
باثبات اللمس والذوق كان على ذلك الوجه وكذا الورود باثبات العقل والخيال لكن الاسماء والاوصاف له تعالى توقيفية
فان قلت فعلى هذا يلزم ان يكون الحق تعالى مستكملا بهذا العلم الثاني كما ان احدنا اذا علم شيئا بحده وحقيقته ثم ابصره
ببصره يحصل له حالة زايدة على ما كان عليه من العلم بذلك الشيء قلت هذا غير لازم في حقه تعالى لان علمه تعالى بالاشياء
في شيئيتها الثبوتية لا يفارق علمه بها في شيئيتها الوجودية لان حصول الحقايق في العلم بالنسبة اليه عين حصولها له وان
شهوده لها اذن في عين الوجود لعدم مغايرة علمه لذاته حقيقة ووجودا فسمعه وبصره لا يعطي له شيئا زايدا على ما كان

علمه

هو عليه من العلم بخلاف السمع والبصر في حقنا بل الحق ان علمه تعالى واحد كان باعتبار تعلقه بشيء في مشهد مخصوص
مغايرا له باعتبار تعلقه بتلك الشيء بعينه في مشهد آخر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى يتربصن بعدهم كقوله السمن منوان بدرهم
وتانيث العشر قيل باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والحق ان التذكير والتانيث يستويان في المعدود عند حذف
المميز كما في قوله عليه السلام من صام رمضان واتبعه ستا من شوال الحديث والمعنى في تقدير تلك المدة العلم ببراءة الرحم فان
الجنين في غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي
والحرة والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فاذا بلغن اجلهن فيما في
انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن
لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم المنع فان قصروا في المنع فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه والخبير
كالبصير في التعلق بالامر الوجودي ولذلك جعل متعلقه عملهم كما قال واعلموا ان الله بما تعملون بصير ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد
للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم
في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت
عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا وجماعا عبر بالسر عن الوطي لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سببه وقيل
معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا
هو ان تعرضوا لا تصرحوا والمستثنى منقطع اى لا تواعدوهن صريحا ولكن تعريضا وهذا في معتدة الوفاة واختلف في
تعريض معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح اى عقد عقدة النكاح وذكر العزم مبالغة
في النهي عن العقد حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من
العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة اشارة اعلموا ايها الرجال والنساء ان الله يعلم بعلمه الازلي ما قدر وخلق في انفسكم من السعادة

الشقاوة والرزق والعمل والاجل وما دبر من التسوية والتعديل وحسن استعداده في احسن تقويم وكان
من الروح والقلب والسر والعقل والشهوة والغضب والهوى وما اودع من خواص مزدوجات العناصر ومركباتها و
الاوصاف الحيوانية والبهيمية والسبعية والشيطانية والاخلاق الملكية والروحانية وما خلق لحظة فلحظة منها من الدواعي والخواطر
والحركة والسكون والاقوال والافعال فاحذروه بمراقبة السرائر والضماير ومحافظة ما امركم به ونهاكم عنه في الظاهر واحذروه في
البواطن بتزكية النفوس عن المذمومات من الاوصاف وتحلية القلوب بالمحمودات من الاخلاق وبتصفية الارواح بقطع التعلق عن
المكونات وبتعرض الاسرار لنوال الجذبات وفي الظواهر بالاحتراز عن المخالفة والتزام المتابعة وان زلت اقدامكم بزلة
من الزلات واتبعتم من سبق الكتاب بآفة من الآفات فاعتصموا بحبل التوبة والاستغفار واعلموا ان الله غفور حليم لو لم
يعجل لعقوبة الاشرار وما اهمل الاخيار في الزلات الى ان يتداركها بالتوبة والاستغفار لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر و
قيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرأ حمزة و
الكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا والفرض
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به وهو فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية والمعنى
انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية نفي
الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي على كل منهما ما في وسعه وما يليق به والمقتر الضيق الحال وقيل هي درع وملحفة وخمار على
حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا والقياس مقدم على المفهوم وقرأ
حمزة والكسائي وحفص وجعفر وابن ذكوان بفتح الدال متاعا بالمعروف تمتيعا بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا متعوهن معنى القول على المحسنين الذين يحسنون
الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا ولما ذكر حكم
المفوضة اتبعه حكم قسيمها فقال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل ان الجناح المنفي تبعة المهر وان لا متعة مع
التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله اي يعفو
عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب
بعض اصحابنا وقيل الولي الذي يلي عقد النكاح وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب

للرجال والنساء جميعا فعفو النساء ان لا يأخذن شيئا وعفو الرجال ان يكمل لها المهر وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم نكتة في قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اشارة الى
ان الوصول الى تقوى الله حق تقاته انما هو ترك ما سوى الله والتجاوز عنه فان المواصلة الى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق
والتقرب الى الله تعالى بقدر التبعد عما سواه وفي قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اشارة الى ان فضل الله فيما بينكم موجود فعلى قدر
احسان بعضكم الى بعض يجدون من فضله وعلى قدر اساءة بعضكم الى بعض يفقدون من فضله ولا تنسوا الفضل ههنا في الدنيا
فان حلول الجنة ودخولها هناك لا ينال الا من فضله كقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله ان الله بما تعملون في وجدان
الفضل وفقدانه بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى باداء الوقتها اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا هي
صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس
في وقتها واجتماع الملائكة اعني الذين يصعدون بعمل النهار والذين ينزلون لرفع عمل الليل وقيل صلوة الظهر لانها في وسط
النهار وكان اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
وصلوتي الليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر صلوة النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا
لله قانتين في الصلوة ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر في القيام وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به
القنوت في الصبح فان خفتم من عدو وغيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين وفيه دليل على وجوب
الصلوة حال التحام القتال واليه ذهب الشافعي وقيل لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم
زال خوفكم فاذكروا الله بشكر نعمته كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اي لاجل انه علمكم ما كنتم تجهلون من احكام صلوة الخوف
وما بهام من التخفيف فما مصدرية والكاف للتعليل كما قررناه في مقامه ثم في باب الاشارة ان الله تعالى اشار في حفظ
الصلوة بصيغة المفاعلة التي يكون بين اثنين وقال حافظوا على الصلوات يعني ان تحافظ الصلوة مني ومنكم فانا حافظكم
على الصلوة بالقدرة والتوفيق والاجابة والقبول والاثابة فحافظوا انتم امري وخطابي عليها بالصدق والاخلاص
والخضوع والخشوع والمناجاة وبالتذلل والانكسار والاستغاثة والاستمداد والسكون والوقار والهيبة والتعظيم
وحفظ القلوب بدوام الشهود فانها هي الصلوة الوسطى لان القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة
بين الروح والجسد ولهذا سمي قلبا فالاشارة في تخصيص المحافظة على الصلوة الوسطى هي صلوة القلب بدوام الشهود راي
سهل ابن عبد الله التستري ان قلبه يسجد فخرج في طلب المشايخ ليسألهم عن ذلك فلم يجد احدا من ذلك المقام فكان يتردد

في البلاد الى ان وصل احد منهم في عبادان فقال له يا شيخ هل يبعد القلب فقال الى الابد فاقام لديه واشتغل عنده بالسلوك
فصلوة القلب هي الصلوة الموصوفة بالدوام كما قال والذين هم في صلاتهم دائمون واليهم الاشارة بقوله وقوموا لله اي
لعز الله قانتين طالبين فمعنى الآية في التحقيق حافظوا على صورة الصلوة كيلا تجد الخروج منها وخصوصا وقوموا لله قانتين
اي اجعلوا القيام الى الصلوة معراجا في طلب الحق قانتين طالبين من الله نعم الوصول اليه ولا تسألوا عنه غيره وهو الصراط
المستقيم والصلوة الوسطى فان خفتم حدة هذا الطريق ودقة وطول مسافة لضعف قلوبكم وفتور عزيمتكم وغلبات
شهواتكم وطلبات صفاتكم فاستعينوا بالله وفروا الى الله وتوكلوا على الله ولا تيأسوا من روح الله واخرجوا من حولكم
وقوتكم فانه لا حول ولا قوة الا بالله وفروا الى الله رجالا على قدم العبودية او ركبانا على نجائب جذبات الربوبية فلا
تخف من طول الطريق ما تجدوا قرب ولا تفزع من حدة الصراط ودقة فانك محمول العناية فاذا امنتم من خوف ضعف البشرية
ثقة بالطاف الالوهية فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون بقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
كي يقول لك الحق هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وهذه الآية وقعت فيما بين احكام الازواج والاولاد عن العطف
كيلا يلهيهم الاشتغال بنساءهم عن الصلوة فلما فرغ من ذلك رجع الى ما كان بصدده فقال والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قرأها ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بالنصب على المصدر بتقدير يوصون لازواجهم
وصية نبذ المصدر بعمل فعله توجب حذف الفعل لعدم صلوح المعمول لان يتوجه اليه الفعل لظهوره في حيطة شيء
آخر اعني المصدر المقدر به والباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون وصية لازواجهم متاعا الى الحول نصب
بيوصون المقدر غير اخراج بدل من متاعا فان السكنى تبع لها والمعنى يوصون اي يمتعوهن بعدهم حولا بالسكنى وكان
ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن واما اصل السكنى فهو ثابت عندنا بعد فان خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف ما لم ينكره الشرع وهذا يدل
على انه لا يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة
جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ومنهم من اوله بما
يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والمراد المطلقة المخصوص التي
من ذكرهما والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته
وعدا بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون تفهمونها وتستعملون عقولكم فيها
قال في بحر الحقائق كذلك يبين الله بنظر الله لكم آياته اصناف الطافه واوصاف عطائه لعلكم تعقلون بانوار الطافه

كمالات اوصافه الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع
فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد داوردان قرية قبل واسط فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا ويستيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدرته وقيل الاراد فيما تم احياهم وهم الوف اي الوف
كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل المعنى وهم متالفون جمع الف كقاعد وقعود حذر الموت مفعول له فقال
لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله من غير واسطة علة وقيل ناداهم به ملك
وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى اليه نادهم ان قوموا فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع
المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم
ليعتبروا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر
الاعتبار والاستبصار نكتة انه لما امروا بالجهاد في سبيل الله وهو الجهاد الاصغر في العالم وهو الخطر
عن مقاساة شدائد الموت ابتلاهم الله تعالى بموت الاجساد فكيف بقوم امروا بالجهاد في الله بقوله وجاهدوا في الله
حق جهاده وهو الجهاد الاكبر ووعدهم على ذلك هداية الوصول اليه بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالامر
وقد دام من تحمل المشقة واعرضوا عن طلب الجهاد للحق واقبلوا على الدنيا بتبعية الهوى افلا يبعثهم الله بموت القلب
ولو لم يمت قلوبهم ما اعرضوا عن الحق في طلب الباطل وفي قوله ان الله لذو فضل على الناس اشارة الى ان الله
تعالى بفضله وكرمه احيا قلوب المؤمنين بنور الايمان كما قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
فقليل منهم قدموا على شكر الايمان بالقيام للاوامر والنواهي كما هو الواجب لتستحقوا بذلك المزيد كما قال وقليل من عبادي الشكور
وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم
ففي سبيل الله وان تراخى عنهم كان لهم النصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرونه
قال ارباب الطريقة قاتلوا في سبيل الله نفوسكم فانها اعدى عدوكم واعلموا ان الله سميع دعاءكم وتضرعكم اليه
في الاستغاثة والاستعانة منه على قتل نفوسكم واحياء قلوبكم كما سمع دعاء نبيكم حزقيل في احياء قومه عليم بصدق نيتكم و
بذل جهدكم في جهادكم فيعينكم على قتل نفوسكم واحياء قلوبكم ويحيي بانوار فضله قلوبكم من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا اقراض الله تقديم العمل الذي به يطلب ثوابه والحسن منه ما يكون مقرونا بالاخلاص وطيب النفس وقيل القرض الحسن
المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له اي يضاعف جزاءه قراءة عاصم بالنصب على جواب الاستفهام وقرا ابن كثير
يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدر قدره وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او على انه المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير والله يقبض ويبسط يقتر على

على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي عن
ابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم تبصرة ان الله تعالى
من كمال فضله وكرمه على عباده خلق انفسهم وملكهم الاموال ثم اشترى منهم انفسهم واموالهم ثم ردها اليهم بالعارية ثم
اكرمهم منها بالاستقراض عنهم ثم بشرهم باضعاف كثيرة عليها فقال من ذا الذي يقرض الله يعني بذل العوض والقرض الحسن
ما لا يقصد في عوضه غير الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة يعني ان العبد لا يطلب الا على قدر همته فيعطيه الله تعالى ما هو مطلوبه
على قدر رحمته ويضاعفه له مع مطلوبه ما اخفي لهم من قرة اعين اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط يقبض الصدقة
من الاغنياء كما في الخبر ان الصدقة تقع اولا بيد الله تعالى فيقبضها عنهم ليطهرهم بها عن خسايس الدنيا ويبسط بها على
الفقراء ليعاونهم على البر والتقوى يقبض من الاغنياء لئلا يتموّلوا على الفقراء ولا يزدروهم ويبسط للفقراء لئلا يتقلدوا
المنة من الاغنياء يقبض قلوب الاحياء من الدنيا والاخرة ويبسط عليها بالابطال في الدنيا والاخرة ويقبض الوجود
ويبسط الجود يقبض الفاني ويبسط الباقي يقبضك عنك بفنائك ويبسطك بدون باسطيه وهذا هو معنى
قوله واليه ترجعون اشارة والله يقبض ويبسط اي هو مع معاملتكم في القبض والبسط فانكم باوصافكم
تستترون اوصافه فان تبخلوا بما في ايديكم يضيق عليكم وان تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد في الحديث
ينزل المعونة على قدر المؤنة حقيقة شمس الاحدية مشرقا على اعلام الحقايق الالهية فمنه منها
ظلالات الحقايق الكونية فالظلال لا تزال تزيد وتنقص ظهورا وبطونا فكلما ازداد شمس الاحدية ظهورا واجتلاء
انقبضت ظلال المكونات الى الاسماء بالدلوج في البطون وكلما ازدادت بطونا واختفاء انبسطت ظلال الاكوان
من الاسماء بالشروع في الظهور الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه الينا قبضا يسيرا قال الله تعالى من ذا الذي يقرض الله فالظلال يقرض للاعلام وجودها بالرجوع من ذا الذي
يجود بوجوده المجازي الموهوم اللام الذي انشاء منه قرضا حسنا بطيب النفس فانه يقرض من ليس بعدوم ولا ظلوم
فيضاعفه له اسم الالهي اضعافا كثيرة بابدال الوجود الموهوب الحقيقي من وجوده المجازي حتى يصير العبد بعد ذلك الفناء
من نفسه باقيا بالله فيكون الحق تعالى سمعه وبصره فبه يسمع وبه يبصر كما في الحديث الم تر الى الملأ من بني اسرائيل
من بعد موسى اي بعد وفاته والملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له ومن الاولى للتبعيض والثانية للابتداء
اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض
معه للقتال ونجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى و
خبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع

عنه

٨٣

عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا و
ابنائنا يعني اي عرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه العمالقة كانوا يسكنون ارض فلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من
ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد نكتة ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا انهم
لما كانوا ممن عرض فقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان اذ
قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا يعني انكم ادعيتم
دعوى عريضة بحماة القتال في سبيل الله فان القتال في سبيل الله من شأن الانبياء وخواص الاولياء وليس من صنيع
اهل الطباع والاهواء فلعلكم ان كتب عليكم القتال ان لا تكونوا كالرجال فيما ادعيتم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فكان اول مقالتهم دعوى الاخلاص لله في قتالهم ثم ظهر احوالهم معتقدي آخر
هو الذب عن اموالهم واولادهم فهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يقولون نصلي ونصوم ونحج ونزكي ونعمل
لله وفي الله باللسان فاذا امتحنوا بصدق الجنان بوضع النقود على الميزان ففي كفة الميزان يرى ما كان لغير الله
وما كان لله فيقال لهذا آثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ولهذا انه خاف مقام ربه ونهى النفس فان
الجنة هي المأوى فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا قليلا منهم ولا شك ان اهل الحق في كل زمان
كانوا اعز من العنقاء واعوز من الكيمياء وانما تبين المدعون بمقصودهم لانه لم يخلص الحق تعالى مقصودهم ولو انهم قالوا
وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا بالقتال واوجب علينا وانه سيدنا ومولانا لعل الله صدق دعواهم واعطى
مقامهم واكرم مثواهم كما قال قوم من السعداء بالنفس والصدق وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين لا جرم فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري وقولهم اشتقاقه من الطول مدفوع بمنع
الصرف روي ان نبيهم عليه السلام لما دعى الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا
انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال من اين يكون له ذلك والحال انا احق
منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك انما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا

بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على
مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا
بان الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم
بمن يليق بالملك من النسب وغيره قال ارباب المعرفة كان طالوت رجلا فقيرا لا نسب له ولا مال فما قبلوه
للملك لان استحقاق الملك والرياسة عند العامة انما يكون بالسعادة الخارجية التي هي المال والنسب فنبه نبيهم
على ان الاستحقاق انما يكون بالسعادة من الجنس الروحانية التي هي العلم والبدنية التي هي زيادة القوة وشدة البنية
والله اعلم يعطي الملك فيؤتيه من يشاء والله واسع الرحمة رحمته وسعت كل شيء وكذا عليم بمستحقي خلافته وملكه وقال
٢ لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه يريد به صندوق التورية كان نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
وهي التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل به ولا يفرون ونزل النصر وبقية مما
ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شانهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون وقيل كان
بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار واخذوه منهم غلبة وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله
طالوت فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين وازعجوهما ليخرجانه من ارضهم
فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون
ابتداء خطاب من الله تعالى اشارة ان آية ملك الخلافة للعبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه هي الطمانينة
بالايمان والانس مع الله كقوله تطمئن قلوبهم بالايمان وقال تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وبقية
مما ترك آل موسى وهارون هو التوحيد والتجريد والتفريد والصبر والشكر والتوكل والتفويض وغير ذلك من الصفات
الحسنة والاخلاق الكريمة التي هي من بقايا موسى السر وهارون الروح تحمله ملائكة الاعمال الصالحة كقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ان في ذلك الاشارة لآية لكم لتنبيها لكم واعلاما لاخوانكم ان كنتم مؤمنين
بحقائق القرآن واشاراته فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلدهم لقتال العمالقة واصله فصل نفسه
عنه ولكنه لما كثر حذف مفعوله صار الفعل كاللازم والاشارة فيه ان طالوت الروح الانساني اذا تيسر له ان
يأتي بتابوت القلب الرباني ليسلم له الخلافة في تلك البشرية فلا ينبغي ان يركن الى الدنيا الغدارة المكارة بل عليه ان
ينفصل عنها ويخرج بجنود الصفات الانسانية ويبرز لقتال جالوت النفس الامارة روي انه قال لهم لا يخرج معي

الا الشاب

الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري
الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني ليس
من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا وانما علم
ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عم الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب لانه عام يشمل
الشرب القليل والكثير وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر
والكوفيون غرفة بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون
بواسطة وقرئ قليل بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليلون كانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلا وقيل ان الله تعالى ابتلى الخلق بالنهي عن الدنيا وما زينتها التي هي منهل الطبيعة الجسمانية ليظهر المحسن من المسيء ويميز
الخبيث من الطيب والمقبول من المردود فقال فمن شرب منه فليس مني يعني من يكون مفرطا في شربه من التمتعات الدنيوية ويشتغل
بها عني فما له حاصل مني ولا صلاحية جهاد جالوت النفس لان اهل الطبيعة وعبدة الشهوة اذل واعجز فانه هي من اوليائي
وله اختصاص خلق الله لا قوة لهم بحمل اعباء الجهاد اذ لا حمية لهم ولا تشدد ومن لم يطعمه اي لم يجعلها طعمة نفسه ومشرب قلبه فانه
هي يعني اوليائي وله اختصاص بقربي وقبولي والتخلق باخلاقي ونيل الكرامات مني الا من اغترف غرفة بيده يعني من يقنع من
متاع الدنيا على ما لا بد له منه من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على الاضطرار بمقدار القوام كما كان حال النبي ٤
واصحابه وكان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اي ما يمسك حيوتهم وجاز ان يراد بمن لم يشرب ارباب التجريد والتفريد
وبمن اغترف غرفة بيده من ياكل بكسب يده ومن يشرب منه بغير من غير ان يغترف من كان كسبه بطالا فقد لسانه يعطيه لناس
من اموالهم حتى فان لسانه وفي الجبران شر الناس من اكل بلسانه ثم قال فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المعرضون عن الاوراد
الطبيعة المنغمسون عن ملابسها المتجردون عن غواشيها وهم الاقلاء في كل عصر وزمان والمحدودون في الاوقات ومع
حسان تنبيها للمثل على ما ترى مضروب في الدنيا وزينتها وما هو من امر العلوم الرسمية ببعيد فكم من ركب عليها ابرز ومن
الى ما وراءه من المقاصد الا سادقل من يغترف منها بغرفة يجعلها وسيلة للمعارف الذوقية وذريعة للاعمال البدنية والقلبية
اقل منهم من جاوز عنها بجذبات العناية الازلية وغلبات الاشراق والاذواق الروحانية وهم مع قلتهم يعدو احدهم بالف
كما قال قائلهم تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليلون
الذين آمنوا من اهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم ان الغلبة ليست بالكثرة بل بالنصر الالهية قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم والقائل بذلك الكثيرون المنقطعون قال ذلك اعتذارا في التخلف وتحذيرا
للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال القليلون الذين آمنوا معه من
اهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم بانهم ملاقوا الله بالموت وان الغلبة ليست بالكثرة بل بالنصرة الالهية

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته ومن فاء
اذا رجع فوزنه فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاصابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا
لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله
بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت قيل كان ايشا في عسكر
طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه
من ابيه وجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فضم بعضها بعضا وحفظها فصارت
حجرا واحدا اخذها في مخلاته فلما ابصر العدو وضعه في مقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح حتى اصاب بيضته وغاص
في دماغه وخرج من قفاه وقتل وراءه ثلاثين من ابطاله فانهزم جيشه فزوج طالوت بنته منه واتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام
الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض
او لفسدت الارض بشؤمهم وقرا نافع ههنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث
الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك
فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع اشارة اعلم ان
المجاهدة مع جالوت النفس الامارة هو الجهاد الاكبر لا يتم لاحد بحوله وقوته ولا يختص بالظفر عليها الا بالتبري عن حوله
وقوته والرجوع الى ربه مستغيثا اليه مستعينا منه قائلا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا على الايمان بربطك
والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى وترك زينة الدنيا والتسليم عند الشدة ونزول البلاء والتوكل عليك و
تفويض الامور اليك والرضاء بما في الكتاب المسطور لديك وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين
عموما والنفس الامارة التي هي اعدى عدونا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرة الله فانه الذي صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده وقتل داود القلب جالوت النفس اذا اخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى العقبى او
حجر تعلقه اي نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم
والرضا فرمى به جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب بيضة هواها وخالط دماغها فا
خرج منه الفضل والفضول وخرج من قفاها وقتل من وراءها ثلاثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم بقية
باقي جيشها وهم الشياطين واحزابها واتاه الله الملك والحكمة يعني داود القلب ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية

وعلمه

وعلمه مما يشاء من حقائق القرآن واسرارها واشاراتها تلك آيات الله اشارات ولطائف لا يتحقق بها احد بعقله العادي فهمه
الرسمي ولهذا خص الله بعض احبته بتحقيقها وقال نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين الذين عبروا عن هذه المقامات و
شاهدوا هذه الاحوال والكرامات وظفروا بهزم النفس وتبديل الاخلاق والصفات وصح لهم صفاء الاوقات في لذة المناجات
في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل البعد والغفلات وعبدة طواغيت الهوى
واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما بلغوا الى ما بلغت من
تحقيق هذه الاشارات وما نالوك في الدرجات وما قاربوك الى القربات فانك خصصت بمرتبة قاب قوسين او
ادنى واختصصت بهم فاوحى الى عبده ما اوحى فنوجيت بالكلام بعدما نوديت بالسلام وعاينت ما عاينت بعد
ما اسري وانت موسوم بالعبدية ووصفت بالرحمة اذ ارسلت من مقام العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله
وقت وابتليت بسفارة جبريل وقتا دون وقت ثم لقيت من القوم ما لقيت بعدما فطمت عما سقيت فحق لك
ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقي من شرب ما سقيت وما اوذي بفطام ما اوذيت وحق بك
ان تقول آدم ومن دونه تحت لوائي فان احدا من الانبياء والمرسلين ما كوشفوا بما كوشفت من حقائق الآيات
ودقائق المشكلات بسلوكك بقدم الاستقامة في هذه المقامات وطيرانك بجناح الهمة في فضاء هذه المعجزات
تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله وهو موسى وقيل موسى ومحمد
عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة في الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان في قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله اي مكالمه ورفع
بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة
العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المترتبة المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصه
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا
عيسى ابن مريم البينات المعجزات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وتوسطا بينهما باقامته في رتب المفضلين من الرسل وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات
واضحة عظيمة لم يجمعها غيره وروح القدس جبرئيل ولو شاء الله هداية الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بالتزام دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا

كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا وفي الآية دليل على ان الانبياء
متفاوتة الاقدار وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بدليل قاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل من الفروع
دون ما يتعلق بالعقايد من الاصول وفيها ايضا دلالة على ان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا
تنبيه تفاضل الانسان في الدين والدنيا ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم كما قال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض اي بكون المخصوصين بذلك التفضيل فلكل واحد من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار فمنهم من هو على نورا
وانهم في الرفعة ونورا من رفعة درجاتهم وعلو مقاماتهم على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم و اختيارهم
وهذا التفاوت حين استفاض النور الذي رش عليهم في ظلمة الامكانية فان التفاوت في الانوار على قدر التفاوت
في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول فيض النور في بداء الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف في الوحدة لا التعدد
التفاوت والتعدد يرجع الى الظلمة ولهذا ذكر الله تعالى النور في مواضع من القرآن بلفظ الوحدان والظلمات بلفظ
الجمع قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقال يخرجهم من الظلمات الى النور فظهر ان
كمال الرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعداد والتفاوت في ذلك لان الاستعداد مستند الى فيض الاقدس الغير المعلل
بعلة فلا يسال عما يفعل وهم يسالون ولما اخبر عن فضيلة الخواص انها بتفضيله اياهم لا بكسبهم وسعيهم اخبر عن
اختلاف العوام وافتراقهم انه ايضا بمشية الله لا بمشيتهم بقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم فلما كانت
المشية في حق البعض دون البعض فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله في حق الجميع السعادة ما اقتتلوا ولكن الله يفعل الى الابد
ما يريد في الازل بل اختلاف الازل والابد راجع الى الخلق ولا ازل ولا ابد ولا ابد ولا ازل تعالى الله عما يشركون يا ايها
الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم لما وجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا
شفاعة اي يوم لا يقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او
تفتدون به من العذاب ولا خلة فيه حتى يسامحكم عليه اخلاؤكم ولا شفاعة فيه من غير اذن الله حتى تتكلموا على شفاعة
شفعائكم في حط ما في ذممكم وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح في الثلاث على الاصل والكافرون هم
الظالمون يريد ان التاركين للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر موضع من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار
لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة قال في بحر الحقايق ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب
والعقاب حقا فانفقوا تصدقوا مما رزقناكم اي كل ما رزقناكم من المال والجاه والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها
على مصارفها العامة والخاصة وذلك لانا ما اعطيناكم من ملكنا وما لنا لصلاح حالكم في الدنيا والاخرة ففي
الدنيا بالخلف فاني قلت انفق انفق عليك وفي الاخرة بالثواب الجزاء باضعاف مضاعفة واغتنموا وقت الامكان

في تقديم

في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا يشترى فيما يباع من الاموال والانفس التي لم تنفق ههنا وكان
المشتري يشتريها بثمن غال في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة من كان مؤمنا حقا فقد باع ههنا
ومن كان ايمانه مجازيا يسمع خطاب يا ايها الذين امنوا بالمجاز فما باع متاعا كاسدا بثمن جيد فلا يشترى منه بعد هذا السوق ولا
يباع مقام الصديقين ودرجات المتقين ليشترى بفداء ملء الارض جميعا ذهبا ولا خلة ولا ينفع خليل خليلا لان الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون يعني والذين لم
ينفقوا مما رزقناهم انما منعهم كفرهم بالبعث والنشور والثواب والعقاب في الجنة والنار عن الانفاق وكانوا هم الظالمون على انفسهم
فانا ما ظلمناهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق ووعدناهم عليهم بالثواب وانذرناهم بالعقاب فقد اعذر
من انذر دقيقة قال الشيخ رض ما من شيء الا وله وجه ونسبة الى الحق ووجه الى الخلق ولهذا جعل العطاء انفاقا
لانه من النفق وهو سرب يسمى النافقاء يعمله اليربوع له بابان اذا طلب من باب ليصاد خرج من الباب الاخر كالكلام المحتمل اذا دخل صاحبه
وجها امكن ان يقول انما اردت الوجه الاخر من محتملات اللفظ فان العطاء له نسبة الى الحق والعين ونسبة الى الخلق والحاجب فمن دخل
من باب يخرج من باب فعليك ان يكون عطاؤك من هذا الباب بل يكون من الذين يرون الحق فيما يعطونه معطيا اخذا و
يشاهدون انهم هي التي تظهر فيها العطاء والاخذ لا يحجبهم هذا عن هذا الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غير الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرا ابن مسعود القيام وقرا علقمة
القيم كلها لغات بمعنى واحد لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وانما قدم السنة على
النوم مع ان قياس المبالغة عكسه رعاية لترتيب في الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان كل من اخذه
نوم او نعاس كان مؤوف الحق قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في
الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما
متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن دقيقة قال الشيخ رضي الله عنه لا تاخذه سنة ولا نوم
لا تغلبه النوم فلا تغيبه شهود البرزخ عن شهود عالم الحس وعن شهود المعاني الخارجة عن المواد في حال عدم حصولها في البرزخ وقد
يمنح الله تعالى بعض عباده في الدنيا بهذا الادراك مع كونه لا يتصف بانه لا ينام واما في الاخرة فانه لا ينام اهل الجنة ولا
تغيب عنهم شيء من العالم بل كل عالم على مرتبته في شهودهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه و
انه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة فضلا عن ان يعاوقه عنادا ومخاصمة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا

واموراخروية او عكسا وفيما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض وصيغة جمع العاقلين
فيما فيهم من العقلاء لما دل عليه من ذوي من الملائكة والانسان ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان
يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات و
الارض الكرسي في الاصل يقال لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه ماخوذ من الكرس وهو الملبد والمعنى تصوير
لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في
الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش محيط
بالسموات السبع لقوله عليه السلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل
تلك الفلاة على تلك الحلقة وعن ابن عباس رض ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة لقيت في ترس وقال علي على نبينا
وعليه التحية والسلام كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة
الملائكة لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلم
وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة اي ذلة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد
السباع وهو الاسد يسأل الرزق من السنة الى السنة وفي بعض الاخبارات ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من
ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش ولا يؤوده
لا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضيف المصدر الى
المفعول وذلك لان حفظه ذاتي معنوي وامداد عنوي وجودي دائم وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم
المستحق بالاضافة الكل ما سواه والتي في حر الحقائق الاشارة في تحقيق الاسم مع تنزه حقيقتها عن تعريفه بالعبارات
او تقديره بالاشارة انه تعالى عظم شانه وعز سلطانه اخبر بكمال ذاته وعن جلال صفاته بصفاته بقوله الله وهو اسم يخبر
عن ذات متفرد بالالوهية والربوبية متوحد بالموجدية والربوبية من عرف هذا الاسم حق المعرفة عرف ذاته
بنعت الكمال موصوفا بالجمال والجلال فلا يحتاج الى تعريفه بتعداد اوصاف كماله ونعوتها فانها تقدست في نعوتها
عن احاطة نطاق النطق بحصرها ولما دعت الضرورة لقصور العقول عن ادراك ذلك الى تحديدها شرع في شرحها وعدها
مبتدئا بنفي الند لصلح لضدية في الالوهية او لندية في الربوبية بقوله لا اله ثم اثبت بالاستثناء عن الجنس هويته ذاته
بوجوب الوجود ومعبوديته للعباد بقوله الا هو ثم بين له صفة ذاته هي اللازمة للاهوية بقوله الحي القيوم اي له
حيوة ازلية ابدية سرمدية وما بعده بعده هو الذي للحصر انه هو الحي الا هو ولا حيوة الحيوية فما حي عن حي الا بحياته
وحيويته ثم ذكر له صفة اخرى ذاتية في صورة الحصر بقوله القيوم بمعنى هو القايم بذاته المقيم للمخلوقات ليس لشيء حي مشتمل
لكونها به قيام بنفسه الا وهو قايم بغيره وقد ورد في الخبر ان الحي القيوم هو الاسم الاعظم وذلك لان اسمه الحي

على جميع

على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا واسمه القيوم مشتمل على
بيان افتقار جميع المكونات الموجودات الى الحي القيوم للعبد بهاتين الصفتين والعبد يكاشف عند تجلي صفة الحي بمعاني جميع
اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة القيوم بفناء جميع المكونات اذ كان قيامها بقيومية الحق تعالى لا بانفسهم فلما جاء الحق
زهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم فصار له اسما اعظم للمتجلي له فاذا ذكره عند شهود عظمة الوحدانية
بلسان عيان المفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى
ثم نزه ذاته عن صفات النقص بعدما اثبت له صفات الكمال وقال لا تاخذه سنة ولا نوم لان النوم اخو الموت بل
حكى الله تعالى النوم بالموت وقال الله يتوفى الانفس حين موتها اي في منامها والموت ضد الحيوة وهو الحي الحقيقي
فلا يلحقه ضد الحيوة ثم اظهر ملكيته ومالكيته بالانفراد باختصاص له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا به واذا كان كذلك فلاي
مملوك ان يعارضه عند اجراء حكمه في ملكه وكذلك قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والاستثناء راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
لانه موجود بالمقام المحمود وهو مقام الشفاعة العام يعلم ما بين ايديهم من الدنيا ولذاتها وما خلفهم من الاخرة واهوالها ولا
يحيطون بشيء من علمه لان علمه قديم ازلي لا يكون مسبوقا بالعلم المحدث الا بما شاء ان يخبرهم عن معلوماته ثم اخبر عن
كمال ملكوتيته بقوله وسع كرسيه السموات والارض فانه اذا كان الكرسية هذا الكمال بان يكون محيطا بالسموات والارض و
لنار وهي مع عظم شانه كحلقة ملقاة في فلاة بالنسبة الى العرش فانظر الى كمالية جمال العرش كيف يكون هذا وان مثال
العرش في عالم الانسانية قلبه اذ هو محل استواء الروح عليه بخلافة الله ومثال الكرسي دماغه اذ هو محل الادراكات والتدبيرات و
العجب كل العجب ان العرش مع كمال عظمته قد قيل هو كحلقة في فلاة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب العبد
وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله لو وضع العالم وما فيه الف الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به ولا يؤوده
حفظهما وذلك في العالم الانساني انه لا يؤده الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض ومعانيها التي اودعها الله تعالى
في السر الانساني بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وهو العلي العظيم اي له العلو في العظمة والشان والسلطان ومن
علا في الاخرة والاولى فبعلائه علا ومن عظم فبعظمته عظم واستعلى فسبحان ربي العظيم وسبحان ربنا الاعلى
وقال بعض العرفاء الله لا اله في الوجود الا هو فكل ما عبد دونه لم يبق عبادة عابده الا الاعلم ولم يعلم انه لا معبود
بل لا موجود سواه الحي الذي حيوة عين ذاته وكل ما هو حي للحي الا بحيوته القيوم الذي يقوم بنفسه وتوكل بر قيام
بنفسه ما قام شيء في الوجود به لا تاخذه سنة لا تعتريه نعاس كما يعتري الاحياء من عز فقدهم فان ذلك لا يكون الا لمن
حيوة عارضة يغلبها الطبيعة بالحالة الذاتية طلبا للراحة والاستراحة والابدال عما تحلله المعطلة فاما من حيوة عين ذاته
فلا يمكن له ذلك وبين كون حيوته غير عارضة بقوله ولا ينافي كون الحيوة ذاتية لانه لا شبه شيء بالموت ولهذا قيل النوم
اخو الموت ومن لا نوم له لانه لمنافاة كون الحيوة عين ذاته فلا سنة له اذ السنة من مقدماته فاثاره له ما في السموات وما في الارض

نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اذ كلهم لا روبه يتكلم من بحر بكلامه يتكلم فكيف يتكلم بغير اذنه
واراد انه يعلم ما قبلهم وما بعدهم فكيف بهم وبحالهم اي علمه شامل للازمنة والاشخاص والاحوال كلها فيعلم المستحق للشفاعة
عن المستحق لها ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي بما اقتضت مشيته ان يعلمهم فعلم كل ذي علم شيء من علمه ظهر في ذلك
المظهر كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وسع كرسيه السموات والارض اي علمه اذ الكرسي مكان العلم الذي هو القلب
ولهذا قيل كرسيه عرشه اخذا من قوله عليه السلام قلب المؤمن عرش الله والكرسي في اللغة عرش صغير لا ينفصل عن مقعد
القاعد شبه القلب به تخييلا وتصويرا لعظمته وسعته واما العرش المجيد الاكبر فهو الروح الاقل ولا يؤده حفظهما اي
غير موجود بدونه لتشغل حملهما بل العالم المعنوي كله باطنه والصوري ظاهره فلا وجود لهما الا به وليسا غيره وهو
العلي الشان لا يعلوه شيء وهو يعلو كل شيء ويقهره بالفناء العظيم الذي لا يتصور كنه عظمته وكل عظيم يتصور
بشيء فهي رشحة من عظمته وكل عظيم منصب من عظمته وحصة منها عظيم فالعظمة مطلقا له دون غيره بل كلها له
ليس لغيره فيها نصيب حقيقة لا ينبغي لصاحب العلم ان يأول شيئا من الاعيان مما نطق به القرآن
والحديث بالمعاني تجوزا عن حقيقتها فاما ان يلغي من فهمها اهلها او يومن بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى فان اعظم ما
ابتلي به العلماء فتح باب التأويل لهم فيسلب الشيطان عن قلوبهم الايمان يتجرون بتحاويل التأويل فيظنون بانفسهم
على تأويل الجنة والنار والميزان والصراط وما في الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش
والكرسي بالامور المعنوية حيث لا يرى لاثباتها سعة في عقله العادي نعوذ بالله من ذلك وان شئت ان تطلع
على اسرار معرفتها من العرش والكرسي فلتكن ملقيا سمع قلبك الى ما القي عليك شيئا مما حققه الشيخ الاكبر رضي الله عنه في
بيانهما وهو هذا اعلم ان العرش سرير ذو اركان اربعة ووجوه اربعة وهي قوايمه الاصلية وجعل الحق تعالى في كل وجه
منها قوايم معدودة وجعله مجوفا محيطا بجميع ما يحويه عليه من كرسي وافلاك وجنات وسموات واركان ومولدات فلما
اوجده استوى عليه الرحمن واحد الكلمة لا مقابل لها فهي رحمة كله ليس فيه ما يقابل الرحمة فالعقل ابوه والنفس امه
ولذلك استوى عليه الرحمن فان الابوين لا ينظران الى ولدهما الا بالرحمة والله ارحم الراحمين والنفس كريمان
على الله محبوبان فاستوى على العرش الذي هو ولدهما الا بما تقر به اعينهما فعلمنا انه لا يصدر عنه الا ما فيه رحمة
وان وقع ببعض العالم غضب لا يلائم المزاج والغرض فهو انما رحمة كالدواء الكريه الطعم للعليل فباطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وبين العرش وبين الكرسي فضاء واسع وهواء مخترق وصور
اعمال بعض بني آدم من الاولياء في زوايا العرش نظر من مكان الى مكان في اجسام روحاني وقوايم هذا العرش
على الماء الجامد ولذلك يضاف البرد الى الرحمة كما قال عليه السلام وجدت بردا انامله وقد اعطاه العلم الذي
فيه الرحمة فالعرش انما يحمله الماء الجامد ومقر الماء على الهواء البارد وهو الذي جمد الماء وذلك الهواء النفس

الظلمة

الظلمة التي هي الغيب ولا يعلم احد في تلك الظلمة الا الله وفيه يكون الناس اذا بدلت الارض غير الارض تدل في
الصفة لا في العين ثم قال وخلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشكل ودلى له القدمين فانقسمت الكلمة الواحدة
الى رحمة وغضب مشوب برحمة واقتضى ذلك التركيب توليدا بربيا فان نظر في العالم من القبض والبسط المخلق
من كل شيء زوجين فيكون احد الزوجين متصفا بالعلو والآخر بالسفل والواحد بالفعل والآخر بالانفعال فظهرت السفلية
من الكرسي بالفعل وكانت في الكلمة الواحدة بالقوة ليعلم ان الموجد الاول وان كان واحد العين من حيث ذاته
فانه له حكم بنسبة الى ما ظهر من العالم عنه فهو ذات وجود ونسبة فهذا اصل شفعية العالم فكما استوى الرحمن على
العرش استوى القدمان على الكرسي فعلم الصدق وقدم الجبار فاستقرت كل قدم في مكان فسمي المكان الواحد جنة
والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه هاتان القدمان ومنهما انقسمت الكلمة الى الخير والاشياء والى الامر المثبت
لاحكام الكثرة في الوحدة طلبا للاعتدال والى النهي لنا في لاحكام الكثرة عن الوحدة حذرا عن الانحراف ومن القدمين
مراتب كثرة في العالم من الحسن والقبح والعلم والجهل والصفاء والكدورة الى غير ذلك ومقر هذا الكرسي ايضا على
الماء الجامد وفي جوف هذا الكرسي جميع المخلوقات من السماء والاركان وله ملائكة من المقسمات ولهذا انقسمت الكلمة
فيه فهذا الصنف لا يعرفون احدية قط وان كانت فيهم فان الله وكلهم بالقسم مع الانفاس يحمل منهم ومن
مشاهدة الوحدات فاي وحدة تجلت لهم قسموها بالحكم فلا يشهدون القسم في كل شيء ولا غفلة عندهم
ولا نسيان لما علموه واما ملائكة التوحيد والوحدات جموعهم مع المقسمات مجلس الى وجرت بينهما مفاوضات في
في الامر احتج لانهما على النقيض وهذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الاعلى هذا كلامه بما فيه مما يدهش العقول
ويحير نفوس الفحول ولكل ما ذكر صور معنوية ملكوتية وصورة حسية ملكية لا يليق بادراكها العقول المشوبة
باحكام الوهم ويستحق اهل الحواس البشرية الدنية فعليك بالايمان بها عن الميل الى طرفي التشبيه والتعطيل
كي تتنور بعلمها وشهودها في النشاة البرزخية ان شاء الله تعالى ثم ان عليك ان تعلم ان العوالم الغيبية والشهادية
والملك والملكوت عن اول ما تعين حضرة الوجود بالمثال الى ان ينتهي الى هذا العالم الناسوتي الانساني امور
متطابقة بعضها فوق بعض متوافقة في الاحكام فما من حقيقة من الحقائق الاولية صورة في تلك المواطن يناسب
كل صورة موطنها المخصوص ويلازمها في ذلك الموطن من اللوازم ما يليق به فالعرش والكرسي صورتهما في عالم
الغيب مرتبة الاحدية ومرتبة الواحدية يتفصل ما في العرش الاحدية من المعاني والحقائق في كرسي مقام الواحدية
وصورتهما في عالم الارواح مرتبتا العقل والنفس المسميين بالقلم واللوح يتفصل ما في العقل الكلي من المعاني في
كرسي النفس الكلية وصورتهما في عالم الاجسام العرش والكرسي يتفصل ما في العرش من الوحدة الى ما في الكرسي من
الاثنينية وصورتهما في العالم الناسوتي الانساني اما صورة فالقلب والدماغ واما معنى فالنفس الناطقة والروح

على الوجه المذكور في الاجمال والتفصيل فاحمل بالكل فقد القيتك على الطريق انشاء الله تعالى **فصل** عن امير المؤمنين
سيدنا علي على نبينا وعليه التحية والسلم قال قال رسول الله صلعم ان فاتحة الكتاب آية الكرسي وآيتين من آل عمران وشهد الله
انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك معلقات ما بين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك فقال
الله تعالى اني حلفت لا يقراكن احد من عبادي دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه ولا اسكنته حظيرة القدس
ولا نظرت اليه سبعين مرة بعيني المكنونة كل يوم وقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها مغفرة **وقال** امير المؤمنين سيدنا علي على نبينا
وعليه التحية والسلم **قال** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انها نزلت علي واصبح كل صنم خارا على وجهه فضرب
ابليس الى اصحابه فقال حدث حدث اعظم الحوادث **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت هذه الآية في دار الا اهجرها
الشيطان ثلثة ايام ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين يوما يا علي علم ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها
وقال عليه السلم صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وقال من قرأ آية الكرسي دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي بعث الله تعالى اليه سبعين الفا من الملائكة
يستغفرون له ويدعون له فاذا رجع الى منزله ودخل بيته وقرأ آية الكرسي نزع الله تعالى الفقر من عينيه وقال عليه السلم
يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفارس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة
وسيد البقرة آية الكرسي ~~وسيد البقرة آية الكرسي~~ يا علي ان فيها خمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة **وقال** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ آية الكرسي مرة صرف عنه الف مكروه من مكروه الدنيا والف مكروه من مكروه الآخرة ايسر مكروه الدنيا الفقر
وايسر مكروه الآخرة عذاب القبر **وقال** عليه السلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة فانها من شأن عظيم وقدر جليل وكيف لا يكون حريا بذلك الشأن
حقيقا بتلك المقام وانها مشتملة على كليات المسائل الالهية وامهات العقايد الدينية فانها دالة على انه تعالى موجود
واحد في الالهية متصف بالحيوة السرمدية واجب الوجود لذاته موجد لغيره بقيومية اسمائه وصفاته منزه عن
التحيز والحلول مبراء عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت مبدع
الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا باذنه عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة على كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم به
ثم لا حرمنا الله تعالى من بركاتها ومنافعها بحق نبيها آمين **لا اكراه في الدين** اذ الاكراه في الحقيقة الزام
الغير فعلا لا يراه خيرا **قد تبين الرشد من الغي** تميز الآيات عن الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان

على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء **وقيل** اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو
اما عام منسوخ بقوله جاهدوا الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وخاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت** بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى
٨٩ اي الحبل الوثيق وهي مستعارة للمتمسك والمحق من النظر الصحيح والرأي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع لها **والله**
سميع بالاقوال **عليم** بالنيات ولعله تهديد على النفاق **تنبيه** قال ارباب الطريقة من يكفر بالطاغوت
طاغوت العوام هو ما يعبدون من دون الله قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو هوى النفس قال الله تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هواه وطاغوت الخواص هو الحرص على جمع الدنيا وزينتها وطاغوت خاص الخاص هو ما سوى الله تعالى ويؤمن
بالله ايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص بالهروب عن الدنيا وسلوك طريق العقبى
وشهود القلب مع المولى كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا
الحديث وايمان خاص الخاص على ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانتهاء القلب الى الفناء في الله واخلاص السر بالبقاء بالله
كما كان حال موسى عليه السلم فلما افاق قال تبت اليك وانا اول المؤمنين يعني بهذا الايمان العياني لا بالايمان البياني فانه قال هذا
بعدما افاق عن سكر سطوات شراب التجلي ثم اخبر ان المؤمن من استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فلكل مؤمن عروة
مناسبة بمقامه في الايمان وبالحقيقة العروة الوثقى التي لا انفصام لها لا يمكن ان تكون من المخلوقات المحدثات لانه
تعالى حكم بفنائها كلها بقوله كل من عليها فان وبقوله كل شيء هالك الا وجهه فعروة وثقى المؤمن العوام التوفيق بالطاعة وللخواص
مزيد العناية بالمحبة ولخاص الخاص جذبات الالوهية بفنيه عن الظلمات الوجودية ويبقيه بنور الربوبية كما شرح الله تعالى حقيقة
الاية بتاليها وهو قوله **الله ولي الذين آمنوا** محبهم ومتولي امرهم والمراد بهم من اراد الحق ثم ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر
الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان **والذين كفروا اولياؤهم** اي متولي امرهم **الطاغوت** اي الشيطان او
المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما **يخرجونهم من النور الى الظلمات** من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات واسناد الاخراج الى الطاغوت
باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته وارادته بها **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته
بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم **قال** ارباب الطريقة مراتب المؤمنين في الايمان ثلثة عوام المؤمنين وخواصهم وخواص خواصهم

فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانيات
الى نور الروحانية كقوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واطمينان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفية عن الصفات النفسانية
وتحلية بالصفات الروحانية ولا من شان النفس الاطمينان بالحيوة الدنيا وشهواتها كقوله رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
فلما استولى سلطان الذكر على نفس المومن وقلبه تنورت النفس بنور الذكر وخرجت عن ظلمة صفاتها فتبدلت اخلاقها
الذميمة بالحميدة فيكون اطمينانها مع الذكر بدلا كان مع الدنيا وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية
بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم بتبديل اخلاق البشرية باوصاف الربوبية فافناهم عنهم وابقاهم به والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اى عن نور الروحانية والايمان الفطري الى ظلمات صفات النفسانية
والبهيمية والسبعية ظلمات بعضها فوق بعض ودركات بعضها تحت بعض الى ان تكدرت الارواح واظلمت بهذه الظلمات
وتخلقت باخلاق النفوس واتصفت بصفاتها فكما ان النفوس اذا تنورت بنور الايمان والارواح دعيت الى عالم الارواح
واعلى عليين القرب مع كونها سفلية بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك فكذلك الارواح العلوية لما اتصفت بصفات
النفس الامارة وانقلبت جوهرها النوراني بمجاورة الهوى النفساني ظلمانيا فامرت بالهبوط الى اسفل سافلين البعد كما قال لقد
خلقنا الانسان يعني الروح الانساني في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين اولئك يعني ارواح الكفار اصحاب النار اى
مع اصحاب النار وهم النفس والشيطان والطاغوت هم فيها اى معهم فيها خالدون لان من تشبه بقوم فهو منهم وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجب من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله
الملك لان اتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجل شكر له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت
اليك اذ قال ابرهيم ظرف لحاج وكان سال نمرود فقال من ربك فقال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة
والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت اى بالعفو عن القتل وبالقتل وحكي انه دعا برجلين
فقتل احدهما واستحيى الاخر فجعل ترك القتل احياء وانما حمله على ذلك بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول قال ابرهيم فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب انتقل ابرهيم الى حجة اخرى لا للعجز فان حجته كانت لازمة لانه
اراد بالاحياء احياء الميت فكان لعله ان يقول فاحي من امت ان كنت صادقا وانما انتقل للاشعار بان حججه كثيرة
غير محصورة فيما ذكر وللتمسك بما هو اوضح من الاول سدا لباب الجدال ودفعا لطول المقام دقيقة كان مما
سنح لنا في تلاوة هذه الايات ان ابرهيم عليه السلام ما عدل في ذلك المقال من حجة الى حجة بل اكد الحجة الاولى وتمسك بها
في صورة خفية المدرك بينهما من بينهم ويعقل عنها من يعقل فما اراد بقوله ان الله ياتي بشمس الروح من مشرق العالم
العلوي فيضيء بها ارض البدن ثم يغربها بالموت في ارض العالم السفلي وهذا احياؤه وامانته فانت ان كنت تدعي الاحياء
فات بشمس الروح من مغربها لتضيء ارض البدن بالحيوة بعد ان اظلمت بالموت فانه حقا فبهت الذي كفر اى دهش

وانقطعت

وانقطعت حجته مضادتها وقوتها فبهت اى فعلم ابرهيم الكافر فان قلت لم لم يقل بل انت ربك ياتي بالشمس من المغرب ليحتج
على ابرهيم قلت حيث انه خاف لو سال له اجاب به ربه فذلك فكان زيادة في فضيحته وانقطاع حجته والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية او ظلموا في حق الربانية واتباع الهوى تبصره ان الله تعالى
اعطى الانسان من حسن استعداد طلب الكمال ما لم يعط احدا من العالمين لقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اى احسن استعداد
في طلب الكمال فمن حسن استعداده في الطلب غاية لطافته في الجوهر دايم الحركة في طلب الكمال لحسبانه توهم جهة الكمال
في السير منها الى جهتها في العلو والسفل لا يتوقف لحظة ولا يسكن عن الطلب الا لمانع ولكن الانسان خلق على صفة
الظلومية والجهولية فان وكل الى نفسه في طلب الكمال ينظر بالحواس الى المحسوسات الدنيوية فلا يتصور الكمال الا فيها فيسارع اليها
لطلب الكمال وهذا السير موافق لحركة الطبيعة لانه خلق من تراب والتراب سفلي الطبع فيميل الى السفليات طبعا والدنياوي
في السفل فيسير فيها بمقتضى الطبع في طلب الكمال ففي البداية يرى الكمال في جمع المال فيجمعها ثم يرى الكمال في الجاه فيصرف في الكل
طرف الجاه ثم يرى الكمال في مناصب الامارة والسلطنة فيسير فيها ما لم يكن له مانع الى ان يملك الدنيا باسرها ثم لا يسكن
جوهره في طلب الكمال الى ان يحمله البطر والاستكبار في منازعة ملك الربوبية وذلك هو قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه وهذا كله عند فساد جوهره لما وكل الى نفسه فاما اذا صلح جوهره بالتربية ولم يوكل الى نفسه فيسير في الكمال المستعد
الى ان يبلغ حد كماله في طلب الكمال وهو افناء الوجود في حفظ الوجود ليكون مفقودا عن وجوده موجودا بموجده فكما
كان يقول عند فساد الجوهر وابطال حسن الاستعداد انا احيي واميت وانا ربكم الاعلى فيقول عند صلاح الجوهر وصرف
الاستعداد في الكمال اللائق منشادا ما في الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
يعني كن فانيا عن وجودك بالكلية فاذا فنيت عنك به علمت انه ما في الوجود سوى الله واستغفرت لذنب حسبان وجودك
عن وجوده فاذا بهت عن وجود نفسك بالحجة القاطعة التي له في كل شيء كما قال وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد فرق
بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله
لا يهدي القوم الظالمين لا يهدي الى عالم التوحيد والوحدة القوم المشركين فان الشرك ظلم عظيم فان بالشرك ضل من ضل و
زل عن الصراط المستقيم او كالذي مر على قرية معطوف على الذي حاج والكاف مزيدة تقديره الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه والم تر الى الذي مر على قرية وهو عزير بن شرخيا او الخضر او الكافر بالبعث وقيل هو عزير القرية بيت
المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على
عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء خيار
ان كان القائل مومنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة
عام فالبثه ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه

امن بعد البعث فكان مؤمنا عالما وقيل لك ولبنى قال لبثت يوما او بعض يوم كقول المتردد الشاك وقيل انه مات
ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان وما شتقاقه من السنة والهاء
اصليات ولدت لام السنهاء وهاء سكتات قدرت واوا وانما فرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد
وكان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل
وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف والاول
ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فصدقوه وقيل لما رجع الى منزله كان شابا
واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او عظام الاموات
الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او كيف نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة
حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى ثم
نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان
الله على كل شيء قدير او المعنى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر من كان يخاطبه او
خاطب هو نفسه على طريقة التبكيت نكتة انكر قوم حشر الاجساد مع اقرارهم بحشر الارواح فكانت نفوسهم تشككهم
في ذلك بالتسويلات والشيطان يوسوسهم بالشبهات فالله تعالى من كمال فضله ورحمته على عباده امات عزيرا مائة سنة
وحماره معا ثم احياهما جميعا ليستدل به العقلاء على ان الله تعالى كما يحيي عزير الروح يحيي معه حمار جسده فلا تشكك العاقل
تسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفي في حشر الاجساد كما قال الله تعالى وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس
وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ليجعل حالك وحال حمارك في الاحياء اية واضحة واماره لائحة فلما تبين
له بعد كشف حجاب الريب شاهد انوار الغيب قال اعلم ان الله تعالى على كل شيء قدير تقرير وتوضيح بان الله يحيي عزير الروح ويحيي
معه حمار جسده فكما ان عزير الروح يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار عزيره وهو جسده مع نفسه في الجنة
فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجمال والجلال عن سياق وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولحمار الجسد مشرب من انهار الجنة
وحياض رياضها وكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس مشربهم شربنا واهرقنا على الارض سؤرنا
وللارض من كاس الكرام نصيب واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا
قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اشد الناس ايمانا ليجيب
بما اجاب فيعلم السامعون قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان

الى الوحي

٩١
الى الوحي وبالاستدلال قال فخذ اربعة من الطير كانت طاوسا وديكا وغرابا وحمامة وفي رواية بطا وقيل نسرا
فصرهن اليك املهن واضممهن اليك لتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء او قرا حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك
قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا روي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال
ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه
شاهد على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على
ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله
مسئلة كان ذلك السؤال من خاصة عزير ليزيد عليه حجته وقال ان ربي يحيي الميت باعادة الروح الى الجسد فقال انا احيي وامي
ربك ففعل ذلك فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى وليس بسديد فان المقرر عند ارباب المقاصد ان ذلك كان الاحياء في
الشام بعد ان بنى الكعبة ورجع الى شام واظهر الدعوة فجعل الحق تعالى ذلك الاحياء اعجازا له والله اعلم قال ارباب التحقيق
قوله اليك ولكن موسى كان الغالب عليه السكر فلما ادير عليه كاسات المكاشفات واشغفه شراب ملاطفات المحاورات
وسكر قلبه شرب الذوق وطاش لبه في غلبات الشوق وارتفعت الحشمة والحياء واضمحلت الكلفة والعناد واوتيت
الاذان بالاصفاء تعطشت العيون الى اللقاء فتبسط على بساط القرب وانبسط واطلق عنان اللسان بالتصريح في ميدان
البيان لسبق رؤية العيان وقال رب ارني انظر اليك فلما لم يحفظ الادب في الطلب راى عن المعتب والنصب وادب بتاديب
الخاطي وعزتك سوتك لن تراني فاما الخليل عليه السلم فكان الغالب عليه الصحو على انه سقي باقداح الخلة ما لو سقي موسى بقطرة
منه لم يفق ابدا لان موسى كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري فصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح كما
قيل شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت كان شرب موسى من شراب الكلام باقداح السماع
في افواه الاستماع احيانا فكان دائما سكران فتارة ينشط مع الحق بقوله ارني انظر اليك والاخرى يعربد بقوله ان هي الا فتنتك
وتارة يعربد مع هارون فالقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه الى غير ذلك واما الخليل فكان شربه من شراب الخلة بكاسات
الوصلة في افواه الارواح ومع هذا كله ما زل قدمه في ادب من آداب العبودية في الحضور والغيبة من كمال صحوه بسطوات اليه
فلا جرم اكرم بكرامة الشيبة ان اول من شاب شيبه ابرهيم وحرم عن الكسوة فان اول من كسي ابرهيم وهو اول من اشتاق
الى الرب سال الرؤية وقال رب ارني ارني لكنه راعى الادب في السؤال فقال في السؤال الرؤية بسؤال دوله الاحياء
تجلي الحق له بصفة الحيوة التي هي اصل جميع الصفات ومناط جميع الكمالات وهذا كما ان احدا تعشق معشوقا حياطا وهو
يريد ان يشاهد معشوقه ويحتشم منه ان يقول له ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال من الجمال وان العزة

وللحس توأمان وغلبات الشوق تزعجه وطلبات العشق تخرجه حتى يضطر الى السؤال فيتضرع في طلب المعشوق ومن صاحب
الحال صقول لسان كيف يخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يرى جودة صنعته صاحب بصيرة وعز ويحب ان ينظر
كمال صنعته ذلك فلا يبخل ان يريه كيفية خياطة الثوب ولا يستنكف عن هذا الملعق ولا تأتي ذلك الا بان يحضر عنده بالحجاب
لتشاهد صنعته فيحضر و يقول انظر كيف احيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه لامانع ودافع و يطمئن
قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل في استعجاله في سواله الرؤية وكان قد وعده ذلك في الآخرة وتضرع بين يدي مولاه
وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه وتعلل في طلب الرؤية بما تعلق به العاشق في رؤية معشوقه اجاب الحق تعالى دعاءه
وحقق رجاءه وقال له فخذ اربعة من الطير وفيه الاشارة والاشارة في تخصيصها انك محجوب بك عني فحجاب صفاتك
عن صفاتي محجوب ونحجاب انك عن ذاتي ممنوع فمهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي ولذا فنيت عن ذاتك بعثت ببقاء
ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها وهي التراب
والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر بقرينه صفتان من التراب وقرينه وهو الماء تولدت الحرص
والبخل وهما قرينان حيث وجد احدهما وجد الاخر ومن النار وقرينها وهو الهواء تولدت الغضب والشهوة وهما قرينان
يوجدان معا ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها وتتولد منهما صفات اخرى فالحرص يزدوج
بالحسد والبخل بالحقد والغضب بالكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات يتعلق بها كل صفة
ولها منها متولدات يطول شرحها فهي الابواب السبعة والدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التي سبعة ابواب لكل باب
منهم جزء مقسوم يعني من الخلق من كان الغالب عليه صفة منها يدخل النار بتلك الباب فامر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح هذه
الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلونه يزين المال في نظر البخيل كما يزين الطاوس بالوانها بجل وغراب الحرص وهي
من حرصه يبكر في الطلب وديك الشهوة وهو بها موصوف ونسر الغضب في نسبتها الذي ترفعها في الطيران فوق الطيور وهذا
صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار و
لذلك لما القي فيها بالمنجنيق صار وقد صارت النار عليه بردا وسلاما والاشارة في تقطيعهن وتخليط اجزائهن ووضعهن
على الجبال الاربعة وحفظ رؤسهن عنده واتيانهن سعيا لدى الدعاء محو آثار الصفات الاربعة المذكورة وهدم قواعدها
على يد ابرهيم الروح بامر الشرع وردها الى مواطنها الاصلية ومعادنها الفطرية التي هي جبال الطباع الاربع المودعة في
العناصر الاربعة باداء الامانات الى اهلها محفوظا اصولها عنده لتأتي الرجوع اليه بعد احيائها مطيعة منقادة غير ابية
ولا ممتنعة عن قبول الامر لاختصاصها اذن بالحيوة الموهوبة الحقيقة الحقة هذا ثم ان ابرهيم عم لما حصل به بهذا الا سلوك
من الفناء مقام الخلة والمحبة تجلى له الحق بصفاته فصار حيا بحيوته عالما بعلمه مريدا بارادته وكان الحق تعالى سمعه وبصره
كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث ولما كان سواله يقتضي علو

همة

همته الحيوة وهو ارفع الصفات واعلاها كان التجلي له في سر صفة الحيوة فقال له انظر كيف احيي الموتى فتشاهد ذاتي
في موتي صفة احيائي بعد الطيور المذبوحة المقطعة المتفرقة تعالين يا نبات سعيا لانك اذن عنك فان وبي باق فبي يحيي
٩٢ لا بك ومثال ذلك ان اميا يقول للكاتب اني كيف تجعل الكاتب قلمه في يد الامي ويأخذ بيده ويشد بقوته على
يد الامي حتى لا يبقى قوة في يد الامي فيسطر بقوة يد الكاتب الكتابة بقوة يد الامي على الصحيفة فيقول له الكاتب رايت كيفية
كتابتي هكذا كتبت فربما يظن الامي في تلك الحالة انه صار كاتبا لما راى من ظهور الكتابة على يده فيقول انا كاتب
فيرفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب ثم يستغفر عن ذنب حسبانه انه الكاتب
كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تجلى لخليله بصفة واحدة وتجلى لحبيبه صلى الله عليه وسلم بجميع صفاته فانه
بكمال علو همته سال ذلك بقوله ارنا حقائق الاشياء كما هي وقد قال له تعالى ليلة اسرى به لنريه من آياتنا اي
صفاتنا فان الايات الظاهرة من الشمس والقمر وغيرهما آثار تلك الايات قال تعالى فانظر الى آثار رحمة الله
كيف يحيي الارض فالرحمة صفة للحق تعالى والماء الذي يحيي الارض اثار الرحمة فالنبي عليه السلم قد راعى في ذلك السؤال
امورا احدها اخفاء المقصود غاية الاخفاء فان ما ذكره ابرهيم تصريح بالنسبة الى ذكره وان كان تعريضا بالنسبة الى
ما ذكره وان كان تعريضا بالنسبة الى ما ذكره موسى عليه السلم والثاني تعميم الصفات بذكر حقائق الاشياء فان حقائق الاشياء
هي الصفات الالهية والثالث انه اتى بصيغة الجمع ادراجا لامته في هذا المقام من كمال كرمه ومروته فتجلى له الرب تعالى
في تلك الليلة بجميع صفاته كما قال ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى ليفهم ان الايات الصغرى هي آثار
الصفات والايات الكبرى هي صفاته العليا ثم قال له فاعلم انه لا اله الا الله اي اخبار عرفنا ذاته وصفاته بالكلية عند تجلي
الالوهية بنعت الوحدة فابقي عن الحق فاراى الحق الا الحق تعالى ثم قال استغفر لذنبك اي لذنب حسبانك انك كاتب و
انت بي امي عربي وليست بكاتب وهكذا قال تعالى لخليله حتى يعلم انه كاتب واعلم ان الله عزيز يعني بعد ان جئتك ان يس
يحيون في واكرمتك بصفاتي فاحييت الطيور وعلمت كيفية احياء الموتى على قدر استحقاقك فاعلم اني اعز من
تعرف كنه صفة من صفاتي او كيفيتها او ماهيتها حكيم لا يحيط بجلي وعلمي غيري ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم باذر حبة على حذف
مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما
يسند الى الارض والماء والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه والله واسع لا يضيق
عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه نكتة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فالخلف
في حقهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم في سبيل الله فالخلف لهم هو الحق تعالى لا غيرهم من يعطي تمرة الى فقير

يأخذها الله تعالى بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه فتكون اعظم من الجبل فكيف بمن يعطي ثمره وقلبه لله تعالى وهو يربيه بين اصبعي
جماله وجلاله فلاجرم تصير حبته اعظم من العرش بما فيه بل يكون العرش بما فيه عرصة كحلقة ملقاة في فلاة الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
احسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وبين ترك المن والاذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ترك الفاء في الخبر مع تضمن المبتدأ معنى الشرط ايهاما بانهم
بانهم اهل لذلك وان لم يتسببوا بالنفقة فكيف بهم اذا تسببوا بها قول معروف كلام حسن او رد جميل على السائل
ومغفرة تجاوز عن المذنب او نيل مغفرة بالرد الجميل على السائل خير من صدقة يتبعها اذى فان الصدقة تحبط
عن رتبته بالاذى مع ان القول الجميل يروح القلب ويروح الروح بالاسالم والصدقة ينفع الجسد اذ لا ينفرح
القلب الا بالبعية والروحانيات اشرف واعظم محلا والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن
ويؤذي بالعقوبة تنبيه ان الله غني عن صدقات العباد ولو شاء لاغنى الخلق كلهم ولكنه اعطى الاغنياء وصرف وجه
حاجة الفقراء اليهم لينظر كيف يشكره لنعمته الاغنياء وكيف يصبر على بلائه الفقراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم
السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين وبذل يسير او رد جميل فانه قد ياتيكم من ليس
بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى عن بشر بن الحارث رحمه الله يقول رأيت امير المؤمنين عليا
على نبينا وعليه التحية والسلام فقلت يا امير المؤمنين تقول شيئا لعل الله ينفعني به فقال الله ما احسن عطف الاغنياء على الفقراء رغبة
في ثواب الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تبصرة الانفاق في سبيل الله هو ان لا يرى في ذلك
حظا لنفسه بل كل ذلك لله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى فالمن ان يمن به على الحق ويظن ان المال كان له وانفاقه
كان منه ولا يعلم ان المال كان مال الله وهو بنفسه عبد الله وكان انفاقه بتوفيق الله ففي هذا كله عليه المنة من الله لا له على الله تعالى
فامارة المن من العبد في الانفاق وسائر الاعمال ان يعمل بنية الطمع في المكافات او خوف العذاب كانه يقول اني عملت لك هذا
العمل ووجب لي بذلك عليك حق فادخه وهو غافل عن حقيقة الحال انه لا يعمل لله شيئا احسنه ولا سيئة وانما يعمل لنفسه لقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ولا يعمل العمل الا من له قدرة على عمله ومشيئته وقد قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وما
تشاءون الا ان يشاء الله فاين للعبد حق على الرب حقيقة حتى يطالبه به في طمع ثواب او خوف عذاب والاذى ان يطلب من الله غير الله قيل
رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال يا احمد كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ولذلك قال للمنفقين في سبيل الله لهم
اجرهم عند ربهم يعني اذا انفقوا من غير من ولا اذى فلهم اجرها على عند ربهم اي يتركهم في مقام العندية عند مليك مقتدر لا يتركهم عند
الجنة ولا عند النار يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بهما وانما كان المن والاذى

مبطلا

مبطلا لاجر الصدقة من الله الانفاق انما يكون محمودا لثلاثة اوجه احدها كونه موافقا للامر فاذا آذى فقد خالف امر الله
تعالى قد نهى عنهما والثاني كونه مزيلا لرذيلة البخل واذا ظهرت نفسه بالاطالة والعجب ورؤية النعمة منها لا من الله وتكبر قلبه
للفقير بالايذاء فقد جاء برذائل فوق ما اراد ازالته برذيلة والثالث كونه مريحا للمنفق عليه من الخلة فاذا آذى الفقير بعده ٩٢
بالقول الردي فقد انتقضت راحته وتكدرت لذته فلم يبق لانفاقه وجه حاجة حسن وجه قبول الصلاة كالذي ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر تأكيد لبطلان الصدقة بالمن والاذى بتنزيل انفاقهم منزلة انفاق
المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضى الله ولا ثواب الآخرة ومجاز الكلام لا تبطلوا صدقاتكم ابطالا كابطال المرائي
او مماثلين له ورياء نصب على المفعول له والحال بمعنى مرائيا والاصل في الرياء الرائي من الرؤية قلبت الياء همزة لوقوعها بعد
الالف الزائد فصار رياء فمنهم من قرأ بها والجمهور على قلب الهمزة الاولى ياء فمثله فمثل المرائي في انفاقه
كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء الناس ولا يجدون ثوابه والضمير الذي
ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع فان الذي يطلق للجمع لمشاركته لمن في المعنى والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار
ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها تبصرة ان المعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن
اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد ابطل حقه من الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال و
لهذا قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن يعني اعمال البر بالمن اذا مننت بها على الفقير بل عليك ان تكون رهين منته من حيث
ما كان سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء يعني لم يجدوا وسيلة
الى الحق ونهى ايضا عن الاذى وهو الاقبال على الباطل بالاعراض عن الحق على الوجه الذي مر آنفا ولذلك ضرب المثل
بقوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس ومن ينفق ماله رياء الناس فليس له ايمان حقيقي بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا
بالله كان ينفق لله ولو كان مؤمنا بالآخرة لكان ينفق للآخرة فلما انفق لاهل الدنيا وطلب الرفعة منها وهي فانية علمنا
انه ليس بمؤمن لانه لو كان مؤمنا لما اختار الفاني على الباقي فمثل عمل المرائي كصفوان عليه تراب فاصابه وابل يعني وابل الرد على ثواب
عمله فابطله كما يبطل الوابل التراب على الصفوان فتركه صلدا اي بلا عمل لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي يعني لم يتوسلوا به الى
الله لانهم ابطلوا ما كسبوا بالشرك في طلب غير الحق والله لا يهدي الى حضرة جلاله القوم الكافرين فيما كفروا بنعمة
طلب شهود جماله ورغبوا عن وصاله وادبوا بعذاب الفراق عن بالم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضات الله وتثبيتا من انفسهم تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم والاولى عندي ان
يقدر المضاف فيكون مجازه وابتغاء تثبيت من انفسهم كمثل جنة بربوة اي مثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان

بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر بربوة بالفتح وقرئ بالكسر والكل بمعنى واحد
اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها
وابل فطل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة وتمثيل نفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائد
في درجتهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص اشارة الذين
ينفقون اموالهم اى مثل نفقة من انفق ماله بل كل ما له من نعمة انعم الله بها عليه ابتغاء مرضاة الله تحسبه يتبعها
من الله ما هو سواه من الدنيا والآخرة وتثبيتا تثبيت نفسه على ذلك من على طلب مرضاة الله باقامتها التمكين كمثل جنة بربوة
فعله من حيث الخلاص لنيته مثل الجنة التى فيها الاشجار المثمرة فان العمل الصحيح يثمر الاحوال والقربات ومن حيث ثبات
النفس فيمثل ما اذا كانت الجنة على ربوة فيكون مأمونا من آفة السيل فان عمل النفس الثابتة في مقام الاطمينان
مأمون من ان يتطرق اليه هلاك العصيان وفساد الفتور اصابها وابل واردات الحق فان لم يصبها وابل الواردات
فطل الالهامات فآتت اكلها ضعفين يعنى ثمرات انفاقه وطاعته في طلب مرضاة الله يكون ضعفين بالنسبة الى من
ينفق ويعمل الخيرات والطاعات لاجل الثواب الاخروى ورفع الدرجات في الجنات فان حظه يكون من نعيم الجنة بحسب
وحظ المخلص يكون ضعفين ضعف من قرب الحق ودولة الوصال وضعف من نعيم الجنة وفي وافق مما لطالب الجنة و
نعيمها اضعافا مضاعفة بالتبعية فان الله تعالى كما يعطى اهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية فكذلك يعطى اهل الله الآخرة
بالتبعية فلهذا ثمرات اهل الله يكون ضعفين ولاهل الآخرة ضعفا واحدا ولها معنى آخر فآتت اكلها ضعفين
في الدنيا من ثمرات الكشوف والمشاهدات وانواع الكرامات التى اثمرتها جنة قلب المخلص من وابل الواردات
والنظرات الالهية او طل الجذبات والالهامات الربانية والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولا يعطى لاهل الدنيا نصيبا من الآخرة
او استيفاء اللذات او للجنات (او لاستيفاء الحظوظ) خفيه مثل انفاق من ينفق ما انعم الله عليه في سبيل الله لابتغاء نعم الوصال
التي لا تنال الا بالمرضاة ولابتغاء تثبيت جبل نفسه بسطوة نور التجلي لا تندك بصدمات التجلي فان ثبوت جبل النفس
هو الشرط في رؤية نور التجلي كما قال انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني كمثل جنة بربوة اصابها وابل
التجلي الذاتي تارة وطل التجليات الصفاتية تارة اخرى فآتت اكلها ضعفين ضعف من التجلي الذاتي وضعف
من التجليات الصفاتية واعلم ان الله تعالى ذكر ههنا مثلا ثلثا لنفقات متدرجا فيها من الادنى الى الاعلى فذكر
من ينفق ماله في مقام للوقت وجعل جزاء المضاعف من واحد الى سبعمائة فما فوقها الى حيث ما شاء ثم ذكر من ينفق
ماله في مقام الجمع فلم يقع نظره على ما سواه لا على نفسه حتى يمن بما صنع ولا على غيره حتى يؤذيه وجعل اجره ما لديه

في حضرة

94

في حضرة العندية فان ما عندكم ينفد وما عند الله باق ثم ذكر من ينفق في مقام جمع الجمع ماله جمع بين النظر الى الحق والخلق
فطلب من الحق مرضاته ومن نفسه ثبات القدم في ذلك المقام والاستقامة وجعل اجره ضعفين لجمعه بين الطرفين
ورؤية الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة فافهم جدا ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب
اى كروم تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها الانهار له فيها من كل الثمرات دل بقوله فيها من كل الثمرات
اشتمالها على جميع انواع الاشجار وخص بالذكر النخل والاعناب لشرفهما وكثرة منافعهما واصابه الكبر اى
كبر السن فان الفاقة في الشيخوخة اشد وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت تلك الجنة بتلك الاعصار وهو ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال
من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتدت حاجته اليها بحال
من هذا شانه كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها قال ارباب الطريقة
ان الله تعالى ضرب مثلا للروح الانسانى وقلبه غرس له جنة له فيها من كل الثمرات وهى منظور نظر العناية تجرى من تحتها الانهار
الهداية او خلق في احسن تقويم مستعد لجميع الكرامات والكمالات مزينا بجميع الفضائل وحسن الشمائل مكرما بعلم جميع الاسماء منورا
بانوار العقل والحواس واصاب لصاحبها ضعف الانسانية ولذريته ضعفا من صفات البشرية وهم في غاية الاحتياج
للتربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال النفس فيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروح وهى القلب بنار صفات
البشرية وبطل استعدادها والقابليات المودعة فيها لتحصيل الكمالات بتبديل الاخلاق الروحانية بالنفسانية واوصاف الملكية بالشيطانية
والحيوانية فاهبط من اعلى عليين قرب الحق الى اسفل سافلين الطبع كذلك يبين الله لكم الآيات الطافه واحسانه معكم في اصل الخلقة
من حسن استعداد الفطرة لعلكم تتفكرون في آلائه ونعمائه معكم فلا تبطلوا حسن حالكم بقبح فعالكم ولا تفسدوا صلاح
حالكم بفساد اعمالكم قد لكنه ايود احدكم ان يكون حاله حال من حال تفكره في عالم الملكوت ويرى من سرادق الى
حيات الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا يا ايها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلال اكتسبتم بعمل ايديكم وفي الخبر انه عليه السلام قال ما اكل احد طعاما خيرا من
ان ياكل من عمل يده وكان داود عليه السلام لا ياكل الا من عمل يده او من جياد اموالكم لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ومما اخرجنا لكم من الارض ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمرات ونحوه بالذكر مع ان للكسب فيه مدخلا اعلاما بان ما تاكلون من الحبوب والثمرات انما هو محض انعامنا
عليكم لا من كسب ايديكم فانه لا قدرة على انبات ما زرعتم افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن
الزارعون ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الحرام او الردي من المال او مما اخرجنا وجه تخصيصه
بذلك هو ان التفاوت فيه بالجودة والرداءة اكثر تنفقون حال من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون

الضمير للخبيث وتكون الجملة حالا من الخبيث ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا
فيه الا ان تتسامحوا فيه من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض واعلموا ان الله غنى
عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قسم
بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولكن لا يعطى الدين الا لمن يحب فمن اعطاه الدين
فقد احبه والذى نفسى بيده لا يسلم او لا يسلم عبد حتى يسلم او يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه
ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق فيتصدق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو
السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث تنبيه ان الله تعالى فيما امر بالتصديق من الحلال
والجيد راعى صلاح صلاح المنفق اكثر مما راعى صلاح الفقير لان صلاح الفقير فيما راجع الى نفسه بحسب ان
صلاح المتصدق فيه من وجوه احدها ان الله تعالى يقبل منه ان كان طيبا ولم يقبل منه ان لم يكن طيبا كما قال ان الله
طيب لا يقبل الا الطيب وثانيها ان فى انفاق الطيب يكون جانب الحق مرعيا بالتعظيم فيثاب على ذلك وثالثها
ان فيه رعاية جانب الفقير بالشفقة عليه فيثاب على ذلك ايضا ورابعها ان تكون به مؤثر الفقير على نفسه
فيثاب عليه ايضا وخامسها ينتج بذلك البر من الله تعالى لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وسادسها انه اذا اعطى الله احب ما عنده فالله تعالى كذلك يعطيه احب ما عنده فان المتصدق كالزارع يتفاوت
ثمره بتفاوت بذره فى الجودة والرداءة قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومن نواظر معنى
الآية انفقوا اعلى ما باب الطلب من العلوم والمعارف التى اكتسبتموها بتزكية النفوس وتصفية القلوب
عن خباثة صفات النفس الخبيثة وتصرفات الشيطان الخبيث ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم الطيبة من مكارم
الاخلاق وانوار الوفاق ليكون المنفق طيبا من خباثة الشبهات فى نفسها طيبا انفاقها من خباثة الاغراض والعلل
الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة الالتفات فى الانفاق الى غير الله ولا تيمموا الخبيث الشكوك والاوهام
الناشئة من النفس الخبيثة الامارة بالسوء فتسد بها الطريق على الطلاب وتصدهم عن سبيل الله ولستم
بآخذيه الا ان تغمضوا فيه اى وانتم لستم بآخذى هذا الخبيث لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة فالروح من
المطايب والجسد من التراب الطيب كما قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا فلستم بآخذيه بالطبع الا ان تغمضوا فيه بالتكلف
الموت فى قراءة من قرأ بضم التاء وفتح الميم كما قال عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة الحديث واعلموا ان الله
غنى بعين من الاغناء انه لو استفقركم جميعا بقطرة من بحار جوده ما نقص ذلك فى ملكه شيئا فظاهر قوله انفقوا مما كسبتم
يقتضى انه يطلب منكم وباطنه ينبئ عن مطالبة انا كرام نعنيكم بلا علة وعرض يرجع اليه بان تشكروا على نعمه
حميد على فضله وكرمه فانه فى ذاته حميد وبصفاته مجيد الشيطان يعدكم الفقر يخوفكم الفقر فى الانفاق ويعدكم

من الوعيد

٩٥

من الوعيد للشكاية يوعدكم الوعد بالخير ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل للعامة
والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا او افضل مما انفقتم فى الدنيا
او فى الآخرة او فيهما والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه قال فى بحر الحقائق ان
الشيطان يعدكم بالفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء اسم جامع لكل سوء ان وعيد الشيطان بالفقر يتضمن معانى الفحشاء
وهى البخل والحرص والياس عن الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن
بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق وكفران النعم والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله
وسلوك ولزوم الغير التسليم والتفويض اليه التدبير والاختيار الى غير ذلك من اللوازم كحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبلية
كل بلية فمن فتح على نفسه باب عرفة الحق بالمغفرة يفيض الله تعالى عليه من بحار فضله سجال نواله ويحفظه من الآفات وبحظه
من انواع الكرامات ورفيع الدرجات والله واسع فضله وكرمه وعطائه ومغفرته عليم عن استحقاق وسوسة الشيطان
وفتح باب الفضل والمغفرة من ربه فيغنم عليه بانواع النعم مما لديه عاجلا وآجلا يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل
من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بنى للمفعول فان الفاعل هو المقصود هنا
وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا اى خير الدنيا والآخرة وما يذكر الا اولوا الالباب
وما يتذكر بما ذكر من الآيات الا ذوى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى الهوى او ما عرفنا ان الحكمة اشرف
الاشياء واخص الصفات باشتمالها على مجامع الخيرات الا العقلاء الذين نور الله عقولهم بنور الهداية وصفاها عن شوائب
الوهم وقشور الرسوم والعادات اشارة دل قوله يؤتى الحكمة وراء ما نطق بها من المسائل الفلسفية المدركة
بالعقول الرسمية المشوبة بالسواس الوهمية وانما هى من مواهب الحق ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى انوار صفات
الجلال والجمال وفناء اوصاف الخلقية بشواهد صفات الحق فيكاشف الاسرار بحقائق اورثتها تلك الانوار وعلامة
صحتها وامارة حقيتها موافقها لحقائق القرآن بل هى عين حقائق القرآن كما ذكر الشيخ رضى الله عنه فى الفتوحات ان علم
كل امة لا يخرج عن الكتاب الذى انزل على نبيهم فعلم هذه الامة هو ما فى القرآن وما يوافقه وما يفهم منه بلسان الاشارة
وان لم يفهم بلسان العبارة فحقيقة الحكمة نور من انوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فمن اكرم بهذا النور
فقد اعطى كل حبور وسرور وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها
بما نعتها الانبياء عليهم السلام وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او غير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين
ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر من انصار من ينصرهم من الله او يمنعهم
من عقابه اشارة تقرب العبد الى الله تعالى انما هو فرض اوجبه الله عليه او نفل اوجبه العبد على نفسه والله عليم بهما

فيجازي العبد بها قوله ما انفقتم من نفقة اي مفروضة او نذرتم من نذر اي من نفل وجبتموه على انفسكم فان الله يعلمه انكم تقربتم به الى الله خالصا مخلصا بلا شوب شرك ام لا فان كان عن مشوب بشرك فيجازيكم بجزاء المخلصين وان كان مشوبا بشرك فانتم قد ظلمتم بوضع طاعة الله في غير موضعها فان الله يعلمه يعني الظلم منكم وما للظالمين من انصار يتقربا اليهم بانواع الطاعة لانهم ما تقربوا اليه لطاعتهم إن تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون او كسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وكلها لغات صحيحة وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها خفية فهو خير لكم فان الاخفاء خير لكم فانه ابعد من الرياء ومن كسر قلب المتصدق عليه وفي الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب وتقي سبعين بابا من البلاء وقيل هذا في التطوع فان ابداء الفرض افضل لنفي التهمة وليقتدي به الناس كالصلوة المكتوبة والنافلة فان المكتوبة بالجماعة في المسجد افضل والنافلة في البيت افضل وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة تفضل علانيتها بخمسة وعشرين ضعفا دقيقة قال الشيخ رضي الله عنه من اخفاء الصدقة ان تؤدى الى عاملها حتى لا يذل المتصدق عليه بين يدي المتصدق فاذا اخذها العامل الذي نصبه السلطان اخذ بعزم وقهر منك فاذا حصلت بيد السلطان الذي هو الوكيل من قبل الحق اعطاها لاربابها الثمانية واخذها اربابها بعزة نفس لانه حقهم بيد هذا الوكيل فلم يعلم الآخذ من هو رب ذلك المال ولم يعلم المتصدق الى من وصل عين ماله فلم يكن للغني على هذا الفقير منة ولا للفقير من ذلك الغني ذلة فلم يعلم المتصدق عين من تصدق عليه ولا علم المتصدق عليه من تصدق عليه وليس في الخفاء اخفى من هذا ولهذا شرع العامل ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون مجزوما عطفا على محل فهو خير لكم لان الاصل في جوابان ان يكون فعلا مجزوما والله بما تعملون خبير ترغيب في اسرار نكتة قال الشيخ رضي الله عنه من راعى الاخفاء فلاجل ثناء الشارع على ذلك في الحديث الذي تضمن انه لا يدري شماله ما تنفق يمينه لا من طريق الاخلاص فان القوم منزهون عن الشرك في الاعمال لمشاهدتهم الحق في الاعمال واما صاحب الاعلان فالغالب على قلبه مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده اعلان ما يشهد غير هذا فمن تخفيها وهو الظاهر في المظاهر الامكانية فعلن في الصدقة كما يذكره في الملأ فان من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملأ ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن المقابح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي

من يشاء

من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا بالخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال فكانه قال وما تنفقوا الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي بمعنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم قال في بحر الحقائق الاشارة في تحقيق الآية ان يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود وانت سيد الاولين والآخرين وانت اكرم الخلق على رب العالمين ولكن ليس عليك هداهم الهداية من خصائص شاناتي لوايح برهاننا وبوادر سلطاننا ليس لغيرنا فيها مجال ولا سواء عليها مقال ليس عليك هداهم لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم ينفقون لا للفقراء والله يجازيكم به لانكم ما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وهو عالم بخفيات سرائركم وخبيات ضمائركم وما تنفقوا من خير يوف اليكم اجوركم من غير فتور ولا قصور وانتم لا تظلمون لا بنقص ولا قطاير للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحافا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالجهر وقيل سيدنا على نبينا عليه التحية والسلام لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن ابن عوف الزهري بدنانير كثيرة الى اصحاب الصفة حتى اغناهم

وبعث امير المؤمنين عليه الصلوة والسلام في جوف الليل بوسق من تمر فكان احب الصدقتين الى الله تعالى
صدقة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فانزل الله في حقه الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
لانه يعني بالليل صدقة علي سرا وبالنهار صدقة عبد الرحمن جهرا وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جزا الذين والفاء للسببية قال ارباب المشارب ان الانفاق على ساوة اختاروا الفقر على
الغنى محبة لله تعالى واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرفته كان يقول لي حرفتان
الفقر والجهاد للفقراء الذين احصروا في سبيل الله يعني الفقراء واحصرهم حب الله في طلبه والشوق
والمحبة في سبيله عن طلب الرزق فاخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق فلا لهم في الشرق مذهب ولا في
لا هم في المغرب مضرب ولا لهم الى غيره مهرب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم واقفون مع الله لله
بالله سقط عنهم التكون والحركات فانهم مجذوبون عنهم بالجذبات مضروب عليهم قباب الغيرات لا
اشراف للاجانب عليهم ولا سبيل للاغيار اليهم يحجبهم عن الجاهل حجاب العفة يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك ترى بي لا بك وان سيماهم لا يرى بالبصر الانساني بل يدرك بالنور
الرباني فمن سيماهم في الظاهر ظهور آثار احوال الباطن انهم لا يسألون الناس الحافا لان آثار انوار
قلوبهم انعكست على ظواهرهم فنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وحاجتهم تحت انوار غنى قلوبهم
ثم قال وما تنفقوا من خير يعني من كل معاملة فيها خير من المال والجاه او حرقة بالنفس او اعزاز واكرام او ارادة بالقلب
يعاملون بها اهل السادة حق السلام عليهم احلالا فان الله به عليم بجميع معاملاتك معهم للتقرب اليهم عليم
من سيماهم في الظاهر نعرفهم بدليل حمدهوانهم اذا وجدوا لهم لا يبيعون عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم في مقام العندية ولا خوف عليهم من عذاب القطيعة ولا هم
يحزنون كما قال عليه الصلوة والسلام ليس على اهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الآية الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل
لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة اما في الاصل بان يباع مطعوم
بمطعوم او نقد بنقد الى اجل وفي العوض بان يباع احدهما باكثر منه في لا يقومون اذا
بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع الذي يتخبطه الجن
فيصرعه والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون والصرع والجنون وان كان عرضا فالانسان
لاختلاف في المزاج وفساد في الاخلاط فيكون ان انضام من تصرف الجن وهو المراد هنا لا يداخل والشيطان اهل

المعصية

المعصية وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او يقوم او يتخبط فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربا في بطونهم ما اكلوه من الربا فاثقلهم تنبيه
كل كاسب له توكل في كسبه قليلا كان او كثيرا كالتاجر والزارع والمحترف لم يعينوا ارزاقهم بعقولهم فهم يكتسبون
على غير معلوم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابى الله ان يرزق المؤمن الا من حيث لا يعلم واما آكل
الربوا فقد عين رزقه على ما علم من الربح فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لا توكل له اصلا فوكله
الله الى نفسه واخرجه من حفظه وكلائه فاختطفه الجن وخبلته يوم القيمة لا رابطة بينه وبين الله لما فقد
من التوكل الذي هو الرابطة بين العبد وربه وذلك بسبب حجابهم بقياسهم كما قال ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح
فاستحلوه استحلاله وكان الاصل في ذلك المعنى انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا
وقاسوا به البيع والفرق بينهما بين فان من اعطى درهمين بدرهم فقد ضيع درهما ومن اشترى سلعة يساوي
درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار لتسويتهم وابطال القياس بمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه على التحريم ولا يسترد ومنه ما
اخذ وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل المعنى انه تعالى
يحكم في شأنه بما يشاء لا اعتراض لكم عليه ومن عاد تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي
الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقبل
الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره حتى يصير اللقمة مثل احد وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والحاصل ان العبرة
في الزيادة والنقصان بعاقبة الامر وعاقبة الربوا نقصان وعاقبة الصدقة الزيادة وان كان الظاهر
عكس ذلك في ابتداء الحال نكتة قال الشيخ رضي الله عنه في الفتوحات ان الله تعالى وصف
نفسه بالغيرة وعلم من كثير عباده انه يهبون جزيل المال وانفسه في هوى نفوسهم واغراضهم واذا اعطى
الله اعطى كسرة باردة او فلسا او ثوبا خلقا او مثل هذا فاذا كان يوم القيمة واذا احضر الله تعالى
ما اعطى العبد من اجله بينه وبين عبده حيث لا يراه احد احضر ما اعطى لغير الله فيقول له يا عبدي البيت هذه نعمتي
التي انعمت عليك اين ما اعطيت من مسالك بوجهين فيعين ذلك الشيء الحقير ويقول له فاين ما اعطيت
بهوى نفسك فيعين جزيل المال فيقول لما استحييت مني ان تقابلني بمثل هذا وانت تعلم انك ستقف

بين يدي وساير ذنوبك ما كان منك فما اعظمها من خجلة ثم يقول قد غفرت لك بدعوة ذلك السايل لو نصره بما اعطيته
لكني قد رتبتها لك وقد محقت ما اعطيته بهوى نفسك فنجزها اثام الاشهاد وقد رجح الفلس اعظم من احد وما
اعطى لغير الله قد عاد هباء منثورا والله لا يحب اي لا يرتضي كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك
في ارتكابه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بقرية هلاكها اظهر فيهم الربا وذلك لما يستتبعه
اكل الحرام من قساوة القلب والجراءة على ارتكاب المعاصي والاثام وفساد مزاج قلوبهم وقلوب اولادهم بتوليد الدواعي
الموبقة فيهم فان كل طعام يولد افعالا من جنسه ولا شك ان مثل تلك المفسدة اذا عمت في قوم صاروا احقاء بان
يستاصلوا وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربوا ومن لم ياكله اصابه غباره و
لعل ذلك فيما احتالوا فيه من انواع الحيل الشرعية فان الواعظ بذلك اثم الربوا والله بصير بما يعملون إن الذين
آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف
الصلوة والزكوة على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
مما ياتي ولا هم يحزنون على ما فات منهم قال في بحر الحقايق ان الذين آمنوا ايمان التصديق مقرونا بالتوفيق
وعملوا الصالحات خرجوا بقدم العبودية على وفق امر الربوبية من ظلمات الطبع الى انوار اركان الشرع فكان
خصايص ظلمات الطبع البشري اتباع الهوى والركون الى الدنيا فخرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة
واقتراب المولى وعن ظلمة الركون الى الدنيا بانوار ايتاء الزكوة والفطام عن المالوفات فجذبتهم
العناية عن سفل عبدية البشرية الى ذروة عندية الربوبية ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة
ولا هم يحزنون بعد الخروج الى انوار الشريعة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال
ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فإن لم
تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم
في رواية ابن عباس رضي الله عنهما فآذنوا اي اعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم
وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي
كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء
واعتقاد حله فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل و
النقصان ويفهم منه انهم لم يتوبوا فليس لهم رءوس اموالهم وذلك صحيح ان حمل على استحلال الربا فان
مستحله مرتد وماله فيء واما فلا نعتبر بمفهوم الشرط لكون الغرض ردع وهم نقصان حقهم لا اضرارهم

على العصيان

٩٨

على العصيان وإن كان ذو عسرة اي وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة لكان الناقصة اي كان
الغريم ذا عسرة فنظرة اي فالحكم نظرة وهي الانظار والامهال إلى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة
بضم السين وهما لغتان وأن تصدقوا بالابراء وقرا عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من
الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصديق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام
لا تحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
فصل في انظار المعسر يروى عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه رضي الله عنه انه كان يطلب
رجلا بحق فاختبأ منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فاعطاه
اياه وقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب يوم القيمة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتلقت بروح رجل كان قبلكم
فقالوا له هل عملت خيرا قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فكنت آمر فتياني
ان ينظروا الميسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى تجاوزوا عنه وعن ابي اليسر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله يوم لا ظل الا ظله واتقوا يوما
ترجعون فيه إلى الله يريد يوم الموت وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والاول وفق بما
ارادة يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من خير او شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام
وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدها
اربعة وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات حقيقته واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله بقدم سلوككم في طريق السير الى الله بافناء الصفات الخلقية ثم ترجعون الى الله بقوة الجذبة
الالهية في طريق السير بالله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي فناء كل شيء مما اكتسبته النفس في النزول في مراتب
القوس النزولي من القوى الروحانية والالات والحواس والمشاعر الجسمانية توفى كل نفس ما كسبت
بالبقاء بالله متصف بالسمع والبصر وساير القوى مبدلا منها الباقي بالفاني والكامل بالناقص
فكان به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي فهم لا يظلمون في هذا الفناء بالنقصان فيما كان لهم بل
يزاد لهم فيه فكلما زادوا فيه فناء بالخروج عن ظلمات الوجود المجازي زادوا به بقاء بالاستغراق
في بحار انوار الوجود الحقيقي وما احسن ما مثل لمثل ذلك السالك بمن يسعى في ثقب جدار بيته
الى جهة الشمس ليخرج بنور الشمس ظلمة بيته ولا فتح الروزنة فعلى قدر سعيه في سعة الثقب يدخل

نور الشمس في بيته وعلى قدر دخول النور يخرج الظلمة من البيت فافهمه جداً يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر
الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة والمكافاة وليكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى
معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه
للاستحباب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم قال لما حرم الله الربوا اباح السلم
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
بان يختار الكاتب دينا تكون مكتوبه موثوقا به ولا يأب كاتب لا يمتنع احد من الكتاب ان
يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتب الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن
الاباء عنها تأكيدا وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص
منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم
ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار واستشهدوا شهيدين من رجالكم
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدين من رجال المسلمين وهو دليل على اشتراط اسلام الشهود و
اليه ذهب عامة العلماء وقيل تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين
فرجل وامرأتان فليشهدوا فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال فيما عدا الحدود و
القصاص عند بعضهم ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخرى علة اعتبار التعدد اي لاجل ان احدى المرأتين ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى جعل ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى جعل النسيان علة في التعدد والعلة في
الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا للتذكير نزل منزلته والمعنى ارادة ان تذكر احديهما
الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء
الشهادة وجاز ان يكون المراد اذا دعوا لتحمل الشهادة فسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة

ولا تسأموا

٩٩

ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسآمة
عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت بل ثقلت صغيرا او
كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا والقسط بالكسر العدل واما القسوط فهو الجور والعدول عن الحق
واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط بمعنى ذي قسط و
من قويم بمعنى مستقيم وادنى ان لا ترتابوا واقرب من ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثناء من الكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي
الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر
اي يكون التجارة حاضرة ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على ان كان تامة واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر
الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين المعلوم والمجهول ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهي للكاتب و
الشهيد عن ترك الاجابة وعن التحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او نهي للضرار بهما مثل ان
يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث
يدعى وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن حق الطاعة لاحق بكم
واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شيء عليم كرر اسم الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الجملة الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية
تنبيه ان الله تعالى من كمال رافته ورحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم
والاخذ بالاحتياط والاستظهار لئلا يجري من بعضهم على بعض حيف ولئلا يتخاصموا ويتنازعوا
فيحقد بعضهم بعضا فامر بتحصين الحقوق بالكتابة والاشهاد وامر الشهود بالتحلي ثم بالاداء وامر
الكاتب ان يكتب بالعدل وراعى في تضاعيف ذلك دقائق كثيرة مرت الاشارة الى بعضها وبالجملة
اشار بهذه المعاني الى ثلاثة احوال اولها قال الحق تعالى مع عباده اظهر اثار الطافه معهم وغاية
عنايته في حقهم حتى لا يكونوا في حزن من امر دنياهم ونقص عيش فيها ليستدلوا بها على ان تكالف

الشرع التي امروا بها ايضا من كمال عاطفته ورحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم سجال نعمه ويسبغ عليهم ظلال
كرمه كما قال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الآية وثانيها حال العباد مع الحق تعالى ليعلموا برعاية
الدقائق للامور الدنيوية الفانية فيما بينهم ان في الامور الاخروية الباقية فيما بينهم وبين الله ايضا
دقائق اكثر منها وادق والعباد بها محاسبون وعلى مثقال ذرة من خيرها وشرها مثابون ومجازون وانها
بالرعاية اولى واحرى وثالثها حال العباد فيما بينهم بعضهم مع بعض ليعتبر كل واحد منهم
من ملاطفة الحق معهم في التخلق بالاخلاق مع الاخوان والاخلاء والعشاير والجيران فليتمسك بعروة
محبتهم في الله وخدمتهم لله وصحبتهم في الله ونصحهم بالله ودعوتهم الى الله وليكن في جميع الاحوال مع الله كما
قال واتقوا الله ويعلمكم اي اتقوا الله في الاحوال الثلاثة كما يعلمكم الله العبادات والاشارات والله
بكل شيء فيما يعملون في جميع الاحوال عليم فيجازيكم على حسن معاملتكم بقدر خلوص نياتكم وصدق طوياتكم
وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به
رهان او فعليكم رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما زعمه بعضهم لانه عليه افضل
الصلوة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق با
لارتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه
عن مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء
على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغنى بامانته عن
الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ
الذي ايتمن امانة بقلب الهمزة ياء وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة بينهما شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي يأثم
قلبه باثم واسناد الاثم الى القلب لان اثم الكتمان مما يختص باقترافه القلب وللمبالغة فانه رئيس
الاعضاء وافعاله اعظم الافعال فكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق ساير
ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد على اثم الكتمان
قال ارباب الطريقة في تحقيق الاية ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسايرون
فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس في قشر البيضة
فيكون مثبتا من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن
الجسد وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ومن لم يقم في

محل

في محل ولم ينزل في منزل فهو مسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح
وهما صنفان صنف سيار وصنف طيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار
من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجله حجلة الشريعة فقوله تعالى وان كنتم على سفر فلم تجدوا
كاتبا بيان حال السيار الذي تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة الموكلين كما قال بعضهم ما كتب على صاحب
الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب اليمين وقال لي امل علي شيئا من معاملات
قلبك لاكتبه فقلت اريد ان اتقرب بها الى الله تعالى فقلت حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن
لم يؤد صاحب الحق حقه ويكون هاربا منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه وهؤلاء السايرون المخلصون من التحبس و
القيد والتوكيل منهم الذين لهم رهان مقبوضة عند الله وهي قلوبهم المقبوضة باصبعين من اصابع الرحمن
وهم السيارون ومنهم من ليس له قلب ليرهنه وهم الطيارون فان العاشق مفقود القلب مسلوب
العقل مجذوب السر فهو لا يطالب بالرهن فانه مبطوش بالكلية بالبطش الشديد وان الرهن على من يتهم
بالخيانة واما الامين ففي فراغ عن زحمة الرهن وقد عرضت الامانة على السموات والارض ومن فيها فلم
يوجد لها امين يحملها الا العاشق المسكين فانها لما عرضت على الخليقة نظر اليها الخاين فاشفق منها
وابى ان يحملها والعاشق المسكين لما نظر اليها صار فراش تلك الشمعة وعشق عليها وطار فيها وابى
ان يحملها حال الامين لا يشدد عليه بالكتابة ولا بالحبس والتوكيل ولا بالرهن والتوثق وانما المطلوب منه
امر واحد وهو اداء الامانة كما قال فليؤد الذي اؤتمن امانته ثم اشار الى كيفية اداء الامانة بقوله و
ليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة يعني في عهد ميثاق عند عرض الامانة وحملها حيث اودعت حقيقتها
لمعرفة ملفافة الست بربكم في ضماير سراير ذراتكم واشهدتكم على انفسكم باقراركم لها فقلتم بلى شهدنا
فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها الى ملفوفة ملفافة التقوى كما اشار الى هذا قوله عليه الصلوة والسلام
الايمان عريان ولباسه التقوى ولا تكتموا تلك الشهادة التي اشهدتكم على انفسكم عند قبول حقيقة الامانة
وكتمان الشهادة ان تكون مشهودك بغير شواهد ربك هذا من نتايج خيانة قلبك في امانة
ربك ولهذا قال ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون في حفظ الامانة واداء حقها
عليم حقيقة فان امن بعضكم بعضا اي انفقت كلية اجزاء وجودكم على حفظ
الامانة بتحرزها كم الطبيعية لعقلكم فليؤد الذي اؤتمن امانته فليودها اودع فيه من الافعال
والصفات التي من اودعها بافناء تلك الافعال والصفات التي انصبغت بصبغ ربته الامكانية و
نزلت عن صفاء ربيتها الوجودية في افعال الله وصفاته المتنزهة عن شوايب النقصان والتغير و

والزوال ولشق اشدته وليستر ان الله بالاسم الذي يختص بربوبيته من جملة الاسماء الله بافناء ذاته فيه
ولا تكتموا الشهادة بتوحيد الافعال والصفات والذات عند البقاء بعد الفناء والغطاء الحاصل
بعد الانكشاف بالركون الى العادات والتلبس باحكام الكثرات فانه آثم قلبه الذي لا يزال متقلبا بين
جهتي العلو والسفل فيحتجب عن المبداء احيانا بالالتفات الى تدبير البدن وترتيب معاشه
فيؤدي ذلك الى الكتمان واما الروح والسر فعلى فطرتهما الاصلية لا يعتريهما شيء من النسيان
والكتمان ولا يغشيهما الحجب والغطاء بعد الانكشاف لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه من السوء يحاسبكم به الله يوم القيمة
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستيناف وجزمهما الباقون على جواب الشرط فان قلت المخفي في النفس من اضمار
المعاصي معفو قطعا ما لم يفعله او يتكلم به لقوله عليه الصلوة والسلم ان الله تجاوز عن امتي
ما وسوست به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به فما وجه محاسبة العبد به وتجويز تعذيبه قلت
الخواطر النفسانية لها مرتبتان احديهما ما تقذف في القلب من غير ان يكون للعبد فيه اختيار
والثانية ان يستقر عليه العبد ويعزم على امضائه بالاعضاء والجوارح ويصرف الهم في
تدبير انفاذه فاما ان يخذل بالتمكين منه او يمنع عنه لعدم توفر الاسباب وبدون ذلك يكون من
جملة لطفه به كما يقال ومن العصمة ان لا يقدر فما يعفى عنه ولا يحاسب العبد به هو القسم
الاول من الخاطر لان التكليف به تكليف بما لا يطاق وما يحاسب به ويكون العفو عنه المشية
هو القسم الثاني لكونه باختيار العبد قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد
بالهمة قال اذا كان عزما والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة وفيه
تعريض بانكم غير قادرين على صرف الخواطر عن قلوبكم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن هذه
الاية فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها فقال يا عايشة هذه معاتبة الله
العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها
في جيبه ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وفي الخبر عنه عليه السلم ان الله تعالى يدني
المؤمن يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب
حتى اذا قرره بذنوبه ورأى نفسه انه هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين

١٠٢

بانه عالم السر والخفيات انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره بان يطلب ما لا يليق به كمقام الانبياء
والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وتشريع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لكمال رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع
تنبيه على ما يتوسل به للاجابة قال في بحر الحقائق ان الله تعالى لما رفع حجب الوسايط بينه وبين العباد بقوله ادعوا الخلق
لما امرهم بالرجوع في الحاجات اليه والتضرع في المناجات بين يديه فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية والتضرع ما يطلع
عليه الخلق والخفية ما لا يطلع عليه الا الحق اي تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب وفيه معنى اخر ادعوا من ربكم ربكم تضرعا
قياما باداء حق العبودية وخفية المطالبة حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الاعتداء في الدعاء طلب الغير والرضا بما سواه
ولا تفسدوا في الارض اي في ارض القلوب بعد اصلاحها اي بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط بينه وبين القلوب فان فساد القلب
في رؤية غير الحق وصلاحها في رؤية الحق ويقال من فساد القلوب بعد اصلاحها ارسالها في اودية المنى بعد امساكها عن متابعة
الهوى ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق وادعوه خوفا وطمعا اي لا تدعوا احدا غيره في الخوف والرجاء فانه الذي
يجب ان يخاف ويرجى لانه الضار النافع المعطي المانع والمعز المذل وايضا ادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع وايضا
خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال والنضوج فان من الاثنية وطمعا في الوحدة ان رحمة الله وهو بذل حقوق المليك قريب
من المحسنين الذين يرون الله في الطاعات اي يعبدونه كانهم يرونه وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح بشرا بالنون والشين المضمومين جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا
بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان في المعنى
وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه و
الجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان الحامل للشيء يستقله يعده قليلا
سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحاب سقناه رجع الى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد
ميت لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
فاخرجنا به على الاحتمالات في الضمير مع جواز عوده الى الماء من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج
الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوى النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا اشارة وهو الذي يرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

المص انا الله انزل بجبرئيل الى محمد الصدق اعنى القران ويحمل القسم وعن ابن عباس رض قال جبرئيل بمكة كان عليه عرش الرحمن لا ليل ولا نهار كتاب خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب او خبر المص ان اريد به السورة او القران انزل اليك صفة كتاب فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك فان الشاك يكون ضيق الصدر او ضيق قلب بتبليغه مخافة التكذيب والنهى بالحقيقة للنبى صلى الله عليه واله وسلم وجه الى ما هو من متعلقاته وهو ضيق الصدر والفاء ليسبب حقية الكتاب فى منع ضيق القلب عن تبليغه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وذكرى للمؤمنين يحتمل الرفع بالعطف على كتاب والنصب بتقدير وتذكر المؤمنين ذكرى فانه بمعنى التذكير قال ارباب المعرفة ا اشارة الى الذات الاحدية ل الى الذات مع صفة العلم وم الى المرتبة الجامعة التى هى معنى محمد وص الى الصورة المحمدية وجسده معنى الاية ان وجود الكل من اوله الى آخره كتاب انزل اليك علمه فلا يكن فى صدرك حرج منه اى ضيق من حمله ولا تسعه لعظمته فتلاشى بالفناء فى الوحدة واستغراق فى عين الجمع وذهول عن التفصيل اذ كان عليه السلم فى مقام الفناء محجوبا بالحق عن الخلق كلما رد عليه الوجود وحجب عنه الشهود وظهر عليه التفصيل ضاق عنه وعاده وارتكب عليه وزرك اى بالوجود الموهوب الحقانى والاستقامة فى البقاء بعد الفناء بالتمكين ليسع صدرك الجمع والتفصيل والحق والخلق فلم يبق عليك وزر بمشاهدة التفصيل فى عين الجمع ولا احتجاب باحدهما عن الاخر لتنذر اى لا يضيق صدرك منه ليمكنك الانذار والتذكير اذ لو ضاق لبقيت فى الفناء لا ترى الا الحق فى الوجود ولا تنظر الى الخلق بنظر العدم المحض فكيف تنذر وتذكر وتأمر وتنهى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يظلونكم من الجن والانس وقرى ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وقرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون بالياء والتاء بتوجيه الخطاب الى الغير استهانة بهم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها فجاءها جاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط وهو مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون نائمون نصف النهار كقوم شعيب لا لاجتماع حرفى العطف وخص الوقتين لانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعتراف وبطلان ما فيما كانوا عليه تحسرا وتاسفا قوله فلنسئلن

الذين

الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام او الاول فى موقف الحساب وهذا عند حلول العقوبة قوله فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شئ من احوالنا اشارة كم من قرية اهلكناها اى قرية قلب افسدنا استعدادها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون قبلناها ارغناها باصبع القهارية اظهارا للجبارية واهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون فى نهار الخذلان فما كان دعويهم ادعاؤهم الا ان قالوا انا كنا ظالمين اى ادعوا ان القدرة على تقليب الحال الا ما كان لهم وهم ذاهلون عن قوله وتقلب افئدتهم وابصارهم فلنسئلن الذين ارسل اليهم سؤال تعذيب وتعنيف فتسئلون عن القبول هل قبلتم الرسالة وعملتم بما امرتم به ام لا فيه معنى اخرى فلنسئلن الذين كانوا مخصوصين بالرسالة اليهم من المؤمنين قابل الدعوة هل بلغ اليكم رسلنا سلامنا ومواعدنا وهل بينوا لكم حقايق ما انزلنا اليكم ووصفوا لكم ما اعددنا من المقامات والدرجات والكمالات لكم وهل بلغوكم الى الكمالات الدين وكشف الغطاء عن البعيين وهذا سؤال ترحيب وتشريف ولنسئلن المرسلين هل وجدتم فى الامم اقواما قابلين الدعوة والرسالة من اهل المحبة والعناية وهذا سؤال انعام واكرام والوزن اى القضاء او وزن هو مقابلتها بالجزاء يومئذ يوم السؤال الحق صفة الوزن اى العدل السوى او جملة اخرى بتقدير مبتدا فمن ثقلت موازينه حسناته يكون جمع موزن او ما يوزن به حسناته فيكون جمع ميزان ويكون جمعه باعتبار اختلاف الموزونات فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب والحكمة فى ذلك امتحان الله تعالى عباده بالايمان به فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى بما كانوا باياتنا يظلمون تضمنون التكذيب موضع التصديق واختلف فى الموزون فقيل يوزن الاعمال وذلك ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب روى عنه عليه السلم ان رجلا تنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص وقد روى عنه عليه السلم انه ليأتى الرجل السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل ميزانان يوزن باحدهما الاعمال ويوزن بالاخر الشخص مع حسناته فمن ثقلت كفة حسناته ورجحت صاحبه رفع بها الكفة الاخرى الى الجنة ومن خفت كفة حسنا

وترجحت صاحبه هوى به الكفة الاخرى الى الجحيم وبهذا ظهر وجه جمع الميزان اطلاقا للجمع على الاثنين كما
فى قوله تعالى فان كان له اخوة **قال** فى بحر الحقايق فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والصفات
الحميدة والنعوت المرضية والاحوال السنية والاخلاق الربانية فاولئك هم المفلحون ببقاء الحق وبقائه
الناجون من فناء انانيتهم لفنائهم وانما قال موازينه بالجمع لان كل عبد ينصب له موازين بالقسط بناسب
حاله فلطيفته ميزان يوزن به اعماله ولنفسه ميزان يوزن به صفاته ولقلبه ميزان يوزن به اوصافه
ولروحه ميزان يوزن به نعوته ولسره ميزان يوزن به احواله ولخفيه ميزان يوزن به اخلاقه والخفى لطيفة روحانية
قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال عليه السلام ما وضع فى الميزان شىء اثقل من حسن الخلق وذلك لانه
ليس من نعوت المخلوقين بل هو من اخلاق رب العالمين والعباد مامورون بالتخلق باخلاقه ومن خفت موازينه
باضداد ما ذكرناه فاولئك الذين خسروا انفسهم افسدوا استعدادها بقبول هذه الكمالات التى ذكرناها بما كانوا
باياتنا يظلمون **قال الشيخ** الاكبر رض يوضع الميزان لوزن الاعمال فيجعل فيها الكتب بالاعمال الاخر ما يوضع فى
الميزان قول الانسان الحمد لله ولهذا قال عليه السلام الحمد لله يملأ الميزان فانه يلقى فى الميزان جميع اعمال العبد من
الخير فيبقى فيه مقدار تحميده فيجعل فيه فيمتلى به فان كفته ميزان كل احد بقدر عمله من غير زيادة ونقصان
وكل ذكر وعمل يدخل الميزان الا قوله لا اله الا الله فانه لا تدخل ميزانا وسبب ذلك ان كل عمل جزاء مقابل
من ضده فيجعل هذا الجزء فى موازينه ولا مقابل لكلمة لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك
فى ميزان احد والمشركون لا يقيم الله لهم يوم القيمة وزنا فان اعمال خيرهم كلها محبطة فلا يكون لشركهم ما
يوازنه ثم قال ولا يدخل الميزان الا اعمال الجوارح وهى سبعة السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج
والرجل اما الاعمال المعنوية فلا يدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان المعنوية ه
حقيقة العقول العادية المشوبة بشوائب الوهم لا تفى بادراك احكام النشاءة الاخروية و
قياسها على الاحكام الدنيوية قياس الغايب على الشاهد فالمعتمد على عقله والمعتاد بما يجرى عليه اليوم من
احكام المحسوسات واحوالها المختصة بهذه النشاة اذا سمع امر الميزان والصراط وامثالهما خرج على عقبيه
وتجانب عن قبوله فيكون امره دايرا بين ان ينكرها بالكلية او يأولها بامور معنوية مقتصرا على تأويله والحق
الذى نطق به لسان الشرع وقرره العيان والكشف ان هناك وراء الموازين المعنوية ميزان محسوس لا
يتمكن من دركه الا الحس المتبدل عن حالة التى هو عليها فى النشأة الدنيوية فالمحسوس بالبدن الدنيوى لا
حزوى يدرك هناك من الامور المعنوية المتجسدة بالمواد الصورية لكثرة ما يحكم عليه من الاستحالات
الموروثة للاستعدادات كلا يمكن ان يدركه فى هذه النشاءة لشدة ما فيها من الكدورات الجسمية والتشغل فى

فى بيان الميزان

المهاوى

١٠٣

فى المهاوى الطبيعية فيبصر البصر هناك ما لا يبصر هنا كما قال كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
فيظهر هناك للمقيدين بالالف والعادات ما لم يخطر ببالهم من الامور الخارجة عن حكم العادة كما قال
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فمن ذلك تجد العدل بصورة الميزان وخروج الاعمال التى من باب
الاعراض بل فى صور الاجسام فيتصف بالثقل والخفة الى غير ذلك من الامور المذكورة فى النشاءة
الاخروية فليذعن له بالقبول من لم ينكشف له حقيقة الحال كما انكشف لحارثة رض حيث قال له
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال عليه السلام ان
لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسى عن الدنيا فاظمأت نهارى واسهرت ليلى كانى انظر
الى عرش الرحمن بارزا والى اهل الجنة كيف يتزاورون والى اهل النار كيف يتعاوون قال عليه السلم
اصبت فالزم وقال عليه السلم هذا عبد نور الله قلبه **ولقد مكناكم فى الارض** اى مكناكم من
سكناها وزرعها والتصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** اسبابا يعيشون بها جمع معيشة
وعن نافع انه همزه تشبيها بما يكون الياء فيه مزيدة كالصحايف والرسايل **قليلا ما تشكرون**
شكرا قليلا تشكرون **اشارت** وجعلنا لكم فيها معايش جعلنا لكل صنف من الملك والحيوان
والشيطان معيشة معيشة وجعل لكم فيها معايش لما فى الانسان من جميعه الملكية و
الحيوانية والشيطانية فمعيشة الملك هو معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه
ومعيشة الشيطان هى معيشة النفس الامارة بالسوء ولما حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الكل
وهى القلب والسر والخفى كان معيشة قلبه من الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصول و
الوصال **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** اى خلقنا اباكم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة
خلق الكل وتصويره لانه الاصل المنتشى منه هذه الفروع **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا**
ابليس لم يكن من الساجدين فمن سجد لآدم وذلك لما فيه من الاستكبار والنارية والاستعلاء بها
قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم لتأكيد معنى الفعل الذى دخلت عليه
مع التنبيه هنا على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل المعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد فان الممنوع عن الشىء
مضطر الى خلافه **اذ امرتك** دليل على ان مطلق الامر للوجوب الفورى **قال انا خير منه** جواب من حيث المعنى
استأنف به استبعاد لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد
للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين **خلقتنى من نار وخلقته**
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل

كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو العلم والمعرفة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي
يعرفون واضاف خلق الانسان الى الطين وخلق الشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب **اشارة**
قيل ما منعك هذا خطاب الامتحان لجوهر ابليس ليظهر استحقاقه للعنة فانه لو كان ذا بصيرة لقال منعني تقديرك و
قضاؤك ومشيتك الازلية فلما كان اعمى بالعين التي ترى احكام الله وتقديره بصيرا بالعين التي ترى انانيته قال
انا خير منه اي منعني خيريتي منه ان اسجد له واستدل على خيريته بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين يعني النار علوية
نورانية والطين سفلي ظلماني فاخطأ في الاستدلال والقياس كما اخطأ في الجواب فان الطين وان كان ادنى في
الصورة فهو اشرف بحسب المعنى لانه محل الاثبات والنشو والنمو والنار من خاصيتها الاحراق والافناء وايضا
الطين فيها رسوب وامساك وفي النار خاصية الاتلاف وهو ضد الامساك وهو يمسك الفيض الذي قبله دون النار
وايضا الطين مركب من الماء فالماء والتراب مطية الحيوة والتراب مطية النفس النامية ففيه ازواجها
تتولد النفس الحيوانية وهي الروح الحيواني وهي مطية الروح الانساني وفي النار ضد هذا من الاهلاك والافناء
هذا مع ان شرف آدم ما كان من جهة طينته بل من جهة التخمير باليدين في جسمه حيث قال خمرت طينة آدم بيدي الحديث
ومن جهة النفخ في روحه كما قال ونفخت فيه من روحي ومن جهة التجلي كما قال عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه
وهو معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته فان المتجلي له بجميع الاسماء والصفات يكون على صورة المتجلي
وصفاته لا محالة كما ان المنعكس في المرآت عن تمام شمائل الناظر فيها **قال فاهبط منها** من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح لك **ان تتكبر فيها** وتعصي فانها مكان الخاشعين والمطيعين وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق
باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه **فاخرج انك من الصاغرين** ممن اهانه الله لكبره
قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال في حق الحقايق انما لزمه الهبوط والخروج من معارج
القرب ومنازله لانه اعتصم بيدي الاباء والاستكبار في الانانية رعونة الخيرية فاستدرج واهبط من عالم العلو الى
عالم السفل فصار من الصاغرين بعد ان كان من الكافرين فلما ابتلي بالصغار فطرد من الجوار واخذ في البوح والياس
من الروح رضي بالبعاد واطمأن بالحيوة **قال انظرني الى يوم يبعثون** امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني ولا تعجل
عقوبتي **قال انك من المنظرين** ظاهره الاطلاق في اجابته لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت
المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه والحكمة في امهاله ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم بسبب اغوائك الذي
اياي بواسطتهم بان حملتني عليه وكلفتني اليه والقعود في الصراط كناية عن الترصد اي لترصدهم في الصراط المستقيم

هو دين الاسلام كما تقعد القطاع في الطريق لترصد المارة والباء في بما اغويتني متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا باقعدن لان اللام مانعة عنه وقيل الباء للقسم قال صاحب التأويلات فبما اغويتني اقسام ابليس
محجوب عن الذات الاحدية دون الصفات والافعال فشهوده للافعال وتعظيمه لها اقسام بها كما اقسم بالاغواء
ههنا وشهوده للصفات واعظامه لها اقسام بها كما اقسم بعزته في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين **ثم**
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات
الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان
الاتيان منه يوحش الناس وقيل من بين ايديهم من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فيثبطهم
عنها وعن ايمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يغريهم به ويحضهم عليه وعن ابن عباس
رض من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم و
سيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم و
الى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد**
اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه **قال اخرج منها**
مذؤما من ذامه اذا ذمه **مدحورا** مطرودا **لمن تبعك منهم** اللام فيه لتوطية القسم وجوابه
لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط ومعنى منكم منك ومنهم فغلب
المخاطب **ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا**
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب **فوسوس**
لهما الشيطان الوسوسة في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة **ليبدي لهما** ليظهر لهما
ما ووري عنهما ما غطي عنهما **من سوآتهما** من عوراتهما عبر عنهما بالسوءة لانه يسوء صاحبها الكشف عنها
وهما كانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر ثم بين الوسوسة بقوله **وقال ما نهيكما ربكما عن**
هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا **ملكين او تكونا من الخالدين** الذين لا يموتون او
يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة واجيب بانه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كان
رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا
يدل على فضلهم مطلقا فان فضل الانسان انما هو من جهة الجامعية كما اسلفناه **وقاسمهما اني لكما لمن**

صحين

الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين

فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما بغرور فنزلهما الى الاكل من الشجرة بما غرهما به من القسم فانهما ظنا

ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور وفي ذكر التدلية تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية

الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل فلما ذاقا الشجرة بدت لهما

سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما

وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة على سوآتهما قيل

كان ورق التين وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما

عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم

قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا

وترحمنا لنكونن من الخاسرين فيه دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر خلافا لمن

لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما

ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو

في موضع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع

وتمتع الى حين الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها

تخرجون للجزاء اعلم ان سياق الآية ههنا يدل على ان الامر بسجود آدم وعصيان ابليس لا باء

كان بعد رفعه الى الجنة فان قلنا بما هو الاشهر من كون ذلك في الارض فمقتضى هذا السياق ان يكون

اهل السموات مامورين بالسجود له في اماكنهم او نقول كان ابليس مامورا بالسجود في الارض مع

كون اصل مستقره السموات وكان متمكنا من الصعود اليها فكان معنى الامر بالخروج الحرمان عن ذلك

المكان والمنع عن الصعود اليه وعلى هذا فوجه تكرار الامر بخروجه ان يكون الاول امرا بخروجه من

مكانه العلوي والثاني امرا بخروجه عن الجنة بعد ما رخص له الصعود اليها للوسوسة والله اعلم

بحقيقة الحال قال ارباب الطريقة الخطاب مع آدم بقوله يا آدم اسكن خطاب ابتلاء وامتحان

والنهي له بقوله ولا تقربا نهي تعزز ودلال قال يا آدم ابحت لك الجنة وما فيها الا هذه الشجرة فانها

شجرة المحبة والمحبة مطية المحنة فلا تقربا شجرة المحبة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان للمحبة نارا

ونورا فمن لم يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نارها يحترق بها اما منه فسبق بلا هو به نفسه مع

سويه

مع هويه ربه فما سكنت نفس آدم الا الى الشجرة المنهي عنها لانها كانت مشتهى قلبه وغذاء روحه ولا يزال

يزداد توقانه اليها الى ان قال ابليس ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين يعني اذا انتهيتما

عن شجرة المحبة تكونان من اهل السلوة كالملكين في سواء او تكونا من الخالدين كمخدمة الجنان

وغيرهم من الحور والغلمان فاثر بعض هذا في قلب آدم وبعثتهم روايح الانس بمشام الروح اذ كان

قلبه وروحه متعطشين الى زلال ذلك الجمال وكان ورده ووقته ما قيل والله ما طلعت الشمس

ولا غربت الا وانت مني قلبي ووسواسي ولا جلست الى قوم احدثهم الا وانت حديثي بين جلاسي و

لا هممت بشرب الماء من عطش الا رايت خيالا منك في الكاس ولا سفرت محزونا ولا فرحا

الا وذكرك مقرون بانفاسي فزاد ميلان قلبه بذلك الى اكل حبة شجرة المحبة مع ما كان معه من تذكر

النهي فسقاه ابليس في كاس النعم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فسكر قلبه

اشهد سوقه وعرفان هذا الكلام حق وصدق اريد به باطل من حيث لم يشغل المتكلم بما فيه من الحكمة

فدليهما بغرور اى فغرهما بالله واسكرهما بذكره وسوقهما اليه فلما استغرق في بحر الشوق تاق الى الذوق

فنسي النهي وتناول الشجرة فلما ذاقا الشجرة اى ذاقا حبة المحبة ووجدا ذوقها بدت لهما سوآتهما اى

بدت نار المحبة التي هي العوزة بين الاحبة في البداية قبل ان يظهر نورها الكمالات التي هي الوصلة

بالمحبوب في النهاية فلما احرقت نار المحبة ما عليهما من ملابس العافية وذهب براحة الوصلة منه ومن زوجه

وجه وحبيبه ونعق غراب بالفرقة وراحت الراحة وبدل الزوج بالنوح فقال اينما نحن في لعب وفي طرب

بلا سحاب فراق صوبه هطل فان من كنت مشغوفا لطلعته حي وافقر منه الرسم والطلل فالصبر مرتحل

والوجد متصل والدمع منهمك والقلب مشتعل وناديهما ربهما نداء الكبرياء والعز الم انهكما عن تلكما الشجرة

فانها تذل العزيز وتزيل النعم وتذهب بالطرب وتاتي بالتعب والنصب واقل لكما ان الشيطان لكما

عدو مبين اى هو مبين بالعداوة ولكن في عداوته لكما صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين فلما ناديهما بالعتاب

حل بهما من سطوات الخطاب ما حل فما نفسل بماء الخجلة منهما رعونات البشرية ولوث العجب واحترقت محبة

الا نانية وانكشف الطاف الالوهية فرجعا عما كانا عليه وطمعا فيما لديه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بما

تناولنا من شجرة المحبة فوقعنا في شبكة المحنة بعسنا عن الوصال لولا المحبة بعثنا بالزوال وان لم تغفر لنا

بنوال الوصال وترحمنا بتجلي الكمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فا

دركتهما العناية واستقبلتهما الهداية وامر بالصبر على الجر ووعدا بالوجد بعد الفقد فقال اهبطوا بعضكم

لبعض عدو يعني تكون النفس عدو القلب والروح والقلب عدوين لما سوى الله ولكم في الارض البدن مقام

ويمتع من الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة فيستحق لخطاب ارجعي الى ربك
فتصعد من الهبوط وترفع بعد السقوط كما قيل ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما
ارتجا لا تأس وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبران ترى فرجا اخلق بذي الصبران يحظى بحاجته
ومدمن القرع للابواب ان يلجا، قال فينها تحيون اى في ارض المحبة وصدق الطلب وفتح باب الفرج بالصبر و
الثبات على العبودية وفيها تموتون على جادة الشريعة باقوام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة والله الموفق
حقيقة ما من قصة من القصص القرانية الا وفيها بلسان الاشارة بيان لما في نشاءة كل احد من الاحوال
المختصة به او بنوعه فقصة ادم ع وحوا وما جرى بينهما وبين الملائكة والشيطان امور صورية لها بواطن تشتمل عليها
النشات الانسانية لا تخلو عنها واحد منهم وعلى ذلك يحمل ما في الاثارات الواردة بانه فادم كل احد روحه وحواه
نفسه الناطقة المتهات بالعلب والملائكة قواه البدنية وابليسه القوة الوهمية وللايماء بهذا المعنى ذكر في موضع خطاب
ادم اولاده فقال ولقد خلقناكم دون ان نقول خلقنا ادم والمعنى خلقنا ارواحكم اولا لخلق ادم ثم صورناكم
خلقنا نفوسكم الناطقة متعلقة بصوركم تعلق التدبير والتصرف ثانيا لخلق حوا ثم قلنا للملائكة يعني القوى والجوارح و
الحواس والمشاعر اسجدوا لادم تواضعوا في نهاية ما يكون من الاطاعة ولذلك ترى القوى والاعضاء والجوارح مسخرة
للروح مضطرة الى الانقياد لاوامره فسجدوا الا ابليس الوهم لم يكن من الساجدين لما فيه من الترفع والغلبة على القوى
ولذلك سمي سلطان القوى قال ما منعك ان تسجد تطيع وتسخر لما امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار انما قالت
ذلك لانها خلقت من الطف اجزاء الروح الحيوانية التي هي اخر ما في البدن وهي تفرط حرارتها ترتقي الى الدماغ
لما في الحرارة من اقتضاء الارتفاع وخلقته من طين انما قالت ذلك لما خلطت عليها حتى لم تر من المتكبر الا لباسه
قال فاهبط منها من رتبة التصرف في الادراكات الكلية ومزاحمة العقل فيها فلا ينبغي لك ان تتكبر وتستعلي على القوى
الروحانية انك من الصاغرين من القوى النفسانية الملازمة للجهة السفلية الدائمة الهوان مما لازمة لابدان قال
انظرني الى يوم يبعثون بحشر الروح والقلب وبقاءهما الى البرازخ في الاجساد المثالية قال انك من المنظرين الى
يوم تفرق الاجزاء قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم وهو طريق العدالة في العبادة والاخلاق
والاحوال ثم لاتينهم من بين ايديهم اي في عباداتهم ومن خلفهم اي في احوالهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي في
اخلاقهم فازيغهم عن الاخلاق الملكية وازين لهم الاخلاق الشيطانية والسبعية والبهيمية ويا ادم يا روح اسكن
انت وزوجك يعني القلب الجنة جنة البدن المشتملة على ما يحتاج اليه في التمتع بالمستلذات والمشتهيات من الاعضاء
والقوى والمشاعر باصلح صورة وابهى وضع وترتيب واحسن تقويم وازين حلية وكلا منها تمتعا من ثمار اللذات
البدنية والمشتهيات الجسمانية حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة شهوة الفرج فانها منشاء الكثرة والتفرقة

والبعد عن ساحة الوحدة والجمعية وهي تلك الشجرة لا تورث الا حتى ثمرة التعب والنصب والتباغض و
التشاجر فتكونا من الظالمين على انفسكم بابدال الكثرة بالوحدة والتفرقة بالجمعية فوسوس لهما
شيطان الوهم بتسويل اللذة الشهوية وتشبيب نار توقانهما وما سخلي لهما نتايج الازدواج من توليد المثل
والحكم على الاولاد والحشم والتوابع ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما ما سرت فيهما من الاخلاق الرذية
الشهوية والغضبية لجلب المنافع ودفع المضار التي يضطر اليها النفوس في امر المعاش لادا حقوق العيال ما
نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة ان تكونا ملكين بكسر اللام كما قرئ به ويؤيده قوله هل ادلكم على شجرة
الخلد وملك لا يبلى يريد ان تكونا حاكمين على الاهل والولد حكم الوالي على رعيته او كراهية ان تكونا من الخالدين
بالخلاف الاولاد عن انفسكم نسلا بعد نسل فدليهما الغرور في غيابة الجب المهاوي الطبيعية فلما ذاقا الشجرة
شهوة الفرج بالات التناسل وانسلذا بها وجنيا من تلك الشجرة ثمرة الاهل والعيال والمعلقات ولوازمها
ولواحقها بدت لهما سواتهما من التقصير في حقوق الله والقيام باستيفاء الحظوظ الدنيوية ومما مكنت فيهما من
الاخلاق والملكات الرديئة الشهوية والغضبية المحتاج اليها في مصالح المعاش وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة يعني اوراق جنة البدن التي هي الاعمال الدينية وذلك ان الناس لا يزالون يقطعون من حلل اعمال دينهم
رقعة رقعة ويرقعون بها خرق ثياب مصالح الدنيا كما قيل نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى
ولا ما نرقع فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع قالا ربنا ظلمنا انفسنا باتباع شهوة الفرج المستتبعة
لساير الشهوات الحسية الدنيوية المستلزمة لانواع المشاق والتبعات والشقاق فان لم تغفر لنا ذنبنا
هذا وترحمنا باصلاح امر معاشنا ومعادنا لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والاخرة ذلك هو
الخسران المبين قال اهبطوا من جنة مقام التجرد وفراغ القلب وصفاء الطوية وجمعية الهم الى ارض مقام التفرقة
والتعلقات البدنية والكدورات اللازمة لتعرض لهم في طلب الحوائج بعضكم لبعض عدو تتباغضون
وتحاسدون وتتهاوشون على جيفة الدنيا تهاوش الكلاب عليها ولكم في الارض البشرية بهذا التهاوش و
التكالب مستقر ومتاع الى حين وليعلم ان هذا الى للروح والقلب انما كان من اسد تعالى بمقتضى مقام و
الذاتية المستدعى لاختفاء الكثرات في مكامن الغيب غيرة عليها وتسليط القوة الواهمة عليهما في الميل
الى ما نهيا عنه كان من مقتضى حبه الذاتي المستدعي لظهور الكثرات ووصولها الى كمالاتها اللائقة
بنشاتها فما عارض نهى الله الا امره وما قاوم حكمه الا حكمه فلسقطن له يا بني ادم قد انزلنا عليكم
لباسا اى خلقنا لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله و
انزلنا الحديد يواري سواتكم التي قصد الشيطان ابداءها ونعسكم عن خصف الورق

وروى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت **و**
ريشًا ولباسا يتجملون بها والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل **ولباس التقوى**
خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب رفعه بالابتداء وخبره **ذلك خير** اي
الخبر وذلك صفته كأنه قال ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب
عطفا على لباسا **ذلك** اى انزال اللباس **من آيات الله** الدالة على فضله ورحمته **لعلهم يذكرون**
فيعرفون نعمته ويتعظون فيتورعون عن القبائح **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان** لا يبتلينكم في المحنة
للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان **كما اخرج ابويكم من الجنة** كما محن ابويكم بالاخراج منها
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب اشارة
لباسا يواري سوآتكم اى شريعة تستر قبائح اوصافكم وفواحش افعالكم وريشا اى جمالا وزينة يبعدكم
عن شبه الانعام ويزينكم بالاخلاق الحسنة والاعمال الجميلة ولباس التقوى اى صفة الورع والحذر
من صفات النفس ذلك خير من جملة اركان الشرائع لانه الدين واساسه كالحمية في العلاج ذلك من
آيات الله اى من انوار صفاته لان الاجتناب من صفات النفس لا يحصل ولا يتيسر الا بظهور تجليات صفات
الحق لعلكم تذكرون عند ظهور نور تجليات الصفات لباسكم النوري الاصلي او حور الحق الذي كنتم تسكنون
فيه بهداية انوار الصفات يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان عن دخول الجنة وملازمتها بنزع لباس الشريعة والتقوى
منكم كما اخرج ابويكم منها بنزع عنهما اللباس النظري النوري قال بعضهم ولباس التقوى ذلك خير التقوى
هو لباس القلب والروح والسر فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى فيواري به سوآته الطمع في
الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيواري به سوآته التعلق بغير المولى ولباس السر من
التقوى التقاوه بهوية المولى فيواري به هوية غير المولى ولهذا قال ذلك خير اى خير من لباس البدن وهو ظاهر
احكام الشريعة **انه** اى الشيطان **يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** تعليل للنهي وتأكيد للتحذير
من فتنه وقبيله جنوده وعدم رؤيتنا اياهم في عموم الاحوال لا ينافي امكان رؤيتهم كما يريهم بالتمثل لهم
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى لا يؤمنون بانا خلقنا لهم اللباس والجمال
بانا مكنا الشياطين من صفتهم **واذا فعلوا فاحشة** فعلة متناهية في القبح كعبادة الاصنام وكشف
العورة في الطواف **قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها** لعلهم قالوا ذلك قلنا منهم بان اباءهم
كانوا متعبين في ذلك امراته نعم وقد اعتذروا واحتجوا في ذلك بامرين احدهما تقليد الاباء والاخر الافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله **قل ان الله لا يأمر بالفحشاء** لان عادته تعـ

جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الاخلاق وقيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها **اتقولون على الله ما**
لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله **تنبيه** الشيطان من روحانيين الذين لا صورة لهم
في الظاهر فهم يرون بالنظر الملكوتي الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن اوصاف البشرية
كما راى آدم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من حيث لا ترونهم يعني انهم يرونكم من حيث
البشرية التي هي منشأ الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ
علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون اى خلقناهم مستعدين لتولية امور اهل الغفلة والطبيعة الذين لا ايمان لهم بالله وطلبه ولا
بالوصول اليه ليزينوا لهم زخارف الدنيا وشهواتها واذا فعلوا فاحشة وهي طلب الدنيا وجمعها والحرص عليها فان
حب الدنيا رأس كل خطيئة والمعنى اذا وقع اهل الغفلة في طلب الدنيا وزينتها والتمتع بها بتلبيس الشيطان و
تدبيره وتزيينه فيدعوهم داع الى الله وطلبه وترك الدنيا وطلبها قالوا انا وجدنا اباءنا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بها اى بطلبها بالكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اى لا يأمر بحب الدنيا والحرص على جمعها وانما يأمر
بكسب الحلال لسد الحاجة الضرورية لوازم القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية اتقولون اى تفترون
على الله ما لا تعلمون آفته ووبال عاقبته **قل امر ربي بالقسط** بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي
الافراط والتفريط **واقيموا وجوهكم** وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اى مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا
الى مساجدكم **وادعوه** واعبدوه **مخلصين له الدين** اى الطاعة فان قبول الطاعة بالاخلاص **كما بدأكم**
كما انشأكم ابتداء **تعودون** باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها و
القدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما
بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم **فريقا هدى** بان وفقهم للايمان **وفريقا حق عليهم الضلالة**
بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى واضل فريقا حق عليهم الضلالة **انهم اتخذوا**
الشياطين اولياء من دون الله تحقيق لضلالهم **ويحسبون انهم مهتدون** يدل على
ان الكافر المخطي والمعاند سواء في استحقاق الذم ومن فرق بينهما جعل الذم لاحقا بمن قصر في النظر اشارة
اقيموا وجوهكم عند كل مسجد اى سيموا في التوجه الى الله عند كل صلوة وطاعة وادعوه مخلصين له الدين
اى اطلبوه ولا تطلبوا معه شيئا فان المخلصين من يكون الله مقصده ومطلوبه ومحبوبه في كل حال من الاحوال

قبل القيام بالطاعة وعند القيام بها وبعد الفراغ منها كما بدأكم تعودون يعني كما بدأكم منه تعودون اليه
اما باللطف اما بالقهر فاما اهل اللطف فيعودون اليه على قدم الاخلاص وصدق التوجه الى الله وعدم
الالتفات الى ما سواه وهو قوله فريقا هدى واما اهل القهر فيعودون بالقهر يسحبون فى النار على وجوههم
فانهم توجهوا الى الدنيا وزخارفها على قدم الشرك فكانوا فريقا حق عليهم الضلالة وذلك لان من
سيرتهم انهم اتخذوا الشيطان اولياء من دون الله فان الشيطان يتولون امورهم على وفق طبعهم
فيخرجونهم من نور الطاعة الى ظلمات الطبيعة ويحسبون انهم مهتدون فيوردهم الحسبان دركات
الميزان **قال** صاحب التاويلات قل امر ربي بالقسط اى العدالة والاستقامة واقيموا وجوهكم اى
ذواتكم الموجودة بصفها عن الميل والزيغ الى طرفي افراط وتفريط فى الضلالة وعن التلونات فى
الاستقامة عند كل مسجد اى كل مقام سجود بعد اقسام سجود الانقياد والطاعة واقامة الوجه
فيه بالاخلاص والاحسان عن الرياء والنفاق فى العمل له سجود العناء والا فعال واقامة الوجه فيه
بالقيام بحقه بحيث لا يرى مؤثرا غير الله ولا يرى اثرا من دونه ولا من غيره وسجود العناء فى
الصفات واقامة الوجه عنده بالمحافظة على شرايطه بحيث لا يرى اتصاف ذاته بها ولا يريد ولا يكره
شيئا من غير ان يميل الى الافراط بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا الى التفريط بالتسخط على المجاري
وسجود العناء فى الذات واقامة الوجه عنده بالعصمة عن نفسه والانطماس بالكلية والامتناع عن
اثبات الانية ولا تنسه فلا يطغى بحجاب الانانية ولا تزندق بالاباحة وترك الطاعة وادعوه مخلصين
له الدين فى المقام الاول بتخصيص العمل له بدونه فى الثاني والثالث برؤية الدين والطاعة من الله فى الرابع برؤيته
بالله كما بدأكم باظهاركم واخفائه تعودون بفنائكم واخفائكم لظهوره فريقا هدى الله بهذا الطريق وفريقا
حق عليهم الضلالة بسبب اتخاذهم شياطين القوى النفسانية الوهمية والتخيلية اولياء من دون الله لمناسبة ذواتهم
فى الظلمة الكدورات والبعد من معدن النور الا ربما يحسبون انهم مهتدون لان سلطان الوهم بالحسبان **يا بني**
آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورة **عند كل مسجد** لصلاة او طواف ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن
هيئة للصلاة ولا باس بسد تحت العنق فيها وهو احسن زينة فيها وفي الاية دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة
قال الشيخ رض قال عليه السلام فى الرجل قال انى احب ان يكون نعلى حسنا وثوبي حسنا ان الله جميل يحب الجمال فمن احب الزينة
على هذا الوجه فهو محمود ومن احب لك رياء وفخرا وخيلاء فهو مذموم فى حبه **وكلوا واشربوا** ما طاب لكم و
لا تسرفوا بتحريم الحلال بالتعدي بالكرام او باطراف الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض عنهما كل ما
شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال بعض الحكماء قد جمع الله الطب فى نصف آية

فقال

فقال **كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** لا يرضى فعلهم قال ارباب الطريقة ان الله تعالى جعل لظاهر
العباد ولباطنهم زينة تناسبهم وباطنهم فقال يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد اى عند كل طاعة وعبادة
فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وقد يقال زينة نفوس العابدين آثار
السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم
الحرية فشتان ما بين عبد وبين حر وكلوا واشربوا اى كلوا مما ياكل اهل البدايات فى مقام العبودية واشربوا كما
يشربون كما قال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والاسراف
نوعان افراط وتفريط فالافراط ما يكون فوق قدر الحاجة الضرورية على خلاف الشرع او على وفق الطبع والتفريط
ان ينقص عن قدر الحاجة الضرورية وتقصر فى حفظ القوة والقيام بحق العبودية **قال** الشيخ ابو بكر رض
قال لما نزلت هذه الاية امرنا بالصلوة فى النعلين وهذا حال من يكون فى الصلاة سائرا فى الايمان التي يناجي
بها ربه منزلا منزلا فان نعليه يلبسهما الماشي دون القاعد وقيل لموسى عليه السلام اخلع نعليك فقد وصلت فانه كلمه
بلا واسطة ودون ذلك رتبة المصلي بالنعلين المناجي ربه فان المناجاة تقل فلا علين فلا بد من لباس النعلين وهي
مقام الصلوة يتضمن نضرتها للعبد حقيقة آية اللباس الخلاء وآية الاكل والشرب الاسراف فيها لحق
تفرد بكمال الغفور ورحمته على عباده سد لهم آية اللباس بقوله عند كل مسجد اى فى مظان الظل والاستكانة المصورتين
بصورة السجود فانه اذا وصل العبد الى هذا المقام وقد يسجد قلبه سجود الابد كما اسلفناه من قول سهل عبد الله التستري
حيث سال عن شيخه ايسجد القلب قال الى الابد لم يخرج الزين بالالبسة البهية وسد آية الاكل والشرب بقوله ولا
تسرفوا بالتوقي عن الحرام ورعاية الاداب فى الحلال فان من لوازم الامرين لم يخرج اكل الاطعمة والاشربة المشتهية وفي خطاب
الناس بعنوان بني آدم تذكر لهم بما جرى لابيهم آدم عم حيث اخذ الزينة فى غير المسجد اعني غير المسجد اعني ارض الجنة فرغب
عنه وافرط اكل الشجرة فاخرجت من الجنة فلسببه له **قل من حرم زينة الله** من الثياب وساير ما يتجمل به **التي اخرج**
لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعدن كالدروع **والطيبات من الرزق**
المستلذات من الماكل والمشرب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من
للانكار **قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا** بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فهي لهم بالتبع **خالصة يوم**
القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع انها خبر بعد خبر **كذلك نفصل الآيات لقوم**
يعلمون اى كتفصيل هذا الحكم نفصل ساير الاحكام لهم **قال** ارباب الطريقة قل من حرم زينة الله اى من يمنعكم عن
طلب الكمالات التي اخرجها الله تعالى من خزائن جوده لخواص عباده وحرم عليكم نيل هذه الكرامات والمقامات ممن تصدى
لطلبها وسعى لها سعيها فهي مباحة له من غير قصور فزينة الله تعالى هو ما زين به الابدان من الشرائع وزين به النفوس من

للاداب ويزين به القلوب بمر الشواهد وانوارها وزين به الارواح من المعارف واثمارها والطيبات من الرزق

هي رزق الموردات والمشاهدات وعلوم الاخلاص والتوكل والرضا والتمكين فهذه الكمالات للذين

آمنوا في الحيوة الدنيا مشوبة بشوائب الفتور في الشرائع وهو الذي هو عن الاداب والتلوين في المقامات في

الا نتقال في الاحوال وهي لهم خالصة عن هذه الافات والكدورات النفسانية في النشاة الاخروية كما قال

ونزعنا ما في صدورهم من غل قال الشيخ رحمه الله زينة الله صفته فمن تخلق بصفات الله فقد تحلى بزينة الله التي

اخرج لعباده **قل انما حرم ربي الفواحش** ما زاد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج **ما ظهر منها وما بطن**

جهرها وسرها **والاثم** يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر **والبغي** الظلم او الكبر افرده بالذكر

للمبالغة **بغير الحق** متعلق بالبغي موكد له معنى **وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا** تنبيه على تحريم اتباع

ما لم يدل عليه برهان **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقوله والله امرنا

بها **اشارة** الفواحش ما يقطع على العبد طريق الرب ويمنعه عن السلوك فيه ففاحشة العوام ما ظهر منها

ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع الانفس نصيب فيه ولو بذرة وما

بطن الصبر عن المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الاداب والتعلق بسبب من الاسباب وما

بطن الركون الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم هو الاعراض ولو طرفة عين كما قيل

لو ان احدا قبل على الله من عمره ثم اعرض عنه طرفة عين كان ما فاته اكثر مما حصله والبغي هو حب غير الله فانه وضع شيء

في غير موضعه وان تشركوا بالله يعني وان تستعينوا بغير الله ما لم ينزل به سلطان اي ما لكم به حجة ودخصة من

الشريعة المنزلة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي وان تحكموا بفتوى النفس وهواها او بقولها ونظر العقل على

الله لا تعلمون حقيقتها **ولكل امة اجل** مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة **فاذا جاء**

اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم على ما قدر الله في الازل **لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون**

اي لا يتقدمون ولا يتاخرون اقصر وقت او لا يطلبون التقدم والتاخر لشدة الهول **يا بني ادم اما ياتينكم**

رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط جوابه **فمن اتقى واصلح** اي من اتقى التكذيب منكم

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذكر ادوات الشك في الشرط للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز

غير واجب كما زعمه بعضهم وضمت اليها ما للتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون **والذين كذبوا باياتنا**

منكم واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ادخال الفاء في الجزاء الاول

دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد اشارة الى بني آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهامه و

ذلك قوله يا بني آدم اما ياتينكم رسل اي ان ياتكم اشاراتي والهاماتي منكم اي عن انفسكم يعني من طريق قلوبكم واسراركم

يقصون عليكم آياتي يخبرونكم عن الفجور والتقوى فمن اتقى بالله عن غيره واصلح ما بينه وبين الله فلا خوف عليهم من الانقطاع عن

الله ولا هم يحزنون على ما فات لهم في طلب الحق عن وجدانه والذين كذبوا باياتنا واشاراتنا والهاماتنا وا

ستكبروا عنها بترك الالتفات اليها اولئك اصحاب النار اهلها الذين خلقوا لها هم فيها خالدون في نار القطيعة

لا سبيل لهم الى الخروج منها قال ارباب المعرفة من اتقى النفس في الفناء واصلح بالاستقامة عند البقاء فلا خوف

عليهم ولا هم يحزنون لانهم في مقام الولاية والذين كذبوا باياتنا اي خفوا صفاتنا بصفات انفسهم واستكبروا

عنها بالشيطنة اولئك اصحاب النار نار الحرمان هم فيها خالدون **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا**

او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله وكذب ما قاله **اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**

مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه **حتى اذا جاءتهم رسلنا**

يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدا بعدها

الكلام **قالوا** جواب اذا **اين ما كنتم تدعون من دون الله** اين الالهة التي كنتم تعبدونها و

ما وصلت بابن في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة **قالوا ضلوا عنا** غابوا عنا **وشهدوا**

على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه **قال ادخلوا** اي قال الله

لهم يوم القيمة او احد من الملائكة **في امم قد خلت من قبلكم** اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم **من**

الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين **في النار** متعلق بادخلوا **كلما دخلت امة**

اي في النار بالاعمال التي عملت بها **لعنت اختها** اي الامة التي سنت هذه الاعمال قبلها **حتى اذا**

اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار **قالت اخريهم** دخولا او منزلة وهم

الاتباع **لاوليهم** اي لاجل اولهم اذ الخطاب معهم لا مع الله **ربنا هؤلاء اضلونا** سنوا لنا الضلال

وقطعوا علينا طريقنا اليك باقوالهم وافعالهم **فاتهم عذابا ضعفا من النار** مضاعفا لانهم ضلوا و

اضلوا **قال لكل ضعف** اما للقادة فبكفرهم وتضليلهم واما للاتباع فلكفرهم وتقليدهم **ولكن لا تعلمون**

ماذا تستحقون من العذاب وماذا تستحقه قادتكم منه او لا تعلمون انكم ايضا كنتم مضلين لمن بعدكم كما كان

من قبلكم **قالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل** اي فقد ثبت اذن ان لا فضل

لكم علينا فانا واياكم متساوون في استحقاق العذاب **فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** الظاهر انه

من قول القادة وجاز ان يكون من قول الحق تعالى **تنبيه** حدوث الحوادث امور معتبرة فيها الترتيب

المخصوص بالنظر الى زمانين واما الخارج عن الزمان فلا ترتيب عنده بل الكل عنده واقع في الحال وهو الان الدائم

الذي يدخل فيه الماضي والمستقبل فالحوادث باسرها مشهودة للحق في ذلك الان فكان مقتضى ما هو عنده ان يجزي

عن الجميع بصيغة الحال ومقتضى ما هو عندنا ان يخبر عن قليل زماننا بالماضي وما هو بعد ذلك بالمستقبل ولكنه تعم الحكمة
استاثر نفسه بمعرفتها قد يعدل عن مقتضى الظاهر فيعبر عن بعضها بالآتي وان كان مما قد مضى كما في قوله عم
قال اهلكوا في امم قد خلت من قبلكم ويبلغ علم اهل الظاهر في امثال هذا اشعار بتحقق الوقوع فكانه لعالم تحققه امر قد
فرغ عنه ولاهل الاشارة ان يقولوا ان من فوايده التنبيه على ان الترتيب الذي يعتبره اهل الزمان امر يقف دون
المدارك البشرية بحيث لها ان تعداه ما دام في قيد الزمان ولا ثبوت له في نفس الامر في حضرة الجمع والاطلاق والله اعلم
بحقيقة الحال **ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها** اي عن الايمان بها **لا تفتح لهم ابواب السماء**
اي لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم ليتصل بالملاء الاعلى والتاء في تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقراءة ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء للفصل **ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط** اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسالك
وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل بسكون العين وهو الحبل الغليظ العنب **وكذلك**
مثل ذلك الجزاء الفظيع **نجزي المجرمين** اشارة ان الذين كذبوا بآيات الله وهي السنن الحسنة المنزلة على الانبياء
وما اظهرها الله على الاولياء من الكرامات والعلوم الربانية فانكروا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها والايمان بها
لا تفتح لهم ابواب السماء ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون الجنة جنة القرب والوصلة حتى يلج الجمل جمل
النفس المتكبرة في الخياط وهو مدخل الطريقة التي بها يزكى النفوس الامارة ويزكى لنفسه مطمئنة فيستحق بها خطاب ارجعي الى
ربك لاية فالمعنى ان النفس المتكبرة لما صارت كالجمل بتكبرها لا يصلح لدخول جنة الحقيقة والقربة الا بعد تزكيتها باحكام الشريعة
وآداب الطريقة حتى يصير التركيبة في ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله دق من الشعرة بالف مرة فيلج
في سم الخياط الفناء فيدخل الجنة جنة البقاء **لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش** غطية
والاعراب فيه مقدر لحذف اللام وقرئ غواش على الفاء المحذوف **وكذلك نجزي الظالمين** عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من
الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام **حقيقة** ان الذين كذبوا بآياتنا بذعن الآيات
التوحيد ودفع توهم الاثنينية ووجود الاغيار واستكبروا عنها برسوخ القدم في اثبات انانيتهم والترفع عن مقام
محو افعالهم وصفاتهم وذواتهم لا تفتح لهم للمذكورين من حيث اتصافهم بعدم الاذعان ابواب لسماء سماء الروح
بنزول الفيوض الربانية منها ولا يدخلون الجنة جنة القلب المشتمل على مجامع اللذات العلمية والاعمالية والاحوالية حتى
يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يعبروا عن مسالك مفاوز الحس الى منازه حضاير المثال المطلق فهناك يذعنون لآيات
التوحيد وينتهون عن توهم شهود الوجودات واثبات الكثرات ووجه الاشارة الى عالم المثال وولوج الجمل في سم

الخياط هو ان ذلك الامر وامثاله انما يتحقق في ذلك العالم فانه مشهد يتجلى فيه عن المحالات عين المحالية ويجمع فيه المتقا
بلات والاضداد كما يشهد فيه الخيال الانساني الذي هو جدول من ذلك البحر وقد ذكر الشيخ الاكبر رضي انه عالم
المثال اقرب المشاهد الى الحضرة حيث يجمع الاضداد كما ان الذات الالهية يجمع الصفات المتقابلة هو الاول والآخر و
الظاهر والباطن وكذلك نجزي المجرمين بتكذيب الآيات لهم الى المذكورين من حيث اتصافهم بالاستكبار عن التوحيد
بفناء الافعال والصفات والذوات لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اي احاطت بهم سرادق نار البعد والقطيعة
لم تدع لهم منها مخرجا الا وقد سد عليه لانهم اهلها المخلوقون لها وكذلك نجزي الظالمين بالاستكبار عن آيات التوحيد
فانظر الى حسن ترتيب التراكيب القرآنية وتناسب خواصها كيف جعل المجرمين ناظرا الى المكذبين من غير استكبار و
لحقوق حرمانهم ابدا ستوقع تحققها اما في النشأة الدنيوية بالكشف الملكوتي وبعد الموت بالاشتغال الى ذلك المشهد
وجعل الظالمين ناظرا الى المتكبرين ولم يجعل لعذابهم امدا فان عقوبة شقاوتهم لا يبجل بحال **واعلم** وفقك الله لفهم
اسرار كلام الله والتفطن لحقائق معانيه ودقائق مبانيه ان ابواب السماء تنفتح فيما يتعلق بحال العباد لامرين احدهما
لعروج ارواحهم والثاني لعروج اعمالهم اما الاول فهو ان النفوس الجزئية البشرية بعد الانسلاخ عن الابدان
العنصرية يحشر في البرازخ العلوية والسفلية بابدانهم المثالية المجعولة من اعمالهم الحسنة والسيئة فصاحب الاعمال الحسنة
يحشر في صورة نورية لطيفة قابلة لان تصعد الى البرازخ العلوية التي هي النفوس المنطبعة الفلكية وصاحب الاعمال
السيئة يحشر في صورة ظلمانية كثيفة توجب حشره وحبسه في البرازخ السفلية الارضية ومعنى فتح باب السماء لعروج
تلك النفوس هي ان كل نفس من النفوس المنطبعة الفلكية يكون كمنزل ومأوى لجملة من النفوس الجزئية البشرية فتفتح منه
باب لولوجها فيه وتلك النفوس الفلكية لطايف ملكوتية لتلك الافلاك وعالم الملكوت مستور في عالم الملك ابدا فتحا
الصور والاوضاع والاحوال الملكية لا محالة فاذا انفتح من النفوس الفلكية بحسب المعنى ابواب للنفوس البشرية فلا بد
من ان تنفتح من السموات لها بحسب الصورة ابواب ضرورة التطابق بين نشاتي الملك والملكوت يستر فيه فيفتح
اذا صعد بروح عبد سعيد باب من السماء كذلك لا محالة لا يكون النفس المنسلخة عن البدن العنصري محتاجا الى فتح باب
السماء فان اجرام السموات لا تحجب النفوس عن صعودها هذا مع ان عالم البرزخ لا يخلو عن حكم طرفي الجسمية والروحية
فالبدن المثالي يحكم عليه الطرفين فصعوده الى السماء يقتضي انفتاح الباب المعنوي والباب الصوري قضاء لحق حكم
الطرفين وفي هذا المقام من الاسرار ما لا يفي بابرازه اسفار من الكتب يلهم الله به من عباده بتحرير ما لوحنا به من
يشاء متى شاء وهو الملي بذلك **واما الثاني** فهو ان لله تعالى ملايكة يتعاقبون لرفع اعمال عبادهم كما ورد
بيانه السنة في احاديث كثيرة وكذا تعم في كل سماء ملك مأمور بان يمنع عن صعود العمل اليه حيث لم يكن مشروطا
بشرائط القبول ولا عليك ان قلت هو روحانية ذلك الفلك ونفسه الملكوتية المدبرة لصورة الملكية فانه كما يمنع

صاحب العمل عن العروج اليه بعد الموت يمنع عمله عنه في ايام الحيوة الدنيوية وقد اورد سيدنا ابو حامد الغزالي
حديثا في قوادح العمل المانعة عن عروجها الى السماء هو جدير بان يجعله المؤمن نصب عينه لتصرف نظره عنه
طرفة عين ويتوغل فيه لاصلاح حاله مدة عمره ما عاش وهو ما روى ابن المبارك باسناده عن رجل انه قال
لمعاذ رض يا معاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت
ثم قال سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي يا معاذ اني محدثك بحديث ان انت حفظته
نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك
قبل ان خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح
الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه وناصيبه لغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري ثم يأتي الحفظة بعمل العبد
تزكيه وتكثره حتى اذا بلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد
بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة
وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال و
تصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري وله دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى
السماء الرابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان
لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل العمل ادخل العجب فيه قال ويصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز به الى السماء
الخامسة كانها العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على
عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله فكل من كان يأخذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقع فيهم امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصوم وحج وعمرة فيجاوزون الى
السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه
بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صوم
ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي انما اراد به غير الله انه اراد
به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا
فهو رياء لا يقبل الله عمل المرائي قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله

وتشيعه

وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الخالص لله فيقول الله لهم سبحانه
وتعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة عليه لعنتك
ولعنتنا ولعنة السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت بابي وامي يا رسول الله من ينجو من ذلك قال اقتد بي يقينا قال قلت يا رسول
الله انت رسول الله وانا معاذ وان كان في عملك نقص يا معاذ احفظ لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك
عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك
كي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة
قلت بابي وامي يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه وحسبك من ذلك ان تحب
للناس ما تحبه لنفسك وتكره للناس ما تكره لنفسك **فصل** في شرح طرف من هذا الحديث وكشف مراده قوله اراد
بعمله هذا عرض الدنيا يريد انه كان يقصد بعمله التوسل الى الناس في استجلاب الخير منهم في الدنيا لا من يجعل التوسل به الى الله
في حصول الحظوظ الدنيوية فانه داخل في جملة من قال فيهم في المرتبة الثانية انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري ومتعلق هذا الذم
من الشخص دناءة همته وسفاهة رأيه حيث يجعل عبودية الله وهو التشريف الالهي الذي خص الله تعالى به عبده في مقابلة ما لا يستوي
به ولا يقاربه وكان عليه لو كان كيسا ان لا يقصد بعبوديته غير وصال معبوده قوله اراد به غيري يريد انه جعله وسيلة يطلب بها
منها ما يصح طلبه من الحظوظ المشروعة والكشوف والاحوال في الدنيا ونعيم الجنة في الآخرة فان ذلك ايضا قادح في صحة النية قوله
عليه لعنتي يريد به العبد عن مشهد شهود الجمال والحرمان عن نعيم الزوال الوصول والوصال والاحتجاب بحجب العزة عن حرم ذي الجلال
فان قلت طلب الحظوظ الاخروية مندوب اليها وكذا الحظوظ المشروعة الدنيوية وقد مدح الحق تعالى من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة فكيف يتعلق به الذم قلت الذم هو جعل العبادة في مقابلة الحظوظ دون طلب الحظوظ بالدعاء فانه محمود على كل
حال قوله انه ليسير على من يسره الله عليه لا يخفى عليك ان الانسان لا يكاد ان ينجو عن هذه المهالك ولا يصفو عبادته عن شوب شيء
من هذه الشوائب الا بالتحقق بمقام التوحيد بفناء الافعال اولا فلا يرى لنفسه ولا لغيره حولا وقوة ولا عطاء ومنعا فينجو بذلك عن
المهلكة الاولى والثانية الغيبة واستجلاب الخير من الاغيار وبفناء الصفات ثانيا فلا يرى لنفسه ولا لغيره صفة من اوصاف الكمال
بل يرى الكمال بالكلية لله تعالى فينجو بذلك عن المهلكة الثالثة والرابعة والخامسة الكبر والعجب والحسد وبفناء الذات ثالثا فلا يرى
لنفسه ولا لغيره وجودا حقيقيا بل يرى الكل موجودا بوجود الحق تعالى فينجو بذلك عن مهلكة ترك الرحمة لانه بذلك ينظر الى الكل
من حيث انها مظاهر اسماء الحق تعالى ومجال صفاته فيوقرهم ويعطف عليهم وعن مفاسد الرياء والسمعة والعمل لغير وجه الله
تعالى لكون الاغيار معدومة في نظر اعتباره ثم ان هذه الاخلاق الردية وهي امهات المهلكات النفسانية لا تكاد ينقطع موادها
عن النفس فانها صفات لازمة لها لا تنطفي نائرة واحدة منها من الا ويشتعل باثارة الدواعي لها مرة اخرى وكلما
يزيد السعي في ازالتها الساعي ولو قام على ساق الاجتهاد سنين الا اضاعة بضاعة الوقت وانما العلاج معول عليه في ازالة

لوا القصال هو قطع توهم شركة الكثرات في الوجود بفناء الافعال والصفات في الذات على ما مهدناه انفا فان منشا جميع زوال
الصفات اثبات الوجود بتوهم الاغيار واحسن تمثيل مثل به في ذلك المعنى سيدنا الغزالي فقال ان ذلك كمن كان مستظلا بشجرة
في ارض فلاة لا يكون بها شجرة سواها وقد اوى اليها العصافير وهو يريد ان يطالع في كتاب ويتامل في دقايق مسائله تحت تلك الشجرة
وقد دعت العصافير فيها اصواتها بالصفير الموحش للطبع ويشوش عليه الوقت وينغص عليه العيش فيقوم الرجل فيسعى في تنفيرها
عنه ويفرغ الخاطر عن ذلك لا ذى فيشتغل بالتامل والتفكر فلا يعود بصفاء الخاطر وفهم المعاني الا والعصافير قد عادت الى ما كانت
عليه من الاجتماع عليه وتنفير الطبع بصفيرها فيقضي في ذلك الزهاد والعمر على نفسه وقد سئم من ذلك غاية السامة اذ جاءت
رجل حكيم في مصالح الامور فقال هذا الشيء لا يجدك بطائل ولا يزيدك الا ساءة في النفس وكلالا في البدن وانما عليك
ان شئت التخلص عن هذا المكروه ان تقطع هذه الشجرة وتستاصلها فانها ما دامت باقية بحالها لا ينقطع عنها الطيور المصوغ
ولا يندفع عليك التاذى بها فالشجرة شجرة الوجود المجازي والعصافير الاخلاق الذميمة ورذائل الصفات النفسانية
المستظل طالب الحق لا نجاة عن مهالك النفس الا باستئصال شجرة الوجود المتكثرة والرجوع من الكثرة الى الوحدة والاستراحة بها
عن زحمة الكثرة وهذا هو الامر الصعب الذي هو يسير على من يسره الله عليه وعزم الله لنا عليه والتوفيق **والذين امنوا و**
عملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها قدر استطاعتها **اولئك اصحاب الجنة هم فيها**
خالدون الجملة خبر الذي ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب لاكتساب الجزاء تيسيرا لهم وتسهيلا عليهم
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وعن سيدنا علي كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي للعمل الذي كان جزاؤه هذا النعيم والسرور **وما**
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام مزيدة لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى **لقد جاءت رسل ربنا بالحق** فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك تبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة **ونودوا ان تلكم الجنة** ان مفسرة
للنداء والاشارة الى ما راوها من بعيد او **اورثتموها بما كنتم تعملون** اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة
العامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم قال عليه السلام ما من احد الا وله منزلة في الجنة ومنزلة في النار فاما الكافر
فيرث المؤمن منزلة في النار واما المؤمن فيرث الكافر منزله من الجنة **حصة** قد استفاد من كلام الشيخ رضي الله عنه ان
الجنات ثلث احدها جنة الاعمال وهي في مقابلة الاعمال الصالحة والثانية جنة الوراثة وهي من نتايج الايمان وذلك ان الله
تعالى جعل لكل كافر منزلا في الجنة يدخله لو امن بالله فاذا كفر ودخل النار يكرمه ويورث مؤمنا من المؤمنين ذلك المنزل والثالثة
جنة الاختصاص وهي محض الموهبة ليست في مقابلة ايمان ولا عمل يحظى بها اهل الايمان والعمل ويشاركهم فيها خلق يجلهم الله

ذكر الكتاب النعيم المقيم باب ... قاضي

ونقل عن علي رضه ... قاضي

اذ اراها من بعيد او بعيد ... والمنادى له بالذات قاضي

رأه في المواقع الخمسة هي المختص ... قاضي

بها

112

بها بخصوصها لا يكون لهم من الجنتين الاولين نصيب واذ قد تمهد ذلك فنقول الاية مشتملة على ذكر الجنات الثلاث بلسان الاشارة
فذكر الجنة اولا واراد بها الجنات بجعل الجنس في موضع الجمع ثم اشار الى جنة الاختصاص بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي التوفيق
على هذا العطاء الجليل بمحض فضله وما كنا لنهتدي له لولا ان هدانا الله انها ليست من نتايج اعمالنا بل هو فضل بشرنا بها لما كانت
جنة الاعمال بالمشاكلة واشار الى جنة الوراثة بقوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها والى جنة الاعمال بقوله بما كنتم تعملون اي
مع الجنة التي هي اجر عملكم هذه جنة الوراثة فالاشارة لكونها غير معلومة لهم كجنة الاختصاص وبالاشارة البعيدة لانها
كانت مخلوقة لغيرهم وجعل الجنة الاعمال عين اعمالهم لانها تكون منها تطلب العرض جوهرا كما قال عليه السلام ارض الجنة قيعان
اشجارها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فضل جنة الاختصاص عن اختيها في الذكر لانفرادها بكونها غير
مسبوقة بسبب وجمع بين الاخريين لسبق المسببين وقرن احداهما بالاخرى بباء المصاحبة اشارة الى ان الايمان لا يتم
دون العمل وفي الاية من الاسرار ما لا يسعه الاسفار **ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا**
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما سائهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم كالبعث والحساب قالوا نعم
وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان **فاذن مؤذن** قيل هو صاحب الصور **بينهم** بين الفريقين **ان لعنة الله على الظالمين**
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب **الذين يصدون** يصرفون الناس **عن سبيل**
الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب **ويبغونها عوجا** زيغا وميلا عما هو عليه **وهم بالاخرة**
كافرون **اشارة** نادى اصحاب الجنة اي ارباب الجنة اصحاب النار يعني اهل نار القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا اي فيما قال الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا اي فيما قال ومن طلب غيري لم يجدني قالوا نعم قد
وجدنا حقا فاذن مؤذن العزة والعظمة بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه
وصرفوه في غير مصرفه وهم الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويبغونها عوجا اي يصرفون وجوههم
الى الدنيا وما فيها **وبينهما حجاب** اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار لمنع وصول اثر
احدهما الى الاخرى وذكر الشيخ رضه ان الحجاب هو سور الجنة وهو الفلك المركب الذي يكون الجنة والنار فان طبقات
الجنان منه وبين الاطلس ودركات النيران ما تحته من السموات السبع والارضين **قال** صاحب التاويلات وبينهما
حجاب اي بين اصحاب الجنة واصحاب النار حجاب بكل منهم محجوب عن صاحبه والمراد باصحاب الجنة هنا اهل ثواب الاعمال من
الابرار والزهاد والعباد الذين جنتهم جنة النفوس واما اهل جنة القلوب والارواح لا يحجبون عن اصحاب النار
وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره
اعرف من غيره **رجال** طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت

درجاتهم كالانبياء او الشهداء وخيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال **يعرفون كلا** من اهل الجنة
والنار **بسيماهم** بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه او سواده من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم
على الفعل كالجاه على الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم من الملائكة **ونادوا اصحاب الجنة ان سلام**
عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم **لم يدخلوها** لم يدخل الجنة **وهم يطمعون** جملة مستانفة ان اريد بهم المقصرون
اي وهم يطمعون دخول الجنة وحال عنها لو ان اريد بهم اصحاب الدرجات العالية اي لم يدخلوها طامعين فيه
المنع الى قيد الطمع دون مطلق الدخول فيكون مدحا لهم بذلك وفي الخبر اذا اقتضى مدة في عباده يوم القيمة فيدخل
اصحاب النار النار واصحاب الجنة الجنة بقي قوم منهم مجتمعين في ناحية فاني في الجنة واعين ولا عن النار فبعث
الله نعم اليهم ان يا عبادي ما منعكم عن دخول الجنة وقد اعددتها لكم والحب نعيما عليكم فطيبوا بها نفسا وادخلوها
امنين فيقولون ربنا انك تعلم انا ما كنا طالبين منك الجنة وما كان طاعتنا لك للرغبة في نعيمها وانك تعلم ما كنا
منك فيقول لهم الحق تعالى يا عبادي اني اعلم انكم ما اردتم بطاعتكم غيري وما كان لكم رغبة الا في لقائي فاخلوا جنتي
وكلوا منها ما طلبتم مني فضلا والعلم عند الله تعالى هم الذين قال فيهم لم يدخلوها وهم يطمعون بالوجهين المذكورين فعلى
الاول معناه لم يدخلوها وانهم يطمعون وصال ربهم ولقاءه وعلى الثاني معناه لم يدخلوها طامعين فيها بل مشتاقين لامر ربهم
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني انهم لا ينظرون اليهم نظر رغبة فكان صارفا صرف ابصارهم
اليهم **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** اي في النار **ونادى اصحاب الاعراف رجالا**
يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفر **قالوا ما اغنى عنكم جمعكم** ما منع العذاب عنكم كثرتكم او جمعكم
المال **وما كنتم تستكبرون** عن الحق او على الحق وقرئ تستكبرون من الكثرة **اهؤلاء الذين اقسمتم**
لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم
في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون** اي فالتفتوا الى
اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق لكونهم اصحاب الدرجات العاليات او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل
الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا قال الشيخ الاكبر رضي وعلى الاعراف رجال هم اعظم
الرجال في منزله فان لهم الاستشراف على المنازل وهذا غير الاعراف التي فيها من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فالاعراف
في الاية سور الذي بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب وهو النار ولم يجعل السور محلا
لعذاب وجعله محلا للرحمة فاهل الاعراف في محل رحمة الله لهم الموقف لمقام الخلق ولم يدخل الجنة بعد لانهم في مقام الكشف
فلو دخل الجنة استرغبهم بدخولهم فيها لانها جنة عن كشف ما هم بها كاشفون هذا الكلام وذكر في موضع آخر صفة الاعراف
الذي فيها من تساوت حسناتهم وذلك يكون في محشر القيمة فيحبسون فيها الى ان يأمر الخلائق بالسجود فلا يبقى اذا احد كان يسجد لله

الا وقد يسجد

الا وقد يسجد ويسجد اهل الاعراف فيترجح بتلك السجدة حسناتهم لان تلك السجدة يكون معدودة في العبادة لكونها مأمورا بها
فقد يحقق بذلك ان الاعراف اثنان احدهما في الارض المحشر والثاني في الجنة كما ان الكوثر اثنان احدهما في الارض المحشر
وهو في صورة الحوض والثاني في الجنة وهو في صورة النهر كما شهد بذلك النقول والله اعلم بحقيقة الحال قال في بحر الحقائق
بين اهل النار واهل الجنة حجاب هو من اوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة من وراء ذلك
الحجاب وبين اهل الجنة واهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب وهو من اوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية فلا يرى اهل الجنة
اهل الاعراف من وراء ذلك الحجاب كما قال تعم وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم يعني ان اهل الاعراف يعرفون اهل
الجنة واهل النار بما يتوسمون في سيماهم من اثار نور القلب وظلمته وسميت الاعراف اعرافا لانها بواطن اهل المعرفة وانما سمى الله اهل
المعرفة رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون في الاكوان تصرف الرجال في النساء ولا يتصرفون فيهم شيء منها كقوله تعم رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وحيثما ذكر الله تعم الخواص ذكرهم باسم الرجال قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ورجال يحبون ان يتطهروا الاية ان وجه الامتياز بين الخواص والقيام بالرجولية في طالب الحق وعلو الهمة واصحاب الاعراف
بعلو همتهم رفعوا عن حضيض البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان وما التفتوا الى نعيم
الدارين وما ركنوا الى كمالات المنزلين حتى عبروا على المكونات واقاموا على الاعراف وهي مرتبة فوق الجنان في حضائر القدس
عند المليك الرحمن وهم مشرفون على اهل الجنة واهل النار فاذا اشرفوا على اهل الجنة نادوا اصحاب الجنان سلام عليكم يعني
هنيا لكم ما انتم فيه من النعيم المقيم الحور والقصور ثم اخبر عن علو همتهم فقال لم يدخلوها وهم يطمعون اي شاهدوا نعيم الجنة
ودرجاتها ولم يركنوا الى شيء منها فعبروا عليها ولم يدخلوها وهم على الاعراف يطمعون الوصول الى الله والدخول في الجنة التي
اضافها الحق تعالى الى ذاته نفسه بقوله وادخلي جنتي واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار لرويتهم اهدانه نظر من اية دركهم
حلمهم وبانه كرامة خصهم من عرفها فقدرها نعم الله عليهم بروية هذا القبيل يكون ببيع ارباب الكمالات من خواطر النفسانية
وما ابتلاهم الله تعم بشيء من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله في الخلوة
في اداء حق شكر ورد النعمة قالوا مع منعم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي بعد خلصنا من اوصافهم واخلاقهم ودركاتهم
وما بينه لا تجعلنا مرة اخرى من جملتهم ولا يدخلنا في زمرتهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من اهل الجنة
واهل النار فانهم يعرفون كلا بسيماهم قالوا بعض المعرفين ما اغنى جمعكم يا اهل النار وما كنتم تستكبرون على اهل الله يا اهل
برحمة من الوصل والوصال ويا اهل النار برحمة من دخول الجنة ثم تقول الله تعم لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة اي الجنة
المضافة الى حضائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج عنها ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ من يشهد
جمالنا ووجد وصالنا **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء** اي صبوه وهو
دليل على ان الجنة فوق النار **او مما رزقكم الله** من سائر الاشربة ليلايم الافاضة وجاز ان يكون من الطعام كما

يعني بقوله الذين اقسم ... الذين اقسم رتهم الله اهل النار الحنة ...

١١٢

اصحاب م

كما يقال علفتها تبناً وماءً بارداً قالوا ان الله حرمهما على الكافرين سقيهما عنهم كما يمنع المحرم على المكلف الذين
اتخذوا دينهم لهواً ولعباً لتحريمهم البحيرة كالتصدية حول البيت قبل الاسلام فانهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب والظاهر في الفرق ان اللهو يقال فيما يطلب به غرض نفسانى دون اللعب فانه يقال فيما هو عبث
محض ولذا لا ينسب الا الى الصبيان وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في
النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله دقيقة نادى اصحاب نار الحرمان المشتغلون بلهو المال ولعب الجاه في اوقات
سامتهم عنهما بمقاساة الشدائد المنقضية لها اصحاب الجنة اى اصحاب التجريد والتفريد المجتنبين عن اهل المال والجاه
الهاربين عنهم حذراً عن آفات مخالطتهم افيضوا علينا من الماء من ماء العلوم والمعارف او مما رزقكم الله يعنى الاحوال التي
خصكم الله بها من المكاشفات والمعاينات والكلمات قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين ستروا الحقيقة بالمجاز
فآثروا المال والجاه على الدين والحظوظ الدنيا على الآخرة فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم اى لقائنا في يومهم هذا
وكانوا بآياتنا واحوالنا وتنبيهاتنا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام
والمواعظ والزواجر مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه على
سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل
ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاءوا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا
على فيشفعوا فيجى الاول المسئول احد الامرين الشفاعة او ردهم الى الدنيا وعلى الثاني ثبوت الشفعاء لاحد الامرين
قوله تعالى فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم
بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون اى بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام هي يوم الاحد الى يوم الجمعة واما يوم السبت فقد انقطع فيه العمل
وبذلك سمى سبتا وتفصيل ذلك مبين في سورة فصلت وفي التدريج المذكور في خلقها مع القدرة عليه دفعة تعليم للعباد
وحث لهم على التأني في الامور قيل المتعارف من اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ ولكنك تقول المقدر
بطلوع الشمس الى غروبها وهو النهار ومطلق اليوم وهو نهار وليلة فيقدر بحركة الفلك الاطلس وهو مقدم على خلق السموات
المذكورة هنا فان السموات حيث وردت في القرآن اريد بها السبع الطباق غير الاطلس والكوكب ثم استوى على
العرش استوى امره او استولى وقالت الاشاعرة انه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار

والتمكن

والتمكن والعرش جسم محيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه حقيقة
اعلم ان حقيقة الزمان اعتبار نشأ من نسبة الوجود المطلق الى الماهية نسبة مجهولة الكيف مترتب عليها خروج الحقائق من الغيب
الى الشهادة فيكون الوجود عند ذلك وجودا خارجيا فيكون الزمان معتبرا حيث اعتبر ذلك الوجود الخارجي روحا ومثالا وجسما و
ذلك ان تعين الوجود الخارجي الذي هو ظل حقيقة الوجود يلزمه الحركة والتقلب في كل آن في شان مخصوص كما قال الم تر الى ربك كيف مد
الظل ولو شاء لجعله ساكنا اى لو شاء سكونه فلم يسكن ابدا وكيف لا والعدم وصف ذاتي للممكن فهو بمقتضى ماهيته في ذاته عائد في
١١٤ كل آن الى العدم والحق خلاق للموجودات في كل آن لا ينقطع عنه خلاقيته ابدا واذا كان الوجود دائم الحركة متقلبا بحسب الآنات في
الشئونات فلا غيره … في ظهوره انه المتعاقبة على حقيقة واحدة بتجدد الامثال مشار اليه بقوله بل هم في لبس من خلق جديد وفي
في ظهوره انه الاستمرار لامتناع انقطاع فيض التجلي من المبدا الفياض ومقدار استمرار تلك الحركة في الوجود هو الزمان فالزمان الذي
هو مقدار الاستمرار حركة الوجود في تعيناته الغير المتناهية من الازل الى الابد لا مقدار حركة الفلك الاعظم فان ذلك انما يستعمل
في زمان الجسمانيات واما التقطيعات المعتبرة فيه من اليوم والشهر والسنة فعبارة عن جماعة من الآنات المتناسبة عليها علامات
في كل عالم بما يناسبه من ذلك كما هو في عالم الاجسام من الدورة الاطلسية يوما والدورتين المحسوستين لفلكى القمر والشمس شهرا او سنة هذا
هو المتعارف فيما بين الناس من المقادير تبنى عليها حسابهم وقد جاز ان تعتبر مقادير اخر لذلك كدورات سائر الافلاك لكن لم
يتعارف بينهم اعتبارها فقد تحقق لك بما بيناه من تحقيق معنى الزمان انه في عالم الغيب آن واحد يجمع فيه الماضي والمستقبل ويندرج
فيه التقطيعات المذكورة اندراج التعينات … في ذلك الآن الحوى عليها بالقوة ولما كان العقل الاول وهو الروح الاعظم اول كائن
اجمالي كان اول ما اعتبر معه الزمان لكن على وجه الاجمال وكانت التقطيعات المذكورة معتبرة معه اجمالا فتفصلت في مرتبة
النفس ولذلك لا يدرك التفاصيل الزمانية الا النفس الجامع بين جهتي الروح والبدن فكما ان اعتبار العقل الزمان نشأ من ازدواج
الوجود بالمهية كان اعتبار تقطيعاته ناشئا من ازدواج الروح بالجسم هذا هو تحقيق معنى الزمان وتفاصيل اجزائه على وجه الايجاز واما
وقد تبين لك بهذا كون خلق السموات والارض وكذلك خلق سائر الاجرام مسبوقا بالايام وهي حينئذ معلمة بعلامات تناسب ذلك الموطن غير
العلامات التي عليها في عالم الاجسام فكان الحق تعالى قد خلق السموات والارض في ستة ايام من تلك الايام وقد … الحكم بذلك … اشكال
ويبين حقيقة الحال فان قلت ما وجه اعتبار الاسابيع في الزمان وليس لها في عالم الاجسام ما يكون علامة عليها قلت
اعتبار الاسبوع مبتنى على امر معنوي غير مشهود الا لارباب الشهود وهو ان انتظام امر الايجادي من المبدا الفياض بالصفات
السبع الالهية الحيوة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ولها في عالم المعاني افلاك هي حقائق هذه الافلاك المحسوسة
ولتلك الافلاك دورات يعبر عنها بايام هي حقائق هذه الايام المتعارفة وما ذكره ارباب الارصاد من انتساب كل يوم من
الاسبوع الى كوكب من السيارات السبع فهو طريق المحقق كما ذكرنا ولا وفق فهم دون المقصد فانما ذلك غايتهم ان يقال
انها منسوبة الى السيارات السبع من حيث انها مظاهر الصفات السبع فيكون ايام الاسبوع منسوبة في الحقيقة الى الصفات

انما هي الصفات الكلية … يجمعها الشيخ … علاء الدين …

السبع من حيث انها ظاهرات ما اعتبر مع تلك الصفات من الايام على الوجه الذي بيناه فلما كانت الصفات السبع التي يبتنى عليها امهات
الايجاد وكان لهن ايام هي اصول ايام الاسابيع وحقائقها لم يتم امر ايجاد العالم الا في تلك الايام فان قلت اذا كان زمان الايجاد
ايام الاسبوع فلماذا خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما خلق في سابعها وهو خلاق على الدوام قلت فذلك لما في
حقيقة الجسم من التسدس بالاشتمال على الهيولى والصورة والشكل والطول والعرض والعمق وبذلك كان ذا جهات ست ثم انه
انما خلق الله تعالى الروح الاعظم وهو العقل الكلي دفعيا امريا لما فيه من الوحدة والبساطة والجسم في ستة ايام عادته من جهات الكثرة
والتركيب لا يستدعي مناسبة اسم السلطان ان يتصرف في عالم الكون بالامر والنهي التكليفي وكان الجسم والروح بانفراده لا يستاهلان لقبول
ذلك خلق في يوم السابع الحيوة بتعلق الارواح بالاجسام وتركيبهما وهو المشار اليه بقوله ثم استوى على العرش اي تجلى باسم السلطان
الذي في ضبط اسم القادر لتتميم مقدوراته وتكميلها بالجمع بين نشاتي الروح والجسم فان ظهور صورة السلطنة وهو تصرف التكليف
بالامر والنهي الذي مثل به الاستواء على العرش انما يكون بالنسبة الى الاحياء لا غير والله اعلم بحقائق الاحوال ومن الله العصمة عما لا يرتضيه
من المقال **يغشي الليل النهار** يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به ولان اللفظ يحتمله بتقديم المنصب على الرفع ولذلك قرئ برفع قوله
حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد ههنا وفي الرعد للدلالة على التكرير **يطلبه حثيثا** يعقبه سريعا كالطالب له بفصل
بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا **والشمس والقمر والنجوم مسخرات**
بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر
الا له الخلق والامر اي ما وجد بواسطة وما اوجد بغير واسطة **تبارك الله رب العالمين** تعالى بالوحدانية في الالوهية
وهو تعظيم بالتفرد في الربوبية [illegible] يغشي الليل النهار يغشي ظلمة ليل الجسمانية وكثافة الطبيعة نور النهار الروحانية
ولطافتها في التركيب المذكور يطلبه حثيثا يطلب الجسم الروح حيث كان به مستوى مستعد لاستفاضة الروح من المبدا بحصول المزاج
الوحداني الذي به يحصل المزاج الوحداني الذي به يحصل المناسبة بينه وبين المبادي العالية والشمس والقمر والنجوم شمس العاقلة العلمية
وقمر العاقلة العملية ونجوم الحواس والمشاعر يطلبها الجسم المسوى مسخرات لتدبير البدن بامره وفي قراءة الرفع معناه ان الشمس والقمر
والنجوم الافاقية التي من عالم الخلق مسخرة امره الذي هو لطايفها الملكوتية الغايبة هي بها الا له الخلق والامر يتصرف فيهما كيف يشاء
فجعل الخلق مسخر الامر وهو غالب على امره فتبارك الله رب العالمين الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون قال
الشيخ كل يوم من ايام الدنيا اسم لليوم الذي قبله وهو توامان ليلة ونهار فالليلة انثى والنهار ذكر فينكحان فيتولد ان
النهار والليلة الذين ياتيان بعدهما وفي غشيان الليل والنهار وايلاج بعضهما في بعض يكون ولاده ما يتكون في كل واحد
منهما من الامور والكواين التي هي من شيون الحق فيكون الليل ذكرا والنهار انثى لما يتولد في النهار ذكرا والليلة انثى لما يتولد في
الليل من الحوادث هذا واما اليوم العقيم فلا يكون يوم بعده اصلا وهو تمام الاسبوع يوم السبت وهو يوم الابد فنهاره لاهل
الجنة وليله لاهل النار **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص وعلامة الايقان

بانه

بانه عالم السر والخفيات **انه لا يحب المعتدين** المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره من ان يطلب ما لا يليق به كمقامات الانبياء و
الصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان
يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل **ولا تفسدوا في الارض**
بالكفر والمعاصي **بعد اصلاحها** ببعث الانبياء وشرع الاحكام **وادعوه خوفا وطمعا** ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم و
115
عدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته **ان رحمة الله قريب من المحسنين** ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به للاجابة قال في بحر الحقايق ان الله تعالى لما رفع حجب الوسايط بينه وبين العباد بقوله نعم الا له الخلق والامر امرهم بالرجوع في الحاجات
اليه والتضرع في المناجاة بين يديه فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية والتضرع لا يطلع عليه الخلق والخفية لا يطلع عليه الا الحق اي تضرعا بالجوارح
وخفية بالقلب وفيه معنى اخر ادعوا من ربكم ربكم تضرعا قبالا باداء حق العبودية وخفية المطالبة حق الربوبية انه لا يحب المعتدين
الاعتداء في الدعاء طلب الغير والرضا بما سواه ولا تفسدوا في الارض اي في ارض القلوب بعد اصلاحها اي بعد ان اصلحها الله برفع
الوسايط بينه وبين القلوب فان فساد القلب في ذهابه عن الحق وصلاحها في رؤية الحق ويقال افساد القلوب بعد اصلاحها ارسالها في
اودية المنى بعد امساكها عن متابعة الهوى ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق وادعوه خوفا وطمعا اي لا تدعوا احدا
غيره في الخوف والرجاء فانه الذي يجب ان يخاف ويرجى لانه الضار والنافع والمعطي والمانع والمعز والمذل وايضا ادعوه خوفا من
الانقطاع وطمعا في الاصطناع وايضا خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال وايضا خوفا من الاسم وطمعا في الوصل ان رحمة
الله وهو عين الملتمس منه قريب من المحسنين الذين يرون الله في الطاعات اي يعبدونه كانهم يرونه **وهو الذي يرسل الرياح** بذلك
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي **الريح نشرا** بالنون والشين المضمومتين جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة و
الكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان في
المعنى وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير **بين يدي رحمته** قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه
والجنوب تذره والدبور تفرقه **حتى اذا اقلت** اي حملت واشتقاقه من القلة فان الحامل للشيء يستقله بعده قليلا **سحابا**
ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب **سقناه** اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ **لبلد ميت** جدب
لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت **فانزلنا به الماء** بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح **فاخرجنا به** على الاحتمالات ومن
جاز عوده الى الماء **من كل الثمرات** من كل انواعها **كذلك نخرج الموتى** الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت
اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى
مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس **لعلكم تذكرون** فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا **اشارة**
وهو الذي يرسل الرياح اي رياح العناية فتثير سحاب الهداية حتى اذا اقلت سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لبلد ميت اي قلب
قاس ميت فانزلنا به الماء المحبة فاحيينا به من كل الثمرات وهي المشاهدات والمكاشفات وانواع الكمالات كذلك نخرج

الموتى موت القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون اى تذكرون ايام حيوتكم فى عالم الارواح وكنتم ترون حاصل الانس من غنية ورياض
القرب عند حضاير القدس من زهرة **حقيقة** وهو الذى يرسل الرياح رياح الانفاس الرحمانية التى من مراتبها فى التنزل هذه الرياح
المحسوسة ولذلك قال عليه السلم لا تسبوا الرياح فانه من نفس الرحمن لى ظل من ظلاله فى مرتبة الاجسام نشرا بين يدى رحمته ليبشر سحاب
الحقائق الالهية والاسماء الوجودية بين يدى افاضة الوجود على الحقائق الكونية والاسماء الامكانية حتى اذا اقلت سحابا اى الاسماء
الوجودية الثقال بماء الوجود سقناه سقنا تلك الحقايق والاسماء الالهية باعتبار جمعيه تارة وباعتبار افراده اخرى اشارة الى
ما فى تلك الحقائق من الوحدة الذاتية والكثرة العرضية على عكس ما فى الحقايق الكونية من الكثرة الذاتية والوحدة العرضية لبلد ميت
هى عرض عالم الامكان المزروعة ببذر الحقايق الكونية فانزلنا به الماء ماء الوجود المضاف فاخرجنا به بماء الوجود من كل الثمرات
جميع المواليد التعينات الكونية من العلم الى العين كذلك نخرج الموتى كما اخرجنا موتى الحقايق الكونية بنفخ رياح الانفاس الرحمانية لتعلق
الوجود بحقائقكم نخرج موتى القبور بنفخ رياح الانفاس الرحمانية لتعلق الارواح بابدانكم لعلكم تذكرون ما كان لكم فى اطوار
وجودكم من مثل هذه القضية فانكم كنتم ميتة اوكنتم اجنة فى بطون امهاتكم فاقضنا على ابدانكم الميتة ماء الحيوة بنفخ الملك فاخرجنا به من
تلك البلد انواع ثمرات القوى والمشاعر فان كل امر معنوى جرى لاحق فى مبدأ يرد لابدان بجرى له صورته فى المعاش والمعاد لقوله تعم
كما بدأ كما قال مرة تعودون ولقوله عم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون **والبلد الطيب** الارض الكريمة التربة **يخرج
نباته باذن ربه** بمشيته وتيسيره اراد بذلك كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة قوله **والذى
خبث** كالحرة والسبخة **لا يخرج** اى لا يخرج نباته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا **الا نكدا**
اى عديم النفع ونصبه على الحال وقرئ لا يخرج فيكون نصبه على المفعولية **كذلك نصرف الايات** نردد ونكررها **لقوم
يشكرون** نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا و
لم تتاثر بها **اشارة** البلد الطيب بلد القلب اذا احياه الله تعم بماء الحيوة يخرج منه نبات الاخلاق الحميدة والكمالات
العلمية والاحوال السنية والبلد الخبيث بلد النفس الامارة لا يخرج الا الاخلاق الذميمة والملكات الردية وكل اناء يترشح بما فيه
حقيقة لما ذكر احياء الحقايق الكونية بماء الوجود انتقل من الحقايق الكونية وقال والبلد الطيب الماهية التى اعطاها الحق تعم بالفيض
الاقدس استعداد الكمالات العلمية والعملية يخرج نباته باذن ربه وهو الاسم اللطيف الجمالى الذى له عليها حق الربوبية ومن المعلوم
ان نباته لا يكون الا الكمالات التى اقتضاها استعداده الاصلى فلم يذكره والذى خبث والمهية الخبيثة التى اعطاها الحق تعالى بالفيض
استعداد النقائص كذلك باذن ربه وهو الاسم القهرى الجلالى الذى له عليها حق الربوبية لا يخرج نباته الا من قبيل النقائص على وفق
استعداده الاصلى ولم يذكر ههنا اذن ربه تعليما للعباد وما هو حق عليهم من جعل انفسهم تحته سقون بهار بهم من نسبة القبايح
والنقايص الى الله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون الحق تعم على نعمة استعداد الخير من الكمالات العلمية والعملية من غير
ان يكون لهم سبق استحقاق كذلك **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** جواب قسم محذوف والجملة القسمية لكونها مسوقة للتاكيد

جوابها

١١٦

جوابها كانت مظنة للتوقع فلم يستعمل الا مع قد يكون المخاطب عند سماعها متوقعا للجواب ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبى بعد ادريس بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين **قال يا قوم اعبدوا الله** اى اعبدوه وحده لقوله **ما لكم من اله
غيره** وقرأ الكسائى غيره بالجر على اتباع اللفظ **انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** صفة عذاب خفض للجوار
وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان **قال الملأ من قومه** اى الاشراف منهم
انا لنريك فى ضلال مبين زوال عن الحق بين **قال يا قوم ليس بى ضلالة** اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا
فى الاثبات وعرض لهم به **ولكنى رسول من رب العالمين** استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال
ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله **ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون**
صفات الرسول او استئناف وساقها على الوجهين نساق كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وانما جمع الرسالات لاختلاف
اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او اشياء
لا علم لكم بها **او عجبتم** اخره للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم ذكر من ربكم** رسالة او
موعظة **على رجل** على لسان رجل **منكم** من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين **لينذركم** عاقبة الكفر والمعاصى **ولتتقوا** منها بسبب الانذار **ولعلكم
ترحمون** بالتقوى وفايدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب للنجاة والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى
ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله تعم **اشارة** او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم وهو نظر العناية على رجل منكم فى
الانسانية والبشرية لينذركم ويوقظكم من نومة الغفلة ولتتقوا على ما يقطعكم عن الله ولعلكم ترحمون بالوصلة عن الفرقة فكذبوه
فما دعاهم الله **فانجيناه والذين معه** وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة منهم سام وحام
ويافث وستة ممن امن به **فى الفلك** متعلق بمعه او بانجيناه وحال من الموصول او الضمير فى معه **واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا** بالطوفان **انهم كانوا قوما عمين** عمى القلوب عن مستبصرين لرؤية اياتنا واصله عميين فخفف تاويل
فيه اشارة الى نوح الروح الذى ارسله الله الى قومه بلاد القالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ليدعوهم الى الله وغيرهم
ومن صفات النفس وشانها تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن قبول نصحه والتعجب والاستبعاد عما يلاحظ الله به الروح ويكرمه
بالمزاد لشرفهم من عباده الدنيا وزينتها لئلا يحرموا عن مساعدة الرحمة ومواصلة القربة فكذبوه قومه من النفس وصفاتها فا
نجيناه الى الروح من الظلمات النفس وترحها والذين معه وهم القلب وصفاته الذين قبلوا دعوة نوح الروح وركبوا معه فى الفلك وهى
فلك الشريعة والذين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى النفس وصفاتها فى بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله
والوصول اليه **والى عاد اخاهم** عطف على نوحا الى قومه **هودا** عطف بيان لاخاهم والمراد به واحد منهم كقوله يا اخا العرب

وعاد اسم القبيلة سمي باسم واحد من اجدادهم وهودا وهو بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح فعلى الاول هو من اولاد عاد وعلى الثاني من اولاد عمه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره فان قلت ما الداعي الى العطف بالفاء في قصة نوح حيث قال يا قوم وقد استؤنف ههنا قلت
ان نوحا كان على خوف من نزول العذاب كما قال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فكان مقتضى الحال ان يكون قوله مترتبا
على الرسالة بلا مهلة فجاء بالفاء للدلالة على ذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه لم يطلق الملأ ههنا كما اطلقه
في قصة نوح ع لان من اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد بخلاف قوم نوح ع فانه لم يؤمن منهم الا من استرذلوه
كما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما تدعي من الرسالة قال يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء من السفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اي امين في
النصح او على ما ابلغكم او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ويوقظكم من نوم الغفلة و
يحذركم عن يوم الحسرة من فوات الدولة ممن فرط الجهالة وغاية الغباوة عجبوا من كون رجل رسولا ولم يتعجبوا من كون
الصنم شريكا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان
شداد بن عاد ممن ملك الارض الى بحر عمان ذكرهم بانعامه بعد ما خوفهم من عقابه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
فاذكروا الاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما
اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل فيه عن قومه او من السماء
على التهكم والمراد القصد على سبيل المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم
رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة الانتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم
واباؤكم يريد الاطلاق اسم الالهة على الاصنام ما انزل الله بها من سلطان ما نصب حجة على جهة هذه التسمية فان معنى
الالوهية وهو استحقاق العبادة غير موجودة فيها ولا دليل من عند الله على جهة عبادتها فانتظروا اي لما وعدتكم من العذاب
١ حيث اصررتم على العناد اني معكم من المنتظرين بوقوعه عليكم فانجيناه والذين معه اي وافقه في الدين
برحمة منا عليهم ينبه بذلك على ان النجاة من نجي بفضل الله دون عمله وان كان من الانبياء وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن امن منهم تنبيه على ان الفارق بين من نجي ومن
هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم

ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج
فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام
وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا
ثقل مقامهم فعلم القينتين شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما قد امسوا ما يبينون
الكلاما فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله
سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت السحابة على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم وقيل سموا به
لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام اخاهم صالحا هو صالح بن عبيد بن آسف
بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي هذه ناقة الله لكم اية استئناف لبيان المعجزة وآية نصب على الحال والعامل
فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا ولكم خبرا عاملا في اية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من
عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن
المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب
النهي اشارة في المعجزة للعامة ان يخرج لهم من حجارة الصخرة ناقة والمعجزة للخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر التي تحمل
المعرفة وتعطي ساكن بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها ترتع في ارض القدس وتشرب من نهر الانس ولا
تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع من مواصلات الحقيقة واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة
الارض بما تعملون منها كالاجر واللبن وتنحتون الجبال بيوتا حال مقدرة فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين العثو المشي بالفساد جرد عن معنى الفساد فصح التقييد بمفسدين كما قال سرى بعبده ليلا والسري هو السير بالليل قال
الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن امن منهم بدل من
الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا انا بما ارسل به مؤمنين عدلوا عن الجواب بنعم تنبيها على ان رسالته اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام

فى استكشاف من امن به ومن كفر ولذلك قال قال الذين استكبروا بالذى امنتم به كافرون على المقابلة ووضعهم امنتم
به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة العقر قطع قوائم البعير ثم سمى عصب الرجل النحر عقرا لان ناحر
البعير يعقره ثم ينحره اسند الى جميعهم فعل البعض للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله وهو ما
بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فا
صبحوا فى دارهم جاثمين خامدين ميتين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى بها الا
بنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فندعوا الهك وندعوا الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج
معهم فدعوا اصنامهم فلم يجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى الصخرة منفردة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة وبراء
عشراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فصدعت عن ناقة عشراء وبراء كما وصفوا فينجب ولا يعلم مثلها الا الله فى العظم فامن به جندع فى جماعة
وكفر اخرون فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تفرج بين رجليها
فيحلبون ما شاءوا حتى تملى اوانيهم فيشربون ويدخرون وبهم مع ذلك فى دعة وسعة عن تنفشها كانت تصيف اذا كان الحر بظهر
الوادى فتهرب منها مواشيهم فتهبط الى بطن الوادى فى حر وجدب وتستوى ببطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم
الى ظهر الوادى فى البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر
الناقة وكان فيها امراتان جميلتان عرضتا انفسهما لمن يعقرها فعقروها وفرق جبلا يسمى قاره فرغا ثلثا فدخلها فقال
لهم صالح تصبح وجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فجاؤا اليه يعتذرون فقالوا
يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فطلبوه
فاذا هو عند الصخرة التى خرجت امها منها فانخرقت الصخرة فدخلها فرجعوا آيسين ثم انهم لما راوا العلامات قصدوا ان يقتلوا
صالحا فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان الضحى اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم صالح وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر فقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم تاويل واذكروا اذ جعلكم خلفاء فى الارض من بعد عاد جعلكم مستعدين لخلافة
ما لم يستعد به قوم عاد وبوأكم فى الارض ارض القلوب تتخذون من سهولها قصورا اسهولها الصدور والقصور هى المعاملات
بالصدق والاخلاص وتنحتون الجبال بيوتا وهى جبال اطوار القلب البيوت مقامات السائرين الى الله فيها ولا تعثوا فى
الارض ارض القلب مفسدين بافساد الاستعداد الفطرى قال الملأ الذين استكبروا من قومه وهم الاوصاف البشرية والاخلاق

الاشمه للذين استضعفوا لمن امن منهم من اوصاف القلب والروح اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وهو صالح الروح مرسل من حضرة الحق تعالى
الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف الردية السفلية الظلمانية الحيوانية الى الاخلاق الحميدة والعلوم الروحانية العلوية
الاوصاف الملكية انا بما ارسل به مؤمنون اى متبعون للمصطفى قال الذين استكبروا من النفس واوصافها انا بالذى امنتم به اى الاوصاف
الاوصاف العلوية كافرون جاحدون منكرون فعقروا الناقة يعنى النفس وصفاتها عقروا ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق
والاباء والاستكبار وعتوا عن امر ربهم بالتوحيد والمعرفة وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وهذا من صفات
النفس الامارة بالسوء وهى لا تؤثر فيها النصح وتجترى على الله بلا دليل تام ولا تسل بلازمته ولا النعم عرفت قدرها ولا
المنة قد رمت شكرها فاخذتهم الرجفة رجفة الموت فاصبحوا فى دارهم فى دار قالبهم جاثمين حيث هم الموت ولزوم الموت فتولى
عنهم الروح العلوى وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى يعنى اخبرتكم ايتها النفس وصفاتها بالاخلاق الحميدة ونصحت لكم لتتصفوا
بها وتتخلقوا باخلاقى ولكن لا تحبون الناصحين لان قول الناصح ثقيل والحق مر وانها تستلذ النعيم كما قال قائلهم وكم سفحت
فى اثاركم من نصيحة وقد يستلذ المعضه المنصح ولوطا اى وارسلنا لوطا او واذكروا لوطا وهو لوط بن هاران
بن تارخ اذ قال لقومه بدل من لوط اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتناهية فى القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى و
الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ
أئنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ
وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف شهوة مفعول له او مصدر فى موضع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر قوله بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادى بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ حتى اسرفوا فى قضاء
وطر الشهوة او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش والمعنى انهم ما جاؤا
بما يكون جوابا عن كلامه ولكن قابلوا النصح بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم وبالاستهزاء بهم حقيقة ميلان
الاشياء من لوازم مراتب الاكوان قال تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وكذلك
ميلان الامزجة الطيبة الى الطيبات الامور وميلان الامزجة الخبيثة الى خبائث الامور فاتصال الخبيثة الفطرية يكون رغبة فى خبائث
الصفات وقبائح الافعال ابدا بل يكون جميع النقائص عند اهل الهداية معدودا عندهم فى الكمال ويكون جميع الكمالات المعتبرة عندهم
علما وعملا وخلقا معدودا فى النقصان عندهم فى عموم الاحوال يمنعهم عن اظهار ذلك والمخافة من عار السفاهة والجهالة من جهة
العامة والخاصة من اهل الهداية فاذا اعوز اهل الهداية او صار القلة كالمعدوم اجترءوا على اظهار ما عندهم من نقص

اهل الهداية وذكر صفاتهم الكمالية بالسوء على حسب ما اقتضته فطرتهم الخبيثة من استقباح الامور المستحسنة عند اهل الهداية
ولذلك قال قوم لوط عند ظهور امرهم اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله اى من امن به الا
امرأته واهلها فانها كانت تبطن الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير للتغليب
للذكور وامطرنا عليهم كيف كان عاقبة المجرمين روى انه لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام ونزل بالاردن فارسله الله
الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فاهلكوا وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم تنبيه دلت الاية على ان اللواط لخسة الفواحش وافحشها لان الله تعالى امطر
الحجارة على اهل الذنوب العظيم مثل الزنا والعقوق والسرقة والقتل بغير الحق وغير ذلك من الكبائر غير الشرك ومن شؤم
معاملاتهم ما قال عنهم وما كان جواب قومه الى يتطهرون عابوا عليهم ما احبه الله وهو التطهر لقوله ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين واتوا بما يبغضه الله وهو الاسراف لقوله ان الله لا يحب المسرفين حقيقة اعلم ان في محل اللواطة امرين كل واحد
منهما يستدعي قبح عمله كما ورد به الاثار احدهما من جهة الطب وهو انها لكونها على غير الوضع الطبيعي يحتاج الى حركات عنيفة تضر
بالبدن مضرة شديدة مع ان مدخل اللواطة ليس فيه القوة الجاذبة التي في الرحم فلا يجذب المني من مجاريها فلا حيلة فيها من بقايا المني في
مجاري اعضاء التناسل وذلك بالتعفن وسوء الاستحالة يؤدي الى امراض مردية وعلل مسرعة الى الهلاك والثاني من جهة الحكمة
الحقة وهو ان عاملها يكون ساعيا في قطع طريق الحيوة بوضع النطفة في محل ضياعها والارواح المتصلة بالمبادي العالية لعشقها
وشوقها الى التلبس بالحيوة في النشأة البشرية تكون شديدة البغضة على من يسد عليها هذه الطريق ومن الظاهر ان في بغضهم
تاثيرا تاما في قصر الحيوة فان مادة الحيوة مستمدة منهم هذا مع انه مذموم فعله عقلا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض هل
نقل كثير نفعه بالناس فيها لا ضر بالناس اشد كراهة من هذا العمل حيث يسقطهم عن رتبة الرجولية والفعل الى رتبة الانوثية و
الانفعال ومذهب لحيائهم الذي هو من شعب الايمان كما قال عليه السلم من اتى في عجانه قل حياؤه فان قلت الغالب في اللواطة ان يكون
مشاكلا للعمل فهل من هذا العمل وما بين بنيل الدرجات وتحصيل الكمالات دقيقة يا قوم اعبدوا الله خصوه بالعبادة فانه
لا مستحق للعبادة غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هي القوة العاقلة المركوزة في نشأت النفوس الجزئية البشرية الحاكمة بالتوحيد بفطرتها
لما صليتها فاوفوا الكيل اى بكل ما يكال بمكاييل العقول من الكليات الاعتقادية يعني بها القوة العاقلة العلمية بالتفكر في افعال الله وصفاته والميزان
اوفوا ما يوزن بموازين الاحكام الفرعية الاعمالية يعني بها القوة العاقلة العملية باستعمال الاعضاء والجوارح في طاعة الله ولا
تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوا القوى حقوقهم بالتقصير في شيء من العلم والعمل ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها لا تفسدوا في ارض
البشرية بالتقصير في حقوق الله تعالى بعد ان اصلحها الله بوضع القوى في محالها وتهيئة اسباب تحصيل الكمالات العلمية والعملية فيها على
ما ينبغي ذلكم خير لكم عند كشف الغطاء ان كنتم مؤمنين بحقيات الامور التي وعدها الله في الاخرة ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين وطرق الحق وان كان واحدا لكنه تنشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا

يسعى

يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويتوعدون
من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الطريق الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او يريد الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل صراط
ان اريد طريق الدين من مفعول تصدون وان توعدون باعمال الاول ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم
عنه بالتوعدون بما عطف عليها في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون عوج سبيل الله بالقاء
الشبه نسبت الفعل الى غير ما هو المنسوب اليه فحصل به الابهام فنصب المنسوب اليه على التمييز لكون البيان بعد الابهام
١٢٦
اوقع في النفوس اذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة بالنسل والمال وانظروا كيف
كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم نظر الاعتبار وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه اشارة ان كان
طائفة منكم الروح والقلب آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا وهو النفس وصفاتها فان اكثر المؤمنين
من آمن قلبه وروحه ولم يؤمن نفسه لان النفس امارة بالسوء فاصبروا حتى يحكم الله بيننا بين الروح والقلب وبين
النفس وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذاقة الهجران فانه لا تزر وازرة
وزر اخرى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في فقط
لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن لما غلبوا الجماعة على الواحد خوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب
في قوله قال اولو كنا كارهين اى تعيدوننا ولو كنا كارهين لذا والمعنى استبعاد العود حال الكراهة قد افترينا
على الله كذبا اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف يدل عليه قوله قد افترينا وهو
بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اى قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد
الخلاص منها وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اى يشاء خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
على ان الكفر بمشية الله وتنبيه على ان المؤمن ينبغي ان لا يأمن على ايمانه من سوء الخاتمة فان قلوب العباد بين اصبعين من
اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما احاط علمه بكل
شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا وهو قومنا بالحق احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف
ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين الحاكمين او المبينين اشارة بعد اذ نجانا
الله منها اى في العقبة الازلية فجعلنا من المؤمنين الموحدين وجعلكم من الكافرين الهالكين وما يكون لنا ان نعود فيها يعني ان نعود

في القسمة ملازليه و نعيز عن الهران يشاء الله ربنا ان نعيزها وسع ربنا كل شيء علما اي لان امده واسع علمه لا نري يسع فيه ان يقدر
شيا على انه يجيء في وقت و يقدر شيا على انه يثبت كما قال يمحو الله ما يشاء و يثبت وعلى الله توكلنا اي و ثقنا به ان يثبتنا على ما قدر
لنا من الدين ولا يعيدنا الحال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت لنا من خاتمة الخير و لهم ما
قدرت لهم من خاتمة الشقوة واستخرج الكامن بين الحق والباطل قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا و تركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالة بهديكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب
الشرط و القسم الموطا باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادي
تلك الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتداء و خبره كان لم يغنوا
فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغني المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا و دنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى
بهما اسمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم
ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهلا لان يتاسف عليهم لاستحقاق ما نزل بهم بكفرهم
او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار و بذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم
تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها يعني اهلها الذين لم يقبلوا الدعوة
بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يتضرعون كي يتضرعوا و يتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء و الشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا
النبات اذا كثر و منه اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اي رأوا التعاقب الضراء والسراء عادة
الدهر وقالوا قد مس اباءنا مثل ما مسنا فلا شكروا انعم الله ولا تضرعوا لدفع نقمة فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب اشارة سبب الباساء والضراء ابتلاء الاولياء والاعداء فالولي يتضرع اليه عند البلاء و يرجع اليه و يتوكل
عليه و يتمسك بحبل الصبر والتسليم والرضا فيتمسك بالعروة الوثقى والعدو يأخذ في الجزع والكفران ولا يصبر على البلاء ولا
يستسلم للقضاء و يرجع في ذلك الى الخلق و يذهل عن الحق ثم اذا تمادوا في غيهم ولم ينتهوا من غفلتهم مد الحق تعالى عليهم ظلال
الاستدراج و وسع عليهم اسباب الترفه مكرا بهم فلما وطنوا على ذلك قلوبهم ولم يعتبروا بما اختبروا به من الشدة والرخاء
ابرز لهم من كمائن التقدير ما ينغص عليهم طيب الحيوة و اوردهم موارد الهلكات كما قال فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اي
لا يشعرون انهم لم يعاقبون ولم يعذبون ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من
نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لوسعنا عليهم الخير و يسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن

كذبوا

١٢٠

كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا اي وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو
في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من الضمير البارز او المستتر في بياتا اوامن
اهل القرى وقرأ ابن كثير و نافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر و ترك النظر والاعتبار حقيقته وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء يريد بها
اهل القرية اهل التسلي الذين وطنوا انفسهم على الحظوظ العاجلة و تبسطوا في دار الغفلة والدعة قاصرين النظر على الحطام الدنيوية
لم ينهضوا للسفر في ارض الله الواسعة ولم يرغبوا الى السلوك في طريق الحق بقدم الطلب و هكذا حيث ذكر في القران القرية
واهلها اراد القاعدين عن السلوك في طريق الطلب المتثبطين عن السير فيها بقدم الصدق الى الله وفي الله وبالله فاهل
القرى في الظاهر هم المقيمون في المنازل المتوطنون في الاوطان من غير ظعن وارتحال و لهذا المعنى لم يرد ذكرها الا مقرونا بذكر الهلاك و
العذاب انما قدم ابتلاءهم بالضراء على السراء لان ذلك اوفق بلطف الدعوة وحسن تذكرهم من العكس فان الرخاء بعد الشدة ادعى
الى الشكر والشدة بعد الرخاء للجزع وادعى الى الجزع لعلهم يتضرعون فان ظهور عزة مرتبة الوجوب بظهور الذلة في المراتب الامكانية
فان الاشياء تتبين باضدادها فان قلت هذه حكاية في صورة الشكاية فمن شان من لا يتحتم نفاذ امره ولا يقطع بحصول مراده
وجناب عظمة الحق تعالى وساحة عزته منزهة عن ذلك قلت هذا وامثاله في كلام الله تعالى راجع الى مقتضيات اسمائه المتقابلة
وصفاته المتضادة ومعنى لطائفه في الحقيقة وما ارسلنا من حيث اسمائنا اللطيفة الجمالية في قرية من نبي يدعوهم الى طريق الهداية
الا اخذنا اهلها بالمشاق والمتاعب الدينية المنغصة للعيش زجرا وترهيبا ثم باللذات والمنافع العاجلة النفسانية تلطفا و ترغيبا
ليرجعوا بذلك من الغواية الى الهداية ثم اذا لم ينجع الدعوة الى طريق الهداية للوصول الى اسمائنا اللطيفة الجمالية القهرية الجلالية فاوصلناهم
بذلك الى ما هو مقصدهم و مقصود اربابهم فمراد الحق تعالى وهو رجوع المربوبات الى الارباب حاصل قطعا اما الى اللطف او الى القهر فما بدائع امره
تمام امره وما نقام اسمائه الا اسماؤه فان قلت اذا كان هؤلاء المدعوون من مربوبات الاسماء القهرية فما معنى دعوتهم الى الاسماء
اللطيفة في طريق الهداية اولا قلت ذلك لتكميلهم في طريق الغواية ليستعدوا للوصول الى اربابهم من الاسماء القهرية فكان
ذلك دعوة الى طريق القهر في صورة الدعوة الى طريق اللطف ولذلك قال فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اي لا يشعرون بما كان يكتنف
دعوتهم من المكر الذي لا يامن منه الا القوم الخاسرون هذا كله في ذكر الرسل الافاقية واما ذكر الرسل الانفسية فقد اشار اليه بقوله ولو ان
اهل القرى امنوا اي بما القينا في قلوبهم من الالهامات الربانية واتقوا اجتنبوا عن الالقاءات الشيطانية والهواجس النفسانية لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض بركات العلوم والمعارف من سماء الروح وبركات الاعمال الصالحة من ارض البدن ولكن كذبوا رسل الالهامات

او البادية والدار لا الرغبة فاخذناهم بما كانوا يكسبون من سلوك طريق البغي واتباع الشيطان أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهدي باللام لانه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم ان مخففة عاملة في ضمير الشان وهي بصلتها فاعل يهد ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه او يهدي يغفلون
عن الهداية ونطبع او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تنبيه في الاية امتنان على نبينا عليه السلام في قومه
حيث انهم لم يصنعوا بسيرة من اورثوا الارض وعملوا اعمالهم فاستحقوا الهلاك وان نصيبهم ما اصاب من قبلهم ولكنهم ببركة النبي ع
مهلوا حتى آمن اكثرهم واولادهم واولاد اولادهم تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان
جعل القرى خبرا وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم دعوتهم المتطاولة و
الايات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم ولك
ان تقول بلسان الاشارة فما كانوا ليؤمنوا بمجيء الرسل في النشاة الدنيوية بما كذبوا من قبل اي في النشاة الاخروية حين خوطبوا
بخطاب الست بربكم فانهم وان قالوا بلى الا انه كان اقرارا منهم باللسان من غير تصديق بالجنان وما وجدنا لاكثرهم
لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى
بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين اي علمناهم وان مخففة لدخول اللام الفارقة وعند الكوفيين هي للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا
من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلنا او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا
بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر
ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه وليد بن مصعب بن الريان نزاو ادحام بن نوح ع فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقيل اسمه قابوس
بتكذيب الايات وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا
الحق ثم اول ذلك لما لم يرض منه من ارادة الكذب في المعنى انا حقيق وخليق بان لا اقول وضع على موضع الباء لافادة التمكن كما تقال
رميت على القوس وجئت على حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء او ضمن حقيق معنى حريص وقرا نافع حقيق علي بتشديد الياء
وعلى هذا يرد المعنى قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا الى الارض المقدسة التي هي
وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها واحضرها
عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وهي الحية العظيمة حكي انه لما القاها صارت ثعبانا فاغرا فاه وجعل يضطرب في المجلس

فيبهتهم

١٢٢

فيبهتم الناس من رحمين ثم توجه الى فرعون وهو سريره فهرب منه واحدث وسقط من ناحية سريره فزعا ونادى يا موسى
بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين ساطعا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي
انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
تبصرة ان اغلب اهل كل زمان وقرن واكثرهم غافلون عن الدين وحقائقه مستغرقون في بحر الدنيا منهمكون في اودية
الشهوات واللذات النفسانية ظلمات بعضها فوق بعض وان الله تعالى من كمال رأفته ورحمته على خلقه يبعث عند انصرام كل قرن
وانقراض كل نبي نبيا بعد نبي كما تخلف قوما بعد قوم ويظهر المعجزات على يدي ذلك النبي حجة لتحرجهم بظهور نور المعجزات من
ظلمات الطبيعة الى نور الحقيقة فلذلك بعث النبيين نبيا بعد نبي كما ذكره ثم بعث من بعدهم موسى بالايات الظاهرة والمعجزات
الباهرة وهي ما اشار اليه بقوله فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وانما جعل الله تعالى عصاه ثعبانا لانه اضاف العصا الى نفسه
حين قال وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي ثم جعلها متوكأه ففيه اشارة الى ان كل شيء اضفته الى نفسك ورايته محل
حاجتك فانه ثعبان يبلعك ولهذا قال له القها يا موسى يعني لا تتمسك بها ولا تتوكأ عليها والا كان قادرا على ان
يجعلها ثعبانا في يده فلما القاها ونزع يده منها فاذا هي بيضاء للناظرين فيه اشارة الى ان الايدي قبل تعلقها با
لاشياء وتمسكها بها كانت بيضاء نقية نورانية فلما تمسكت بالاشياء صارت ظلمانية فكلما نزعت عنها تصير بيضاء كما كانت
قال صاحب التأويلات ظاهر العصا معجزة موسى كما هو المروي والتأويل هو ان العصا اشارة الى نفسه التي يتوكأ
عليها اي يعتمد عليها بالحركات والافعال الحيوانية واهش بها على غنم قلبه البهيمية ورد الاداب الجميلة والملكات الفاضلة و
العادات الحميدة من شجرة الفكر وكانت نفسه من حسن سياسته اياها ورياضته لها منقادة منصرفة مطاوعة لامره مرتدعة
عن افعالها الحيوانية الا باذنه كالعصا اذا ارسلها عند الاحتجاج في مقابلة الخصم كان كالثعبان تلقف ما يأفكون من
اكاذيبهم الباطلة ويزورونه من خيال شبهاتهم التي بها يستحكم دعاويهم وعصي مغالطاتهم ومخرقاتهم التي يتمسكون بها
عند الخصام في اثبات مقاصدهم فتلقفهم وتعجزهم قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل
قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره
فماذا تأمرون ماذا تشيرون في ان نفعل به قالوا ارجه بسكون الهاء قراءة حمزة وعاصم اصله ارجئه بكسر الهاء كما
في قراءة نافع برواية قالون وهو مخفف ارجى باشباع الكسرة كما في قراءة برواية ورش والاصل ارجئه كما في قراءة ابي عمرو وقد
يحرك الضمير على صلته فيشبع بعد حذف الهمزة بالواو فيقال ارجو كما في قراءة ابن كثير واما ارجئه باثبات الهمزة وكسر الهاء فغير
قياس قد قراءة ابن عامر برواية ذكوان والارجاء التاخير اي اخر موسى وقيل احبسه واخاه هارون وارسل في
المدائن حاشرين اي رجالا لحشر اليك يأتوك بكل ساحر عليم قراها حمزة والكسائي بكل سحار هنا وفي

وفي يونس وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
استئناف به كانه جواب سائل قال لما قالوا اذ جاؤا وقراء ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب
الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان ولكم اجرا وانكم لمن المقربين زادهم على الجواب لتحريضهم قال في
بحر الحقائق اجرى الله تعالى هذا الكلام على لسان فرعون حقا وصدقا بانهم صاروا من المقربين عند الله لا عند فرعون قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى عليه السلام مراعات للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل قال بل القوا لما علم من رغبتهم
في التقدم او للتسامح او للازدراء بهم وما لو ثوق على ما هو عليه من الحق فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها الحقيقة بخلافه
واسترهبوهم ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم وذلك بانهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا خلوها حيات ساعية الى موسى عليه السلام واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو صرف الشيء عن وجهه الذي هو عليه فوقع
الحق ثبت ما اظهره موسى من المعجزة وبطل ما كانوا يعملون ظهر بطلان سحرهم اي حكي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا مزدحمين حتى هلك منهم خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت كما كانت
فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا بحالها وقرأ حفص تلقف مخففا هنا وفي طه وفي الشعراء حقيقة
ذكر الشيخ رض ان السحر مختلط متردد بين الثابت وغير الثابت ماخوذ من السحر الذي هو محل اختلاط الضياء بالظلمة وهو
من عالم الخيال المحال فالساحر يخطف بصر الناظر ويصرفه عن مشهد الحس الى مجنا الخيال بخواص اسماء وحروف او بعزم وكثرة اعمال
سيما في عالم الامور لا وقوع له في الخارج ولا بد له من ذلك من ان يتوصل به الى مداخلة شيء من عالم الحس فتشكل ما
اراد تصويره في الخيال بتيسير الغرض وتسهيلا للمقصود كما في الحبال والعصي هنا فان قلت ان كان امر موسى من باب
التخيل لم يكن ذلك منشأ النبوة بل كان غاية ذلك تفوقه عليهم في ذلك الطريق ومن الجائز في كل علم وصنعة ان يفوق واحد
من كل زمان اقرانه في ذلك العلم والصنعة وان كان امرا واقعا في نفس الامر كان من باب قلب الحقيقة وهو محال
قلت هو من قبيل الثاني فاما انقلاب الحقيقة فهو محال قطعا فان الحقائق والمهيات صور علمية الهية وهي كلمات الله التي لا
تبديل فيها لكن لا يلزم من انقلاب امر موجود في الخارج من صورة الى صورة انقلاب حقيقته ومهيته فان ذلك انما يلزم ان لو قلنا بخروج الحقائق
والمهيات من العدم الى الوجود وليس كذلك فان المهيات باقية على عدمها قطعا عند اهل التحقيق والموجود في الخارج انما هو الوجود متعينا
بحسب ما تعطيه المهية من التعين فعلى هذا كان انقلاب عصى موسى كساير انقلابات المشهودة في الاكوان من باب ظهور الوجود الواحد باطوار
وتقلبه في شئونه لابراز كمالاته المكنونة فيه واخراجها من القوة الى الفعل وان شئت لهذا المقام مزيد توضيح وتحقيق فاستمع
لما نتلو عليك من الاسرار المصونة وهو ان الوجود كما قررنا هو الموجود العيني وان المهيات وان شئت قلت الحقائق والاعيان الثابتة

باي اسم

باي اسم سميتها صور علمية معدومة في العين وللوجود انضمام وتعلق تجلى الكيف بتلك المهيات يحصل من تعلقه بها له تعين وظهور ولها تحقق
وكون من غير ان يلزم من ذلك التعين والظهور او يلزم بها ذلك التحقق والكون بل الوجود في كل ان يخلع عن تعينه اللازم لتعلقه
بالماهية بقطع ذلك التعلق ويتلبس في ان اخر بتعين اخر يلزمه التعين الثاني فلا يزال بذلك ترجع المهية في كل ان الى ما هو مقتضى ذاته من
العدمية ويرجع الوجود الى ما هو مقتضى ذاته من الظهور في صور المعينات ولكن هذا تحقيق ذكره ارباب الشهود من انعدام الاكوان في كل ان
ووجودها في ان اخر مع ما تقرر عندهم من ان الموجود لا ينعدم والمعدوم لا يوجد اصلا فيكون مآل الكلام الى ان الوجود ينعدم تعينه في كل ان بقطع
تعلقه عن المهية ويتجدد له تعين اخر بتجدد تعلقه بها مرة اخرى والا فليس شيء من الوجود والمهية قابلا لعروض العدم عليه من جهة استحالة اتصاف
الشيء بنقيضه وضرورة امتناع تحصيل الحاصل واذا عرفت ذلك فنقول ان التعينات المتعاقبة على الوجود قد يكون متناسبة متشابهة
فلا يحس بتبدلها عن مثلها كما في الاستحالات التي في الانسان من صباه الى شبابه الى شيبه وقد لا يكون متناسبا بل متباينا فيحس بتبدلها
كما في انتقاله من خضرة الى مو ثم الى ملاء وانقلاب عصى موسى ثعبانا كان من قبيل ما بين التعينين على غير الوجه المعتاد وكان تعينها الثاني
امرا واقعا مطابقا لما في نفس الامر ولذلك ترتبت عليها الاثر في الخارج بابتلاع الحبال والعصي فكان معجزة ما خيله السحرة حيث لم يترتب
عليه اثر الا في الخيال بالترهيب والتفريع وبذلك امتاز هنا عن ذلك والى ذلك الاشارة بقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
فان قلت ما بال الحبال والعصي التي ابتلعها من غير ان يزيد في العصا شيئا وهل كان ذلك الا اعداما للموجود قلت الانعدام
الخارجي عبارة عن انفكاك ضميمة الوجود عن مهيته فبذلك يبقى ما هو الموجود على الوجود على وجوده ويبقى بان معدوما اعني
المهية على عدميته فلم يلزم مما جرى على تلك الحبال والعصي انعدام موجود اصلا ثم انك ان جوزت عدم عود الوجود الى التعلق الذي
كان له بالمهية لعناء الذاتي قلت نعم ما هيأتها على العدمية سدى وان لم تجوزه بمعنى استدعاء شيئية قلت ما فيها عن التعين
الملكي الحسي الى تعين ملكوتي غائب عن الحس والله اعلم بحقيقة الحال قوله تعم فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على
وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او المراد المبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا امنا برب العالمين حملهم الحق على ذلك لينكر فرعون بالذين زادهم كسر موسى وينقلب الامر عليهم رب موسى
وهارون ذكرا البدل لدفع توهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى على الاستفهام فيه للانكار
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص امنتم على الاخبار والباقون بتحقيق الهمزة
الاولى وتليين الثانية قبل ان اذن لكم في الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط فتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم
لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وعبرة لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة

١٢٢

محاربة الله ورسوله قالوا انا الى ربنا لمنقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى رحمة ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا اشارة ان السحرة قد طهرت قلوبهم عن دنس
الشبهات بطلوع شمس العرفان من افق العناية فشهدوا الحق بنظر البقاء وشاهدوا الخلق بنظر الفناء لم يبق لهم من لحسبان النفس منهم
سلطان ولا لشىء من العلل فيهم برهان لما تحقق لهم ان مصيرهم الى الله وما تنقم منا وما تنكر منا وما تكره منا او ما تعيب منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله وقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون و
توفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك و
يذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو على معنى ان يكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا الى الله ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
الهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا
فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا اراد تسكينهم لما
تضجروا من قول فرعون ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اراده تسلية وتقرير للامر بالاستعانة بالله و
العاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له واللام في الارض تحتمل
العهد والجنس وقالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض قال ذلك تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا
بذلك ولعله لم يقطع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم في زمن داود ع
او فتحه يوشع بن نون بعد الخروج من التيه فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم
على حسب ما يوجد منكم تأويل في القصة اشارة الى ان فرعون النفس ينكر على ايمان سحرة صفاتها ونعوتها
امنتم بموسى الروح ان هذا لمكر مكرتموه في مدينة القالب البدن لتخرجوا منها اهلها وهي اللذات والشهوات البدنية فان
صفات النفس اذا امنت ووافقت الروح وصفاته خرجت من البدن لذات الدنيا وشهواتها فسوف تعلمون حلول
مكائدي في ابطالكم واستيفائي للشهوات واللذات لاقطعن ايديكم وارجلكم بتسكين التسويل عن الاعمال الصالحة
ثم لاصلبنكم اجمعين في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها قالوا انا الى ربنا منقلبون لا الى الدنيا وما تنقم منا ربنا افرغ
علينا صبرا على قطع تعلقات الدنيا وترك لذاتها وشهواتها وتوفنا مسلمين لعبوديتك ولاحكامك الازلية و

وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس اتذر موسى
الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا في الارض البشرية بترك الهوى والتمسك عن الدنيا والشيطان والطبع
ان لا تعبد قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم وابناء صفات الروح والقلب التي اعمالها الصالحة اى نبطل اعمالهم
بالرياء والعجب ونستحيي نساءهم اى الصفات التي يتولد منها الاعمال الصالحة وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة
وقال موسى الروح لقومه استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض ارض البشرية
لله يورثها من يشاء من النفس والروح والعاقبة الحسنى والسعادة للمتقين قالوا يعنى قوم الروح له اوذينا من قبل ان تأتينا

قبل ان تأتينا بالواردات الروحانيات قبل البلوغ ومن بعد ما جئتنا اى بالالهامات الربانية بعد البلوغ كنا نتاذى من دواعي
البشرية قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها بالواردات الربانية بدفع اذاها عنكم ويستخلفكم يعنى اذا تجلى الرب بصفة
من صفاته لا يبقى في الارض البشرية شىء من صفات النفس الا ويبدلها بصفات الروح والقلب ويستخلفها في الارض فينظر
كيف تعملون في اقامة العبودية واداء شكر نعم الربوبية ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار
والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون
لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا عنها او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا
في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها
مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمته ومشيئته
او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما
يصيبهم مما تشاءموا به او من شؤم اعمالهم وقد شاع في الكلام الخطابي ذكر الاكثر وارادة الكل كما شاع ذكر القليل وارادة
النفي عن الكل اشارة ان المحن والشدائد والمصيبات موجبات للانتباه والاعتبار ولكن لاهل السعادة واولي الابصار
فاما الشقاوة فلو شدد عليهم وطأة القدرة او ضاعف عليهم اسباب النعمة فلا الوطأة اصحاهم شدتها ولا النعمة نبهتهم كثرتها
لا بل ان مستهم بسر احظوه بعين الاستحقاق فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان مستهم محنة حملوه على الغير كما قال
فان تصبهم سيئة يطيروا بموسى وانه تعالى هو المتوحد بالايجاد لهما لكن بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة
وافهامهم عن مدارك المعاني مردودة وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير
ومحلها الرفع على الابتداء والمعنى اى شىء تأتنا به من آية بيان لما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا

فيسحرنا بها لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها وتذكيره باعتبار اللفظ وتانيثه باعتبار معناه بينه بها له فما نحن
لك بمؤمنين اكد نفي الايمان بالاسمية ونصرف سببه اعني الاية الى ما هو غير سبب له فارسلنا عليهم الطوفان الماء
الذي طاف بهم وغشي اماكنهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل وهو السوس يخرج
من الحبوب وقيل القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثلثة ايام في ظلمة شديد
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى كاد يغرقهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة منه واكد على اراضيهم فمنعهم
من الحرث ودام عليهم ذلك اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ
والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذ يأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا
اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل في اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم و
تثب الى قدورهم وهي تغلي ففزعوا اليه وتضرعوا عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي فيصير دما في فمه آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل
انها آيات الله ونقمة عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحد اسبوعا
وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان به وكانوا
قوما مجرمين اي كافرين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون ارسل الله اليهم بعد ذلك قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك
في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن و
لنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق
والموت وقيل الى الاجل غير مؤجل بما بعدهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم نكثوا من غير توقف وتأمل فانتقمنا
منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها
بقوله فانتقمنا اشارة لما راوا الايات بعين الجهالة والضلالة راوها سحرا وجعلوا الاصرار على انكارهم شعارهم وهتكوا باستتارهم
في المعنى استارهم فلما نوعوا فنون المخالفات صبت عليهم انواع العقوبات فلا ينفع التفكر فيها ولا الى التطهير قصدوا واستكبروا
وكانوا قوما مجرمين في اصل الفطرة فكانت عقوباتهم تصرف قلوبهم عن شهود الايات نعوذ بالله من مكر الله ولما وقع عليهم الرجز

وهو الغضب من الله قالوا يا موسى ادع لنا ربك ولم يقولوا ربنا وهو اقرب اليهم من موسى اذ لم يهتدوا الى ربوبيته لئن كشفت عنا الرجز
يعني الغضب لا حقيقة الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم مرادا غضبا فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا في الظاهر وفي الحقيقة
كان تكذيبهم من نتائج الغضب الحقيقي وكانوا عنها عن حقائق احكامنا غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد
وذبح الابناء مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي
باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ونصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهي
قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من
البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم اشارة تمت كلمة ربك يعني بالكلمة الحسنى وما قدر لهم
في المنازل وقال فيهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقوله خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فتم ما قدر لهم من السعادة بما صبروا على
الشدائد في الدين والصبر من اعمال اهل الجنة كما قال وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه يعني بني
اسرائيل من الاذلال والاهانة وما كانوا يعرشون يرفعون عليهم بالتجبر والتكبر وفيه اشارة اورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون هم القوى الروحانية بعد تمكنهم من ملك القلب مشارق الارض ما يلي جهة الروح من ارض القلب ومغاربها
وما يلي جهة القالب منها التي باركنا فيها بانواع العلوم والمعارف ومكارم الاخلاق والاوصاف ومحاسن الاحوال والمقامات
ومفازة المكاشفات والمشاهدات والمعاينات وتمت كلمة ربك الحسنى وهي عدة استخلاف الروح بعد هواه في ملك
القلب بعد تدمير ما صنعه النفس الامارة فيه من تمهيد قواعد الهوى وتزيين الشهوات واللذات الفانية والترفع والتكبر على
القوى الروحانية بما تمكن من ملك القلب اياما منقضية الامد وما تم ذلك لهم الا بالصبر على مقاساة شدائد لوازم البشرية
وهي حسرات الغموم والهموم الدنيوية التي سوى الحق تعالى فيها خواص خلقه وعوامهم لتمحيص كل احد عنها ولا مفتاح للفرج
الا الصبر وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي ان موسى عبر بهم البحر يوم عاشوراء فصاموه شكرا فاتوا على قوم
نزلوا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وهي مقدمة تزيين العجل في قلوبهم قالوا
يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق مؤكدا لبعدها صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة متبر
مكسر ما هم فيه يعني ان الله يهلك دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا
يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وفي هذا الكلام بما فيه من المبالغة تحذير لقومه عما طلبوه قال
اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بمحض الفضل بان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته

قال في بحر الحقائق وخلصنا بني اسرائيل صفات القلب من بحر الانا ومن فرعون النفس فاتوا على قوم اى فوصلوا الى صفات
الروح يعكفون على اصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وارادوا العكوف على عبدة عالم الارواح
قالوا لموسى الوارد الرباني الذي جاوز بهم بحر الدنيا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ففي ذلك اشارة الى انه لولا فضل الله
ورحمته مع العبد ليثبته على قدم العبودية وصدق الطلب الى ان يبلغ المقصد الاعلى لكان العبد يركن الى شيء من
خشائش الدنيا فضلا عن نفائس العقبى قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون
قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعني الواقفين في مقام الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعاني
المعقولة والمعارف الروحانية وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق والوصول الى معارف الربانية اغير الله ابغيكم
الها اى ابغي لكم منزلة غير الوصول والوصال وهو فضلكم على العالمين بالعبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى
المعارف والحقائق الالهيات **واذ انجيناكم من آل فرعون** واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت و
قرا ابن عامر اذ انجاكم **يسومونكم سوء العذاب** استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او
من آل فرعون او منهما **يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بدل منهم مبين وقرا نافع يقتلون
مخففا **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** في الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيم فان البلاء
كما يكون بالمحنة يكون بالنعم قال في بحر الحقائق واذ انجيناكم من آل فرعون يعني من النفس وصفاتها يسومونكم
سوء العذاب اى سوء عذاب البعد يقتلون ابناءكم اى يبطلون اعمالكم الصالحة التي هي متولدات من صفات
القلب بآفة الريا والعجب ويستحيون نساءكم يعني صفات القلب لاستخدام النفس وصفاتها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يعني
كان في استخدام صفات القلب للنفس وصفاتها بان يعمل الصالحات رياء وسمعة لحدوث المنافع الدنيوية وحظوظ النفس بلاء
عظيم من ربكم يخلصكم منه لئلا تطلبوا غيره ولا تعبدوا سواه ولا تركنوا الى الروحانيات و العقليات ولكن
تطلبوا المراتب الوصول ودرجات الوصال **وواعدنا موسى ثلثين ليلة** شهر ذي القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا **واتممناها بعشر** من ذي الحجة **فتم ميقات ربه اربعين ليلة** بالغا اربعين روي انه عليه السلام
وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك ساله موسى ربه فامره
بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك قالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا
وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها **وقال موسى لاخيه هارون اخلفني**
في قومي كن خليفتي فيهم **واصلح** ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا **ولا تتبع سبيل المفسدين** ولا تتبع سبيل من سلك
الافساد ولا تطع من دعاك اليه **ولما جاء موسى لميقاتنا** لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه لميقاتنا او بمعنى
في كما في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة **وكلمه ربه** من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل

جهة

عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه ما مكر باعلائها واعلاء كهم **بغير الحق** صلة يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله **وان يروا كل آية** من الآيات المنزلة او المعجزة **لا يؤمنوا بها** لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد **وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** لاستيلاء الهوى عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين
وقرئ الرشاد وثلاثتها كالسقم والسقم والسقام **وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** لما في طينة فطرتهم من غلبة الخواص
الشيطانية **بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين** اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات
حقيقة السعادة الابدية منوطة بالتذلل والتعبد فانه هو الرابطة التي يتوسل بها العبد الى ربه فيتجلى به فيوض الواردات
والالهامات المفضية الى سلوك طريق الهداية كما ان الشقاوة الابدية منوطة بما يقابل ذلك من التكبر الموجب للطبع بقطع تلك الروابط
المذكورة المفضية الى السقوط في مهاوي غياهب الضلالة والغي ولذلك قال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض فجعل التكبر
سببا للطبع بقطع رابطة الفيض ثم قال ذلك اى الطبع على قلب المتكبرين بما كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى بما يستدعيه التكبر من التكذيب
والغفلة فانهما من لوازمه فقط ظهر بما بيناه وجه تعليل الطبع بالتكبر تارة وبالتكذيب اخرى فان قلت التكبر هل يكون بالحق كما يكون بغير الحق
قلت نعم التكبر اذا كان ناشيا من الوجود الموهوم الذي للمحجوبين فهو تكبر بغير الحق وهو مذموم قطعا لانه اثبات الكبرياء لغير الله واما
اذا كان ناشيا من الوجود الموهوب الحقاني بعد فناء الوجود الموهوم فهو تكبر محمود وهو المسمى بالعزة والوقار وقد قيل للحسن رحمه الله
ان فيك كبرا فقال ليس ذلك كبرا ولكن ... قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الآية وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه في
جواب من قال له فيك كل فضيلة الا انك متكبر لست بمتكبر ولكن كبرياء الله تعالى قام مقام التكبر **والذين كذبوا باياتنا**
ولقاء الآخرة اى ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة **حبطت اعمالهم** لا ينتفعون بها **هل يجزون الا ما كانوا**
يعملون الا جزاء اعمالهم **واتخذ قوم موسى من بعده** من بعد ذهابه للميقات **من حليهم** التي استعاروها من القبط حين هموا بالخروج
من مصر واضافها اليهم لانها كانت في ايديهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر للاتباع ويعقوب على الافراد
عجلا جسدا بدنا ذا لحم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل **له خوار** هو صوت البقر روي ان السامري لما صاغ
العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صنع من الحيل فكان يدخل الريح في جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم
وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذه الها **الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا** نداء على فرط ضلالتهم
واخلالهم بالنظر وفيه دلالة على اثبات الكلام له تعالى **اتخذوه** تكرير للذم اى اتخذوه الها **وكانوا ظالمين** واضعين
الاشياء في غير موضعها **تاويل** ان سامري الهوى من بعد توجه موسى لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا و
الرغوبات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا جسدا له خوار وهو الدنيا له خوار يدعو الخلق
الى العبادة الم يروا يعني عبدة عجل الدنيا انه لا يكلمهم بالخير ولا يهديهم سبيلا الى الحق اتخذوه الها ومعبودا بالجهل وكانوا ظالمين في
وضع العبادة في غير موضعه **ولما سقط في ايديهم** كناية من اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده

يديه مسقوطا فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم **ورأوا** وعلموا **انهم قد ضلوا** باتخاذ العجل **قالوا لئن لم يرحمنا**
ربنا بانزال التوراة **ويغفر لنا** بالتجاوز عن الخطيئة قراءها حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء **لنكونن**
من الخاسرين باضاعة بضاعة التوحيد **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا** شديد الغضب وقيل
حزينا **قال بئسما خلفتموني من بعدي** اي بئسما عملتم من بعدي ذهابي وبعدما رأيتم مني من التوحيد والخطاب
للعبدة او بئسما قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه مجاز الكلام بئس خلفتموني بها من بعد
خلافتكم **اعجلتم امر ربكم** وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين **والقى الالواح** طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين
روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والاحكام **واخذ براس اخيه** بشعر راسه **يجره اليه** توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بسنة او بثلاث
سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل **نكتة** قال الشيخ رض لو لم يلق الالواح ما اخذ براس اخيه فان في نسختها
الهدى والرحمة فذكر لموسى مكان يرحمه على اخيه **قال ابن ام** ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر تخفيفا والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله **ان القوم استضعفوني**
وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم فقهروني وقاربوا قتلي **فلا تشمت بي**
الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير
قال الشيخ رض سألت هارون ليلة اسري بي ارواح فقلت يا هارون ان ناسا من العارفين زعموا ان الوجود بعدم في
حقهم ظاهرون مع الله ولا يبقى للعالم عندهم ما يتقون اليه في جنب الله ولا يمكن انهم في المريد دون اشباهكم واحزنا الحق كنت
لا حيل في وقت غضبك ولا شمت بي الاعداء فجعلت لهم مثلها وهذا حال يخالف حال هؤلاء العارفين فقال صدقوا فانهم ما
ولا عوا على ما اعطاهم ذوقهم ولكن انظر هل العالم مع الله عندهم قلت كذا قال فمنهم من العلم بما هو الامر عليه على ما قلته ما فاتهم
ففقدهم عدم العالم فمنعهم من الحق على قدرها ما حجب عنهم من العالم فان العالم كله هو عين الحق **قال رب اغفر لي** ما افرطت في حق اخي
ولاخي ان فرط في كفهم عن الباطل ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه **وادخلنا في رحمتك** بمزيد الانعام
علينا **وانت ارحم الراحمين** انت ارحم بنا منا على انفسنا **اشارة** اذا اخلفتنا في رحمتك يشير الى السير في الصفات لان
المغفرة والرحمة من الصفات فبينه بذلك على ان لموسى الروح وهارون القلب استعداد قبول الجذبات الالهية التي تدخلهما في عالم الصفات
وانت ارحم الراحمين لان غيرك من الراحمين عاجز عن ادخال غيره في صفاته وانت على ذلك لمن تشاء **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم**
غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم **وذلة في الحيوة الدنيا** هي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية **وكذلك**
نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى **والذين عملوا السيئات** من الكفر والمعاصي **ثم تابوا**
من بعدها من بعد السيئات **وامنوا** واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة **ان ربك من بعدها** من بعد

التوبة

التوبة **لغفور رحيم** وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثرت كجرائم بني اسرائيل **ولما سكت** سكن وقد قرئ **عن موسى**
الغضب الحامل له على ما فعل والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت **اخذ الالواح** التي القاها **وفي نسختها**
وفيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة **هدى** بيان للحق **ورحمة** ارشاد الى
الصلاح والخير **للذين هم لربهم يرهبون** اللام زائدة لتقوية العمل او للتعليل والمفعول محذوف والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم **واختار موسى قومه** اي من قومه **سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة** روي
انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجرا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام و
خروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها **قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي** تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان
يرى ما رأى او بسبب اخر او عني به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فرحمت
عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك **اتهلكنا بما فعل السفهاء منا** من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها
ففشيتهم هيبة فرجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم قلت
فعلى هذا يكون هذا الميقات غير ميقات رؤية موسى فلا يرتاب على عبادة العجل وهو الاوفق لسبق الحكاية والله اعلم
ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية **تضل بها من تشاء** فتنزل بها قدمه
عن سنن الايمان **وتهدي من تشاء** هدايته فيقوى بها ايمانه **انت ولينا** القائم بامرنا **فاغفر لنا** ما قارفنا
من الذنب **وارحمنا** بما في فطرتنا من الضعف **وانت خير الغافرين** فانك تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
ولا احد يغفر مثل تلك المغفرة **نكتة** ان قلب موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان
سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بحفظ بقول رب ارني فقدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية
وكان سؤال القوم من قلوب لاهية تصاعدت منها دخان نار الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فوردوا
الحجة والانكار وطلب الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة بظلمهم فشتان ما بين صعقة موسى وصعقة قومه فان صعقته كانت
اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة **حقيقة** ان القوم قد افرطوا
في طلب الرؤية بوجوه منها انهم اوقفوا الايمان على الرؤية وهو خلاف ما زاده الله تعالى من عباده من الايمان بالغيب **ومنها**
انهم طلبوا رؤية الحق تعالى في تجلي نور الالهية دون الربوبية والموعود للعباد انما هو الرؤية في تجلي نور الربوبية فان ذلك
النور يبقى مصطلح بخلاف نور الالوهية **ومنها** انهم طلبوا الارادة من موسى دون ان يطلبوا منه السؤال عن ربه فقالوا

ارنا الله جهرة ولذلك نسبوا الى السفاهة ولم ينالوا ما طلبوا من الرؤية فان شرطها الموت على ما اسلفناه ولم يكن صعقهم صعقة
موت بخلاف صعقة موسى فانه كان صعقة الموت وقد ادرك بها ما سأله من الرؤية كما افاده الشيخ رض فقد كان طلب الرؤية والاطلاع
فيها فتنة من عند الله كما قال ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء يعني الذي طلبها على غير وجهها وتهدي من تشاء يعني الذي طلبها
على وجهها انت ولينا وولي كل شيء من اهتدى فاغفر لنا ما حرمتنا المعصية من الضلالة والحرمان عن الرؤية وارحمنا
باعطاء نعمة الرؤية ولدا استهاوانت خير الغافرين تعفو عن السيئة وتجازي المسيء بالخير واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة اي في الآخرة حسنة وهي الجنة والرؤية انا هدنا
اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا للمؤمن والكافر فساكتبها سأثبتها في الآخرة للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانا فيها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها فان قلت ما نظم قوله تعالى
قال عذابي اصيب به من اشاء بما قبله من دعاء موسى ع قلت هو ان موسى ع دعا بدنين امرين احدهما كشف العذاب عن القوم
بان عذابه ليس امرا مقصودا بالذات كرحمته وانما المقصود منه تأديب العباد فيصيبه من يشاء من المسيئين بالادب كما دل عليه
قراءة من اساء بالسين المهملة وانما جعل من يشاء موضعه دلالة على كمال سعة رحمته حيث لم يجعل تعذيب المسيء امرا واجبا
بل معلقا بالمشية والثاني اصابة الرحمة فاجاب بان رحمته وسعت كل شيء وليست محصورة على احد من العباد لكونها
امرا مقصودا بالذات وانها نصيب واجب للذين يتقون المعاصي والمحرمات ويحملون الحرص على الفضول باداء الحقوق
والذين يؤمنون بربهم بالغيب لا يوقفون ايمانهم على كشف الغطاء بالرؤية جهرة قال الشيخ رض الرحمة رحمتان
رحمة امتنانية ورحمة وجوبية فاما الرحمة الامتنانية فهي التي تنال من غير استحقاق وبها يرحم السعيد والشقي حتى
الذين كان مسكنهم ودارهم جهنم فيتنعمون فيها بتلك الرحمة بعد انقضاء اجل المواخذة واما الرحمة الوجوبية فيختص
السعيد لانه كتبها للمتقين قال صاحب التأويلات فلما اخذتهم الرجفة اي رجفة البدن التي هي من مبادي صفة
الفناء عند طلوع بوارق الانوار وظهور طوالع تجليات الصفات من اشتواء الجسد واستعاده بها وقوله رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي كلمة تضجر وتعداد ضجر من غلبة الشوق عند الم الفراق كما قال محمد ع في مثل هذه الحالة
ليت محمدا لم تلدني وكذا ليت رب محمد لم يخلق محمدا وهم بالقاء من الجبل انهكا بطول الحجاب والم الفراق بما فعل السفهاء
منا من عبادة عجل هوى النفس او لما صدر منا حالة السهو قبل التيقظ والاستبصار ان هي الا فتنتك اي ما هي
الا ابتلاء بصفات النفس وعبادة الهوى الا ابتلاؤك لا مدخل فيها لغيرك تضل بها من تشاء من اهل الجحود والشقاق
والجهل وتهدي من تشاء اهل السعادة والعناية والعلامات وانت ولينا متولي امورنا القائم بها فاغفر لنا ذنوب صفاتنا
وذواتنا كما غفرت ذنوب افعالنا وارحمنا الفائزين بالمغفرة التام واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة العدالة

كالاستقامة

والاستقامة بالبقاء بعد الفناء وفي الآخرة حسنة المشاهدة والزيادة انا هدنا رجعنا اليك عن ذنوب
وجودنا قال عذابي اي عذاب الشوق المحض في الحاصل من جهتي وان كان اليما لكنه امر عزيز خطير اصيب به
من اشاء من اهل العناية من عبادي المخلصين ورحمتي وسعت كل شيء لا يختص باحد دون غيره فسأثبتها
كتبنا تامة كاملة للذين يتقون الحجب كلها ويعطون ثمار تقواهم من الاموال والاخلاق والعلوم مع الاحوال على
مستحقها والذين هم بجميع صفاتنا يتصفون الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يامرهم او بدل من
الذين يتقون والمراد من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والنبي من كان مأمورا من الله بالتعبد بعبادة مخصوصة والرسول
هو الذي يكون مأمورا بدعوة الخلق الى تلك العبادة المخصوصة فهو اكمل من النبي فلذلك قدم ذكره الامي وهو من لا يكتب
١٢٧ ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حالته هذه من جملة معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير وكالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم اي يخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر اصارهم فا
لذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية واصل العزر المنع ومنه التعزير ونصروه بمقاتلة الاعداء واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان
يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم
المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قال ارباب الطريقة ان في قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي
اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا للاتباع في هذه المقامات الثلثة وهي الرسالة والنبوة التي هي مشتركة بينه وبين
ساير الرسل والانبياء عليهم السلم ومعنى الامي انه كان ام الموجودات واصل المكونات كما قال ع اول ما خلق الله روحي وقال حكاية
عن الحق تعالى لولاك لما خلقت الافلاك فلما كان هو مبدأ الورى واصلها فاما اتباعه في مقام الرسالة والنبوة فبان يأخذ
ما اتاه الرسول وينتهي عما نهاه عنه فان الرسالة تتعلق باحكام الظاهر والنبوة تتعلق باحكام الباطن فللعوام شركة مع الخواص في
الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة ثم اذا حقق احكام الرسالة في الظاهر يصح له بها احوال النبوة في
الباطن بحيث يصير صاحب الالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤول حاله الى ان يصير صاحب المكالمة
والمشاهدة والمكاشفة وربما يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال واما اتباعه في مقام امية عليه السلم
فذلك مخصوص باخص الخواص من متابعيه وهو انه ع رجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاول ثم بجذبات الوحي انزل في
مقام التوحيد ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى مقام الوحدة كما قال انما انا بشر مثلكم وكما قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين

او ادنى فقاب قوسين عبارة عن مقام التوحيد واو ادنى عبارة عن مقام الوحدة فدرج بالبرزخ متابعة من مقام البشرية
الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات الهوية ارتقى في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة
فقد تخلى من مقام امية عليه السلام يامرهم بالمعروف وهو طلب الحق والتبتل اليه وينهاهم عن المنكر وهو طلب ما سواه والانقطاع عنه
ويحل لهم الطيبات اى القربات الى الله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وهي الدنيا وما يباعدهم عن الله ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم يعني اصرهم من العهد الذي كان بين الله تعالى وبين حبيبه عليه السلام بان لا يوصل احدا الى مقام امية وبجبلة
المرسة كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال يمنعهم من الوصول الى هذا
المقام فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم عنهم هذه الاصر والاغلال بمتابعته فالذين اتبعوه هم المفلحون من جذبات انانيته الفايزون بنور
الوحدة **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم** الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الكافة الثقلين
وساير الرسل الى اقوامهم **جميعا** حال من اليكم **الذي له ملك السموات والارض** صفة لله وان جعل مفصولا او مرفوع
او مبتدا خبره **لا اله الا هو** وعلى الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غير **يحيي ويميت**
فيه مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية **فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته**
يريد بها ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى
الايمان به والاتباع له **واتبعوه لعلكم تهتدون** جعل رجاء الاهتداء اثر الايمان والاتباع تنبيها على ان من
صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خوض الضلالة **ومن قوم موسى** يعني بني اسرائيل **امة يهدون**
بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق **وبه** وبالحق **يعدلون** بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القايمون بالحق من اهل زمانه وتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر
وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هم قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فآمنوا به **اشارة** يهدون الناس بالحق لا بانفسهم وبه يعدلون عن الناس لا بانفسهم لفنائهم فيه
فعلا وصفة وذاتا **وقطعناهم** وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض **اثنتي عشرة** مفعول ثان لقطع
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة **امما** على الاول
بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباط **واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه** في التيه **ان**
اضرب بعصاك الحجر فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان
ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الانفجار في ذاته **منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم**
فشربوا منه **وظللنا عليهم الغمام** ليقيهم حر الشمس **وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا** اى وقلنا لهم كلوا من
طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة **واذ قيل**

لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والمراد بالقرية بيت المقدس **وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وا**
دخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة بعينه وتقديم قولوا على ادخلوا لا اثر له في المعنى اذ لا ترتيب في الواو **نغفر لكم**
خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه
تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير
ابن عامر فانه وحد **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا**
يظلمون مضى تفسيره **واسألهم عن القرية** للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم عن خبر القرية
التي كانت حاضرة البحر التي كانت قريبة من البحر وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية
اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ يعدون بدل من القرية بدل الاشتمال
والمعنى واسأل عن زمان اعتدائهم في السبت **اذ تأتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون او بدل **يوم سبتهم** والسبت اسم
اليوم والاضافة للاختصاص او مصدر ماخوذ من الاسم بمعنى تعظيم يوم السبت على طريق قولك ساف يسيف سيفا بمعنى الضرب
بالسيف ماخوذ من السيف الذي هو الحديد المتخذ للقطع **شرعا** اى ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع من شرع علينا اذا
دنا واشرف **ويوم لا يسبتون** لا يدخلون في السبت كما في قراءة من قرأ لا يسبتون من اسبت اذا دخل في السبت على وجه قولك
اصبح اذا دخل في الصباح **لا تأتيهم** الحيتان **كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم لو قيل كذلك متصل بما قبله فعلى هو مستأنف اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلقة بيعدون **واذ**
قالت عطف على اذ يعدون **امة منهم** جماعة من اهل القرية **لم تعظون قوما الله مهلكهم** وذلك انهم صاروا
في الدنيا **او معذبهم عذابا شديدا** في الآخرة في هذا المثل ثلاث فرق فرقة شرعوا في هتك تحريم الصيد
بتسويل الشيطان حيث قال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهيكم عن الاكل فاصطادوا وكلوها في الاخر وقيل
قال لهم انما حرم عليكم اخذها فاتخذوا حياضا على شط البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تاخذونها يوم الاحد
ففعلوا ذلك فهذا ثم اصروا على السبت وافترقوا ثلاث فرق ففرقة اخذوا في السبت واكلوا منه وفرقة نهوا عن ذلك و
نهوا وفرقة ما انتهوا ولم ينهوا فقالت الفرقة الهالكة او الفرقة الساكتة للفرقة الناهية لم تعظون قوما علمتم ان الله مهلكهم او
معذبهم فانهم كانوا يقولون انا نعلم ان الله ينزل بكم باس الله ان لم تنتهوا وجاز ان يكون ذلك قول بعض الفرقة الناجية لبعضهم
مبالغة في ان الوعظ لا ينفع لهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه **قالوا معذرة الى ربكم** جواب للسؤال اى
موعظتنا لكم معذرة الى الله حتى لا ننسب الى التفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة
اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة **ولعلهم يتقون** فان الياس لا يحصل الا بعد الهلاك **فلما نسوا**
تركوا ترك الناسي **ما ذكروا به** ما ذكرهم الفرقة الناهية **انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين**

ظلموا بالاعتداء والسكوت عن النهي بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر فخفف عينه بنقل حركتها الى الباء ككبد في كبد ونافع بيس بقلب الهمزة ياء كما في ذيب
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشئ اذا اردنا امر تكوين ان نقول
له كن فيكون والآية تقرير وتفصيل للآية السابقة حكي ان الناهين لما يئسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار وللمستعدين باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم
ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث قال ارباب التأويل
واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر القرية قرية الجسد الحيواني على شاطئ وادي البشرية واهل القرية الصفات الانسانية هي
على ثلاثة اصناف منها صنف مقتصد كصفات الروح وصنف معتد كصفات النفس الامارة بالسوء وصنف متوسط كصفات القلب وكل
قد نهوا عن حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فصنف امسك عن الصيد ونهى عنه وهو الصفات الروحانية وصنف امسك
ولم ينه وهو الصفات القلبية وصنف انتهك الحرمة وهو الصفات النفسانية اذ يعدون في السبت سبت محارم الله اذ
تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ان الدواعي البشرية هيجانا عند ظهور المحارم لاغراء الشيطان عليها فتتوفر الدواعي فيما حرم
الله والانسان حريص على ما منع ويوم لا يسبتون لا تأتيهم يعني ان ما لم يحرم الله لا يهيج فيها حيتان الدواعي كالشئ فكذلك
نبلوهم اي الصنف الذي هو الصفات النفسانية بما كان في طبعهم من الخروج من امر الله وطاعته واذ قالت امة منهم اي صنف هو من
صفات القلب لصنف من صفات الروح لم تعظون قوما اي صنفا من صفات النفس الله مهلكهم اي يهلكهم بالمخالفات عند استيفاء
اللذات والشهوات او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات السبعية والبهيمية قالوا
الى ربكم ولعلهم يتقون عن الامارية ويتصفون بالمأمورية والطمأنينة الى ذكر الله وطاعته فانها قابلة لها فلما نسوا ما
ذكروا به انجينا الذين ينهون النفس عن السوء يعني ان من كان الغالب عليه صفات الروح وقهر النفس وتبدل صفاتها بالتزكية
والتحلية فانه من اهل النجاة وارباب الدرجات واصحاب القربات واخذنا الذين ظلموا يعني النفس وصفاتها بعذاب بئيس وهو
عذاب ابطال الاستعداد بتعطيل الفيض الالهي وعذاب البعد عن جوار الحق تعالى بما كانوا يفسقون اي بسبب خروجهم من انوار
الصفات الروحانية الى ظلمات صفات النفسانية واذ تأذن ربك اي اعلم واذن اجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد
الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى اذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من
يسومهم سوء العذاب يذيقهم اشد العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل
مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلعم ففعل بهم ما
فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة

قط

١٢٩

قط واما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ولطرائقهم ومنهم دون
ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات و
السيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل
سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والخلف بالسكون شايع في الشر وبالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض
هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او من الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة
وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال
والفعل مسند الى الجار والمجرور او الى مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة
مصرين على الذنب عائدين الى مثله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء
على الله وخروج من ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه للاستفهام فيه للتقرير او على
ورثوا والدار الآخرة اي نعيم دار خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون قرأ ابن عامر ونافع
وحفص ويعقوب بالتاء على الالتفات والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون
وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان
الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الصلوة بالذكر لاناتها على سائر انواع التمسكات قال ارباب
الطريقة وقطعناهم اي فرقنا الارواح والقلوب في الارض ارض الاجساد امما فرقا منهم الصالحون اي القابلون لفيض نور الله و
منهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون يعني جعلنا الحسنات وهي الطاعات والخيرات والسيئات وهي
المعاصي والمظالم وسيلة الرجوع الى الحق وقبول فيض النور فاما الحسنات فبان يتقرب العبد الى الله بالعمل بها واما السيئات فبان يتقرب
اليه بتركها قال بعض المشايخ خطوتان وقد وصلت وفيه معنى آخر بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر وبالسيئات ليرجعوا
الينا بقدم الصبر فخلف من بعدهم خلف اي خلف من بعد ما سلك الارواح والقلوب طريق الحق ووصلوا الى مقعد الصدق خلف سوء
وهي النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما الهم الله تعالى به الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والاسرار يأخذون
عرض هذا الادنى يعني من شأن النفوس ان يجعلوا المواهب الربانية والكشوف الروحانية ذريعة للحظوظ الدنياوية ويصرفونها في
تحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات والشهوات ويقولون سيغفر لنا اي انا وصلنا الى مقام يغفر ويعفى عنا امثال هذه الزلات
والخطيات كما هو مذهب اهل الاباحة جهالة وغرورا منهم والدار الآخرة والسعادة الاخروية فيها خير للذين يتقون الذين يتقون به
عما سواه افلا يعقلون ايها النفوس الذين يطلبون الدنيا وشهواتها الذين يجدان يتقوا بمواهب الحق بتبعية الارواح والقلوب

الذين يمسكون بالكتاب يعني النفوس المتمسكة بكتب المواهب والكشوف واقاموا الصلوة اي داوموا على العبودية والرجوع الى الله انا لا
نضيع اجر المصلحين اي النفوس القابلة لانوار الله بالصقال من انوار القلوب والارواح فان النفوس بعد امارتها بالسوء تصير باتباع الارواح
والقلوب وتزكيتها على وفق الشرع مصلحة لانوار الله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب
كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو كانهم كانوا يوعدون به
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا
الى الجبل وذكر الظن في موضع اليقين لعدم وقوع متعلقه خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم
تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق اشارة ان الانسان لو وكل الى نفسه وطبعه لم يعمل شيئا من امور الدينية طبعا
لا يحمل اثقالها الا ان يعان على القبول والحمل امر ظاهر او باطن فيضطر الى القبول والحمل كما كان حال بني اسرائيل وكذلك ارباب الطلب
رفع الله على رؤسهم جبل ... كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم ان لم يتوجهوا الى الطلب ولم يحملوا اثقال المجاهدات والرياضات التي لو وكلوا
الى انفسهم ما حملوها خذوا ما آتيناكم بقوة اي بقوة من الله لا بقوتكم وارادتكم واذكروا ما فيه اي فيما آتيكم الله من فضله لعلكم
تتقون به عما سواه حقيقة اسناد الافعال الواقعة في مراتب الاكوان الى الحق يتم على وجهين احدهما الوجه الخاص والثاني
الوجه السببي فبالوجه الخاص تسند الافعال كلها جزئياتها وكلياتها اليه تعالى من غير اعتبار واسطة من الوسائط بينه وبين ذلك
الفعل فيكون هو مع وحدته الذاتية منشأ للافعال المتكثرة باعتبار شؤوناته الذاتية العلمية المتعينة عنه وجودا وبالوجه السببي يستند
اليه الافعال متوسطا الوسائط المرتبة بعضها فوق بعض كاسناد حركة المفتاح الى حركة اليد واسناد حركة اليد الى القوة المحركة
لها واسناد تلك القوة الى القوة العاقلة ثم الى النفس ثم الى الروح ثم الى المبدأ واذا عرفت ذلك فنقول اسناد نتق الجبل اليه
تعالى اما على الوجه الاول فبطريق الاعدام والايجاد بان اعدم الجبل في مكانه بقطع الفيض الوجودي عن هيئته ثم اوجده في الجو
بافاضة الوجود على هيئته مكونا بامره التكويني مسخرا له بالقدرة غير مستترة واما على الوجه الثاني فتصرف النفوس المجردة العلوية
في ملكوت ذلك الجبل وذلك بان امر جبرئيل عم لاختصاصه بالقيام بتدبير عالم الاجسام ومساعدة الانبياء وتأييدهم ان يتصرف في الصورة
الملكوتية التي لذلك الجبل في عالم المثال المطلق فجعل بعزه وضعه ونقله من مكانه المتعين له في ذلك المشهد فاذا حصل في ...
تحقق في صورة ملكه المتغير في حينه وذلك لان العوالم المنزهة بعضها فوق بعض واحد المطابقة بعضها بعضا والعوالم العلوية متبوعة
للعوالم السفلية في اوضاعها واشكالها فما حصل لشيء من الاجسام من الوضع والشكل في عالم المثال لا بد ان يحصل له ذلك في عالم الحس
في حينه والله اعلم بحقيقة الحال واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم ومن ظهورهم بدل
من بني آدم بدل البعض وقرأ ابو نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب
لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا

فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ان يقولوا يوم القيمة اي كراهة ان يقولوا
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او يقولوا وقرأ ابو عمرو وما قبله بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم ولا يعتذرون بذلك لعدم جواز التمسك بالتقليد عند قيام الدليل و
التمكن من العلم افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك روي ان عمر بن الخطاب سئل عن
هذه الآية قال عمر سمعت النبي عم يسأل عنها فقال النبي م ان الله خلق آدم عم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون الحديث
فان قيل الآية دلت على اخراج الذرية من ظهور بني آدم لا من ظهر آدم اجيب بان الله تعالى اخرجهم من ظهر آدم واولاده على
ما يتوالد الابناء من الآباء واستغنى عن ذكره لما علم ان الكل بنوه وخرجوا من ظهره قال الشيخ رض اعلم ان آدم لما اوجده
الله وسواه كما سواه لذلك وجمع الحضرات جعل لها في الكرسي صورة وفي الطبيعة صورة وفي النفس صورة وفي العقل
وصورة في العماء وكل ذلك معلوم مراتب الحق تعالى وهو الذي يتوجه اليه خطاب الله اذا اراد ايجاده كن فيجيب بالخروج ثم قبض
على تلك الصورة في ظهر آدم عم واخذ هو ابتداء معناه في هذا الميثاق من ظهره فان له معناه صورة في صورة فشهد كما شهدنا فان
بعد عن فهمك هذا فقد ورد في الحديث الحسن الغريب ان الله تجلى لآدم عم ويداه مقبوضتان فقال يا آدم اختر ايهما شئت فقال
آدم اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة قال فبسطها فاذا آدم وذريته الحديث فهذا آدم وذريته صور قائمة في
يمين الحق وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يبصر صورته وصورة بنيه في يد الحق فما لك تقر به في هذا الموضع وتنكره علينا
فاخذ الله الصور من ظهر آدم عم وآدم فيهم فاشهدهم على انفسهم بمحضر من الملأ الاعلى الصور التي هم في كل محل الست بربكم
قال الشيخ رض الابتلاء اصله الدعوى فمن لا دعوى له لا يبتلى ... يتوجه عليه ولهذا لما كلفنا الله حين قال الست بربكم فقلنا بلى
فاقررنا بربوبيته علينا واقرارنا بربوبيته علينا عن اقرارنا بعبوديتنا له والعبودية تطلب الانقياد لطاعة السيد فلما ادعينا ذلك
كلفنا ليبتلي صدقنا فيما ادعينا قال ارباب الطريقة كان المستمعون لخطاب الست بربكم على ثلث طبقات السابقون واصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة فجعل الله لهم السمع والابصار والافئدة كما ناسب تلك الحالة ثم نظر الى السابقين بنظر المحبة فلما خاطبهم
بالست بربكم فبالسمع المنور بنور المحبة سمعوا خطابه وبالابصار المنورة شاهدوا جماله وبالقلوب المنورة اجابوا فاجابوا بلسان
المحبة شوقا وصدقا وتعبدا ورقا وايمانا وقالوا بلى انت ربنا محبوبنا ومعبودنا واما اصحاب الميمنة فانهم فانهم لم يحظوا بنور المحبة فلم
يتلذذوا بنار المحبة كما يتلذذ بها اصحاب المشاهدة فسمعوا الخطاب بالسمع الرباني وابصروا بالشواهد الربانية وفهموا بالمعرفة الربانية
فاجابوا بلسان الايمان تعبدا ورقا وقالوا بلى انت ربنا ومعبودنا واما اصحاب المشئمة فامتحنوا باظهار العزة والعظمة واحتجبوا برداء
الكبرياء فسمعوا الخطاب من وراء الحجاب وعلى ابصارهم غشاوة الاعزاز والقلوب في اكنة العزة عن الاعتبار فلم يسمعوا الا بسمع العقول
والطاعة فاجابوه بلسان الاقرار بالاضطرار وهم في دهشة الوقار ودهشة الافتقار وهيبة الذات [illegible] المخاطبة كانت [illegible] بحذافيرها

... القسم الى اقسام ثلاث في صفوف ثلاثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب المشأمة وكان استعداد الذرات في قبول
الخطاب ... يتمكن من الجواب بواسطة نورها بانوار روحها على طبقاتها **وكذلك** تفصيلنا وتبيننا اخذ ذرية آدم من
ظهورهم **نفصل الآيات** ونبين ليتفهموا مقاصدها **ولعلهم يرجعون** من التقليد واتباع الباطل **واتل عليهم** اي على
اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** وهو احد علماء بني اسرائيل وامية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل
رسولا في ذلك الزمان فرجا ان يكون هو نفسه وكان صاحب كلمة وموعظة حسنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ليستمع لشعره وقال
آمن شعره وكفر قلبه وكان مما انشاده كل عيش وان تطاول دهرا صائر مرة الى ان يزولا ليتني كنت قبل ما بدا لي في قلال الجبال ارعى
الوعلا ان يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وعن ابن عباس
انه بلعم باعوراء اوتي علم بعض الكتب وذلك ان موسى عم لما قصد حرب الجبارين اتى قوم بلعم وكان عنده اسم الله الاعظم وطلبوا منه
ان يدعو الله ان يرد الله موسى وجنده عنهم فابى ذلك وقال هو نبي الله وانا على دينه ومعه فما زالوا يراجعونه في ذلك وطمعوه
بالمال الكثير حتى افتتن فركب اتانا متوجها الى الجبل يطلع على عسكر موسى فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها وضربها حتى
اذا ازلقها قامت فركب فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك ثلاثا فاذن الله لها بالكلام في الثالث فكلمته فقالت ويحك
يا بلعم اين تذهب الا ترى الملائكة امامي تردني عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله والمسلمين تدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيلها
فانطلقت حتى اذا اشرف به جبل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشيء الا صرف به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير
الا صرف به لسانه الى بني اسرائيل قال له قومه يا بلعم اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وعلينا قال وهذا ما لا املك هذا شيء قد غلب الله
عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فجعل يلهث كالكلب قال لهم قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر
لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن لا تمنع نفسها امرأة
من رجل ارادها فانهم ان زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة برجل من عظماء بني اسرائيل
فاعجبه جمالها فاخذ بيدها ودخل لها قبة فوقع عليها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت الى ان اخبر به فنحاص
بن العيزار صاحب امر موسى عم وكان رجلا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش فاخذ حربته فدخل عليهما القبة وهما متعانقان
فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء وجعل يقول اللهم هذا الفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني
اسرائيل في الطاعون [illegible] من ما اصاب الرجل المرأة الى ان قتلهما فنحاص فوجدوه سبعون الفا وفي خبر آخر اجيب دعوته على بني
اسرائيل [illegible] فدعا عليه موسى ان ينزع عنه اسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت منه
[illegible] **فانسلخ منها** من الآيات بان كفر بها فاعرض عنها **فاتبعه الشيطان** حتى لحقه
وادركه وقيل ستبعه **فكان من الغاوين** فصار من الضالين **ولو شئنا لرفعناه** الى منازل الابرار من العلماء قربهم
بها بسبب تلك الآيات **ولكنه اخلد الى الارض** الى الدنيا او الى السفالة **واتبع هواه** في ايثار الدنيا واسترضائها

واعرض

واعرض عن مقتضى الآيات والمعجزات ولو شئنا لرفعناه ولكن لم نشأ لكون مشيتنا مشروطة بان يأتي بما يستحق به ... فجعل
عدم اتيانه مقام عدم المشية لكون انتفاء الشرط مستلزما لانتفاء المشروط مبالغة وبيانا **فمثله** فصفته التي هي مثل في الخسة
كمثل الكلب كصفته في احسن احواله وهو **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال
المعنى لاهثا في الحالتين والمعنى انه اتى بآياتنا فدفعه فوضعنا ... التمثيل موضعه للمبالغة والبيان **ذلك مثل القوم**
١٢١ **الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص** المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم والقصص بفتح القاف وكسرها جمع قصة و
القصص بالفتح مصدر وترك الادغام لعدم الالتباس بالقص بمعنى القطع كما في الطلل الزمزم فيه الفك بمنزلة غير الطلل بمعنى المطر
لعلهم يتفكرون يتفكر ويؤدي بهم الى الايقاظ **حقيقة** لا ينبغي للمؤمن العالم العامل ولو وصل من علو المرتبة منتهاها ان يعتمد
على ما هو عليه ويأمن الخذلان والمكر الالهي في شأنه فان ابليس ما وقع في شبكة اللعن والطرد الا من علم فاتبع وعمل عرض وبلعم كذلك
وكم من عباد حل بهم من ذلك ما حل بهما وان لم نشتهرهم فينبغي للناظر من جرى به ما جرى ان لا يأمن بلعم او غيره وما هو من واحد منا ببعيد اعاذنا
الله من ذلك وقال واتل عليهم اي على كل من يتأتى منه استماع الكلام نبأ الذي آتيناه آياتنا اي سر الانسانية باظهار صفاتها الكمالية
في لباس نشأة البشرية بحسب استعداداته الفطرية فانسلخ منها اضاع استعداده الذي به اشتمل على الصفات الكمالية فخرج منها
عن حقيقة الانسانية الكمالية ثم لم يبق فيه سوى معنى الانسان الحيواني الذي اطلاق اسم الانسان عليه بالمشاكلة في صورة فاتبعه الشيطان
لحقه صفات الشيطنة فجمع بذلك عن البهيمية والسبعية والشيطانية فكان من الغاوين الجامعين من اراذل الصفات الغواية ولو شئنا
لرفعناه بها لجعلنا رتبته فوق رتبة الملائكة بالجمع بين الكمالات العلمية الروحانية والعملية الجسمانية ولكنه اخلد الى الارض مال الى استيفاء
اللذات السفلية الحسية فانتكس من رتبة الانسانية الى رتبة الحيوانية واتبع هواه سلط الهوى على سلطان الطبيعة القلبية فضعف بذلك
قلبه غاية الضعف فمثله كمثل الكلب فكان صفته في ضعف القلب صفة الكلب الذي له غاية ضعف القلب البالغ في صفة القلب غايته
ان لا يخلو في حالتي التعب والدعة عن اللهث فهو كذلك لا يخلو في حالتي الشدة والرخاء عن العجز والضجر ان تحمل عليه بشدائد الرياضات
يعجز عن الصبر عليها وان تتركه متقلبا في ملابس الرفاهية والدعة يعجز عن الشكر لها ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا اعرضوا عن شكر
النعم التي انعمنا بها عليهم من صفاتنا الكمالية حتى انسلخوا عنها وجرى عليهم ما جرى فاقصص القصص فذكر الناس بهذه القصة المنبئة والحكاية
المفصلة لعلهم يتفكرون ويتأملون فيما هم عليه من ... على انفسهم من الحرمان من الصعود الى نهايات درجات العلو والعروج والسقوط في غايات
دركات السفل والبعد والله هو الهادي الى طريق السبيل والرشاد والسداد **ساء مثلا القوم** [illegible] كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة
عليها وعلمهم بها **وانفسهم كانوا يظلمون** الجملة اما داخلة في الصلة معطوف على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات
وظلم انفسهم او منقطعة عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وبال ذلك لا يتخطاهم ولذلك قدم المفعول **من يهدي الله**
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون الذين خسروا في بضاعة الاستعداد هم الفطري في قبول الهداية

والكمالات المترتبة عليها وفي الآية تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض والافراد في
الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ الموصول ومعناه وفيه تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين وفي الاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع
عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها قال [illegible] من يهد
الله فهو المهتدي يعني من ادركته العناية ولحقته الهداية اليوم ليلا نزل من المراتب العلوية الى المهاوي
السفلية فهو الذي اصابه رشاش النور يوم رش عليهم نوره وقال عليه السلام من اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطاه فقد
ضل ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون يعني ومن خذله الله حتى اتبع هواه فاضله الهوى عن سبيل الله فهم الذين اخطاهم
ذلك النور ولم يصبهم فهم وقعوا في الضلالة والخسران ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يوجهونها الى معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين
لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع
تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاسماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم مصروفة
اي اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل من الانعام فان الانعام تدرك المنافع والمضار وتجتهد في جلبها ودفعها غاية
جهدها وهم ليسوا كذلك فانهم يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
قال صاحب التأويلات اولئك كالانعام لفقدان ادراك الحقايق والمعارف التي تورثهم من الله بالقلوب عين الاعتبار
وعدم الفهم بالاستماع بل هم اضل لوجود الشيطنة فيهم الموجبة للبعد بفساد العقايد وكثرة المكايد قال في بحر الحقايق ان الله تعالى
خلق الخلق اطوارا اطوار للقربة والمحبة وهم اهل الله وخاصته لاظهار الحسن والجمال فكانوا يسمعون كلامه ويبصرون جماله وبه يعرفون
كماله وخلق اطوارا منها للجنة ونعيمها وهم اهل الجنة لاظهار اللطف والرحمة فجعل لهم قلوبا يفقهون بها دلايل التوحيد والمعرفة واعينا
يبصرون بها آيات الحق في الآفاق والانفس واذانا يسمعون بها خطاب الحق وكلامه وخلق اطوارا منها للنار للقهر والعزة كما قال ولقد ذرأنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها يعني دلايل التوحيد والمعرفة ولهم اعين لا يبصرون بها آيات الحق ولهم آذان
لا يسمعون بها خطاب الحق بسمع القبول اولئك كالانعام بل هم اضل لانهم كانوا مستعدين للمعرفة والطلب فابطلوا الاستعداد الفطري
بالركون الى شهوات الدنيا وزينتها ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
وانت تعلم ان التحقيق ان الاسم هو الذات مأخوذا مع وصف من الاوصاف واللفظ اسم الاسم فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء
وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه لانه ربما يوهم معنى فاسدا كما في قولهم
يا ابا المكارم بالاب بمعنى الرب او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز فلا توافقوهم في
شيء من ذلك واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة ههنا وفي فصلت يلحدون بالفتح

يقال

يقال لحد والحد اذا مال عن القصد قال في بحر الحقايق اسم الله تعالى بمثابة اسم العلم للحق وهو اسم ذاته تبارك وتعالى والباقي من الاسماء شئون
صفاته فقوله ولله الاسماء الحسنى اي الصفات الحسنى فادعوه بها اي فادعوا الله بكل اسم مشتق من صفة من صفاته بالاتصاف والتخلق بها تارة
وبالتحقق بها تارة اما التخلق فكالاتصاف بصفة الخالقية بان يكون مناكحة الرجل للتناسل والتوالد اتصافا بخلاقية الخالق كما قيل للحكيم
وهو يواقع زوجته ما تفعل قال ان تم فانسانا وكالاتصاف بالرازقية فان ذلك بان ينفق مما رزقه الله على المحتاجين ولا يدخر منه
وكذلك البواقي واما التحقق بها فبالاحوال وذلك بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله والتوجه اليه ليتجلى له بتلك
الصفات فيتحقق بها وهذا تحقيق قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي لا يتصفون بها ولا
يتصفون بنقايضها سيجزون بالخذلان ليعملوا بالطبع والهوى ما كانوا يعملون من الالحاد في الاسماء والصفات فيكونوا كالانعام
بل اضل منها قال في باب المعرفة ان الله تعالى يدبر كل امر باسم من اسمائه فادعوه عند الافتقار الى ذلك الاسم بلسان
الحال كما ان الجاهل اذا طلب العلم يدعوه باسم العليم والمريض اذا طلب الشفاء يدعوه باسم الشافي والفقير اذا طلب الغنى يدعوه باسم
الغني واما بلسان القال كما اذا قال الاول يا رب يريد به يا عليم لاختصاص ربوبيته بذلك الاسم والثاني يريد بيا رب يا شافي
والثالث يا غني واما بلسان الفعل كما يدعوه السالك بالاتصاف بتلك الصفة فاذا فني عن علمه بعلمه دعاه باسم العليم واذا فني عن
شفاء ذاته منه وحصل له ان يشفي غيره بالاتصاف بصفة الشفاء دعاه باسم الشافي واذا استغنى عن فقره دعاه باسم الغني وهذه
هي الدعوة المأمور بها الموحدون من المؤمنين فليمتثلوا حقيقة ولله الاسماء الحسنى في رتبة الالوهية اسماء من شانها الكمال والعلو
والعمل والتأثير كما ان للمرتبة الكونية اسماء من شانها النقصان والتسفل والانفعال والتأثر فادعوه يا اهل النقصان بها اي بالاسماء
الكمالية فان تلك الاسماء هي مصادر الفيوض الربانية والامدادات الوجودية والجودية وذروا الذين يلحدون في اسمائه فيسمون
بما من حقه ان يطلق على المراتب الكونية بما من حقه ان يطلق على مرتبة الالوهية كما قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سيجزون ما كانوا
يعملون من الخلط في اسماء المراتب واحكامها ومن ذلك طريق الملاحدة المضيفين الى ظواهر اقوال الصوفية من غير تصرف فيما ذهبوا
اليه في مسئلة التوحيد من الاسرار ومن غير تزكية لنفوسهم الهاوية التي تذهب بها المستولات الشيطانية مذهب الهلاك والبوار
فيلحدون في اسمائه لا يراعون للمراتب احكامها واسماءها ولا يتحملون من اعمال الشريعة وآداب الطريقة اعباءها سيجزون ما كانوا يعملون
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق
للدلالة على انه خلق للجنة ايضا امة هادين بالحق عادلين في الامر والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى
الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك
ان نتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم
عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
قال الشيخ [illegible] المكر عند الله تعالى ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب ولقد مكر به كثير من الخلق لا يحصى عددهم والثاني

فيتخلون
قد مكروا اصحاب الهمم وقيل ما هم فيهم مستهزئون الادب مع الخروج عن رسم بقاء الحال الموثرة فى العالم عليهم مكر الله فقد
انهم لو لم يكونوا على حق فى ذلك لتغير عليهم الحال نعوذ بالله من مكره الخفى ومما يمكر به العبدان يرزق العلم الذى تطلب العمل ويحرم
العمل به ويرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رايت هذا من نفسك او علمته من غيرك فاعلم ان المتصف به ممكور ولقد رايت
فى واقعة قد فتحت ابواب السماء ونزلت خزاين المكر الالهى مثل المطر العام وسمعت ملكا يقول ماذا انزل الليلة من المكر فحقت
الى نعشى مرعوبا ونظرت فى السلامة من ذلك فلم اجدها الا فى العلم بالميزان الشرعى فمن اراد الله به خيرا وعصمه من غوايل المكر فلا يضع
ميزان الشرع من يده وهذه حالة المعصوم والمحفوظ ثم ان المكر الالهى انما يكون مخفيا من الممكور به خاصة لا عن غيره ولذلك قال
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فيجعل الغير الممكور بهم اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روى
انه عليه الصلوة والسلام علا الصفات فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات الى الصباح فنزلت
ان هو الا نذير مبين موضح انذاره اولم ينظروا نظرا استدلال فى ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شىء مما يقع عليه اسم الشىء من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم
شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مصدرية او مخففة واسمها ضمير الشان وكذا يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق
والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول العذاب فباى حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اى اذا لم يؤمنوا
بهذا القرآن البالغ فى البيان مبلغ الكمال بالزام الحجة تارة كما فى قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة وبالارشاد الى النظر كما
فى قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات وبالتحريض على انتهاز الفرصة بالمبادرة الى الايمان قبل فوتها كما فى قوله وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فباى حديث بعده يؤمنون حقيقة اراد بالملكوت ههنا عالم الامر لا عقابه بذكر عالم الخلق كما قال
الا له الخلق والامر فقد حث فى النظر على الجمع بين عالمى الامر والخلق وقدم ذكر الملكوت لشرفه فانه المقدم لعالم الملك وكونه
مقدما على عالم الملك فى الوجود فان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالفى عام وكذلك واسطة بين المبدا وعالم الملك فى التصرف
فعالم الملك فى تصرف اهل عالم الملكوت وعالم الملكوت فى تصرف الحق تعالى كما قال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء من يضلل الله
فلا هادى له تقرير وتعليل للانكار المفهوم من الاستفهام ويذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستيناف وهو بالنون على التكلم
وبالياء على الاصل كما قراءة ابو عمرو وعاصم ويعقوب وقرا حمزة والكسائى بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهديه
احد غيره ويذرهم يعمهون حال مرهم والعمه عمى الباطن حقيقة من يضلل الله اى من كانت ضلالته من جهة اسم الله
الجامع لجميع الحقايق الالهية فلا يوجد فى حقه من يكون هاديا له اذ لا منصرف فى الكون الا اسماؤه وهى بكليتها فى جهة اسم الله
متطاوعة له فيما اراده منها احكامها فى حكمه فاين يوجد فى الوجود من يصرفه عما قام هو عليه وذلك بخلاف من كانت ضلالته
من جهة اسم المضل فان اسم الهادى اذن يتمكن من مقابلته له وغلبته عليه فى حقه فينجع فيه دعوة مظهره اسم الهادى بانفاذه من حكم

مظهر

مظهر اسم الهادى بانفاذه من حكم مظهر اسم المضل ورفع تحكمه عنه كما كان فمن رجع من الكفر الى الايمان ومن العصيان الى الطاعة سابقا
ولاحقا فظهر بذلك فايدة بعثة الانبياء للدعوة ومن اجابة بعضهم دون بعض فاغتنم فانك بذلك تهتدى الى كثير من العلم الذى
يخفى على كثير من العلماء الاعلام والله اعلم يسئلونك عن الساعة اى عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة والحق انه ساعة فى حق العوام وعلى وفق الموافق كان
فيها حسون موقفا ووقف الناس فى كل موقف منها الف سنة يسال عن حقوق ذلك الموقف فمن كان قد ادى حقوقها كان
انقضاء ذلك الزمان فى حقه فى قدر ساعة متعارفة وقال فى بحر الحقايق هى الساعة التى يموت فيها الخلق ولذلك قال لا
تأتيكم الساعة الا بغتة وسنشير الى طرف من ذلك فى مقامه ايان مرسيها متى ارساؤها اى اثباتها وارساء الشىء اثباته
واستقراره ومنه ارسى الجبل وارسى السفينة قل انما علمها عند ربى استاثر الله بعلمها لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
لا يجليها لوقتها الا هو اللام بمعنى الى كما فى قوله تجرى لاجل مسمى اى لا ياتى احد يجليها واظهارها الى حلول وقتها
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقتها وقيل التاقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
وليس بمستقيم وللقول بزيادة اللام محال ويكون تحقيقا بدلا من ضمير الساعة بدل اشتمال الشمس ثقلت فى السموات والارض
عطف على ما هام من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجاة على غفلة
كما قال عليه الصلوة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفى عنها عالم بها حفى عن الشىء اذا سال عنه فان من بالغ فى
السوال عن الشىء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن تضمينا بمعنى السوال هو صلة يسئلك اى يسالونك كانك
عالم بها عنها وقيل حفى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
والمعنى يسالونك كانك حفى تتحفى بهم عنها فتخبرهم لاجل قرابتهم بتعليم وصفها وقيل من الحفو بمعنى المنع وفى الحديث ان رجلا
عطس عند النبى صلى الله عليه وسلم فوق ثلاث فقال له النبى حفوت اى منعتنا ان نشمتك قل انما علمها عند الله كرره للمبالغة ولتكرره
يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم وجه حال علمها
الى الله بعد احالته الى الرب قلت هو ان الربوبية مع مشاركتها للالوهية فى جمع جميع الحقايق الكمالية مخصوصة بتبليغ الحقايق
الكونية الى كمالاتها اللايقة بها فتكون بين الحقايق الكونية وبين وصف الربوبية من الارتباط ما ليس بينها وبين الالوهية فيكون
فى احالة علمها الى الله بعد احالته الى الرب برفق ادعوى خفائها لما فى الاول من مجال الترخص فى السوال والاستكشاف ما ليس فى
الثانى وحسبك على صحة ما ذكرناه شاهد الجل الكتاب مقرونا بذكر الخفى كما مر ههنا قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا اى جلب نفع و
دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيعلمنى له ولو كنت اعلم الغيب لا
ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولتمكنت من تحصيل المنافع الكثيرة والاجتناب عن المضار وذلك خلاف ما انا عليه من الحاجات

١٣٢

للبشرية إن أنا إلا نذير وبشير ولما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بها ويجوز أن يكون
متعلقا بالبشير ويكون متعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها كما جاء
انه خلقها من ضلع من قصيرات أضلاعه اليسرى أو من جنسها كقوله خلق لكم من أنفسكم أزواجا زوجها حواء ليسكن إليها
ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه ذكر الضمير حالا على المعنى فلما تغشاها أي جامعها حملت حملا
خفيفا أي حملا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الأذى فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت فلما أثقلت
صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا صالحا
قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء وقرأ نافع وأبو بكر شركا
أي شركة فيما آتاهما صالحا قال بعض المفسرين لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما
أدري قال إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا وما يدريك من أين يخرج فلعل يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك
وذكرت لآدم فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد إليها فقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك
خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذكرت لآدم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها إبليس ولم
يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سماه بذلك وفي هذا الكلام ما لا يخفى من الوهن والوهم فإن أمر الولادة أمر يشترك فيه الوحوش والسباع
مع سقوطها عن رتبة العقل فأنى ترى واحدا منها في أول حمل حمله يهتم لوضع حمله بكلا بأن يمنعه عما يضر بولده ومع ذلك من
التدبيرات فما ظنك في هذا الأمر بآدم الذي علمه الأسماء كلها واصطفاه بالنبوة وبحوا التي صاحبته في الأرض وفي الجنة سنين وما
بالك يظن بها الجهل بما يشترك فيها أخس أنواع الحيوانات الست يشعر بأن عموم لفظة الأسماء في قوله وعلم آدم الأسماء نعم اسم الولد
والوالد والولادة والحمل والوضع إلى غير ذلك من لوازم هذا الأمر بل المعول الله في هذا الخبر هو ما روي عن ابن عباس رضي الله
قال كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث
فسمياه فعاش والحديث خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض ويحكى أنهما لما أتيتهما لذلك سماه قابيل وكان معناه بلفظهم
تجدد العصيان وقال المحققون من أهل التفسير أي معنى قوله جعلا له شركاء جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما حيث سموا
عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وأنت تعلم أن لفظة لا تقتضي أن يكون الجعل في حين الإتيان أن مع
سوق الكلام في العتب على آدم وحوا والعتب على الشخص بفعل غيره خلاف ما عليه سنة الله والذي حملهم في ذلك على مخالفة أساطين
المفسرين من ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم هو جعل أولادهما له شركاء فيما عدم لياقة ما ذكروه بالأنبياء وذلك وهم ناش من
عدم الاطلاع على ما هو من خصائص النشأة البشرية من سرعة التقلب في الأحوال المتباينة والتلبس في الصفات المتضادة وكون نزلات النفس تقتضيهما
لا تنافيه وسقطاتها عن مقام القرب موجبات ترقياتها في مدارج الكمال عند الرجوع عنها فإن ذلك يوجب الانكسار في القلب و
في العزم وشوقا إلى الرجوع إلى ما كان عليه من زمان القرب وتهيئا إلى تدارك ما فرط منه بالتوسل إلى موجبات القرب فلها في كل كرة

من الصعود

١٢٤

من الصعود بعد النزول عبورا عن المقام الذي كان له إلى ما هو أعلى منه وأرفع هذا وإن كان في حديث خدعهما إبليس مرتين
عما ينافي ذلك فهو وإن كان خبر الآحاد فنقله المسلمون من زمان قريب ظاهرهم بمعارضة الخبر المنقول عن غير آدم عليه السلام على ألسنة
أهل الملل المخالفة لا سيما اليهود المتهمين بالنسخ والتحريف واختلاف الأقوال الحاذية فإن قلت ذكر الشركاء بلفظ الجمع لا يوافق القصة
فإن المراد فيهما شريك إبليس قلت أريد به إبليس وأتباعه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم فإن قلت المفهوم من قوله
جعلا له شركاء الإشراك وهو كفر والأنبياء معصومون عن ذلك قطعا قلت ما ذكرته هو الإشراك في معبودية والتسمية بعبد
ولك لا يستدعي إرادة كونه معبودا له فإنه قد يكون بإرادة المكلية وقد يكون من باب التواضع فغاية أمرهما هاهنا أنهما وهبا ولدهما إليه
تزعمان ذلك سبب الحفظ فالعتب عليهما هاهنا ليس إلا من جهة أنهما زعما أن لإبليس مدخلا في حفظ ولدهما لا في معبودية فتعالى الله
عما يشركون هو ابتداء الكلام أراد به إشراك المشركين في معبودية في كل زمان عقيب قصتهما لما فيها من شائبة الإشراك أيشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الأصنام ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون لا يقدرون على دفع
ما نصيب عبدتهم من المكاره ولا دفع ما نصيب أنفسهم من الهوان والتحقير تأويل خلقكم من نفس واحدة هنا إشارة إلى أن
الروح الإنساني لو لم يجعل منه زوجه وهو القلب ليسكن إليه لما سكن في العالم فكان سكون الروح إلى القلب لأنه خلق منه
الروح يشم من القلب نفحات ألطاف الحق فلما تغشاها أي الروح القلب حملت حملا خفيفا في البداية بظهور شيء من آثار الصفات
البشرية في القلب الروحاني فمرت به ما همت بها ولم تنال نشأتها فلما أثقلت أي كثرت آثار الصفات خافا على أنفسهما من تبدل الصفات
الروحانية الأخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية دعوا سيدهما لئن آتيتنا صالحا أي نفسا قابلا للعبودية
لنكونن من الشاكرين على هذه النعمة بالعبودية فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما أي جعل الروح والقلب بوجهاتهما إلى
الدنيا ونعيمها لعقائد المطالب بها وفق أمرها بالعالمين الأمر العبودية فلما استلذت النفس من الدنيا عبدتها وعبدت ما فيها فصارت عبد
البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار فتعالى الله عما يشركون بأن يجعلوه شريك الدنيا في التعبد أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون يعني الدنيا وما فيها لا يستطيعون لهم للروح والقلب والنفس نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم أي المشركين إلى
الهدى إلى الإسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن
يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون تأكيدا أو نص على الوجهين إن
الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم أي أشياء مملوكة مسخرة أمثالكم في العجز وعدم
التأثير فادعوهم إلى أمر لا يتيسر إلا لله فليستجيبوا لكم إلى ذلك إن كنتم صادقين في نسبة التأثير إليهم وتسميتهم آلهة
ويحتمل أنهم لما نحتوا الأصنام بصورة الأناسي قال لهم إن قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق
بعضكم عبادة بعض ثم من بعض التنبيه على الداعين لهم بناء على كمال جهلهم وعنادهم في الالتجاء إلى من هو دونهم في الصفات الكاملة فقال
ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها أي لهم صورة كذلك

القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام و
الانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة اشارة
فاستمعوا الى الله ولا تسمعوا الى استفسار المتكلم به هو الله وانصتوا عن حديث النفس لعلكم ترحمون برحمة تجلي المتكلم في كلامه بصفاته
وافعاله واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما وقيل امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ
الامام عن قراءته تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا وقرئ خفية اي سرا ودون الجهر من القول متكلما كلاما فوق السر
ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدوة والعشيات ولا تكن من الغافلين
عن ذكر الله اشارة واذكر ربك حاجيا في نفسك تضرعا في مقام التفصيل بالجمع وخفية في السر من النفس وخفية
ان تكون للنفس فيه نصيب بالعجب والريا ودون الجهر اي دون تظهر ذلك التضرع والذكر منك بل تكون ذاكر الذكر في عين ظهور
نور الروح واثاره واصال غلبات صفات النفس وظلمتها وتكون في حال من الاحوال وخصوصا حال غلبات النفس وصفاتها من
الغافلين عن شهود الوحدة الذاتية ان الذين عند ربك يعني الملائكة الاعلى من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته
بعلو منزلتهم فكيف ببني آدم مع سفل رتبتهم ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخضعونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وفيه تعريض لمن عداهم من المكلفين بالطاعة ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار اشارة ان الذين عند ربك
بالتوحيد والفناء فيه بالبقاء به ذوي الاستقامة في البقاء لا يستكبرون عن عبادته بسبب احتجابهم بالانانية بل يشاهدون التفصيل
في عين الجمع فيه عن الله ويسبحونه ينزهونه عن الشرك ببقاء الانانية وله يسجدون بالفناء التام وطمس البقية واثار الانية والله الباقي
بعد فناء الخلق فضل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان
آدم شفيعا له يوم القيمة **سورة الانفال مدنية بسم الله الرحمن الرحيم**
يسألونك عن الانفال وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل تفضل الله تعالى به لهذه الامة وكان الواجب
فيه فيما قبل ان يطعم للنار والمراد السؤال عن حكم الغنايم **قل الانفال لله والرسول** اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول
على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون او الانصار وقيل شرط رسول الله
صلى الله عليه وآله ان من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فطلبوا نفلهم
فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ولقد رأينا ان نقتل العدو
وان نأخذ المتاع ولكنا خفنا على النبي عليه السلام كرة العدو فتخاصموا فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على
السوي ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض

فطرحته

فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف و
ليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه **فاتقوا الله** في الاختلاف والمشاجرة **واصلحوا ذات بينكم** الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول **واطيعوا الله ورسوله** فيه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاث طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المؤمنون**
اي الكاملون في الايمان **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل الذي يهم ١٣٦
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها ان قلنا بدخول العمل في الايمان فان قلت الايمان بمعنى التصديق القلبي مبني على
اليقين واليقين لا يقبل الزيادة والا لم يكن يقينا قلت لليقين مراتب عين اليقين وحق اليقين فتقبل الزيادة بتعين اليقين بدفع الوساوس
والدواعي فان للوهم باحداث الوساوس والدواعي سلطانا على القلب عند عدم اليقين دون عين اليقين **وعلى ربهم يتوكلون**
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم**
المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي
هي اساس الاعمال الدينية الصلوة والزكوة **لهم درجات عند ربهم** كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده قال اصحاب الطريقة الاشارة
في تحقيق الآيات ان كثرة السؤال توجب الملال ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة الاموال ومن كثرة
سؤالهم سوء سؤالهم عن الانفال سألوا عنها ليكون الحكم في الانفال لهم فحكم الحق تعالى على خلاف ما تمنوه فقال قل الانفال لله
والرسول يحكمان فيها بما شاء الله لا بما شئتم لتتأدبوا وتستسلموا لاحكامهما في دينكم ودنياكم ولا تحرصوا على الدنيا لئلا تشوب
اعمالكم الدينية بالاغراض الدنيوية فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم اي اتقوا الله في طلب غير الله واصلحوا ما بينكم من الاخلاق
الردية والهمم الابتر وهي الحرص على الدنيا والحسد على الاخوان وغيرهما من الصفات الدنية وغيرهما من الصفات الذميمة
التي بها يحجب نور الايمان عن القلوب واطيعوا الله ورسوله بالتسليم لاحكامهما والائتمار باوامرهما والانتهاء عن نواهيهما ان كنتم مؤمنين
محققا لا مقلدا انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فان وجل القلب عند سماع ذكر الله من خصوصية النور المنبسط فيه لان
من شأن نور الايمان ان يرقق القلوب ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته فيلين لذكر الله وتزيد شوقا اليه
هذا حال اهل البدايات واما حال اهل النهايات فالطمأنينة والسكون بالذكر كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا لان الايمان الحقيقي هو النور الواقع في القلوب بقدر انفتاح روزنة القلوب بتجلي شمس انوار الربوبية فكلما
تليت على اصحاب القلوب الآيات وتلوها زاد انفتاح روزنتها بقدر شوقها وصدقها فيزداد فيها نور الايمان وعلى ربهم يتوكلون يعني
يحققه على ربهم يتوكلون لا على الدنيا واهلها فان من شاهد بنور الايمان جمال الحق وجلاله فقد استغرق في بحر تجلي من شهود الحق بحيث لا يستوعب



تعيرهم ويرى الاشياء مضمحلة تحت سطوات جلال الله فيكون توكلهم عليه على غيرهم الذين يقيمون الصلوة يديمونها علازمة العبدية بتظاهرا
وباطنا ولا يشتغلون بطلب الدنيا وان كانت حاجتهم ماسة بها لادامة الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اى ومما اعطيناهم عن ظلهم
يصرفون فى مصالح الدنيا من الى الاخرة اولئك هم المؤمنون حقا لاستكمال شرايط الايمان لهم درجات عند ربهم اى برفع الحق تعالى
درجاتهم على قدر استعلاء ذلك النور وتمكنهم فى مقام العبودية ومغفرة ستر من نوره يستر به ظلمة وجودهم ورزق كريم اى عطاء
كريم مناسب كرمه قال ارباب المعرفة يسئلونك عن الانفال احتجبوا بافعالهم فاعترضوا على فعل الله ورسوله قل الانفال لله مظهر
الرسول فامروا فاتقوا الافعال اى الاجتناب عنها برؤية فعل الله واصلحوا ذات البين بمحو صفات النفوس التى هى مصادر افعالهم
الموجبة للتنازع والمخالفة توجهوا الى الله والمحبة العلية بظهور انوار الصفات واطيعوا الله ورسوله بفناء صفاتها ليتيسر لكم
قبول الامر بالارادة القلبية ان كنتم مؤمنين بالايمان الحقيقى انما المؤمنون بالايمان الحقيقى الذين اذا ذكر الله عند فناء صفاتهم اى صفات
الله وجلت قلوبهم تأثرت بتصور العظمة والبهاء والقهر والكبرياء واشراق نور تجليات تلك الصفات واذا تليت عليهم آياته اى
تجلت عليهم صفاته فى المظاهر الكلامية زادتهم ايمانا تحقيقا بالترقى فى مقام العلم الى العين وعلى ربهم يتوكلون اى يتحققون مقام
التوكل وفناء الافعال ويترقون فى مقام فناء الصفات فان تصحيح كل مقام انما يتم بالترقى عنه والنظر اليه من مقام فوقه الذين
يقيمون صلوة الحضور القلبى بمشاهدة الصفات والترقى فيها بتجلياتها ومما رزقناهم من علوم التوكل فى مقام فناء الافعال وعلوم
تجليات الصفات فى الترقى فيها ينفقون بالعمل بها والافاضة على مستحقيها كما اخرجك ربك خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه
الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه وبيته فيها
بالحق حال عن مفعول اخرجك او صفة مصدر محذوف اى خروجا ملتبسا بما هو الصفات والحكمة وان فريقا من المؤمنين
لكارهون فى موقع الحال اى اخراجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله عليه السلام فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا فخرج بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم
يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بوادى ذفران فنزل عليه جبرئيل عم بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما
قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير مضت على ساحل البحر
هذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام ابو بكر وعمر
فاحسنا مقالتهما ثم قام مقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قال بنو
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار وذلك لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا

انا براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك بما نمنع به آباءنا ونساءنا فكان النبى عم يتخوف ان
لا ترى الانصار ان عليها نصرته الا على عدوه بالمدينة وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا
رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
الطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشط لقوله ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم يجادلونك فى الحق فى ايثارك الجهاد
باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكروا واحدى ثانى مفعولى يعدكم انها لكم بدل من احدى الطائفتين بدل الاشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك تمنونها وتكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اى يثبته ويعليه بكلماته
الموحى بها فى هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمة ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا وتتقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم به فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اى
فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره ذلك المجرمون اى المشركون وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشر ليلة من رمضان
اشارة احتجبوا عن فعل الله بافعالهم قراءة والفعلين منك القتل والخروج فكرهوهما وما فطنوا اخراج ربك اياك من بيتك
بالحق ملتبسا بالحق خارجا به لا بنفسك يجادلونك فى الحق لاحتجابهم بافعالهم وصفاتهم بعدما تبين لك ما هو الحق بالتجلى وتبين لهم
آثاره بالمعجزات من قبل وباعلامك اياهم بالنصرة لهم تأويل اخرج المؤمنين الذين هم المؤمنون حقا عن اوطان البشرية
الى مقام العندية بجذبات العناية كما اخرجك ربك من بيتك اى من وطن وجودك بالحق اى بتجلى الحق بصفات جماله وجلاله
وان فريقا من المؤمنين اى القلب والروح لكارهون يعنى يكرهون الفناء عند التجلى فان البقاء محبوب والفناء مكروه على ذى وجود
يجادلونك الروح والقلب فى الفناء بعدما تبين لهم البقاء بعد الفناء لوجود الموهوب لكراهة من يساق الى الموت واذ يعدكم الله
السائرون الى الله احدى الطائفتين انها لكم اما الظفر بالاعداء وهى النفوس فان الظفر بها نهاية اقدام الرجال السائرين
واما عير الواردات الروحانية وغنايم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اى ودتم ان لا تجاهدوا اعداء
النفوس ذوات الشوكة من المكر والحيل وغلبة الهوى واستقبلتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير ينقسم الى قسمين
سير السالكين وسير المجذوبين فسير السالكين على اقدام الطاعات والعبادات وتبديل الصفات النفسانية الى علاء درجات

صفات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية من الفناء بالاثبات لا يكمل السائر الى الله تعالى لقى هواه
بل يخرجه من ظلمات الطبيعة الى نور الحقيقة كما قال ويريد الله ان يحق الحق اى يحيى الحق بكلماته بجذباته ويقطع دابر الكافرين دابر كفار
النفوس عن المجذوبين ليحق الحق بالمجئ ويبطل الباطل اى النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق
بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر استغاثتهم انهم لما علموا ان لا   من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا
يا غياث وروى عمر انه عليه السلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر والقاه على
منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم اى بانى
ممدكم وقرا ابو عمرو بالكسر اما بتقدير القول او باجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا اصحبته وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة
الجيش وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينهما ان المراد الالف من وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم او الالف مردفين
بطائفة اخرى منهم كما في قراءة الفتح وما جعله الله اى الامداد الا بشرى لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من
الوجل لقلتكم وما النصر الا من عند الله والامداد بالملائكة وكثرة العدد والاهبة ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تيأسوا منه بفقدها ان الله عزيز غالب في امره حكيم بالغ في تدبيره حقيقة اختلفوا في ان الملائكة هل قاتلوا
في الوقعة ام لا فقال قوم نعم قال الماوردي عن ابن عباس رض كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة
في يوم سوى يوم بدر وكانوا فيما سواه من الايام عددا ومددا وقال قوم لم يقاتلوا لانهم لا يشعرون المطهرون الروحانية الجسمية في مشهد
الحس وتكافيهم في اجسام الماديات والحق ان ذلك صحيح فان الروحاني اذا اتحد بالجسد المثالي كان في برزخ بين طرفي الروحانية والجسمانية
فيظهر منه بحكم سابقة الجسمانية صورة الضرب والطعن في الحس عند من اصبح حس الظاهر بصبغ اللطيفة الخيالية فيتحقق منه بقوة الروحانية
ايلام المضروب والمطعون بالتصرف في صورتهما الملكية بتدبير ضرورة انصباغ عالم الملك بصبغ احكام الملكوت عند ابدائه له ونفي متانة
اياه صح تأثير الروحانيات في اجسام الماديات صورة ومعنى وهما سران احدهما التكييف وحقيقة الكمال وتحتم دوره مثل الاشكال وهو ان
فعل كل واحد مقاتل الملك كان يوم الوقعة مقرونا بفعل الآخر وكان يضرب الملك عنق الكافر ضربا معنويا يزيل هامه عن مقامه حقيقة
بحيث يحس به من اطلق حسه الظاهر في ميدان عالم الخيال معقبة ضرب الانسي خيبته ضربا صوريا فيظهر سقوط رأسه في الحس عند ذوي الحس
المعتمدين باحكام فيكون الفعل اذن منسوبا الى الملك حقيقة والى الانسي صورة فيصدق ما ذكرنا النقول الواردة في هذا المقام منها ما روى
عن ابي داود المازني قال اني اذ اوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي ومنها ما روى عن ابي امامة بن سهل عن ابيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان
احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف ولكن هذا هو معنى سلب الفعل عن المقاتلين بالكلية في قوله
فلم تقتلوهم فان الفعل لم يكن لهم حقيقة واخلص لهم فيه النسبة كما عرفته تأويل استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء

صفاتها

صفاتها وغلبات دواعيها عليهما فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة اى بالف صفة من الصفات الملكية مردفين متعاقبين لتكون
صفات النفس بها مغلوبة وما جعله الله الا بشرى لكم بان يتحقق عندكم ان هذا امارة النصر وما النصر الحقيقي وهو الظفر بالنفس وهلاكها
واضمحلال صفاتها الا من عند الله يعني بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم بما يفنيه عنه ويبقيه به
قال صاحب التأويلات اذ تستغيثون ربكم بالبراءة عن حولكم وقوتكم والبرء والانسلاخ عن حجب افعالكم فتيقن ان الظاهر والقوة منه
لا منكم ولا من عدوكم فاستجاب عند ذلك التجرد عن ملابس الافعال وصفات النفس بانى ممدكم من عالم الملكوت بجنسية قلوبكم اياها حينئذ بالف
الملائكة بجنود من ملكوت مراتبهم اى الى القوى السماوية وروحانياتها التى تناسب قلوبكم في تلك الحالة وامدادهم اياها بان يتحدوا ويتمثلوا للعدو
نصرا للمقاتلين كما يتمثل الصورة في المنام فيهزموا منهم واما بان يتصل تأثيرهم ومددهم اليهم فيهلكوا وما جعله الله الا الامداد الا بشارة لكم بالنصر وطمانينة
١٣٨ لقلوبكم بالاتصال بها عند التجرد عن ملابس النفس واحوالها لا ان النصر منها فان النصر ليس الا من عند الله لكن حكمته يقتضى تعلقه باسبابها
ان الله قوى عزيز على النصر غالب حكيم يفعله بفعله على مقتضى الحكمة اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او متعلق بالنصر او
نعم بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف وغشيه الشئ واغشيه بمعنى ستره والفاعل على القرائتين هو الله
وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه مفعول له بمعنى الامن او الايمان فيهما اذ فعل فاعل يغشيكم بالتشديد ومعنى المؤمن فيهما
اذا جعل فعل فاعل يغشاكم وهو النعاس لانها لاصحاب النعاس ووجه الامنة من النعاس ان هدوء القوى البدنية موجب لقوة النفس وتسكين
الجاش والشجاعة وثبات القدم في المخاوف والمهالك لا يكون الا بذلك وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث و
الجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة والتخوف من العطش الحاصلين بتخيله ووسوسته روي انهم نزلوا في كثيب
من الرمل تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا واحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد
غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي ماء
واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط لان القلب
حتى ثبتت في المعركة اشارة ينزل عليكم من السماء ماء يعني من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والجبلية
ويذهب عنكم رجز الشيطان اى وساوسه وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على استقامة
الطلب اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرا بالكسر على
ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة وتكثير سوادهم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يعني كونوا لهم بالتثبيت وانى لهم بالقاء الرعب في قلوب اعدائهم فاضربوا فوق الاعناق اى اعاليها التى هي المذابح او الرؤس ق
واضربوا منهم كل بنان هي اطراف اصابع اليد والرجل اى حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم الخطاب للملائكة ومن زعم ان الملائكة لم تقاتل
جعل الخطاب للمؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى هنا ملقن للملائكة مما يثبتون به المؤمنين كانه قال قولوا لهم قولي هذا

ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب
مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الاخر ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع
الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم الامر او نصب بفعل دل على فذوقوه او غيره مثل باشروا او
عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا
ما عجل لكم في الدنيا وما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الاجل او الجمع بينهما
وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرون لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف ونصبه على الحال من المفعول فلا تولوهم
الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم ويجوز ان ينتصب حالا من الفاعل والمفعول معا مثلكم او اقل
منكم اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم ويدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم
يوم حنين اذ تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره ظهره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو
فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب
لما روى ابن عمر رض انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلعم وانهم فروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون قال
بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا او متحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولى اى الا رجلا متحرفا او
متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس
المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه في الحرب تأويل يا ايها الذين امنوا من اهل القلوب المؤمنة اذا لقيتم الذين كفروا اى اذا لقيتم كفار النفوس
وصفاتها مجتمعين على اهل القلوب المؤمنة وصفاتها فلا تولوهم الادبار لا تنهزموا من سطوات النفوس وغلبات صفاتها
بل اثبتوا بالصبر ومن يولهم يومئذ دبره اى ومن ينهزم يوم استيلائها وغلبات صفاتها الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة الا طلبا
يتحرف ليهيأ القتال مع النفس وراجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها والى الحضرة الربانية مستمدا في قمع النفس وقهرها
بطريق المجاهدة والرياضة لكسر غلبات صفات النفس فقد باء بغضب من الله يعني بطرد وابعاد منه ومأويه جهنم ابعد عن الحضرة
ونار القطيعة وبئس المصير اى بئس المرجع والمعاد فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلوة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرائيل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول
كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم

ويأسرون

ويأسرونهم ثم لما انصرفوا قبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها
الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا
حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم فان اللفظ كما يطلق على المسمى يطلق على كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب
اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتخفيف ورفع ما بعد لكن في الموضعين
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اى لينعم عليهم نعمة عظيمة من عنده بالنصر والغنيمة فعل ما فعل ان الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحل الرفع اى المقصود والامر
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم وان الله اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عامر موهن كيد الكافرين بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف قال ارباب المعرفة
١٢٦ الرسيم وهو هاهنا فناء الافعال بسلب الفعل عنهم واضافه الله تعالى فقال فلم تقتلوهم ولما كان النبي صلعم في مقام البقاء
بالحق نسب اليه الفعل بقوله اذ رميت مع سلبه عنه بقوله وما رميت واسار الله بقوله ولكن الله رمى ليفيد معنى
التفصيل في عين الجمع فيكون الرامي محمدا بالله تعالى لا بنفسه وما نسب اليهم من الفعل شيئا اذ لو فعلوا لفعلوا بانفسهم وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا اى عطاء جميلا هو توحيد الافعال فعل ذلك ان الله سميع باحاديث نفوسكم انا قتلناهم عليم بانه هو القاتل
وان اظهر الفعل على مظاهركم قلت ولهذا السر الغامض لم يكن الانفال لهم بل كان الله والرسول ينفله قال الشيخ رض نفى
الفعل عنه ثم اثبته له ثم نفاه ثانيا فجعله مثبتا بين محوين مجازا لحق فهو مثبت له وما رميت ومحو ابدى وهو قوله ولكن الله
رمى واثباته في قوله اذ رميت وليبلي المؤمنين اى قلنا هذا اختيار المؤمنين في ايمانهم لما في ذلك من نقائص الامور التي يتزلزل
ايمان من في ايمانه نقص من فسحة من بينا الكمال قال ايضا بثت عين ما نفى فيفي عين ما اثبت فصار اثبات الرمي وسطا بين طرفي
نفي والنفي الاول عين النفي الاخر من قبل الوسط لانه محصور فحكم عليه الحصر ولا سيما والنفي الثاني قد زاد على النفي الاول باثبات
الرمي للوسط كما هو دائم كذلك هو في الكلمة الالهية محمد لا محمد اذ لو كان محمدا كما تشهد صورته لكان راميا كما يشهد منه فابان
الله الامر في هذه الاية ان الذي تظن حقيقة حسية انما هي متخيلة تراها اى العين والامر على خلاف ما يشهد العين وهذا سار في
جميع القوى الجسمانية والروحانية فالعالم كله في صورة مثل مضروبة فالحضرة الموجودة انما هي حضرة الخيال ثم تقسم ما تراه من الصور الى
محسوس ومتخيل والكل متخيل وهذا لا يقول به الا من شهد هذا المشهد ولا نوافقنا في ذلك الا السوفسطائية غير ان الفرق بيننا وبينهم
انهم يقولون ان هذا كله لا حقيقة له ونحن لا نقول بذلك بل نقول له حقيقة متخيلة فيها ومن علم ما ذكرناه علم علم الارض المخلوقة من بقية طينة
آدم عم ان العالم باسره هو عماد تلك الارض ولو لا ما هو الامر على ما ذكرناه ما صحت المنازلة منا وبين الحق ولا صح نزول الحق الى السماء الدنيا
ولا الاستواء على العرش ولا العماء الذي كان فيه الحق قبل ان يخلق خلقه ولا حكم الاسم الظاهر بل بدت هذه الحضرة ولا ظهر هذا العالم بالصورة ولا
الاسم الباطن ما عرفنا ان الحق هو الله في صورة محمدية فما فوق ذلك من الصور ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على

سبيل الله كم وذلك انهم لما ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد
لنصره ولن تغني عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او شيئا من المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع
المؤمنين بالنصر والمعونة قرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على معنى ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الاية
خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم
ان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او بتهييج العدو ولن تغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعة
والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطية والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون كالمنافقين او الكفرة الذين ادعوا السماعة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على وجه الارض او شر البهايم الصم عن الحق البكم
الذين لا يعقلون عدهم من البهايم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة
وانتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق
والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلعم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك
ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي قال ارباب الطريقة يا ايها الذين امنوا ايمانا تحقيقيا لا ايمانا تقليديا اطيعوا الله
فيما يدعوكم الى حضرة جلاله ورسوله اطيعوا رسوله الذي ارسله اليكم لتهتدوا بنور نبوته في متابعته الى حضرة جلاله ولا تولوا عنه اي
لا تعرضوا عن الرسول ومتابعته لكيلا تنقطعوا عن الله وتهلكوا في ظلمات تيه البشرية وانتم تسمعون السمع الحقيقي الذي يسمع به كلام الله تعقلون
وان شر الدواب اي شر من دب في الوجود عند الله في مراتب الموجودات الصم عن استماع كلام الحق القلب والعقل البكم عن قول الحق و
الكلام مع الحق الذين لا يعقلون اي لا يعلمون انهم لماذا خلقوا وما اهم من الاستعداد في طلب الكمال وما خرابهم في افساد الاستعداد حيث تعقوا
مع استعداد ان تفوقوا الملائكة في مرتبتهم الى اسفل مرتبة الحيوانية فصاروا شر الدواب قال ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اي لا تعرضوا عنه
مع السماع لان اثر السماع الفهم والتصديق واثر الفهم الارادة واثر الارادة الطاعة فلا يصح دعوى السماع مع الاعراض اذ هما لا يجتمعان
الطاعة بالارادة ان كنتم صادقين ولا تكونوا كالذين يدعون السماع وليس لهم منه شيء لكونهم محجوبين عن القبول والفهم كالدواب بل هم شر
الدواب عند الله بما فيهم من تضييع الاستعداد ولو علم الله فيهم خيرا في هذا المكان لو فيهم كالاسمعهم سماعا حتى فهموا واطاعوا ولو اسمعهم مع علمه الخير
فيهم حينئذ في المكان لو فيهم اثر من الارادة والطاعة بل تولوا سريعا لكون ذلك الفهم فيهم امرا عارضا سريع الزوال اذ ليس ذلك معرضون
بالذات فلا يثبت فيهم الفهم والارادة كما قال امير المؤمنين علي عم خذ الحكمة ولو من اهل النفاق فان الحكمة لتتخلج في صدر المنافق حتى تسكن
الى صواحبها في صدر المؤمن اي لا تثبت في صدره لكونها عارضية هناك ولانها سبب يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله و

للرسول

ومن هؤلاء الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

140

وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه الصلوة والسلام مر على
ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي فقال الم يخبرك يا
ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدايم من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه
سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله نحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى ان
ان يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى
شقاوته وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم اشارة الاستجابة لله اجابة الارواح للشهود والاستجابة للرسول
اجابة القلوب بالمتابعة اذا دعاكم لما يحييكم يعني ليصحكم عنكم ويبقكم به واعلموا ان الله يحول بتجلي صفاته بين المرء وقلبه يعني اذا تجلى
الله على قلب المرء يحول بسطوات انوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمات اوصاف قالبه وانه اليه تحشرون بالفناء عنكم والبقاء به
قال ارباب المعرفة يا ايها الذين امنوا بالغيب استجيبوا بالتزكية والتصفية اذا دعاكم لما يحييكم بحر قلوبكم من العلم الحقيقي او امنوا
الايمان الحقيقي استجيبوا بالسلوك الى الله وفيه اذا دعاكم الله لاحيائكم به هذا اذا كانت استجابة الله والرسول استجابة واحدة واما اذا كانت
متغايرتين فمعناه استجيبوا لله بالباطن والاعمال القلبية وللرسول بالظاهر والاعمال النفسية او استجيبوا لله بالفناء في الجمع وللرسول برعاية
حقوق التفصيل اذا دعاكم بالاستقامة لما يحييكم من البقاء بالله قبل زوال الاستعداد فان الله يحول بين المرء وقلبه بزوال الاستعداد
وحصول الحجاب بارتكاب الذنب فانتهزوا الفرصة ولا تؤخروا الاستجابة وانه اليه تحشرون فيجازيكم من صفاته وذاته على حسب محوكم
وفنائكم حقيقة الانسان ما نظر بنظر بصيرته الى شيء حتى الى نفسه الا والحق ثمه حايل بينه وبين ذلك الشيء فان اول النظر
من كل ناظر على الحق كما قال قائلهم ما نظرت الى شيء الا وجدت الله قبله فالحق ثمه حايل بينك وبين قلبك لا تنظر اليه الا والحق منظورك
الاول في ذلك النظر غير انك ربما لا تشعر بانه منظورك فالمطلوب من العلم بانه المعلوم ولذلك قال واعلموا ان الله يحول ضمنه و
اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة الفتنة ما يفتتن به الناس من الوقايع المشتبهة فيها الحق بالباطل المؤدية
الى الحرب وسفك الدماء وكلام ما بالغ النبي صلعم ولكن في الاستعاذة منها ما ظهر منها وما بطن ولا في لا تصيبن ناهية والجملة صفة فتنة
نبا وبل القول والمعنى اتقوا الفتنة التي لا يختص من ظلم بل تعم الظالم وغيره والاية نزلت في قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقد قال الزبير بن العوام لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان
يوم الجمل وللتعبير تقسيم اخذوها اتقوا ذنبا لا تصيبن اثره الظالم منكم فقط بل يعم الظالم وغيره وهو اقرار المنكر بين اظهر الناس

[illegible]

وترك النهي عنه كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين ظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب
الله العامة والخاصة وللقوم في هذا المقام تصرفات في المعراج تقوم على ساق الاستقامة ولو سع فيه مرجح كما سعيد اشارة
واتقوا ايها الواصلون فتنة هي ابتلاء النفوس بشيء من حظوظها من الدنيا وبعد الاحوال لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل تصيب
الفتنة النفس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتحجبهما من حضاير القدس ورياض الانس لاختصاص
صفات النفس بها واعلموا ان الله شديد العقاب فيما لا يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه قال الشيخ رضي
واي عقوبة اشد من عقوبة من بلغ المسيحي لنا وعبره المسيحي منها والظالم وغير الظالم والبري والفاعل وهي هذه الحدود الدنيا وبين ابنها دار
تتراح وتطفل لمصالح فيتبع عقوبتها العدم التميز وحدود الاخرة ليست كذلك فانها دار تميز فلا تصيب العقوبة بها الا اهلها ومن هنا ان نظرت
تعرف نشاة الاخرة انما هي على غير مثال سبق كما ان نشاة الدنيا على غير مثال سبق وهو قوله تعالى ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون
فتع الاخرة لا تزر وازرة وزر اخرى وهنا ليس كذلك في عموم صورة العقوبة ولكن ما هي في البريئين بعقوبة وانما هي فتنة في الظالم
عقوبة **واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض** ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب
كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم **تخافون ان يتخطفكم الناس** تذهب بكم كفار قريش او من عداها
فانهم كانوا جميعا معادين لهم **فآواكم** الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم **وايدكم بنصره** على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنائم **لعلكم تشكرون** هذه النعم او يكونون ذوي شكر
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في
الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
باذرعات واريحا من الشام فابى النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا
ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق فنزلت واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح **تاويل** واذكروا اذ انتم ايها الروح والقلب قليل
مستضعفون في الارض لا عوان التربية بالذات آداب الطريقة وجريان احكام الشريعة عليهم الى اوان البلوغ والتربية وهما اعني

الروح

١٤١

الروح والقلب تخافون ان يستلبهم النفس وصفاتها وذلك قوله تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم الى حضائر القدس
وايدكم بنصره بالواردات الربانية ورزقكم من المواهب الطاهرة من لوث الحدوث لعلكم تشكرون فتستحقون المزيد يا ايها الذين
امنوا من الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة لسعادات العرفان لا تخونوا الله ورسوله فيما اتاكم من المواهب فتحملوا
شبكة الدنيا ومصيدة اهلها وتخونوا اماناتكم هي المحبة وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات سر لطيف ان ارباب القلوب واصحاب
السلوك اذا لم يقفوا على مراتب المقامات والقربات ثم التفتوا الى شيء من الدنيا وزينتها وخانوا الله بنوع من التصنع وخانوا الرسول
بترك المتابعة بتعدي الخيانة وافضائها الى الامانة التي هي المحبة فيسلب عنهم بالتدريج فيكون ركونهم الى الدنيا وسكونهم الى جمع الاموال وحرصا
على الاولاد وانتم تعلمون انكم تتبعون الذين بالدنيا والمولى بالاولى **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** لانهم سبب الوقوع
في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن اثر رضى
الله عليهم وراعى حدوده فيهم **يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** هداية في قلوبكم تفرقون بها بين
الحق والباطل ونصر الموفق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة مما تحذرون في
الدارين وظهورا يشهر امركم وبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح قال الشيخ رضي يجعل
لكم فرقانا اي ما تميزون به وتعرفون بين ما ينبغي للحق وما ينبغي لكم فتعطون كل ذي حق حقه **ويكفر عنكم سيئاتكم** ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز وترك العقوبة عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد
غفر الله لهم **والله ذو الفضل العظيم** تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل **تاويل** يا ايها الذين امنوا يجعل لكم فرقانا تفيض عليكم من سبحات جلاله فتضا من انوار جماله
وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله والفناء فيه قال
صاحب التاويلات رحمه الله واذكروا اذ انتم قليل اي قليل القدر لجهلكم وانقطاعها عن نور العلم مستضعفون في ارض
النفس تخافون ان يتخطفكم ناس القوى الحسية لضعف نفوسكم فآواكم الى مدينة العلم وايدكم بنصره في مقام توحيد الافعال
ورزقكم من طيبات علوم تجليات الصفات لعلكم تشكرون نعمة العلوم والتجليات بالسلوك فيها لا تخونوا الله بنقض ميثاق
التوحيد الفطري السابق وتخونوا الرسول بنقض العزيمة وبنبذ العهد اللاحق وتخونوا اماناتكم من المعارف والحقائق التي استودع الله
فيكم بحسب الاستعداد الاول في الازل باخفائها بصفات النفس وانتم تعلمون انكم حاملوها او تعلمون ان الخيانة من اسوء الرذائل
واقبحها واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي حجاب لكم لاشتغالكم بها عن الله وان الله عنده اجر عظيم فاطلبوه بالتجرد عنها
ومراعاة حق الله تعالى فيها ان تتقوا الله بالاجتناب عن نقض العهد وفسخ العزيمة واخفاء الامانة وحجبة الاولاد والاموال حتى
تغنوا فيه يجعل لكم فرقانا نورا تفرق به بين الحق والباطل من طور العقل الفرقاني ويكفر عنكم سيئات صفات نفوسكم ويغفر لكم
ذنوب ذواتكم والله ذو الفضل العظيم باعطاء الموهوب الحقاني والعقل الفرقاني **واذ يمكر بك الذين كفروا** تذكار لما مكر

قريش وهو حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق
او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم
لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ
وقال انا من نجد فقال ابو البختري اما انا فارى ان تحبسوه في بيت وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها الطعام والشراب
وتربصوا به حتى يهلك فيه فقال الشيخ النجدي بئس الراي رايتم والله لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه
الى اصحابه ويوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلونكم ويأخذوه من ايديكم قالوا صدق الشيخ قال هشام بن عمرو اما انا
فارى ان تحملوه على بعير فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم
فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه والى طلاقة لسانه والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن ويستميل قلوب قوم
ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ فقال ابو جهل لعنه الله اني ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا
فتيا ثم تعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا اظن هذا الحي من بني
هاشم يقوون على حرب قريش كلها فانهم اذا ارادوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى وهو اجودكم
رايا فتفرقوا على قول ابي جهل فاتى جبرئيل عليه السلام النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وقال له
تسج ببردي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه
او يعاملهم معاملة الماكرين بان قلل المسلمين في اعينهم يوم بدر حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه
بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذه الافعال ابتداء انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم و
اذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما
فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد
تحداهم وقرعهم بالعجز سنين فلم يعارضوا مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا
الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص كان النضر يختلف تاجرا الى فارس فيشتري اخبار رستم واسفنديار من
احاديث العجم فلما راى العرب يعجبهم القرآن قال هي اساطير الاولين وانا اقص عليكم ما هو اعجب منه واحلى فكان يقص
عليهم القصص يصرف بها وجوه الناس عن استماع القرآن واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر
الحجارة علينا عقوبة على الانكار او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين على كونه باطلا منه لا الحق فقال
بتعصب قيل لهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بهذا الكلام يدل على كمال جهالتهم وبيانه ان من هذا مقالته بدل ان يقول اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فاهدنا الى الايمان به مع عدم ان يقدر على الاتيان بمثل القرآن المشتمل على نهايات مراتب الحكم و

١٤٢

والمعارف وفائدة التعريف في الحق الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله
من عند الله تعالى لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم فانك رحمة للعالمين والرحمة والعذاب ضدان لا يجتمعان وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فان الاستغفار يذهب الذنب الذي هو السبب في العذاب وهو بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم و
الدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله عليه وآله بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه قال ابن عباس
لم يعذب اهل قرية حتى يخرج النبي منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يعني وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر قال ابو موسى الاشعري
وما كان فيكم امانان وكان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاما النبي صلعم فقد مضى والاستغفار
كائن فيكم الى يوم القيمة وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك
غفرانك وقيل لما قالت قريش ذلك ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون لو استغفروا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وقيل وهم يستغفرون اي يسلمون
يقول لو اسلموا لما عذبوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما المعنى ان فيهم من سبق له من الله انه يؤمن ويستغفر وقيل في اصلابهم من
يستغفر وما لهم ان لا يعذبهم الله وكيف لا يعذبون حيث خرجت من بينهم هم لا يستغفرون وهم يصدون
عن المسجد الحرام يمنعون الناس عنه ومن صدهم عنه الجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
ونبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم دقيقة كفار صفات النفس يصدون
زائرين مسجد الحرام الذي هو القلب المحرم ذكر الغير فيه عنه وزواره الصفات الروحانية من التوكل والتفويض والصبر والشكر
وما كان النفس وصفاته اولياء ذلك البيت ان اولياؤه الا المتقون الا الصفات الحاملة اصحابها على التقوى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم على حرم القلب يريدون تمكنه ودفعه عن الحق الى استيفاء الحظوظ الفانية وما كان صلاتهم عند البيت
اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة الا مكاء وتصدية صفيرا بالفم وتصفيقا بالكف ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب
او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم
يصفرون ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي يخلطون عليه فذوقوا العذاب يعني القتل
يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود في قولهم ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر

..... من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور وفي ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش
منهم وانفق عليهم اربعين اوقية والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله **فسينفقونها** يحتمل ان يكون الاول اخبارا عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبارا عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على
ان مساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد **ثم تكون عليهم حسرة** ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل نفقاتهم
صائرة نفس الحسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة **ثم يغلبون** اي في اخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا في اول الحال
والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم **الى جهنم يحشرون** يساقون **ليميز الله الخبيث من
الطيب** اي ليميز الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ليميز ما انفقه المشركون في
عداوة رسول الله مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز **ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا** فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى
يتراكموا الفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه **فيجعله في جهنم كله اولئك** اشارة الى الخبيث
لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين **هم الخاسرون** الكاملون في الخسران لانهم خسروا اموالهم وانفسهم قال ارباب
الطريقة ان الكفار ارباب ان ينفقوا اموالهم التي بها حصل اجر الانفاق في سبيل الله ليقبل القلوب بها الى الله ويصدوا عن
سبيل الله كذلك كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري الذي له صلاحية الصرف في طلب الله وتحصيل الكمال الانساني
ليصدوا القلوب والارواح المقبلة الى الله عن سبيل الله وطلبه باتباع الهوى وطلب شهوات الدنيا فسينفقونها اي تلك الاستعدادات
في استيفاء اللذات الحيوانية والشيطانية ثم تكون فواتها عليهم حسرة عند تحقق فسادها وفوات الفرصة ثم يغلبون لا
يظفرون بالمرادات الدنيوية التي هي مرام النفوس كلها في الاعمار القصيرة المتناهية ويفوت منهم السعادات الكاملة الاخروية
الابدية والذين كفروا يعني الارواح والقلوب باتباعهم الهوى وطلب شهوات الدنيا في موافقة النفوس ومخالفة الشريعة والطريقة
الى جهنم يحشرون اي يجمعون في جهنم البعد والقطيعة عن الله مع النفوس المتمردة ليميز الله الخبيث من الطيب اي ليميز الارواح والقلوب
الخبيثة التي تتخلق بخلاق النفوس وتميل الى الدنيا وزخارفها وتتبع الهوى من الارواح والقلوب الطيبة التي لا تتبع الهوى ولا
تركن الى الدنيا وزخارفها ولا تتخلق بخلاق النفس وحظها بل تميل الى الله متابعة الانبياء ومخالفة الهوى ويجعل الخبيث
من الارواح والقلوب الخبيثة والنفوس الخبيثة بعضه على بعض فيركمه جميعا اي تصير الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيجعل الجميع في
جهنم البعد اولئك هم الخاسرون يعني الارواح والنفوس جميعا باضاعة بضاعة الاستعداد وفقد الربح وفوات راس المال
قل للذين كفروا ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم **ان ينتهوا** عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله بالدخول في الاسلام **يغفر
لهم ما قد سلف** من الذنوب **وان يعودوا** الى قتاله **فقد مضت سنة الاولين** بالتدمير على من تحزب على الانبياء

كاجرى

كاجرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ولا يوجد فيهم شرك **ويكون الدين كله لله**
وتضمحل عنه الاديان الباطلة **فان انتهوا** عن الكفر **فان الله بما يعملون بصير** فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم
وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج عن ظلمة الكفر الى
نور الايمان بصير يجازيكم عليه ويكون في تعليقه بانتهاءهم دلالة على ان الانتهاء كما يستدعي اثابتهم للمباشرة
يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب **وان تولوا** ولم ينتهوا **فاعلموا ان الله مولاكم** ناصركم فثقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم **نعم المولى** لا يضيع من تولاه **ونعم النصير** لا يغلب من نصره ..... قل للذين كفروا من
الارواح والقلوب بان ستروا نور الروح بظلمات الصفات ..... النفس والسبعية باتباع الهوى و
اتباع الدين بالدنيا ان ينتهوا عن اتباع الهوى ومخا..... لهم ما قد سلف اي يستر ما تلك الظلمات بنور
المغفرة وهو النور الرباني الذي يمحى به الظلمات ..... وان يعودوا لمتابعة الهوى ومخالفة الشرع فقد
مضت سنة الاولين في الهلاك والبوار وقاتلوهم يعني قاتلوا كفار النفوس والهوى بسيف الصدق تحت راية الشرع
في جهاد الطريقة حتى لا يكون للنفس والهوى عند الاستيلاء وغلبات صفاتها فتنة آفة مانعة لكم عن الوصول الى عالم الحقيقة ويكون
الدين كله لله ببذل الوجود ..... الموجد لنيل الجود فان انتهوا اي النفوس عن سوء معاملاتهم وتبدلت اوصافهم وصارت مطمئنة
مستسلمة تحت الاحكام فان الله بما يعملون في عبوديتهم وصدق طلبهم بصير فيجازيهم على قدر مساعيهم وان تولوا اي اعرض النفوس
عن الحقوق واقبلوا الى الشهوات والحظوظ فاعلموا ايها الارواح والقلوب ان الله مولاكم في الهداية وناصركم على قهر النفوس و
قمع الهوى نعم المولى الذي هو وليكم ليهديكم به اليه ونعم النصير في دفع ما يقطعكم عنه ونصركم في الوصول اليه **واعلموا انما غنمتم** اي الذي
اخذتموه من الكفار قهرا **من شيء** مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط **فان لله خمسه** مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان
بالكسر **وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** الجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق
ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على المعطوفين والمعطوفات الله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان
سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
ثم يصرف ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال والمراد بذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال
عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلوة والسلام انهم لم يفارقونا في الجاهلية ولا في الاسلام وشبك بين اصابعه وقيل هم
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني منهم والفقير فيه سواء وقيل مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى
والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص **ان كنتم امنتم بالله** متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم

بالله تعالى علما انه تجعل الخمس لهم ارآء فصابوا اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد به العلم
المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل **وما انزلنا على عبدنا** محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ
عُبُدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين **يوم الفرقان** يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** المسلمون
والكفار **والله على كل شيء قدير** فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة **اذ انتم بالعدوة الدنيا** بدل من
يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب **وهم**
بالعدوة القصوى البعيدة من المدينة تأنيث الاقصى والقياس قلب الواو ياء كالدنيا تركت على اصلها كالقود **والركب** اي العير
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله المقدم وفائدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
حال المسلمين والتباس امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل
ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى **ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد** اي لو تواعدتم انتم واهل مكة القتال
ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحقق لهم ان ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة
فيزدادوا ايمانا وشكرا **ولكن** جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة** بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى
ليموت من يموت عن بينة عاينها فلا يكون له معذرة ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها فلا يبقى له ريب او ليصدر كفر من كفر وايمان
من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او
من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام **وان الله لسميع عليم** بكفر
من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
تأويل اعلموا انما غنمتم من العلوم النافعة والشرائع التي عليها الاسلام في قوله ع بني الاسلام على خمسة
فان لله خمسه وهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله باعتبار التوحيد الجمعي وللرسول القلب ولذي القربى الذي هو السر
واليتامى القوى العاقلة النظرية والعملية والفكرية والمساكين القوى النفسانية وابن السبيل الذي هو النفس الناطقة والاخماس الاربعة الباقية
تقسم على الجوارح والاركان والقوى الطبيعية فيعطي كل ذي حق حقه ان كنتم آمنتم الايمان الحقيقي جمعا وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان
وقت الفرق بعد الجمع تفصيلا يوم التقى الجمعان من فريق القوى الروحانية والنفسانية عند الرجوع الى مشاهدة التفصيل في الجمع اذ
انتم بالعدوة الدنيا القريبة من العلم ومحل العقل الفرقاني وهم بالعدوة القصوى الى الجهة السفلية البعيدة من الحق ومحل العلم والركب
القوى الطبيعية الممتازة للقوى النفسانية اسفل منكم اي من الفريقين ولو تواعدتم اللقاء والمحاربة من طريق العقل والحكمة دون طريق
الجلال والصلابة لاختلفتم في الميعاد لكون ذلك مصادما موجبا للفشل والجبن ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا مقدرا محققا

عنده

١٤٤

عنده والجبان في وقوعه فعل ذلك ليهلك من هلك يعني القوى النفسانية عن بينة هي كونها ملازمة للبدن الواجب الفناء منطبعة فيه ويحيى من
حي يعني القوى الروحانية عن بينة هي كونها مجردة عنه متصلة بعالم القدس الذي هو معدن الحياة الحقيقية الدائم البقاء **اذ يريكهم الله في**
منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان ووجه الامتنان فيه ان يخبر به اصحابه فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم **ولتنازعتم في الامر** امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار **ولكن الله**
سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع **انه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها قال ابن عباس
علم ما في صدوركم من حب الله **واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا** الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني
وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل لعنه الله ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى
الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشروط **قال** حاشيه الشيخ الاكبر رضي الله عنه ان الله تعالى اذا قلل الكثير وهو كثير في نفس الامر وكثر القليل وهو قليل في نفس الامر يرى
ذلك الا بعين الخيال وقال يرونهم مثليهم رأي العين وما كانوا مثليهم في الحس فكانت القلة والكثرة حقا لانه حق في الخيال وليس
في الحس وهكذا الكل ما تراه على خلاف ما هو في نفسه ما تراه الا بعين الخيال حتى يكون صادقا فلا تغفل عن مثل هذا وافرق بين الاعين
عين الحس وعين الخيال وعين العقل واعلم انك لا تقدر على ذلك الا بتقوى الهية يعطيها الله من يشاء من عباده الا ترى الصحابة كيف
اشتبه عليهم جبرئيل بصورة دحية الكلبي حين جاء يعلمهم امر دينهم فما في الكون اعظم شبهة من التباس الخيال بالحس فان الانسان ان
تمكن في هذا ليشك في العلوم الضرورية وان لم تمكن منه نزل بعض الامور عن منزلتها فاذا اعطاه الله قوة التفصيل بان له
الامور اذا رآها اي عن منازلها حاشيه **ليقضي الله امرا كان مفعولا** كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولا او لان المراد بالامر
هنالك الالتقاء وهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه **والى الله ترجع الامور** تنزل الامور على ما قدره لا على ما يرا فقه
الاستجابة **نكتة** ان النبي صلعم واصحابه رأى القوم قليلا وكان ذلك لقلتهم بحسب المعنى حيث فقدوا النصرة من الله تعالى
ان يرى النبي صلعم واله حقائق الاشياء حقا وصدقا وهو محبتها ثم يراها ارباب الصورة في الظاهر بضدها ابتلاء واختبارا للمؤمن والمنافق
فالمؤمن يثبت على ايمانه بتصديق النبي صلعم واله وتسليمه في اقواله واعماله واحواله من غير اعتراض فزاده الله بذلك ايمانا مع ايمانه
والمنافق بزوال قدمه وتشوش حاله وبالاعتراض يزيد نفاقا على النفاق عموا على العمى والى الله ترجع الامور فحال المؤمن و
امره يرجع الى رضاه وحال المنافق وامره يرجع الى سخطه والرضا والسخط من آثار لطفه وقهره يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد **يا**
ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في
القتال **فاثبتوا** للقائهم **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره **لعلكم تفلحون**

يظفرون بمرادهم من النصر والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بكليته
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء فتفشلوا
فتجبنوا وتضعفوا وهو منصوب بتقدير ان في جواب النهي وتذهب معطوف على فتفشلوا ريحكم الريح مستعارة للدولة من حيث
انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصر لا يكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالنصر اشارة يا ايها الذين آمنوا يعني
الارواح والقلوب المؤمنة بشواهد الحق اذا لقيتم فئة جماعة من عدو النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها
فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب واذكروا الله كثيرا انكم بمداومة الذكر يظفرون بالنفس وكسر شهوتها
ونهي هواها ويظفرون على الشيطان والدنيا وزخارفها ويعبرون عن ظلمات الوجود لعلكم تفلحون تخلصون عن ظلمات الخليقة
وتفوزون بانوار الحقيقة واطيعوا الله في بذل الوجود في هويته ورسوله فيما يشير لكم اليها من الاعمال والاحوال فان طاعة الله على الحقيقة
وطاعة رسوله انما تتيسر للعبد بعد خلاصه عن صفات الوجود بآثار الجود ولا تنازعوا مع الاخوان في الله والاقران فان التنازع من الانانية و
يحجب عن الهوية ويورث الفشل عن الاقدام فتفشلوا وتذهب ريحكم عند الاعداء فيستولي عليكم النفس والشيطان واصبروا
عند تنازع الاخوان والاقران على اللين والتواضع وخفض الجناح وترك الرعونة واحتمال الاذى ان الله مع الصابرين
الذين لا ينازعون فيهم فيحفظهم عن الرجوع الى العشرة بنصرة الربوبية ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل
مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة ويصدون عن
سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما
تعملون محيط فيجازيكم عليه وذلك انه لما رأى ابو سفيان انه قد احرز عيره قال للقوم ارجعوا فقال لا والله لا نرجع حتى
نرد بدرا وكان بدر هو موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر
وتعزف علينا القيان ويسمع بها العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القيان فنهى الله سبحانه ونعى عباده المؤمنين ان يكونوا امثالهم وامرهم باخلاص النية والحسبة في نصرة دينه ومؤازرة
نبيه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله عليه وآله وغيرها بان وسوس اليهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين و
افضل الدينين فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما
خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم
وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين

بطرا

وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس في جند من الشياطين في صورة سراقة بن مالك الكناني فقال لا غالب
لكم اليوم واني مجير لكم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل من السماء علم انه لا طاقة له بهم وكان اذ ذاك آخذا بيد الحارث بن
هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث اتخذلنا في هذه الحال فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان من
الشيطان قال الحسن رأى ابليس جبرئيل معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال
قتادة كان ابليس يقول اني ارى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم
انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وقال عطاء اني اخاف ان يهلكني فيمن اهلك والله شديد العقاب
جاز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم يطمئنوا في قلوبهم
بشبهة بعد ان آمنوا وقيل المراد المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به حكيم يفعل ما يشاء بحكمته البالغة ما يستبعده العقل العادي ويعجز
عن ادراكه وهذا جواب للمنافقين في قولهم غر هؤلاء دينهم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
ببدر والظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حين تتوفاهم الملائكة فان لو تجعل المضارع ماضيا و
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون و
جوههم اي ظهورهم والجملة حال من الذين كفروا وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون
ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف ليفظع الامر ويهوله
وفي الآية تنبيه على مقاتلة الملائكة وعن عبد الله بن عباس رض قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه
اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فاذا هو قد خطم انفه وشق
وجهه كضربة سوط ذلك الضرب او العذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف على ما قدمت للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم
بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل كثرة العبيد فنفيه
يستلزم ثبوت اصل الظلم لذلك قال ارباب المعرفة توفي الملائكة لا يكون الا لمن هو في مقام النفس فان كان من العصاة وغلب
عليه صفات النفس من الغضب والحقد والشهوة والحرص وامثال ذلك من رذائل الاخلاق تتوفاهم ملائكة القهر والعذاب من زبانية هيئات
نفوسهم يضربون وجوههم لاحتجابهم عن عالم الانوار واعراضهم عنها وادبارهم لميلهم شوقا اجتذابهم الى الجبروت وعالم الطبيعة ولذات
الشهوة والحرص والشره وذوقوا عذاب حريق الحرمان واستيلاء نيران التعب في طلب مع الفقدان لاكتسابهم تلك الهيئات الموجبة لذلك و

وان كان من اهل الطاعة من غلب عليه انوار صفات القلب من الرافة والرحمة والسلامة والقناعة وامثال ذلك من الرحمة
فضائل الخلق اعنى السبعية والبهيمية دون فضيلة القوة النطقية فانه قد يكون صاحب قلب لم يبلغ مقام النفس توفيهم ملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لمناسبة هيئات نفوسهم تلك الروحانيات كداب آل فرعون
اى داب هولاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم الذى دأبوا فيه والذين من قبلهم قبل آل فرعون كفروا بآيات الله
تفسير الداب فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولاء ان الله قوى شديد العقاب لا يغلبه فى دفعه شئ ذلك
اى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم لا يكون مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا
ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل
بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم بالسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث
واصل لم يك لم يكن حذف فيه النون لشبهه بحروف اللين تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
قال اى باب المعرفة كل ما يصل الى الانسان هو الذى تقتضيه استعداده ويسأله بدعاء الحال وسوال الاستحقاق
فاذا انعم على احد بالنعمة الظاهرة او الباطنة لسلامة الاستعداد وبقاء الخير فيه ثم بعد غيرها حتى افسد استعداده وغير قبوله
للصلاح بالاحتجاب انقلاب الخير الذى فيه بالقوة الى الشر لحصول الرين وارتكام الظلمة بحيث لم يبق له مناسبة الخير
لا امكان لصدوره منه فيغيرها الى النقمة على اسمه وطلب من ذلك الاستعداد اياها بجاذبة الجنسية والمناسبة لا ظلما وجورا
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاغرقنا آل فرعون تكرر للتاكيد ولما نيط به من كفران النعم
بقوله بآيات ربهم وبيان ما عذب اليه آل فرعون وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصى نكتة واغرقنا آل فرعون اغرقناهم فى بحر الهلاك لفساد استعدادهم بالكلية واختصوا بذلك من بين اهل الفساد
لادعاء فرعون صفة الربوبية واقرار قومه وتصديقهم اياه بها وهذا دعاء فساد جهة الروحانية باستيلاء الصفات النفسانية فاستحقوا فى
غاية مراتب الهلاك ثم قال وكل كانوا ظالمين يعنى كل من كفر بالله وكذب باياته كانوا ظالمى انفسهم لافساد استعداداتهم وان لم يبلغوا
الظلم والكفر ما بلغ فرعون وقومه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم
ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف قوله
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص هم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلعم ونقضوا العهد واعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤا الكفار على النبى صلعم يوم الخندق و
من تضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون الغدر او غلبة المسلمين وتسلطهم عليهم
فاما تثقفنهم فى الحرب فاما تصادفنهم وتظفرون بهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس رضى فنكل بهم من وراءهم
واصل التشريد التفريق والتبديد ومعناه فرق بهم جمع كل ناقض عهدا فافعل بهولاء الناقضين عهدك فعلا من القتل والتنكيل بعرف

منك

١٤٦

منك ويخافك من خلفهم من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يتعظون ولا ينقضون العهد واما تخافن من قوم معاهدين
خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد فى العداوة فلا تناجزهم
الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء فى العلم بنقض العهد فيكون انت وهم على سواء فى العلم فلا يتوهموا انك نقضت العهد بنصب الحرب
معهم ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بقوله على سواء على طريقة الاستئناف ولا
تحسبن خطاب للنبى صلعم وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء الذين كفروا سبقوا مفعولاه على قراءة الخطاب والفاعل
على قراءة الغيبة والمفعول لا تحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين اى مفلتين انهم لا يعجزون بفتح الهمزة على قراءة ابن عامر تعليل
للنهى اى لانهم لا يفوتون منى وكذا بالكسر تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو
وقيل نزلت فيمن افلت وانهزم من المشركين يوم بدر واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقض العهد والكفار ما استطعتم من قوة
من كل ما تتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه السلم خصه بالذكر
لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول ومصدر سمى وجمع ربيط كفصيل وفصال
وقال عليه السلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيمة وعطفه على القوة كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة ٥
ترهبون به الضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل
هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شئ فى
سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا وقد يعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم السلم مونث سماعا وتوكل على الله
انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك وكافيك هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين
جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا
كنفس واحدة وهذا من معجزات صلوات الله عليه لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهت
عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله
الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة حكيم يعلم
انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده والاية فى الاوس والخزرج كانت بينهم احن وتراث فى الجاهلية فصيرهم الله
اخوانا بعد ان كانوا اعداء [illegible] هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لاتفاقهما فى التوجه جهة
وخلاصها عن قيود صفات النفس التى تستلزم التخالف والتعاند لتركونها الى عالم التضاد واختلافها بالطباع فان
القلب لا دام واقفا مع النفس ومراداتها واستولت عليه صفاتها جاذبة الى الجهة السفلية وصارت مطالبه جزئية لا تناسب مصالحها

فيطلب طمعه منه عزة ويقع العداوة والبغضاء ويستولي القوة الغضبية الطالبة للجاه والكرامة والغلبة والرياسة ويقع الاستكبار
والاباء والانفة والاستنكاف ويؤدي الى التقاطع والتهاجر والتحارب والتناحر وكلما بعد عن الجهة السفلية بالتوجه الى الجهة العلوية
والتنور بانوار الوحدة الصفاتية والذاتية ارتفع عن مقام النفس واتصل بالروح وصارت مطالبه كلية لا يتمانع ولا يتنافس فيها
لامكان حصولها لمن اراد من غير حرمان للآخر منه ومال الى ما يجانسه في الصفاء بالمحبة الذاتية لنسبة المناسبة وكان اقرب الى الوحدة
كانت قوة المحبة فيما بينهم اشد كقرب خطوط الابنية من محيط الدائرة الى مركزها فبحسب قوة الايمان يكون شدة
الالفة بينهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم لان ما في جهة السفلية يزيد في عداوتهم ومنافاتهم لاستعداد حرصهم
وتكالبهم به ولكن الله الف بينهم بنور الوحدة التي نورت المحبة الروحانية والالفة القلبية فان المحبة ظل الوحدة والالفة ظل المحبة
العدالة ظل الالفة انه عزيز قوي على قمع الكفرة وقهرهم باجتماع المؤمنين واتفاقهم يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن
اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه او في محل الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنين قال سعيد بن جبير
اسلم مع النبي صلى الله عليه وآله ثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فتمم به الاربعون فنزلت هذه الآية وروي عن ابن عباس مثله
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معرض الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون
الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين ووافقهم البصريون في وان يكن مائة ذلك بانهم
قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله وباليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين الراجين ثواب الدنيا وعلو الدرجات قتلوا
او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا اي ضعفا في
قتال الواحد عن قتال العشرة والفتح فيه قراءة عاصم وحمزة والضم قراءة الباقين فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات
لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بوجوب مقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف
عنهم وتكرر المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والله مع الصابرين بالنصر
والمعونة فكيف لا تغلبون قال في مجمع البيان حرض المؤمنين على القتال يعني بالاقدام عليه بنفسك ليقتدوا بك وحرضهم
على القتال بحرص عليه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله اذا اشتد الحرب اقرب الى العدو منهم ان يكن منكم عشرون صابرون يعني في
البأساء والضراء وتحت احكام القضاء يغلبوا مائتين لان الله مع الصابرين بالنصر والعون وان يكن منكم مائة متوكلة
على الله يعلمون بقلة الغلب انهم لو توكلوا على الله لا يصيبهم الا ما قدر الله لهم يغلبوا الفا من الذين كفروا لانهم لا فقه لهم بذلك
الآن خفف الله عنكم ايها الضعفاء وعلم ان فيكم ضعفا في التوكل واليقين فان لم يكن منكم مائة صابرة يعني من اهل الضعف
يصبرون على لقاء المائتين يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله يعني الغلبة والظفر ليس من قوتكم لانكم ضعفاء

بائتين

وانما هو بحكم الله الازلي ونصره الاولياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم والذين اشداء على الكفار لقوة توكلهم ويقينهم لا لقوة احد منهم
وزيادة من العدو وكما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من اهل القوة على ما قال عباس بن عبد المطلب شهدت مع رسول الله ٢
يوم حنين فلم نفارقه وهو على بغلة بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وآله يركض
قبل الكفار قال عباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله اكفها ارادة ان لا يسرع والله مع الصابرين في التثبت والنصر كما قال الله
من صبره الله ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل
ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله والمعنى ليس له اخذ الاسير من غير
القتل بان يطلقهم بالفداء تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او
نيل الآخرة اعزاز دينه وقمع اعدائه والله عزيز يغلب اوليائه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ومقام كما امر بالاثخان
والمنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلوة
والسلم اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك فاستبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له
ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان
الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم عليه السلام قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء قد يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولا يقرون
عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وآله
او انه لا يؤاخذ في ما فعلوا اشياء لم يصرح لهم بالنهي عنها او فعلوه باجتهاد اخطأوا فيه لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم روي انه عليه الصلوة والسلم قال لو نزل العذاب لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك انه اشار بالاثخان فان قلت
من رضي الحق في تلك الاسرى كان قتلهم ولا لما عاتب على الفداء وما ذاكان الرضى قتلهم ولم يكن ايمان من آمن منهم كايمان عباس وعقيل
مرضيا له وهو خلاف ما عليه الحق من العقائد الدينية قلت كان الرضى الحكم بالقتل مع ايمان من آمن منهم وذلك بان يوم يقتلهم ضعف
منهم من كان مرشحا نحو ضعف الايمان لدفع القتل عن نفسه ويقتل من لم يكن مرشحا للايمان بالاصالة على الكفر فيندفع شره ويقل
به شوكة الكفار فكان كل من الحكم بالقتل ومن ايمان عباس وعقيل وغيرهما فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم
وذلك انه لما نزلت هذه الآية الاولى امسك الناس عن الفداء تأثما فنزلت والفاء للسببية والسبب اباحة الفداء المفهومة من قوله
لولا كتاب لانها دالة على دفع الحرج فالمعنى اخذتم الفداء فكلوا حلالا طيبا حال من المغنوم وفائدتها ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب

تلك المعاتبة واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم دينكم رحيم اباح لكم ما اخذتم قال في بحر الحقائق ما كان
لنبي ان يكون له اسرى اي ما كان اخذ الفداء من الاسارى شيمة للنبي صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الدنيا حتى يثخن في الارض اي حتى يبالغ في قهر الاعداء
وقذف الرعب في قلوبهم ورسوخ امر الدين في قلوب المؤمنين ونماء رصيصه في اخذ الفداء الرغبة بعضكم في الدنيا بعد ان شاوركم
فرغب اكثركم فيه والذي يدل على هذا التأويل قوله تريدون عرض الدنيا خاطب به القوم لا النبي صلى الله عليه وآله وبه يشير الى ان الانسان اذا
وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها بالطبع والله يريد الآخرة والذي يريد الآخرة منكم ليس من نتيجة وطبعه انما هو
من نتيجة اسقائه وتأييده ونظر عنايته ورحمة لحقه ونفسه فان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي والله عزيز لا ينظر بنظر
العناية الا الى اهل العزة حكيم فمن يعز بنظر العناية ومن يذله بالسخط والخذلان لولا كتاب من الله سبق باسعاد هؤلاء
الاسارى بنور من بعضهم وبنوة اولاد بعضهم لمسكم فيما اخذتم من الغنائم وميلكم الى الدنيا وجعلتم جعالة على الجهاد في سبيل الله عذاب
عظيم بان يجعل جهادكم في سبيل الدنيا ويحرمكم عن ثوابه في الاخرة بل يعاقبكم عليه فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا بان يجعلوه في مصارف
الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر طيبا به نفوسكم او طيبا عن لوث محبتكم اياه وتعلق قلوبكم به واتقوا الله اي اتقوا بالله عما سواه ان الله غفور
يغفر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم نفسكم عنكم ويعتقكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو
من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل قال ما اخبرني به قال ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله
لم يطلع عليه احد الا الله وبعد دفعه اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا منه عشرين عبدا كلهم يضرب بمال كثير ادناهم
يضرب بعشرين الف درهم واعطاني زمزم وما احب ان لي جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة يشير الى قوله ويغفر لكم والله
غفور رحيم يغفر ذنوبكم ويحرسكم وان يريدوا يعني الاسارى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر
ونقض ميثاق الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم
والله عليم بنياتهم حكيم فيما فعل بهم ثم تأويل قل لمن في ايديكم من الاسرى يشير الى القوى المغنمة الماسورة في الجهاد الاكبر
عند استيلاء سلطان الذكر عليها والظفر بها يعني قل لها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي فيكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والعبودية
والانقياد تحت احكام الله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من شهوات الدنيا ونعيمها وخيرا مما يدلكم الله عنها نعيم الجنة ودرجاتها وهي خير منها
لان الدنيا ونعيمها فانية والجنة باقية ويغفر لكم ظلمة صفاتكم بانوار صفاته والله غفور ساتر بانوار صفاته من طلب ستره رحيم
بهم بان يرحمهم من الوجود بانوار الشهود وان يريدوا خيانتك يعني اذا سامحت النفس التي امرت بمخالفتها عند اثر افقها على
بعض شهواتها المشروعة فارادت خيانتك اي التجاوز عن حد الشريعة والطريقة فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حد الشريعة

والطريقة

١٤٨

والطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها فالمجاهدة معها في اعدها ثم ملازمة الذكر ومنعها عن الشهوات والله عليم باحوالها حكيم
فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها عن اوصافها الذميمة ان الذين امنوا وهاجروا اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة
القتال في الذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن
عباس رض اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة من غير ان يرثهم الاقارب الذين
لم يهاجروا حتى نسخ حين انقطعت الهجرة بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل اولياء بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم اي من توليتهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر من شيء حتى يهاجروا فيكون لهم الولاية بالهجرة
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير اشارة ان الذين امنوا بان طلب الحق واجب وهاجروا عن اهله
فهاجروا واعز اعمالهم القبيحة الى الافعال الحسنة الشرعية وعن اوصافهم الذميمة الى الخلق الحميدة وعن وجودهم المجازي الى الوجود الحقيقي وجاهدوا
باموالهم وانفسهم ببذلها في سبيل الله اي في طلب الحق وترك كل باطل هو غير الحق والذين اووا الى ذكر الله ومحبته وصرفوا طلبه في
القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المراقبة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين امنوا بان
الطلب حق ولم يهاجروا عن افعالهم واوصافهم ووجودهم المجازي ما لكم ايها الطالبون الصادقون من ولايتهم من شيء اي من هو لايتهم ونحا
وان استنصروكم في الدين استمدوكم في طلب الدين فعليكم النصر بالهداية بسبب عندهم وجوب الطلب بان تدلوهم طريق الحق بمعاملاتكم
وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهوم يدل على منع التوارث والموازرة
بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضهم حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار
تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وفرق كثير والذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا يعني الكاملين في الايمان لهم مغفرة
ورزق كريم في الجنة قيل وجه تكرار هذه الاية هو ان المهاجرين كانوا على طبقات فكان بعضهم اهل الهجرة الاولى الذين هاجروا
قبل صلح الحديبية وبعضهم اهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد ذلك فالاية الاولى لاهل الهجرة الاولى والثانية لاهل الهجرة الثانية ثم
الحق بهم من بعدهم ويهاجر ويجاهد معهم بعد نزول الاية فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي
من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه وفي
اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اعتبار ولاية الهجرة اولا
للظاهرة واعتبار القرابة ثانيا الحق القتله والحمد لله وحده

سورة البراءة

تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان
وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين لنا لسورة موضعها وكان قصتها

تشابه قصة الانفال وما نسبهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة اي سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بينهما البسملة قال الشيخ رض
التوبة مع الانفال سورة واحدة قسمها الحق على فصلين فسماها بسورة التوبة اي سورة الرحمة الالهية بالرحمة على من غضب
عليه من العباد فما هو غضب ابدي بل هو غضب ابد براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة
ويجوز ان يكون براءة مبتدا والخبر قوله الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكث الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد
الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة
والمحرم لانها نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان منها وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر
من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رض راكبا العضباء ليقراها على
اهل الموسم وكان بعث ابا بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال اميرا او مامورا قال علي رض مامورا فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي بعدها عليه التحية والسلام
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين آية من اول السورة وقوله
عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على عمومه بل مخصوص بالعهود وكان عادة العرب انه لا يتولى العهد ونقضه الا رجل من قبيلتهم يدل عليه انه في
بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وانا امهلكم وان الله مخزي الكافرين
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة التاويل براءة من الله ورسوله الآية يشير الى النفوس المتمردة المشركة التي اتخذت الهوى
الها وتعبدت صنم الدنيا فانه دنيا الروح والقلب في اوان الطفولية وعاهدها على ان لا تجاهرها ولا تقاتلها الى حد البلوغ وهي ايام
تعرض لاستكمال القالب واستيفاء القوى البشرية التي بها يتحمل حمل الامانة واعباء اركان الشريعة وظهور كمال العقل الذي به يستعد لقبول
الدعوة واجابتها وبه يعرف معجزاتهم وبه يشاهد الصانع ويرى عبادته واجبة لاداء شكر نعمه وان الله ورسوله بريء من تلك المعاهدة
بعد البلوغ كانت تتصرف في الماكول والمشروب والملبوس لتربية القالب وفي ذلك لم يكن مضرا للقلب والروح فاما البلوغ وزادت تلك التربية
المشهور ولما كملت الشهوة ظهرت فيها واشتغلت بزينتها ونعيمها فيها مرض القلب والروح وبعث الانبياء لدفع هذا المرض وعلاجه كما قال عليه السلام
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات وفي قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر اشارة الى ان للنفوس في ارض البشرية سيرا وسياحة
لتكميل الاوصاف الاربعة من النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية التي تولدت بازدواج الروح العلوي النوراني والعزو
القالب السفلي الظلماني المركب من العناصر الاربعة فالماء تولد النباتية والريح تولد الحيوانية والنار تولد الشيطانية و
التراب تولد الانسانية فلتكميل هذه الصفات رخص الله للنفوس في مراتع الدنيا وتمتعها الى البلوغ واذان من الله
ورسوله الى الناس اي اعلام ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم

افعاله

افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي
الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل الاسم ان في قراءة
من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وتكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك
١٤٦ ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة
او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تصنعوا بهم صنيعكم بالناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع
الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور غفر لهم ما سلف واعد لهم الثواب بالتوبة
التاويل واذان من الله ورسوله اي اعلام واخبار منهما الى النفوس اي الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة
الوصال ان الله بريء من المشركين ورسوله يشير به الى ان زيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركي الصفات الناسوتية لانها
لا تعرف الله وتركن الى ما سواه ولا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية الا بعد فنائها فيها وان تبتم عن الناسوتية بافنائها
في اللاهوتية فهو خير لكم يشير به الى ان فناءكم خير لكم من بقائكم بالناسوتية وان توليتم يعني عن الله وركنتم الى غيره فاعلموا انكم غير معجزي
الله فاعلموا انكم لا تعجزونه عن النصرة فيكم اما في اهل السعادة فبافنائهم عنهم وابقائهم به واما في اهل الشقاوة فبالطرد والابعاد
والتعذيب بالم الفراق كما قال وبشر الذين كفروا اي تولوا واعرضوا عنا بعذاب اليم فاذا انسلخ الاشهر الحرم يشير الى استكمال الاوصاف
الاربعة التي بها قوام الانسان من النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية كما مر يعني بها كملت للنفس هذه الصفات التي
بها تصير مشركة لان بهذه الاوصاف تميل الى الدنيا وزخارفها وتعبد الهوى والشيطان فاقتلوا المشركين اي النفوس المشركة
بسيف الصدق وقتلها في نفيها عن هواها ومنعها عن مشتهاها واستعمالها على خلاف طبعها حيث وجدتموهم يعني في الطاعة والمعصية و
قتلها في الطاعة على رؤيتها ومداومتها عليها وفطامها عن مشاربها فيها من العجب والرياء وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم اي

بجاوزهم اى حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد اشارة الى مواعيد احوال النفوس من طرق حيلها اى ارقبوا امورها ومن بها فان
تابوا اى رجعت النفوس عن هواها الى طلب الحق واقاموا الصلوة اى داومت على العبودية والتوجه الى الحق واتوا الزكوة
اى تركت عن اوصافها الذميمة فخلوا سبيلهم خلصوها عن مقاساة الشدائد بالرياضات والمجاهدات ليعملوا بالشريعة بعد
الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية ان الله غفور يستر بصفاته الواجبين الله رحيم باقباله اليهم
لديه وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره وامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد من نوع يفعل
بعضه ما بعده ذلك الامر او الامن بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم
كى يسمعوا ويتدبروا ويهتدوا بالاسلام قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه اضاف الكلام الى الله وجعله مسموعا للسامع
سمعه وما ذلك الا بحكم النيابة فانه ما سمعه الا منقطعا متقدما متاخرا من المتكلم به لذلك فكما ينوب العبد الناطق
عن الله فى ايجاد ما يتكلم به بالفصل بين كلماته كذلك ينوب عنه ايضا فى سماعه كذلك معقولا من الكلمات ثم انه ما كل
من سمع كلاما يعقل ما اراده المتكلم فقد يكون حظ السامع مجرد ترتيب حروف من غير ان يعقل ما اراده المتكلم كما فى المتكلم بغير لغة
السامع كما انه ما كل من نظر فى الموجودات يعقل منها حقائقها وما اريد من ايجاده وما ذلك الا لانهم نصبنا الا بحكم النيابة فكما ينوب
العبد عنه فى التكلم والسماع كذلك ينوب عنه فى الفهم كما قال ولنبلونكم حتى نعلم فوصف نفسه بانه يعلم فى المستانف وهذه
كلها نيابة من حيث ان اسما المعنى مبنية على اعيان الموجودات بما هى الموجودات عند من كسب اى هو القائم على كل نفس بما كسبت
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد ان يكون لهم عهد ولا ينكثونه مع وضيق
صدورهم وقلة مبالاتهم او لان يفى الله ورسوله بالعهد على الاولين صفة للعهد وظرف له او لكيكون وكيف على الاخرين
حال من العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحل النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على
ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم اموالكم فاستقيموا لهم اى تربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء ان الله يحب المتقين كيف يكون للمشركين عهد الله اشارة الى مشركى
النفوس اى كيف يكون لها ثبات على العهد الذى عاهدوه الله يوم الميثاق على ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا من الدنيا والاخرة
وذلك ان النفس ما دامت حية باقية على صفاتها الذميمة لا يمكنها العبودية الخالصة عن شوب الطمع فى المقاصد الدنيوية خلقت
من السفليات وجبلت على حب الدنيا وشهواتها وان اختلفت بالتزكية عنها وتخلقت بالاخلاق الروحانية تحنت بميل عن الشهوات
الفانية الى شهوات نعيم الجنة الباقية ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وتلذ الاعين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام القلب
الذى هو حرام على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته فان النفس اذا تنورت بالانوار المنعكسة من تجلى صفات الجمال
والجلال لمرآة القلب تغنى عن اوصافها الخلقية وتبقى بانوار الخالقية فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة

محفوظة

محفوظة عن حظها فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم معتصمين بالله القويم فاستقيموا لهم على ما هدى
من ترك جهادها بالشدائد فى ضنك الطريقة وسرحها فى متسع رياض الشريعة ان الله يحب المتقين اى النفوس المتقية
كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد وحذف الفعل للعلم به وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا
لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدى
الى عدم مراقبتهم عند الظفر وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التحاشى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو المقاصد الدنيوية والمشتهيات النفسانية فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه
اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون من الشراء
والصد لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو
سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون فى الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فا
خوانكم فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض قصد به الحث على التامل فيما
فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء
بالعهود وطعنوا فى دينكم بالتكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم
صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم بالكفر وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من
مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا
ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الدين فقد نكث عهده وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم
بكسر الهمزة اى لا تصديق لهم ولا دين لهم وقيل هو من الامان اى لا تؤمنوهم بعد هذا فاقتلوهم حيث وجدتموهم لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين اشارة لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة اى
لا يراعون حقا من حقوق القلب والروح عند الاستيلاء فلا تغتروا فانهم ليس حقا من حقوقها اذا ظفروا بها واولئك المعتدون المجاوزون عن حد الحق
وطلبه فان تابوا واقاموا الصلوة اى رجعوا عن الاعتدال الى اقامة العبودية وطلب الحق واتوا الزكوة اى وتركت عن طلبها واوصافها فاخوانكم
فى الدين اى رفقاؤكم فى طلب الحق فارقبوا حقوق اخوانهم كما رقبتم حقوقكم فان لنفسك عليك حقا ونفصل الايات ونبين دلالات طريق
الحق والوصول اليه لقوم يعقلون ان السير الى الله من اهم المهمات واعظم الكمالات وان نكثوا ايمانهم اى ان نقضت النفوس عهودهم من بعد
عهدهم اى بعد ما عقدوه على العبودية والمطاوعة وطعنوا فى دينكم اى انكروا على مذهب اهل السلوك والطريقة فقاتلوا ائمة الكفر اى فجاهدوا النفوس
حق جهادها انهم لا ايمان لهم اى لا وفاء لهم على طلب الحق وترك ما سواه لعلهم ينتهون عن طبيعتهم وعما جبلوا عليه من الامارية بالسوء الا
تقاتلون قوما تحريض على المقاتلة لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل نكثوا ايمانهم التى حلفوا عليها مع

الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهمّوا باخراج الرسول
من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّوا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول
مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب المتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة
والمقاتلة فما منعكم ان تعارضوا وتصادموا اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ولا تهنوا في امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا تخشى الا الله قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم و
التمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
بما وفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على حق الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم
به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة
يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه
وهو جرح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله اشارة ام حسبتم ايتها النفوس الامارة بالسوء ان تتركوا بلا رياضة و
مجاهدة ولما يعلم الله الذين جاهدوا في الله حق جهاده منكم بترك الهوى وشهوات الدنيا ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين يعني مؤمني الارواح والقلوب وليجة اولياء من الشيطان والدنيا والهوى والله خبير بما تعملون من التوجه الى الحق
بالصدق مخلصا او مشوبا بالاغراض والعلل حقيقة ان الله تعالى بعث من حضرة قدس الروح جنودا الى مهاوي عالم الجسم
خدام للارواح لتحصيل الكمالات العلمية والعملية باستعمال القوى البدنية وقابلهم من حضيض عالم الطبيعة بجنود من الشياطين يعوق
تلك الارواح عن مقاصدها ويزاحمها في مآربها ابتلاء وامتحانا ليرى بها لنظر في مشهد الفرق ما كان عليه الامر في موطن الجمع من
قيام قوم بالجهاد في الله حق جهاده وقعود آخرين عنه محتجبين في اضاعة بضاعة الاستعداد وافساده والى ذلك اشار بقوله
ام حسبتم يخاطب به جنود الارواح الموجهة الى مضايق البشرية لتحصيل الكمالات الانسانية ان تتركوا مترفهين في رياض الدعة و مراتع
البال متعززين بالتجمل في حلل التحجب والدلال ولما يعلم الله في مشهد الفرق والتفصيل عملا يترتب عليه الثواب والعقاب ويتوجه اليه
المدح والذم بعدما قد علم في مشهد الجمع والاجمال الذين جاهدوا منكم مع جنود الشياطين في عرصة البشرية التي هي ملعب الخذلان
بالقيام بحقوق الله وحقوق من هو في تسخيركم من القوى المشاعر والاعضاء والجوارح ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين

وليجة

(151)

وليجة لم يكن لهم ملجأ ومعبود غير الله ولم يكن لهم متمسك غير شرع رسول الله ولم يكن لهم صلة الا بالمؤمنين فلم يبدلوا بالله سواه
كمن اتخذ الهه هواه ولم يبدلوا برسول الله الشيطان داعي طريق الضلال ولم يبدلوا بالمؤمنين الكافرين سالكي طريق الضلالة لانهم قد صح
حب الله ورسوله والمؤمنين في بواطن قلوبهم فلم يحل محله حب من سواهم والمراد بالعلم المنفي ههنا العلم المجدد بحسب ما يعبر به المعتبر من
عقبه باثباته في صورة الجزاء التي هي العلم المسبوق بعدمه فقال والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ علي له في
القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج فنزلت وقد اختلف في المراد من العمارة فقال
بعضهم العمارة المعروفة فان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس من شانه ان يعمرها فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى به لم ينفذ
وذهب بعضهم الى ان المراد دخول المسجد والقعود فيه فهم ممنوعون عن ذلك لانهم نجس لا يستأهلون لذلك اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر و
اقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية فان لهم الاهلية لذلك ولعمارة المسجد
وجه آخر هو تعمره بالطاعة وهو العمارة المعنوية فالحصر بهذا الوجه على حقيقته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالنبي
لما علم وتمام الايمان به ولدلالة اقام الصلوة وايتاء الزكوة عليه ولك ان تقول المراد بالمساجد ههنا جميع المساجد والمعنى ان احدا
لا يعمر مسجدا على وجه القرب الا وهو متصف بالايمان وقد قال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد اي يعتد عمارتها فاشهدوا له با
لايمان فان الله تعالى قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير
جبلية لا يكاد العاقل يتمالك نفسه فيها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين
في الاهتداء والانتفاع باعمالهم فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم وليكون منعا للمؤمنين
ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اشارة ما كان للمشركين يشير الى النفوس الامارة بالسوء المشركة التي تعبد الهوى والدنيا
وشهواتها يعني ما كان من شيمة امارتها عمارة مساجد الله وهي القلوب شاهدين على انفسهم بالكفر يريد هم يتزودون على ما جبل عليه
النفوس من التمرد وتعبد الهوى اولئك حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة وفي النار اي نار البعد والقطيعة هم
خالدون انما يعمر مساجد الله اي مساجد القلوب من تزكيتها من النفوس من آمن بالله واليوم الآخر اي صدق بان المقصود والمطلوب
والمعبود هو الله لا الدنيا وشهواتها ولذاتها الفانية وعمل لنيل السعادات الاخروية الباقية واقام الصلوة وآتى الزكوة اي
ادام المناجاة مع الله لصدق الطلب وتزكى بالتزكية عن الاخلاق الذميمة والاوصاف الرديئة فان بها عمارة القلوب ولم يخش

اى الله اى لا يتبعون مرضيات الحظوظ الدنياوية فى طلب الله وانما يجاهدون لتحقيقات الحقوق الالهية فعسى اولئك يعنى ان النفوس عقيب هذه الاحوال
ان يكونوا من المهتدين من الله الى الله حقيقة مساجد الله فى العالم الانسانى ثلثة احدها القالب وهو فى مقابلة المسجد الاقصى وعمارته
بالاعمال الاسلامية والثانى القلب وهو فى مقابلة مسجد النبى صلى الله عليه وعمارته بالايمان الثالث الروح وهو فى مقابلة المسجد الحرام
وعمارته بالاحسان فالى عمارة مسجد القلب اشار بقوله من امن بالله واليوم الاخر والى عمارة مسجد القالب اشار بقوله ولم يخش الا الله فان
ذلك مقام الشهود والمطلع على سر الاحسان والاحسان هو مقام الشهود لقوله عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه **اجعلتم سقاية**
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج
كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المقبولة ثم قرر ذلك بقوله **لا يستوون عند الله** وبين عدم تساويهم بقوله **والله لا يهدى**
القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة متمادون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند**
الله اعلى مرتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة ان امنوا العدم مماثلة سقايتهم وعمارتهم الهجرة والجهاد
واولئك هم الفائزون دون السقاة والعمار ان لم يؤمنوا فغير رفع وهم بينشارهم ذكر اعظم فانه نوهم اثبات اصل الاجر لهم *
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها اى فى الجنات **نعيم مقيم** دايم ابد الاباد وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف
وفى تنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف **خالدين فيها ابدا** اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل **ان الله**
عنده اجر عظيم اجر يستحقر دونه نعيم الدنيا قال ارباب الطريقة الذين امنوا اى القلوب المؤمنة وهاجروا وهجروا ما الفوه من المشتهيات
وجاهدوا مع النفس فى سبيل الله فى طلب الله والسير اليه باموالهم وانفسهم اى ببذل الوجود والموجود اعظم درجة اى قربة عند الله اى فى مقام العندية
من النفوس المتمردة واولئك هم الفائزون من حجب الوجود يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود برحمة منه ورضوان اى بتجلى صفات لطفه وجنات
لهم من درجات القرب فيها نعيم مقيم من الشهود والكشوف خالدين فيها ابدا اى فى المزيد يار الى ابد الاباد ان الله عنده اجر عظيم يعنى من وصل الى مقام
العندية فالله العظيم جزاؤه اى يتجلى فى مقام العندية قال ارباب المعرفة الذين امنوا على نعتها وهاجروا الرغائب الحسية والمواطن النفسية
فى السلوك فى سبيل الله وجاهدوا باموالهم معلوماتهم ومراداتهم ومقصوداتهم بمحو صفاتهم فى صفات الله تعالى وانفسهم فى افنائها فى ذات الله اولئك اعظم درجة
فى التوحيد عند الله يبشرهم ربهم برحمة ثواب الاعمال ورضوان الصفات وجنات من الجنان الثلاث لهم فيها نعيم شهود الذات مقيم ثابتا ابدا **يا ايها الذين**
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجارتنا وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء **ان استحبوا الكفر على الايمان** ان اختاروه
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير محلها **قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم**
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم **واموال اقترفتموها** اكتسبتموها **وتجارة تخشون كسادها** فوات وقت نفاقها

ومساكن

ومساكن ترضونها اى تستطيبونها يعنى القصور والمنازل **احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله** ذكر ذلك
بان يرجح حب هذه الاشياء على حبه وهذه للايمان على عكس من ذلك كما قال والذين امنوا اشد حبا لله وعلامة زيادة حب الله على
حب هذه الاشياء رضى الله تعالى وامره عليها وذلك هاهنا بان تؤثر الهجرة الى الله تعالى ورسوله وما يأمران به من الجهاد فى سبيل الله على مواصلة
ما امروا بالهجرة عنه **فتربصوا** انتظروا **حتى يأتى الله بامره** بعقوبة عاجلة او اجلة وقيل المراد فتح مكة **والله لا يهدى القوم**
الفاسقين لا يرشدهم تنبيه اصل الدين هو محبة الله تعالى وصرف استعداد محبة الله فى هذه المذكورات فسق يعنى الخروج من محبة فقد والله
ابطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى واستوجب الحرمان وادركه القهر والخذلان ولهذا قال فتربصوا حتى يأتى الله بامره اى بقهره
لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن حسن الاستعداد قال صاحب التاويلات لا تتخذوا اباءكم الاية اى لا يرجح فيكم جهة القرابة الصورية ١٥٢
والوصلة الطبيعية على جهة القرابة المعنوية والوصلة الحقيقية فيكون منكم وبين من امن ابا الحجاب على الكشف من اقربائكم ولاية مبنية على الاتصال الصورى
مع فقد الاتصال المعنوى ولخلاف الوجهة الموجب للتقطيع المعنوية فان ذلك من ضعف الايمان ووهن العزيمة بل قضية الايمان بخلاف ذلك كما قال
الله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وقال بعض الحكماء الحق حبيبنا والخلق حبيبنا واذا اختلفا فالحق احب الينا قل ان كان اباؤكم اى ان كانت
هذه القرابات الصورية والمالوفات الحسية احب اليكم من الله ورسوله فقد ضعف ايمانكم ولم تظهر اثره فى نفوسكم وعلى حكم لسقاء حكم ذلك و
لوقوفكم مع الاشياء الناسوتية الموجب للعذاب الحجاب فتربصوا حتى يأتى الله بامره وكيف لا وانتم تسلكون طريق الطبيعة وتنقادون لحكمها مكان سلوك
طريق الحق والانقياد لامره وذلك فسق منكم والفاسق محجوب عن الله معرض وقد قيل يعنى يستحق العذاب الخذلان والحجاب والحرمان حقيقة
التعلقات الدنيوية والاخروية لا تعدو عن اربع مراتب القرابة والمال والمهجة والجنة فذكر الاولاد والاباء والازواج والعشائر واراد جميع اصناف القرابات
والمصاهرات وذكر المال واراد اصناف ما يعيش به الناس من الاعيان المملوكة وقيل بالمكتسب لان محبته امكن فى النفس وقطع التعلق عنه اعز وذكر
التجارة واراد بها التى يخشى عليها من فوات وقت نفاقها فانها من مال الكسب جميع المقاصد الدنيوية والاخروية وذكر المساكن المرضية و
اراد قصور دار الخلود اذ هى المرضية من كل وجه فطلب السائر الى الله سقوط هذه التعلقات للوصول الى وصال من لا ينبغى ان لا تنقصد سواه اما تعلق القرابة
فبالهجرة عنهم الى الله تعالى واما تعلق المال فانفاقها فى المصارف المحمودة شرعا واما تعلق المهجة فبالجهاد فى سبيل واما تعلق بنعيم دار الخلود فقصر الهمم
على المعبود والتبتل اليه بالكلية قال الله تعالى تذكيرهم **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة** يريد مواقع الحرب **ويوم حنين** وموطن يوم حنين **اذ**
اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين وحنين واد بين مكة والطائف خرج رسول الله صلى الله عليه وآله هوازن وثقيفا والمسلمون كانوا اثنى
عشر الفا فقال قائل منهم لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم فاقتتلوا فادرك المسلمين اعجابهم فانهزموا وبقى رسول الله صلى الله عليه وآله فى مركزه معه على و
عباس وابى بكر وعمر وزيد وابن عمه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب غير ابى سفيان بن حرب وعباس اخذ بلجام بغلته وابو سفيان اخذ
بركابه يمنعانه من الاسراع الى العدو فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
وجعل المهاجرون والانصار يتلاحقون بهم ثم نزلت الملائكة وتلاحقت بهم ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفا من تراب فرمى به وجوه
الكفار وقال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا **فلن تغن عنكم** اى لم تدفع الكثرة عنكم شيئا من امر العدو **وضاقت عليكم الارض**

بما رحبت اى برحبها وسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم
مدبرين وليتم الكفار ظهوركم منهزمين وللادبار الذهاب الى خلف خلاف للاقبال ثم انزل الله سكينته رحمة التى تسكن بها
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعاده الى الشئة على اختلاف حاليهما وقيل هم الذاهبين الى خلف خلاف للاقبال ولم يفروا وانزل
انزل جنودا لم تروها باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا
بالقتل والاسر وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلموا
وقالوا يا رسول الله خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما
لا يحصى فقال صلى الله عليه وآله اختاروا اما سبايكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ان هؤلاء جاؤا
مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا
لكن قرضا علينا حتى يصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فرفعوا انهم رضوا حقيقة لما دل المؤمن فى الاية السابقة
على حب الله تعالى وان لا يعدلوا بحبه تعالى حب شىء من الاشياء التى حلوا عليها وكان فى نفوس بعض المحجوبين عن سر الخلق على الصورة شىء
من صحة محبة العبد لانه كان بعض المتقشفة اليوم لا يقولون بصحة تلك المحبة لفقد المناسبة التى هى شرط المحبة بينهما فيقولون محبة الله تعالى
ربه ليس الا امتثال امره ازاح هذه الشبهة بالتنبيه على امور هى اسباب المحبة وبيان تحققها فى حق الحق تعالى بكمالها ليكون دليلا على
صحة المحبة له حقيقة فذكر اولا ما هو معظم اسبابها فى النشاة الدنيوية وهو اصابة الخير والانقاذ من مضايق المهالك والامداد فى دفع
المساوى والمهالك بالاسباب الغيبية فقال لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ثم ذكر ما هو معظم اسبابها فيما يتعلق بالنشاة الاخروية وهى
كمال اللطف بالعبد بالرجوع اليه بالتوبة فى الحيوة الدنيا والمغفرة عند الموت والرحمة بعد الموت فقال ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء و
الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس خبث بواطنهم او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون النجاسات فهم ملابسون
لها غالبا وعن ابن عباس رض اعيانهم نجسة كالكلاب فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم
وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وقاس بعضهم ساير المساجد على المسجد الحرام فى المنع بعد عامهم هذا يعنى براءة وهى التاسعة
وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا وهدى قبايل العرب الى الاسلام فاسلموا وشاركوا
لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء قيده بالمشية لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل
فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطى ويمنع اشارة
يا ايها الذين امنوا الخطاب للارواح المؤمنة ينبهها بذلك على احوال النفوس المشركة انها نجس ونجاستها شركها وشركها انها تعبد الدنيا الشيطان و
والهوى من دون الله فلا يقربوا المسجد وهو القلب بعد عامهم هذا اى بعد البلوغ وذلك ان الله تعالى قد يرفع قلم التكليف عن الانسان

الى ان يلج

الى ان يلج الى استكمال المدة ففى تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطوفون حول كعبة القلب مستمدين من نتايج العقلية والروحانية وبها
يطوفون بشهواتهم من الدنيا ونعيمها حتى صار يعبد الدنيا ديهن ولا شرك بالله طبعهن وبذلك تكامل القالب واستوت اوصاف
البشرية الحيوانية عند ظهور العشق بالبلوغ ثم اجرى الله عليهم قلم التكليفات ونهى القلب عن اتباع النفس وامرها نهيا لها ونهاها عن
طوافها لئلا ينجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها الذميمة قال وان خفتم عيلة يعنى فاقة عن الحظوظ وذكر ان للقلب من جهة
التى تلى النفس حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس واتصافه بصفاتها فلما منعت النفس عن تطوافها حول القلب خاف عن فوات حظوظ
من الشهوات متبعة النفس فقال تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اى بما يفتح عليه من فضل مواهبه ومن انوار ادات الربانية والشواهد
والكشوف الروحانية ان شاء ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما حكم وقدر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لا يؤمنون بهما
على ما ينبغى فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة ولا يدينون دين الحق الثابت الذى
هو ناسخ ساير الاديان ولا ينسخه دين آخر من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية الخراج المضروب على رقابهم
هو ما خوذ من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير بمعنى منقادين اذلاء مقهورين فان الكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطاه عن
يد قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يبعثون بها على غيرهم وقيل عن اقرار بانعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم وقيل عن يد اى نقد غير
نسيئة فكون حالا عن الجزية وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رض تؤخذ الجزية من الذمى ويوطأ عنقه والجزية مخصوصة باهل الكتاب من
والمجوس لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب واما ساير الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية واقلها فى كل سنة دينار على
الغنى والفقير اشارة قاتلوا الذين لا يؤمنون اى النفوس التى هى لا تعبد الله ولا باليوم الآخر اى لا يعملون للآخرة وانما يعملون للدنيا
وشهواتها كالبهايم ولا يحرمون ما حرم الله من الدنيا وشهواتها فانها راس كل خطيئة ورسوله على نفسه منه ولا يدينون دين الحق اى كما
يطلبون الله فان دين الحق هو طلبه من الذين اوتوا الكتاب اى من النفوس التى الهمت بالالهامات الربانية والخواطر الرحمانية
ثم غلب عليها الهوى ومالت الى الدنيا وشهواتها امر بقتالها وجهادها ورياضتها حتى يعطوا الجزية وجزيتها عن معاملتها على خلاف
طبعها عن يد وهم صاغرون يعنى عن حكم صاحب القوة وهو الشرع وعن عجز وذل وهوان وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا
ذلك لما دانه وامنه قد حى بعد ماية عام واملى عليهم التورية حفظا فقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على هذا القول كان فيهم
ان الآية قرات عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرات عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربى ومخرج
عنه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والعلمية او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين وقالت النصارى المسيح ابن الله
وانما قالوه استحالة ان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من احياء الموتى ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد بنسبة هذا القول
اليهم ونفى التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان
يضاهون قول الذين كفروا اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اى من قبلهم
المراد قدماؤهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهات المشابهة والهمزة لغة فيها قاتلهم الله

١٥٢

وعالهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم
بان جعلوه ابنا لله وما امروا اى والحال ما امر المتخذون وجاز ان يراد وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان اتخاذهم الا ليعبدوا الها
واحدا اى ليطيعوا الله وحده واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية
او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته
الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد وجاز ان يراد بالنور القرآن او نبوة محمد صلعم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله الا ان يتم
نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم
منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله بيان لقوله يابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره وقال ولو كره المشركون
غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول
واللام في الدين للجنس اى سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم اشارة وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اى ليروا مصادر الامور
ومنشأ الافاعيل الها واحدا لا شريك له في المعبودية سبحانه عما يشركون يجعلون له اندادا من الدنيا وما فيها ومن الآخرة وما فيها يعني هو منزه عن
شريك ابتغته النفوس فان من شيم النفوس اتخاذ الهوى والدنيا والشيطان الها يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اى يريد هوى النفس
اطفاء النور الالهي بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانية ويابى الله الا ان يتم نوره يعني ومن سنة الله ان لا يسلط النفوس على
القلوب المنورة بنور الله ليطفئوا نوره ابدا بل من سنته ان يتم نوره الذي رش على الارواح في بدء الخلق بالاهتداء ولو كره الكافرون
اى النفس الكافرة يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها
بالرشى في الاحكام وفي تغيير الكتاب وكتمان اوصاف النبي صلعم واله سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل
الله عن دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين
من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي للتغليظ
من اموالكم وقوله ما ادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اى
يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله يوم تحمى النار ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور وانما قال عليها والمذكور
شيئان لان المراد بها الدراهم والدنانير الكثيرة وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما اصل التمول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي

هي الدماغ

هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومؤخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم لنفعها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال كنزكم او ما تكنزونه قال ارباب الطريقة
الذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع من حظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد من الله تعالى بترك
الدنيا وقمع الهوى فبشرهم بعذاب اليم وهو عذاب البعد والقطيعة يوم يحمى عليها اى على ما لم ينفقوه في طلب الحق في نار جهنم فتكوى بها جباههم
اى حياة القلوب والارواح لانهم لم يتوجهوا الى طلب الحق وجنوبهم لانهم لم يتجافوا جنوبهم عن مضاجع المكونات يدعون ربهم خوفا من القطيعة
وطمعا في الوصول الى عالم الحقيقة وظهورهم لانهم لم يتواضعوا بالركوع لله فذوقوا ما كنتم تكنزون اى الآن ذوقوا الم الحرمان والخذلان الحاصل في
الدنيا من كي نار الحرص ولم تكونوا تذوقونه لانكم كنتم في مقام الغفلة عن الاحساس والنائم لا يذوق الم الكي في النوم وانما يذوقه عند الانتباه والناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا قال ارباب لم يوجد جمع المال وكنزه مع عدم الانفاق الا لكون الاهل استحكام رذيلة الشح وحب المال وكل
رذيلة تعذب بها صاحبها في الآخرة وتجزى بها في الدنيا ولما كان مادة رسوخ تلك الرذيلة واستحكامها هي ذلك المال كان نحو الذي يحمى عليها
في نار جهنم الطبيعة وهاوية الهوى فتكوى بها جباههم انما خصت هذه الاعضاء لان الشح مركوز في النفس والنفس تغلب القلب من هذه الجهات
لا من جهة العلو التي هي جهة استيلاء الروح ومحل الحقائق والانوار ولا من جهة السفل التي هي جهة الجسمانية لعدم تمكنها من التصرف في القلب
فتقت سائر الجهات فتعذب بها من الجهات كما يعاقب بها في الدنيا من هذه الجهات اما بان يواجه بها جبهته فيفضحه او يساق بها في جنبيه او
وراء ظهره ان عدة الشهور مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله اى في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر يوم خلق السموات والارض متعلق بالظرف لما فيه من معنى الثبوت والمعنى ان هذا امر ثابت في
نفس الامر مذ خلق الاجرام والازمنة منها اربعة حرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم واحد فرد وثلاثة سرد ذلك
الدين القيم اى حساب المستقيم تحريم الاشهر الحرم الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم والعرب ورثوه منهما
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد
الاول ما روي انه صلعم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقيل الضمير في فيهن لجميع شهور السنة والمراد النهي
عن المعصية قال في بحر الحقائق ان عدة الشهور عند الله اى في الازل اثنا عشر شهرا في كتاب الله اى في علم الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم اختصت الحكمة الالهية الازلية ان يكون من الشهور يوم خلق الله السموات والارض اربعة اشهر حرم اى يحرم
انتهاك المحارم فيها فان الوزر فيها اعظم مما يكون في غيرها بل هي اشهر الطاعات والعبادات يحرم فيها الشواغل الدنيا وترك الحظوظ
النفسانية على الطلاب وفيها اشارة الى ان ايام الطالب واوقات عمره ينبغي ان تصرف جملتها في الطلب فان لم يتيسر له ذلك فثلثها ولا
مضوا ولا فحرم صرف ثلثها في الطلب ولا ينقص من صرف الثلث شيئا في الطلب اذ لا بد من صرف بعض عمره في تهيئة معاشه ومعاش
اهله وعياله ومن استغنى عن هذا المانع فحرام عليه صرف لحظة من عمره في غير الطلب كما قال ذلك الدين القيم اى المستقيم يعني من صرف شيئا

من عزم في عز طلب الحق تعالى فما استقام دينه بل فيه اعوجاج بعد ذلك فلا تظلموا فيهن انفسكم يعني ان تعصموا من الثلث بقا
بالاصرفه عنها من ذلك الثلث المحرم في شيء من المصالح الانسية فقد ظلمت على انفسكم باستيلايها على القلوب والارواح عند غلبات صفات
حقيقة ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا بد الحكمة في ذلك من رعاية سر التثليث والتربيع في مراتب الاكوان وذلك ان
امر الابداء والايجاد في تكوين العالم مبتني على تثليث وتربيع اما التثليث فهو ان المبداء تعالى تجلى بنفسه على نفسه بالعلم الذي هو
عين ذاته فعلم ذاته وشيونه فاعتبر ثلثة اشياء متمايزات بما من اعتباره هي المبداء من حيث هو والمبداء من حيث معلومية وهو الوجود
الحقيقي والشيون كذلك من حيث المعلومية وهي المرتبة واما التربيع فهو انه فلما عرفه في الشيون المعلومة امور اربعة الوجود العلمي
العدمية العينية والتاثير الوجودي في العلم لكون تحققها به والتأثير في الوجود لكون ظهوره بحسبها فكانت الشيون بهذا الاعتبار
حقيقة الطبيعة الحاكمة على مراتب الاكوان كلها الى ان حكم على مرتبة الجسم بالحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ثم استتم حكم هذا
التثليث والتربيع مع الجسم الذي هو نهاية مراتب الاكوان كله والثلثة ابعاد واربع طبايع فكان الجزء وهو اصل الجسم بحكم
التثليث الناشي من العلم والتربيع الناشي من الطبيعة مشتملا على اثني عشر قسما ثلثة ارباع واربعة اثلاث ما بين ناري وهوائي ومائي
وارضي وما بين ثابت ومنقلب وذي جسدين ثم سرى هذه الحكمة في الزمان حين خلق الله الارض والسموات السبع وسير فيها السيارات
فاعتبر تمام الشمس دورة من فلك البروج سنة شمسية وتمام القمر اثني عشر دورة منه سنة قمرية فكان عدة شهور السنة القمرية الدايرة عليها
الاحكام الشرعية اثني عشر شهرا في كتاب الله يعني كتابة العقل الذي هو عالم الاجرام منها اربعة حرم والسر في ذلك ايضا هو سر رعاية
التثليث الذي قررناه فانه يقتضي ان يكون الثلث من كل امر مخصوصا بالمبداء فيكون من الاشهر الاثني عشر اربعة محرمة مخصوصة به واما
سر انفصال واحد من تلك الاربعة وتوالي الثلاثة الاخر فهو ان يكون فيها مع التثليث صورة التربيع تتميما لسر رعاية التثليث والتربيع
في الاشهر المذكورة والله اعلم بحقيقة الحال وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا من الكف عن الشيء لان
الجمع ملزوم عند الزيادة واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر
الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
والنسيء والنساء والنسا مصدر نساه اذا اخره ومنها النسيئة في البيع زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم وهو استدليل على كون الكفار مكلفا بالفروع يضل به الذين كفروا قرأ حمزة والكسائي
وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد على ان المضل هو الله تعالى وقرأ يعقوب يضل بضم الياء وكسر الضاد على انهم المضلون للناس
وقرأ الاخرون بفتح الياء على انهم الضالون يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر و
ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاشهر
الاربعة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم اي خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين

هداية

هداية موصلة الى المبداء قال ابن عباس رض اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف الكناني يقوم على الناس في
الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل عن ذلك وكان النسيء ذلك ان معظم معاش العرب كان من الصيد
والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك في الاشهر الاربعة فاذا احتاجوا الى القتال في شهر منها اخروه الى شهر آخر وكذا من ذلك الشهر الى
شهر آخر حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله فخطب النبي صلعم في حجته وقال الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم الحديث يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم بفتح الهمزة على الاستفهام للتوبيخ الى الارض
متعلق باثاقلتم لتضمين معنى الاخلاد والميل وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة وقحط
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها والتمتع بلذاتها الدنيوية الدنية من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها الباقية فما متاع الحيوة الدنيا في التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر اشارة ايها الارواح
والقلوب المؤمنة ما لكم اذا قيل لكم اي قال لكم الامام الرباني انفروا في سبيل الله اي اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير الى الله
اثاقلتم بها اثاقلتم الى الارض اي تثاقلتم الى الارض الدنيا وملتم الى شهواتها كالنفوس الكافرة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة
اي كيف رضيتم من انفسكم بركونها الى الدنيا وشهواتها وترك الآخرة ونعيمها وايثار الفاني على الباقي فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة
الا قليل فان الكثير الفاني قليل بالنسبة الى القليل الباقي فكيف وان الدنيا مع فنائها قليلة بالنسبة الى الآخرة الا تنفروا اي
الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط واستيلاء عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل
بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء
وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلعم اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة بلا مدد اشارة تخرجوا من الدنيا وشهواتها
وقيودها ايها الارواح والقلوب بالروحانية يعذبكم عذابا اليما بابطال انوار الروحانية واستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات
الاوصاف السبعية والشيطانية والم عذاب البعد عن الحضرة ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب لها شعة الصادقة ولا تضروه شيئا على ترك الخروج
ولكن تضروا انفسكم بالحرمان عن تلك السعادات الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فيخلف الجزاء وانتم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة
في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غير ذلك الوقت واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله كان سببا لاذن الله له بالخروج ونصب
ثاني اثنين على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في جانب اليمن
من مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا

يترددون حوله فلم يروه وفي الخبر لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا باسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته
امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم او صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك
بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين كفروا والرفع ابلغ لما فيه من
الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار وكذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم
في امره وتدبيره قال الشيخ رضي الله عنه شرع آية القتال للمؤمنين انما ليكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى لتمييز الكلمتان
كما تميزت القدمان فانه خلق من كل شيء زوجين زوجا وحكما انفروا خفافا وثقالا قال ابن عباس رضي الله عنه نشاطا وغير نشاط وقيل
شبابا وشيوخا وقيل ركبانا ومشاة وقيل فقراء واغنياء وقيل خفافا من السلاح اي مقلين منه وثقالا مستكثرين منه وقيل عزابا ومتاهلين
وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل خفافا من حاشيتكم واتباعكم وثقالا مستكثرين بهم وقيل مرعين الله ومستعدين له وقيل الثقيل الذي
له الضيعة فهو يكره ان يدع ضيعته والخفيف الذي لا ضيعة له وقيل اصحاء ومراضا فهذا وجيه الآية على اهل الاعذار فانه لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما
كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من كل شيء لا محيص تركه او لا اجر فيه اشارة انفروا ايها الطلاب في طلب الحق خفافا مجردين عن
علائق الاولاد والاهالي منقطعين عن عوائق الاموال والاملاك وثقالا متوكلين ومتاهلين وايضا خفافا من تعلقات الكونين وثقالا
معتقين بحبل تعلق الثقلين وايضا خفافا محرومين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بانفاقها وانفسكم ببذلها في سبيل الله
في السير الى الله على قدمي بذل الاموال والانفس وانما قدم انفاق المال في طلب الحق على بذل النفس لان بذل النفس هو بذل صفاتها
الذميمة وانما عبر عنها بالاعتبار بان نفي النفس عن دنس صفاتها وتركها عن اوصافها لا يمكن ببذلها في الله وبالترديد وان من صفاتها
الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ما شيء من انفاق المال الى ترك الدنيا لينقطع عن النفس وصفاتها المعتادة وتقوية صفاتها ذلكم خير لكم
يعني ترك الدنيا وبذل النفس خير لكم في طلب الحق من المال والنفس ان كنتم تعلمون قدر طلب الحق فان الحاصل من المال والنفس الوزر والوبال
والحاصل من الطلب الوصل والوصال لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لا
تبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من
الاخبار بالغيب قبل وقوعه يهلكون انفسهم بتعريضها للعذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك
او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم مستطيعون الخروج اشارة لو كان مطلوبك يا محمد الدنيا

وزينتها

وزينتها وسفرا قاصدا وهو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعك ارباب النفوس وطلاب الدنيا ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج عن
الدنيا وزينتها وترك شهواتها ولذاتها وقهر النفس ومحو صفاتها فلم يمكن لهم متابعتك وسيحلفون بالله يعني ارباب النفوس لو
استطعنا لخرجنا معكم يا ارباب القلوب عن الدنيا وما فيها كما خرجتم عنها يهلكون انفسهم في مهالك شهوات الدنيا اذ لم يخرجوا عنها
وبما يحلفون على عدم الاستطاعة للخروج والله يعلم انهم لكاذبون فيما يحلفون عليه لان استطاعة الخروج شاملة لكافة الخلق مركوزة
في جبلتهم عفا الله عنك كناية عن خطائه فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو او بالمعاتبة عليه والمعنى
لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيبهم وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار و
تعلم الكاذبين قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان
١٥٦ الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والقعود عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون لان التردد من شان المتحير كما ان الثبات والاستقرار من شان المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة
اهبة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل
لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
تحمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم اشارة عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تصدقا وتحقيقا لقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله لم اذنت لهم ليس بعتاب صرف بل على وجه اظهار لطف معه وكمال الرافة في حقه لقوله حتى
يتبين لك حيث جعل غاية عدم الاذن راجعة اليه صلى الله عليه وسلم الى عزم يعني ليحصل لك العلم والمعرفة بصدق من آمن حقيقة وتعلم
الكاذبين المنافقين في الايمان من الصادقين فيه ثم بين الله تعالى الصادقين والكاذبين فقال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
اي ليس طلب القعود عن الجهاد المعنوي والصوري من شان من كان ايمانه بالله واليوم الاخر بنور الله ونظر عنايته ان يجاهدوا باموالهم و
انفسهم في ان يجاهدوا بصرف الاموال وبذل الانفس طلبا لله ولقاء الله من غير يستاذنك والله عليم بالمتقين الذين يتقون عما سوى الله انما
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر اي انما يطالب القعود عن الجهاد المعنوي والصوري من لم يكن ايمانه بالنور الالهي الموجب لليقين
بل يكون ايمانه تقليدا ونفاقا وارتابت قلوبهم عند عدم الاتقان فهم في ريبهم يترددون بين اوصاف النفس الذميمة النفسانية
ولو ارادوا الخروج اي لو وجدوا في قلوبهم دواعي الخروج عن الصفات الحيوانية الى النور الرباني ولكن كره الله في الازل انبعاثهم
اي كره ان يوجد لهم داعية الطلب لاظهار اللطف حيث لم يكن في استعدادهم جزء من نور الله فثبطهم اي حبسهم في سجن البشرية والطبيعة
لهم القعود فيه وقيل لهم من الملكوت اقعدوا راضين بالحبس فرحين بما لديكم من التمتعات الحيوانية مع القاعدين في اسفل الطبيعة

المستلذين بالشهوات النفسانية ولو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا وضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم
ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم لقد ابتغوا الفتنة
تشتت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني احد فان ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلعم الى
ذي جدة لوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي
وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم وفي الايتين تسلية الرسول صلعم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما
ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلعم بالمبادرة الى
الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان
لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان ابن قيس قال قد علمت الانصار اني
مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة
اسبابهم اشارة ومنهم من يقول ائذن هو الهوى يستأذن الروح بان يكون له مدخل في جميع مشارب الدنيا لكنه مشوبة
بالهوى قوله ولا تفتني يشير الى ان الروح كما تدعو الهوى الى استعمال الرغائب الروحانية والمواهب الربانية فان الهوى مركب
المحبة يقول لا تفتني بتلك المعارف ولا تعيدني بتلك العوارف وذكر منه اعتدال لذة الصعود على العلويات لا ان طبعه الهبوط الى
السفليات الا في الفتنة سقطوا يعني اعتلاله لذة الصعود هو عين فتنة الهبوط وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني جهنم البعد والقطيعة
من لوازم كفار النفس صفاتها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا حذرنا اي اخذنا بالحزم عن الغزو من قبل اي قبل هذه المصيبة
فنجينا بانظارهم واستحسنوا آراءهم في التخلف ويتولوا اعرضوا عن مجلسهم بذلك ومجمعهم له او عن الرسول صلعم وهم فرحون مسرورون
بما اصابك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا انما اختصنا باثباته وايجابه من النصر والشهادة او كتب اجلنا في اللوح المحفوظ
لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله لا غيره فليتوكل المؤمنون الذين امنوا بانه لن يصيب
احد الا ما كتب الله له قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين هل تنتظرون بنا الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصر والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا
او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم اشارة ان تصبك

يا روح حسنة من عواطف الحق واحسانه تسؤهم يعني النفس وصفاتها لانها تبطل الروح عليها وان تصبك مصيبة من موانع والقواطع
عن السير يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا نصيبنا من الدواعي الحيوانية لما تخلفنا في السير الى عالم الروحانية ويتولوا عن الروح
وهم فرحون بالدين من المراتع البهيمية قل يا روح لن يصيبنا من الفترات والوقفات الا ما كتب الله لنا بالرحمة والتربية علينا
بالطرد والرد هو مولنا ومربينا ومؤدبنا يفعل بنا ما هو صلاح ديننا واصلاح حالنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتق بحسن عاطفته
وليكل اليه امر تربية القلوب للارواح المؤمنة قل يا روح قل تربصون بنا ايتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الا حسانين العواطف
الربانية او الوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية والتأديب في التربية ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده من الابتلاء والمصائب
١٥٧ او بايدينا بالاستيلاء والغلبة عليكم لنستعملكم في الطاعات والعبادات ونمنعكم من المخالفات ومتابعة الهوى وطلب الدنيا واستيفاء
شهواتها فتربصوا الينا انا متربصون الظفر بكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الجزاء اي لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا فينظروا هل
يتقبل هو جواب جد بن قيس حين قال اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يأخذ منهم وان لا يثابوا عليه انكم كنتم قوما
فاسقين تعليل لعدم التقبل على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا
انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي يقبل بالياء ولا
يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون
على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم
في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ويزهق انفسهم وهم
كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واهل الزهوق الخروج بصعوبة
بصيرة الطاعة في العبودية ثلاث انواع بالمال والبدن والقلب اما بالمال فهو الانفاق في سبيل الله واما بالبدن فهو
القيام بالاوامر والنواهي والسنن والاداب المستحسنة واما بالقلب فهو الايمان والصدق والاخلاص في البدن وان الطاعة بالمال و
البدن لا تقبل عند اعواز طاعة القلب فطاعة المنافقين غير مقبولة واما طاعة القلب عند اعواز الطاعة بالمال والبدن فمقبولة
لقوله عليه السلام نية المؤمن ابلغ من عمله ولهذا قال في المنافقين انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وفيها اشارة اخرى قل يا
روح للنفس وصفاتها انفقوا اي اتركوا ما هو مشتهياتكم ومستلذاتكم من المال والجاه والنعم من المأكول والمشروب و
المنكوح والملبوس طوعا او رياء او كرها اي نفاقا لن يتقبل منكم هذه الرياضة والمجاهدة انكم كنتم في ذلك قوما فاسقين خارجين
عن الاخلاص والايمان فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم يعني اصحاب النفوس المتمردة انما يريد الله ليعذبهم بها بتلك الاموال والاولاد
في الحيوة الدنيا اي في مدة العمر باشتغالهم بها وتلهيهم عن ذكر الله وطاعته ومحبته وطلبه بذكرها وحبها وطلبها ويحلفون بالله
انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين

يتظاهرون بالاسلام معه لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من
الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح
ومنهم من يلمزك في الصدقات يعيبك في قسمها وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون نزلت في ذي الخويصرة التميمي رأس الخوارج روي عن ابي سعيد الخدري
رض قال بينما نحن عند النبي م وهو يقسم غنائم حنين يستعطف قلوب اهل مكة من الغنائم عليهم فقال يا رسول الله اعدل
فقال النبي م ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه اضرب عنقه
فقال له النبي م دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا
الحديث من رسول الله م واشهد ان عليا قاتلهم وانا معه فامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت
النبي م الذي نعته ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم
والتنبيه على ان ما فعله الرسول م كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او
غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم اشارة رضى المنافق وسخطه في اعطاء الدنيا ومتاعها وفي المنع عنها لان النفاق
تزيين الظاهر باركان الاسلام وتعطيل الباطن عن انوار الايمان فالقلب المعطل عن نور الايمان يكون مزينا بظلمة الكفر وحب الدنيا
فلا يرضى الا بوجدان الدنيا ويسخط بفقدها ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله يشير الى ان الرضى بالقضاء من امارات
الايمان وتزيين القلب بنوره فلما حبب الله اليهم الايمان وزينه في قلوبهم شاهدوا بنور الايمان شواهد الحق وقالوا حسبنا الله
ثابت ان الله كاف لعبده ومن وجد الله فقد ما دونه ثم ان فقدان الله في وجدان ما سواه ووجدان الله في فقد ما سواه ومن وجد
يرضى ويقول سيؤتينا الله من فضله ما يحتاج اليه في كمال الدين من الكشوف والشواهد ورسوله من الوحي والبيان انا الى الله راغبون
لا الى الدنيا وما فيها غير المولى انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم والفقير من
لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز
اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه كان عم يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او
مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى النبي م عيينة بن حصين والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل كان لهم المؤلفة لكثر سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وجل وكثر اهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل ان يبتاع الرقاب فتعتق وبان يفدى الاسارى

والعدول

والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن
لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لتقدير
فرضها الله فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تقدير تلك فريضة والله عليم حكيم يضع
الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يوجب الصرف الى الثمانية كلهم مما وجد منهم ووجوب مراعاة التسوية بينهم وعن ابن
عباس رض جواز صرفها الى صنف واحد اشارة انما الصدقات وهي صدقات الله تعالى كما قال عم ما من يوم
وليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الفانون عنهم و
الباقون به والمساكين وهم الذين لهم بقية اوصاف الوجود لهم سفينة القلب في بحر الطلب قد حبتها جواهر المحبة
والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم وهم الذين تتألف
١٥٧ قلوبهم بذكر الله الى الله المتقربون الى الله بالتباعد عما سواه وفي الرقاب وهم المكاتبون قلوبهم عن رق الموجودات تحريا لعتق من رقها
والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين وهم الذين استقرضوا من ارباب المكونات اوصافها وطبايعها وخواصها وهم محبوسون في سجن
الوجود بقروضهم وانهم ساعون في استخلاص ذممهم عن القروض بردها فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله
وهم الغزاة والمجاهدون في الجهاد الاكبر وهو الجهاد مع كفار النفس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل وهم المسافرون عن اوطان
الطبيعة البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة بسفارة الانبياء والاولياء فريضة من الله اي هذا السير والجهاد والخروج
للحر عن رق الموجودات وتألف القلوب الى الله واستعمال اعمال الشريعة والتمكن بها والافتقار الى الله طلبا للاستغناء به امر واجب على
العباد من الله او هذه الصدقات من المواهب الربانية والالطاف الالهية للطالبين الصادقين امر واجبه الله تعالى في ذمة كرمه لهم كما قال
الا من طلبني وجدني والله عليم بطالبيه حكيم فيما يعاملهم الطلب للوجدان كما قال عم من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اي النبي م اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع
كما سمي الجاسوس عينا لذلك روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن
ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان الذي هو نقيض الكفر وبين ما هو بمعنى التصديق و
التسليم فالمعنى انه كان يؤمن بالله ويسلم قول المؤمنين ورحمة وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يفتش
سره وفيه تنبيه على انه لا يقبل قولكم لجهله بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها
علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه قال ارباب الاشارة و
منهم الذين يؤذون النبي يشير الى ان من امارات النفاق ايذاء النبي م وذريته وانه من نظر المثالب والمعايب كما قالوا هو اذن اي سامع ما يقال

غلوهم به وقد مدحه الله تعالى به فقال قل اذن خير لكم ومن قرأ اذن بالتنوين ورفع خير تقديره هو اذن وذلك اى كونه اذنا خير
لكم والمعنى انه سامع خير لكم لان له مقام السامعية فيسمع ما يوحى اليه يبلغكم رسالات ربه ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ففوائده السامعية تعود اليكم وانتم تعيبونه بذلك يؤمن بالله اى يكون ايمانه لشهوده توحيدا ايمانا غيبيا لما كان يؤمن بما نزل الروح الامين
لا ايمان لشهوده منزله ويؤمن للمؤمنين اى فوايد ايمانه يعود الى المؤمنين كما يعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا منكم يعنى انه عليه السلام
صورة رحمة للعالمين آمنوا منكم يعنى انه عليه السلام صورة رحمة الحق بقدر لمن آمن منكم واهتدى بهداه والذين يؤذون رسول الله
باقوالهم واعمالهم ولحق الهم عذاب اليم وهو عذاب البعد والقطيعة يعنى ايذاؤهم لرسول الله من نتايج عذاب البعد ولو كانوا من اهل
القرب ما صدر منهم الايذاء قال اى باب المعرفة ويقولون هو اذن كانوا يؤذونه ويعيبونه لسلامة القلب وسرعة القبول
والتصديق لما يسمع وتصديقهم الحق في ذلك وقال هو كذلك ولكن بالنسبة الى الخير فان النفس الابية الغليظة الجافية متصلبة في الامور
غير منتاثرة ولا مستعدة للكمال اذ الكمال الانسانى لا يكون الا بالقبول والتاثر وكلما كانت النفس الين عريكة واسلم قلبا
اسهل قبولا كانت اقبل للكمال واشد استعدادا له وليس هذا اللين من باب الضعف والبلاهة الذى يقتضى الانفعال من كل ما يسمع حتى
المحال والتاثر من كل ما يرد عليه ويراه حتى الكذب والتردد والضلال بل هو من باب اللطافة وسرعة القبول لما يناسبه من الخير والصدق
فلذلك قال قل اذن خير لكم اذ صفاء الاستعداد ولطف النفس يوجب قبول ما يناسبه من باب الخيرات لا ما ينافيه من باب الشرور فان الاستعداد
الخيرى لا يقبل الشر ولا يتاثر به ولا يستطيع سمعه لمنافاته اياه وبعلمه عذركم اى يسمع ما ينفعكم وما فيه صلاحكم دون غيره يؤمن بالله هو بيان
لسنه وقابليته ان الايمان لا يكون الا مع سلامة القلب ولطافة النفس ولينها ويؤمن للمؤمنين لصدق قولهم في الخيرات ويسمع كلامهم فيها
ويقبله ورحمة للذين آمنوا منكم يعطف عليهم ويرق لهم فينجيهم من العذاب بالتزكية والتعليم ويصلح امر معاشهم ومعادهم بالبر والصلة و
تعليم الاخلاق بالحلم والشفقة والامر بالمعروف ووضع الشرايع الموجبة لنظام امرهم في الدارين والتحريض على ابواب البر بالقول و
الفعل الى غير ذلك يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا وفيما تخلفوا عن الجهاد ليرضوكم اى لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير للتلازم بين رضى الله ورضى رسوله او لان
الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا
انه اى الشان من يحادد الله ورسوله يشاقق معهما من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الجزاء
حتى ان له ويجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرى فان بالكسر
ذلك الخزى العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما
في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو
ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم اى كفرهم وانهم لم يكونوا على شيء في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر
اى ليحذر المنافقون وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لعله قل استهزؤا ان الله مخرج مظهر ما تحذرون اى تحذرونه

من انزال

159

من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى ان ركب
المنافقين مروا على رسول الله صلعم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
فاخبر الله تعالى به نبيه صلعم فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما كنا في شيء من امرك وامر
اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ونلعب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن امر نبيك تقريعا على استهزائهم بمن لا يصح ان يستهزأ به والزاما للحجة عليهم لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها
معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلعم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف
بالياء المضمومة عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بالتاء المضمومة ورفع
الطائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم نعف بالنون المفتوحة نعذب
بالنون المضمومة ونصب الطائفة قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الاشجعى يقال هو
الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم انى لا ازال
اسمع آية تقرأ اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة
في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبادرة وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله غفلوا عن ذكر الله وتركوا
طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله وعاملهم معاملة من نسيهم قال الشيخ رضى لا نسوه الاطلاق فما نسيهم على
الاطلاق وانما نسيهم فيما نسوه فاذا نسوا نالهم الرحمن الرحيم نسيهم الرحيم اذ نسوا منهم الاسم الذى يدعو ذلك فاذا انكشف
زمان النسيان اذ لا بد من زواله عند كشف الغطاء وقال في موضع آخر هذا حال من قال لو كان كذا لما كان كذا فينسى الحق
حسب النسب فلا بد ان ينسى ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دايرة الخير اشارة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى طينة نفوسهم وجبلة قلوبهم من جنس واحد وارواحهم متقاربة في صف واحد
من صفوف الارواح اذ هى جنود مجندة فما يلايمهم من نتايج خصوصيات ارواحهم السفلية من نتايج سفليتها يامرون بالمنكر وهو ما
يقطعهم عن السير باعدهم منه وينهون عن المعروف وهو ما يقربهم الى الله ويوصلهم اليه ويقبضون ايديهم عن فعل الخيرات وصدق
النيات نسوا الله بما فعلوا من المعاصى وترك الاوامر ولو ذكروه قبل الاتيان لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروه
لما فعلوا كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ونسوه تركوا الطلب وصدق التوجه اذ هم
توجهوا الى الدنيا ونسيهم تركهم بالخذلان ووكلهم الى انفسهم بالطغيان والعصيان ان المنافقين هم الفاسقون الخارجون

حتى تقول فضح المنوف الا انه حتى خلق الخلق فطلاب ثم رشّ عليهم من نوره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم
ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد ما وعدوه من نار جهنم او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا
بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا ورضوا عوضا عن الآخرة فاستمتعتم بخلاقكم وسلكتم سبيلهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم و
اقتفاء اثرهم وخضتم شرعتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي
خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون
الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم
الظلة والمؤتفكات قوم لوط ائتفكت بهم انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب حالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب اشارة وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار في الازل في قسمة
قسمنا بينهم معيشتهم نار جهنم خالدين فيها هي نار الحرص اذ لم يصبهم رشاش نور الجمال بقوا في نار قهر العظمة والجلال
حسبهم ذلك هي نصيبهم في القسمة ولعنهم الله طردهم بسوء نفاقهم وكفرهم ولهم عذاب مقيم من البعد ونار القطيعة كالذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد الفطري في طلب الكمال فاستمتعوا بخلاقهم اى فصرفوا الاستعداد في الانتفاع بالشهوات
العاجلة دون الارتفاع الى الدرجات الآجلة فاستمتعتم بخلاقكم اى رضيتم بنصيبكم من التمتعات الدنيوية وضيعتم
للفيض الروحانية الربانية كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم اى كما رضى الامم الخالية بنصيبهم من الحظوظ النفسانية واضاعة
حقوقهم الروحانية الربانية وخضتم في تحصيل الباطل وترك الحق ورضيتم بالخسران والحرمان كالذي خاضوا فيما الاهيهم عن
ما يعنيهم اولئك حبطت اعمالهم اذ كان حاصل تحصيلهم فيها الوبال والحرقة والبعد والحجاب وفي الآخرة ما اوردتهم الا العذاب و
القطيعة والحرمان عن جوار الحق ولا حسنات في الميزان لهم واولئك هم الخاسرون في رأس مال العمر والاستعداد صرفوه
في عبودية الهوى ومخالفة رضى المولى اتتهم رسلهم بالبينات ليهتدوا بها فيتداركهم الشفاء واستقبلهم الاباء فلا زكيهم
البلاء والمحن ولم ينفعهم الاباء فما كان الله ليظلمهم بالحرمان عن الاستعداد لكن كانوا انفسهم يظلمون بصرف
الاستعداد فيما امرهم الهوى على خلاف امر المولى بغير الآخرة والاولى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

اولياء

اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
يطيعون الله ورسوله في ساير الاحكام اولئك سيرحمهم الله السين مؤكدة للوقوع فالمعنى يرحمهم
لا محالة ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها اشارة المؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض لان ائتلافهم من نتائج تعارف الارواح قبل تعلقها بالاشباح للمناسبة الفطرية
اذ الارواح لما كانت جنودا مجندة فما كان منها في صف واحد كانت بينهما مناسبة الجنسية فبتلك المناسبة حصل التعارف
فيما بينهم وبحسب التعارف في عالم الارواح حصل الائتلاف والموالاة بينهم في عالم الاشباح وبتلك الجنسية صاروا
كنفس واحدة يعين بعضهم بعضا في طلب الله وهو المعروف الحقيقي كما قال فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
فالمعنى يأمرون بطلب المعروف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله من الدنيا وغيرها ويقيمون الصلوة يشير الى اقامة مراقبة
القلب حضوره مع الله ويؤتون الزكوة يشير الى انفاق ما فضل على كفافهم الضروري ويطيعون الله ورسوله ولا ١٦٠
يطيعون النفس والهوى الا رعاية المصالح الدنيوية بقدر حاجتهم اولئك سيرحمهم الله ينظر اليهم بالرحمة ويخرجهم من ظلمات الصفات
النفسانية الى انوار الصفات الروحانية الربانية ان الله عزيز الى منع الوصول لعزته الا المخلصين في عبادته حكيم يختار لحكمته
من يشاء من عباده لمعرفته وقربته وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات بساتين تجري من تحتها تحت
اشجارها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك قال مقاتل
عدن اعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محفوفة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وفيها
قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح طيبة من تحت العرش فتحل عليهم كثبان من المسك ورضوان من الله
اكبر اى رضى الله عنهم اكبر من ذلك كله لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقرون
دونه الدنيا وما فيها اشارة وعد الله حق هذه المقامات والكرامات للذين هم من المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بما ذكر جنات
مقامات رفيعة تجري من تحتها الانهار اى الاسرار والحكم خالدين فيها اى مقيمين في تلك الاحوال متمكنين لا متلونين ومساكن طيبة
اى مقامات طيبة على قدر مراتب النفوس الطيبة الطاهرة فان الطيبات للطيبين في جنات عدن اى مقامات عليين ورضوان من
الله اكبر من جميع هذه المقامات لان الرضى باب الله الاعظم ورضى الله للعبد يوجب رضى العبد كما قال رضى الله عنهم ورضوا عنه بنيل
المأمول ولا انفس فانهم شاهدوا انوار الصدق شواهد الحق فاستقلوا الفانيات واستكثروا الباقيات وتحقق لهم ما تمناها

عذابهم من الاموال والانفس ينفد وما عند الله باق فآثروا ما يبقى على ما يفنى واولئك لهم الخيرات مواهب الحق واسرار
الربوبية واولئك هم المفلحون الذين ظفروا بنفوسهم اذ بذلوها في سبيل الله وتخلصوا عن حجب صفاتها اعد الله لهم
جنات تجري من تحتها الانهار اي هم الذين اعد الله لهم في الازل بساتين المعارف تجري من تحتها انهار الحكم خالدين فيها
مشغوفون بها الى الابد من غير انقطاع او فتور ذلك الفوز العظيم اي ذلك الفلاح والخلاص عن حجب النفس
وصفاتها هو الفوز العظيم لان عظم الفوز على قدر عظم الحجب ولا حجاب اعظم من حجاب النفس فالفوز عنها يكون
فوزا عظيما وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استاذنوا في التخلف
معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا
ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان اريد بهم المعذرون
فكذبهم بالاعتذار حيث كان قعودهم جراءة على الله سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ومثل النساء والصبيان ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله
ورسوله بالاخلاص في الايمان والعمل لله ومتابعة رسوله ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل
انما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم وللمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل
بن يسار اتوا رسول الله صلعم وقالوا قد نذرنا الخروج معك فاحملنا نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من الكاف في اتوك تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور
في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او على الحال او
على المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لعدم الوجدان متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغازيهم والحملان في قوله لتحملهم
قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة لما روي انه عم اعطاهم
جملا بعد ما تولوا باكين انما السبيل على المعاتبة على الذين يستاذنوك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا
مع الخوالف استيناف لما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع
الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون دناءة ما رضوا به ... اشار بهذه الآيات الى ان
الخلق على ثلاث طبقات الاولى المعذرون وهم المقصرون المعترفون بتقصيرهم وذنوبهم المعتذرون عن تقصيرهم التائبون عن ذنوبهم المتداركون

بالرحمة

بالرحمة والمغفرة والثانية القاعدون وهم الكاذبون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله من الكافرين والمنافقين والمتداركون بالخذلان
والعذاب الاليم كما قال وقعد الذين كذبوا الى قوله عذاب اليم الثالثة المعذورون الصادقون الناصحون المخلصون وكان منهم الضعفاء
والمرضى العجزة والفقراء وهم اهل العذر ولا حرج عليهم في القعود عن طلب الكمالات بالظواهر عند العجز مع استعمال البواطن في الطلب بقدر
الاستعداد كما قال ليس على الضعفاء الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله اي حسنوا في طلب الله واتباع رسوله بقدر قدرتهم وتمكنهم والله غفور
يجبر تقصيرهم عند العذر بالمغفرة رحيم بان يرحمهم ويعطيهم من فضله ما اعطى اهل الجد والاجتهاد عند القدرة ولا على الذين اذا ما اتوك
اي بطريق المتابعة لتحملهم لا استعداد لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات ودرجات لم يكونوا بالغيه بجناح البشرية
الروحانية قلت لا اجد ما احملكم عليه عزة واستغناء ودلالا كما قال تعالى لموسى عن سواله بقوله رب ارني انظر اليك قال لن تراني ليزيد
بهذا المنع والتعزز شوق موسى عم فكان منع النبي صلعم واكرامهم الحمل من جهة الهبل فزادهم الشوق والحرص على الطلب بهذا التعزز تولوا و
اعينهم تفيض من الدمع حزنا على فوات سعادة الغزو وصوره ومعنى الا يجدوا ما ينفقون اي ما يستعملون به من الاسباب الموصلة لهم الى
المقامات العلية والمواهب السنية الا بعد الابتلاء بالمنع والتعزز لتقوى بذلك داعية الطلب ويزيد الصدق ويغلب الشوق ولذلك لما
امر الطالب امر الله تعالى نبيه عم ان يحمل ارباب الطلب على جناح النبوة بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين انما السبيل على الذين
يستاذنونك اي الخذلان على من يقعد عن طلب الكمال لعز عن رهم الاغنياء الذين لهم الاستعدادات الكاملة ولم يستعملوها في طلب الكمال
لكسل النفوس وخباثتها للاستراحة وتحصيل اللذات والشهوات لحبهم ... بالخذلان وعدم التوفيق وخسة النفس بان يكونوا مع
الخوالف هم معدوم الاستعدادات الكاملة المبلغة الى مقامات الكمال وطبع الله على قلوبهم لانه من خصائص الطبع الجهل
كالانعام ... الاستدراج الموعود بقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم
في هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيكم بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه المقصود من ذلك
امهالهم للتوبة والانابة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي الله فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس مجبولون على خباثة الطبع لا ينفع فيهم التوبيخ لطلب الانابة فان
المقصود منه التطهير وهم ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال هم
ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا في عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة والمعنى ان طينتهم وان كانت خبيثة في اصل الخلقة لما كانت مستحقة لكمال البعد فيما كسبوا اثر تلك
الطينة من الاعمال الخبيثة والاوصاف الذميمة صاروا مستحقين له يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان
ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذ كانوا

١٦١

في محط امانة ويصدد عقابه او ان الحكم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يكيلوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقت
من اجله بالنبي عليه السلام والرضى عنهم ولا اعتزا بعادتهم بعدما امر باعراض وعدم الالتفات نحوهم قال ابن عباس نزلت في جد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما كانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال
مقاتل نزلت في ابن ابي خلف انهم يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي ان اضافه رضي عنهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا
ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا الحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يثيب به مصيبهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة
وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دواير الزمان ونوبه لينقلب
الامر عليكم بموت النبي عليه السلام فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون به او الاخبار عن وقوع
ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور سمي به صروف الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك
رجل صدق وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله اي يجعل ما ينفقه سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمصدقين لهم كما قال خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم بها وتزكيهم وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم والضمير
لنفقتهم وقرأ نافع قربة بضم الراء وقربة بالسكون تخفيف منه سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة بهم والسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الممدوحون من الاعراب اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة كما روي عنه عليه السلام
اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان اشارة ان في
عالم الانسان بدوا وهو نفسه وحضرا هو قلبه وكما ان الايمان للقلب ذاتي ومن فطرة الله التي فطر عليها ويحتمل ان يصير كافرا بتربية
النفس ليه فيتلون بلون النفس كذلك يحتمل ان تصير النفس مؤمنة بتربية صفة القلب اليها فتتلون بلون القلب لكن النفس بكونها اشد
كفرا ونفاقا من القلب وان كان كافرا كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس وان كان مؤمنة واجدر يعني النفس وصفاتها اولى من
القلب بان لا تعلم حدود ما انزل الله على رسوله اي من الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح وكما ان المدينة حضر الرسول
والنفس بدو الروح والله عليم فيما جعل القلب حضرا والنفس بدوا حكيم في ان يجعل بعض النفس الكافرة مؤمنة وبعض القلب المؤمن
كافرا ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي ومن النفوس من يعتقد ما ينفق من الجد والاجتهاد في طلب الكمال خسرانا وسعيا ضايعا
لا حاصل له وهذا من خصائص النفس الامارة بالسوء فان الحق لها ان تكون مقهورة تحت سطوات الشريعة والطريقة فيصدر منها
بذل الجهد والسعي في طلب الكمال على خلاف طبعها بتحسرها على ذلك ويحتال في ابطالها طلبا للاستراحة وتتبع شهواتها ولذاتها و

ويتربص

ويتربص بكم الدوائر اي تنتظر آفة تقع للقلب وترصد فرصة مانعة له عن الاشتغال بطلب الكمال عليهم دائرة السوء اي على النفس
تدور البلاء من استيلاء القلب عليها وقهره اياها بما يخالف هواها وطبعها والله سميع سمع في الازل ما قالت النفس بلسان استعدادها
واجابها بهذا الدعاء والزمها ملازمة الشرع ومخالفة الهوى والذل تحت تصرف القلب عليم بما يستحقه كل احد من العزة والذلة ومن
الاعراب اي ومن النفوس من يؤمن بالله اي من يؤمن بنور الله بعد ان تجلى الله سبحانه على قلبه فتنورت واشرقت الارض بنور ربها
شاهدت الدرجات الاخروية بهذا النور فتؤمن ويتخذ ما ينفق من الجد والاجتهاد في طلب الكمال قربات عند الله على قضية من تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا وصلوات الرسول وموجبات تجليات الروح فان الروح بمثابة الرسول في عالم الصورة فالسالك في طريق
المجاهدة يتقرب اليه بترك هواه ليقربه بتجليات صفاته وتصرفات اوصافه سيدخلهم الله في رحمته بجذبات الطاف اي ياخذهم
منهم ويهديهم برحمة البيان ان الله غفور اي ستار بصفة مغفرته للسالك الصادق والطالب العاشق رحيم لطالبه اذ لا يصلون الا
بجذبات رحمته والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير
وقرأ يعقوب والانصار بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان الذين لحقوا بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
قال ارباب الطريقة السابقون الاولون هم الذين سبقت لهم العناية الازلية كما قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاولون
في سبق العناية لهم وايضا السابقون في الخروج من العدم الاولون عند الخروج وهم اهل الصف الاول في عالم الارواح اذ كانت الارواح
صفوفا كالجنود المجندة وايضا السابقون في الخروج عن صلب آدم عند اخذ ذرات ذريته عن صلبه الاولون عند استماع خطاب ربهم
حين قال الست بربكم فاجابوه ببلى وايضا السابقون الاولون في تجلي ربهم بصفة ربوبيته لهم حتى عرفوه بهذه الصفة فاجابوه بقولهم
بلى فلهم السبق في استماع الخطاب والمعرفة والاقرار والاجابة وايضا السابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم
في الازل الاولون باداء حق المحبة في يحبونه وايضا السابقون الاولون في تجديد عهد المحبة عند تجلي صفة الربوبية الميثاق وايضا
السابقون الاولون عند تخمير طينة آدم عليه السلام بيده اربعين صباحا بمماسة يد القدرة ذراتهم وايضا السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى
الحضرة الربوبية على اقدام الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال واعلم ان هذا السبق مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه
كما اخبر النبي عليه السلام نحن الاخرون السابقون اي الاخرون خروجا في الصورة السابقون دخولا في المقامات المذكورة كلها وقوله
من المهاجرين اي الذين هاجروا عن اوطان البشرية الى الروحانية الى كمال الانسانية وعن الانسانية الى الصفات الربانية والانصار اي
الذين كانوا انصار الله في طلب شرح الاخوان في الله والذين اتبعوهم باحسان اي الذين اتبعوا اهل السبق وبذلوا جهدهم في الوصول
اليهم واللحاق بهم بقدر الامكان رضي الله عنهم بان يكونوا من اهل محبته وقربته والوصول اليه ورضوا عنه بنيل ما اعطاهم وارتضاهم

من الكمالات والانصار رضي عنهم باعطاء حق الطلب لما ارتضاه لهم ببذل المجهود في السير على الصراط المستقيم ورضي عن التابعين
لهم باعطاء التوفيق لاتباع السابقين اذ تبعوهم ورضوا عنه اذا بلغهم على درجات السابقين بقدر استعدادهم ونالوا عنه
وطامولهم واعطاهم سؤلهم واعد لهم في قلوبهم جنات بساتين اشجارها الايمان واليقين والصدق والاخلاص والتوكل والتسليم
تجري تحتها الانهار من ماء العناية والمواهب الربانية خالدين فيها ابدا لا ينقطع عنهم مدة العناية ويرتعون في ثمار تلك الاشجار من المشاهدات
والمكاشفات الربانية الى ابد الاباد ذلك الفوز العظيم وهو الفناء عن اوصاف البشرية والبقاء بالصفات الربانية وممن حولكم
ممن حول بلدكم يعني المدينة ومن للتبعيض فان النفاق كان في بعضهم من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته قوله مردوا على النفاق اي قوم مردوا لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم وتمرنهم في النفاق وتعمقهم في تحامي مواقع التهم الى حد خفيت عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك
نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
القبر ثم يردون الى عذاب عظيم اي عذاب النار قال في التاويلات النجمية الاشارة وممن حولكم من الاعراب منافقون يشير الى صفات النفس
فانها بمثابة الاعراب بالنسبة الى مدينة القلب وصفاته وانها تدور حول القلب المعنى ان بعض صفات النفس منافق مع احتمال ان يكون
بعضها منافقا وبعضها كافرا وبعضها مسلما فالمنافق منها كالصفة الحيوانية من الشهوات فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على
النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة طاهرة حقيقية لانها تتبدل بالكلية بل تكون مغلوبة بالسياسة والكافر منها كالصفة البهيمية
في طلب الغذاء من الماكول والمشروب فانها لا تتبدل بعضها لعدم استغناء البدن عن الاكل والشرب لحاجة الجسد الى الغذاء لبدل ما يتحلل
منه والمسلم منها كالصفة السبعية والشيطنة من الغضب والكبر والعداوة والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من الحلم
والتواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الاسلام وهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية او
مغلوبة بانوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال عليه السلام اربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وزعم انه مسلم
من كان فيه واحدة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر
وقوله ومن اهل المدينة يعني مدينة القلب واهلها صفاته مردوا على النفاق وذلك بغلبة صفات النفس على صفات القلب عند استيفاء
النفس من الشهوات واللذات الحيوانية لا تعلمهم نحن نعلمهم اي لا تعلمهم اذا نظرت بنفسك وانما تعلم اذا نظرت بنا سنعذبهم مرتين
باحكام الشريعة ومرة بآداب الطريقة اي نعذبهم بتكاليف اوامر الشريعة ونواهيها ونهذبهم عن الاخلاق الذميمة بدقائق تربية الطريقة
عند الفطام عن مالوفات الطبيعة ثم يردون بجذبات اللطف والقهر الى عذاب عظيم عند فنائهم اوصافهم بتجلي صفات اللطف والجمال
او الى عذاب عظيم عند بقاء اوصافهم بالسخط واسبال حجب العزة والجلال طردا وبعدا عن حضرة الجمال وآخرون اعترفوا بذنوبهم
ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
النبي م ودخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم انه

١٦٢

حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
بآخر سيئة هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على
ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه الاشارة القلب وصفاته اعترفوا بذنوبهم بشوب صفات النفس والتلوث بها فقد خلطوا عملا صالحا هو التوجه الى
الحق بقيم وآخر سيئا وهو مطاوعة النفس وهواها في بعض الاوقات عسى الله ان يتوب عليهم الى توفيقهم للرجوع الى الحق بالكلية
والاعراض عما سواه ان الله غفور يستر بذيل كرمه هفوات القلوب رحيم يمحو بماء رحمته لوث الشهوات قال ارباب
الطريقة الاعتراف بالذنب يكون لبقاء نور الاستعداد ولين الشكيمة وعدم رسوخ ملكة الذنب فيه لاستعداد الرجوع والتوبة
دليل رؤية قبح الذنب لما لم يكن تام سواد البصيرة وانفتاح عين القلب لانوار تكمن في الظلمة وتوجب الرذيلة لما استحكمت
لم ير ذنبا بل راه فعلا حسنا لمناسبة حاله فاذا عرف ان ذنبه ففيه جزء خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اي كانوا في رتبة
النفس اللوامة التي لم يصر اتصالها بالقلب وتنورها بنوره ملكة ولم تتذلل بعد في طاعتها للقلب فتارة يستولي عليه القلب
فتذلل وتنقاد وهي تتنور بنوره وتفعل اعمالا صالحة وتارة يظهر بصفاتها الحاجبة لنور القلب عنها وتحجب بظلمتها فتفعل
افعالا سيئة فان ترجحت الانوار القلبية الاعمال الصالحة وتعاقبت عليها الخواطر الملكية حتى صار اتصالها بالقلب وطاعتها
اياه ملكة صلح امرها ونجت وذلك معنى قوله عسى الله ان يتوب عليهم وان تمكنت عليها الهيئات المظلمة المكتسبة وغلبتها
وكثرة اقدامها على السيئات كان الامر بالعكس فزال استعدادها بالكلية وحق عذابها ابدا وترجح احد الجانبين على الآخر
يكون اما بالصحبة ومجالسة اصحاب كل واحد من الصنفين ومخالطة الاخيار والاشرار فان ادركه التوفيق ساقه القدر الى صحبة
الصالحين ومتابعة اخلاقهم واعمالهم فيصير منهم وان لحقه الخذلان ساقه الى صحبة المفسدين واختلاطهم فيصير من الخاسرين
اعاذنا الله من ذلك ان الله غفور يغفر لهم الهيئات المظلمة ويسترها عنهم رحيم يرحمهم بالتوفيق للصالحات وقبول التوبة قال
الشيخ الاكبر رضي المؤمن لا بد ان يندم من المعصية اذا فعلها فان الايمان يحكم بذلك لا محالة واذا ندم كان كارها لذلك الفعل
فهو من حيث كونه كارها لتلك المعصية مؤمنا بانها معصية ذو عمل صالح ومن حيث كونه فاعلا لها ذو عمل سيء فهو ممن خلط عملا صالحا
سيئا فهو من خلط عملا صالحا بعمل سيء فعسى الله ان يتوب عليه واذا تاب عليه كان ذا عملين صالحين وعمل سيء مع اصل الايمان
بانه معصية ثم تاب عليهم ليتوبوا وهو التواب الرحيم يرجع على عباده في كل مخالفة بالرحمة له فيرزقه الندم عليها وهو عين التوبة
العبد توبة الله عليه خذ من اموالهم صدقة لما اطلق النبي صلى الله عليه وسلم المتخلفين الموثقين قالوا يا رسول الله هذه
اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا
فانزل الله سبحانه هذه الآية تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار وكان عليه السلام يقول اللهم صل على فلان وآل

ان ذلك ممن عاصينا وذلك لان الصلوة منصب ... ان يميز بعض عن انّ صلوتك سكن لهم تسكن
اليه نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص التوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم قال لارباب المعرفة خذ من اموالهم صدقة لان المال هو سبب ظهور النفس وغلبة صفاتها وعدد قواها
مادة هواها كما قال عليه السلام المال مادة الشهوات فينبغي ان يكون احوالهم التجرد عن الاموال لتكسير قوى النفس وتضعيف هواها
وصفاتها فتزكيهم من الهيئات المظلمة الردية وتطهرهم من خبث الذنوب ورجس دواعي الشيطان وذلك معنى قوله تطهرهم
بها وتزكيهم وصل عليهم بامداد الهمة وافاضة نور الصحبة عليهم ان صلوتك سكن لهم اي نورك الذي تفيض عليهم بالتفات
خاطرك اليهم وقوة همتك وبركة صحبتك سبب نزول السكينة فيهم تسكن قلوبهم اليه وتطمئن والسكينة نور مستقر في القلب
يثبت معه في التوجه الى الحق ويتقوى باليقين ويتخلص عن الطيش بلمات الشيطان ووساوسه واحاديث النفس وهواجسها
لعدم قبوله لهاج والله سميع لنفوسهم واعترافهم بذنوبهم عليم بنياتهم وعزايمهم وما في ضمايرهم من الندم والغم ولم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التحضيض على التوبة والصدقة ان
الله هو يقبل التوبة عن عباده اي ليس ذلك الى رسول الله انما الله هو الذي يقبلها وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ
الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التائبين والتفضل قال لاهل باب الطريقة الم يعلموا اي الم يعلم ارباب الذنوب اصحاب القلوب بانوار القبول بعد
تزكيتهم عن دنس الفضول ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اي علموا لانهم شاهدوا في قلوبهم آثار قبول الحق به بصدق الاولية ويأخذ
الصدقات يشير بها الى ان المعطي ينبغي ان لا يظن انه يؤدي الصدقة الى الفقير فيمن بها عليه فيبطل صدقته بالمن بل يعلم انه
يعطي الى الله لانه الآخذ فلا يرى الفقير بل يرى الله سبحانه فيرجو منه الثواب والجزاء لا من غيره كما قال ولا نريد منكم جزاء ولا
شكورا وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه شيء من ذلك خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
فانه تعالى لا يخفى عنهم شيئا من ذلك كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازات عليه قال في بحر الحقائق ان العمل المحسن بنور الصعود الى السموات فان الله تعالى يراه بنور الالوهية
وروح الرسول صلى الله عليه وسلم يراه بنور النبوة وارواح المؤمنين يرونه بنور الايمان واستعلاء ذلك النور وصفاؤه وضياؤه
يكون على قدر علو قدر علو همة المحسن وخلوص نيته وصفاء طويته وستردون باقدام اعمالكم الى عالم الغيب والشهادة الى الله
الذي هو عالم بما غاب عنكم وغبتم عنه فاما ما غاب عنكم فهو نتايج اعمالكم من الخير والشر وجزاؤها فانها لم يغب عنكم لذتهم في
الخير وما علمتم شرا واما ما غبتم عنه فهو التقدير الازلي والحكمة فيما جرى به القلم من اعمال الخير والشر وهو عالم بما تشاهدونه بالعيون
والقلوب في الملك والملكوت فينبئكم بما كنتم تعملون فيجزيكم بمكافاة اعمالكم الخير بالخير والشر بالشر وآخرون من المتخلفين
مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان

لامر الله

لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان
كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا
امرهم الى الله فرحمهم الله تجنيد لحكمة الازلية اقتضت اقامة بعض النفوس على الذنوب وتأخير توبتهم وهم مترددون بين الخوف و
الرجاء الى ان يصلوا الى مقام القبض والبسط فيطيروا بجناحي القبض والبسط الى ان يبلغوا سرادقات الانس والهيبة ثم يطيروا بجناحي
الانس والهيبة الى قاب قوسين الستر والتجلي وادنى الوحدة والله عليم بمن يريد عباده حكيم عمن يصلح للقرب والقبول وبمن يصلح
للبعد والرد حقيقة وآخرون اعترفوا بذنوبهم هؤلاء هم المقابلون للمنافقين الذين ضيعوا اصل استعدادهم بالفطرة
بالاصرار على النفاق فهم بنور بصيرتهم وقوة استعدادهم عرفوا كون وجودهم ذنبا محضا فاعترفوا بذنوبهم وتيقنوا ان لا طاقة لهم
لهم بالرجوع من الكثرة الى الوحدة فادعوا الله كما قال خلطوا عملا صالحا في مقام جمعهم وآخر سيئا في مقام تفرقتهم عسى الله ان يتوب
عليهم بفضل رجوعهم اليه بالفناء الكلي ان الله غفور لستر وجوداتهم الظلمانية بوجوده الحقيقي رحيم يحييهم بنعمة البقاء بعد الفناء ولما ذكر
حال هؤلاء المستعدين لنيل الوصول الى المقصود خاطب نبيه صلعم بطريق تمسكهم في سبيل التوحيد على قدمي التجريد والتفريد فقال خذ بسطوة
الجذبة الالهية خلاصة منا ونيابة بحضرتها من اموالهم من آثار وجوداتهم المجازية التي طبعت النشأة الكونية على الميل اليها والظنة عليها صدقة
فتمحوها [illegible] الكمالات الوجودية الصفات الوجودية فيسقطهم ذهب بنياتهم وتوهم نسبة الكمال الى انفسهم وتزكيهم بها ثبتهم عند
ذلك البذل عن الفناء ببقاء الوجود الحقيقي عن وجودهم المجازي بالابقاء بعد الفناء وصل عليهم ادع لهم الرحمة من الله بالاستقامة في مقام
البقاء بوجود كانت غير ممنوع من الصلوة على من مات بالموت الاختياري فانه حي في الدارين وانما انت ممنوع عن الصلوة على من مات ابد
العدم انقياده لحكم التوحيد ان صلوتك سكن لهم ان دعاك هذا سكن لهم موجب الاستقامة في البقاء بعد الفناء ومستلزم للتمكين
بعد انصرام التلوينات والله سميع بما يستدعيه ذواتهم بالسنة الاستعدادات من الكمالات التي خصوا بها بالفيض المقدس عليم باستحقاقهم
لتلك الاستعدادات بالفيض الاقدس وآخرون مرجون لامر الله يشير به الى حال طايفة ثالثة لا ضيعوا اصل استعدادهم كالطايفة المصرة
على النفاق ولا خلصوا انفسهم عن حجاب الكثرات الوجهية بالفناء والبقاء كالطايفة المعترفين بذنوبهم فامرهم موقوف اما يعذبهم بتركهم في
حجاب البعد والقطيعة بمقتضى حكمة واما يتوب عليهم بتوفيقهم للرجوع اليه بمقتضى رحمة والله عليم حكيم ناظر الى قوله اما يعذبهم والله غفور رحيم
كما قرئ به ناظر الى قوله واما يتوب عليهم فانظر الى حسن موقع القراءة الشاذة كيف روعي بها حق المقابلة لتطلع بها على بعض الاسرار
القرآنية ان شاء الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ
نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله صلعم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والليلة الشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم وصلينا لكم فيه وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه

وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا ترقبا وانتظارا واعدادا لمن حارب

الله ورسوله من قبل وهو ابو عامر الراهب كان رجلا قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله

قال له ابو عامر ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت

ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه

ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما تقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم

من قوة ومن سلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه وكان على ذلك

حتى مات بقنسرين وحيدا فقوله من قبل متعلق بحارب وجاز ان يكون متعلقا باتخذوا والمعنى من قبل ان نافقوا بالتخلف

فان بناء المسجد كان قبيل غزوة تبوك وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة

الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم روي انه لما انصرف

النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ليأتيهم فنزل عليه القرآن واخبره الله خبر

المسجد وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا

الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وحرقوه وخربوه وفرق عنه اهله واتخذوا مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة

لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه

بقبا من الاثنين الى الجمعة وهذا اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو

مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم اي اول يوم بني ووضع اساسه احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه

فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها

والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه روي انه لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي

تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان

يتطهروا قال ارباب الطريقة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اشارة الى اهل الطبيعة الذين اتخذوا من مزبلة النفس مسجدا ضرارا لارباب

الحقيقة وكفرا باحوالهم وهذا وصف مدعي الطلب الكذابين في دعاويهم المتشبهين بزي ارباب الصدق وتفريقا بين المؤمنين الطالبين الصادقين

باظهار الدعوى من غير المعنى ليفرقوا بين الاخوان في الله وفي طلبه بانواع الحيل تارة بطلب الصحبة معهم ومرافقتهم في الاسفار وتارة

بذكر البلدان وكثرة النعم فيها وطيب هوائه وكرم اهلها وارادتهم بهذه الطائفة ليزعجوهم عن خدمة المشايخ وصحبة الاخوان وارصادا لمن

حارب

لمن حارب الله ورسوله من قبل اي من قبل وقوعهم في بلاء صحبة الاباحية من مدعي الفقر والمعرفة وهم يحاربون الله بترك دينه وشريعته ورسوله

بترك متابعته وليحلفن اي انهم ان اردنا الا الحسنى بكم فيما دعوناكم اليه والله يشهد انهم لكاذبون فيما يدعون ويحلفون لا تقم فيه

اي لا تعتقد صاحب الطلب في مزبلة النفس وان اتخذت مسجدا مشابها بمسجد القلب لمسجد اسس على التقوى مسجد القلب اسس على

التقوى والطاعة والاقرار بالوحدانية من اول يوم من الميثاق عند خطاب الست بربكم وجواب قالوا بلى احق ان تقوم فيه

فيه رجال يحبون ان يتطهروا وهم الاوصاف الحميدة والاخلاق الكريمة وانهم ليتطهرون عن الصفات الذميمة والاخلاق الردية

بل عن دنس الوجود ولوث الحدوث والله يحب المطهرين الفانين عن وجودهم الباقين بالله ولولا محبته اياهم ودفعهم للتطهر قال

صاحب المثنوي ولما كان عالم الملك في تحت تصرف عالم الملكوت وتسخيره لزم ان يكون لمنابع النفوس وهيأتها اثر فيما تباشرها

من الاعمال فكما افعل بنية فاسدة مشتملة على هيئة مظلمة صحبة ثوبه وكدورة وشؤم وما كان على عكس ذلك فبعكس الاثر كالكعبة

كيف شرفت وعظمت وجعلت مبركا لكونها مبنية على يدي نبي من انبياء الله بنية صادقة واخلاص تام لله تعالى ونحن نشاهد اثر

ذلك في اعمال الناس وبحيث اثر الصفاء والجمعية في بعض المواضع والبقاع والكدورة والتفرقة في بعضها وما هو الا لذلك فلهذا قال

لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه لان الهيآت الجسمانية مؤثرة في النفس كما ان هيآت النفسانية مؤثرة في الاجسام

فاذا كان موضع القيام مبنيا على التقوى تأثرت النفس فيه باجتماع الهم وصفاء الوقت وطيب الحال واذا كان مبنيا على الرياء والضرار

تأثرت بالكدورة والتفرقة والبعض فيه رجال يحبون ان يتطهروا الى اهل الارادة وفيه في التطهر عن الذنوب تنبيه بذلك على ان صحبة

الصالحين من اهل الارادة لها اثر عظيم يجب ان يختار ويؤثر على غيرها كما ان المقام له اثر يجب ان يراعى ويتعاهد ولهذا ورد في اصطلاح

القوم بحسب مراعاة الزمان والمكان والاخوان في حصول الجمعية افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على

قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار شفير هو ما جرفه السيل من الوادي فبقي منخرقا

بالماء فبقي واهيا هار هاير وهو المتساقط فقلب وقيل هار فانهار به سقط بالباني لفقدان استمساكه في نار جهنم والمعنى

امن اسس بنيانه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فادى به لخوره الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف في

مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان

تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم

بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول

فيكون معنده لكون كلا المتأسسين منسبا اليهم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يهديهم الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال

بنيانهم مصدر بمعنى البناء وليس بجمع لدخول التاء عليه للوصف بالمفرد في قوله الذي بنوا والاخبار عنه بقوله ريبة في

قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى

الله عليه وآله رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزال وسمه عن قلوبهم قال ابن عباس رضي الله عنه لا يزال حسرة وندامة

٢٦٥

لانهم ندموا على ما فعلوا الا ان تقطع قلوبهم بفتح التاء وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب والمراد به تتقطع بحذف
احدى التائين وقرأها الباقون تُقطع بضم التاء من التقطيع والاستثناء من اعم الازمنة اي في زمان من الازمان الا وقت تقطع
قلوبهم بالموت او في القبر او في النار وقرأ يعقوب الى ان تقطع بحرف الانتهاء والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم
اشارة افمن اسس بنيانه يعني جبل وقت الفطرة بتقدير الازل على تقوى من الله اي التوحيد والمعرفة ورضوان اي في
خلق لطلب رضى الله ونيل الرضا من الله كقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه خير ام من اسس بنيانه اي جبل حال الفطرة والتقدير على
شفا جرف هار اي شقاوة مهلكة خاسرة فانهار به اي خسف به في نار جهنم البعد عن الله بقهر والله لا يهدي القوم الظالمين
ما داموا على ظلمهم وهو وضع عبادة الدنيا ومحبتها والحرص في طلبها في موضع عبادة الله تعالى ومحبته والصدق في طلبه فاذا غيروا ما بانفسهم
من طلب الدنيا وشهواتها يغير الله ما بهم من الكفر والطغيان والخذلان لا يزال بنيانهم الذي بنوا عند الفطرة على الشقاوة ثبت ريبة
شكا ونفاقا وخذلانا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم وتحترق بنيرانها بنيات الشقاوة وتنور بنور الهداية لمن يشاء من عباده والله عليم
لمن يشاء به السعادة حكيم لمن اراد به الشقاوة وحكم بها له في الازل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و
اموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابتهم اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويُقتلون استئناف لبيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد
عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في
معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو
الفوز العظيم اشارة ان الله اشترى في التقدير الازلي من المؤمنين اي من اهل الايمان والصدق فانهم جعلوا على
استعداد هذه المتابعة لا من اهل الكفر والنفاق فانهم غير مستعدين لهذه المتابعة انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اي يبذلون النفس و
المال في الجهاد الاصغر والاكبر فالاصغر الجهاد مع الكفار يقاتلون في سبيل الله اي في طلب سبيل الله وهو الجنة لاهل الجهاد الاصغر فيقتلون
ويقتلون فان قتلوا فهم الغزاة ولهم الجنة وان قتلوا فهم الشهداء ولهم الجنة والجهاد الاكبر مع النفوس المتمردة يقاتلون في سبيل الله اي في طلب
الله فيقتلون ويقتلون يعني يقتلون النفس الامارة بالسوء بسيف الصدق في مخالفة هواها وتبديل اخلاقها ويقتلون بجذبات العناية
وتجلي صفات الربوبية فيصل العبد بذلك الى ربها وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن اي هذا الوعد وحقيقة الجزاء ثابت في الكتب
كلها ومن اوفى بعهده من الله فانه تعالى قادر على الوفاء وغيره عاجز عنه الا بتوفيقه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به في طلب الجنة وفي طلب الله
وذلك هو الفوز العظيم اي الفوز ببذل النفس في طلب الله فوز عظيم لانه يصل به الى الله العظيم قال الشيخ رض في الآية اشارة
الى مقام العبودية وان احدا ما لا يملك نفسه فبعد هذا الشرى امرهم بالجهاد في سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس
مستعارة فهي لكن سلوى على دابة مستعارة وظلت في الحرج عند عدمها اعادها ان ملكت فهي تستريح القلب والانسان مجبول على الشفقة

الطبيعة فهو يشفق على مركوبه من حيث انه جبل به لا من حيث انه ملك له التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي
التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصائل العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه السائحون
الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا
الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال
الجامعون بين الوصفين والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع والعاطف فيه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل
وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه و
لذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى
ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام اشارة
١٦٦ التائبون هم الراجعون الى الله بكليتهم فزهدوا في الدنيا والآخرة وما فيهما من اللذات والشهوات الى الدرجات النفسانية والروحانية فهم يرجعون
به منهم الله على قدم العبودية كما قال النبي صلعم آيبون تائبون عابدون يعني التائبون عن عبادة ما سوى الله وطلبه الراجعون اليه بعبادة
وطاعة الحامدون يعني الشاكرون له على ما رزقهم من نعمة الطلب السائحون اي السائرون الى الله بترك ما يشغلهم عنه الراكعون اي المنكرون
الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده الساجدون الساقطون منهم على عتبة الوحدة بلا هم الآمرون بالمعروف اي
بالرجوع الى الحق والناهون عن المنكر عند الحق تعالى والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن الله وطلبه الى طلب غيره وبشر المؤمنين اي الطالبين
نيل المطلوب من الله بالتيسير في هذه المراتب العلية والمقامات السنية قال اهل المعرفة ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
للهداية الى الايمان العقلي وهم متعلقون بمحبة الاموال والانفس ثم لم يفرط عنايته بهم عن مقام محبة الاموال والانفس بالتجارة المربحة و
المعاملة المرغوبة بان جعل حد النفس ثمنا اموالهم وانفسهم ليكون الثمن من جنس المثمن الذي هو مانوسهم لكنه الذ واشهى وارغب وابقى
فرغبوا فيما عنده وصدقوا بحقيقة الصدق وعلموا ثم لما ذاقوا بالحق دعهم لذة الترك وحلاوة نور الصدق رجعوا عن مقام لذة النفس وتابوا
عن هواها ومشتهياتها فلم يبق عندهم ونزعهم الحاجة اليها العابدين الآن اذ رجعوا عن محبة النفس والمال وطلب الاجر والثواب عبدوا الله
حق عبادته لا لرغبة ولا لرهبة بل تشبها بملكوته في القيام بجهة تعم بالخضوع والخشوع والذل لعظمته وكبريائه تعظيما واجلالا ثم
حمدوا الله حق حمده باظهار الكمالات العلمية الخلقية والعملية المكتسبة في استعدادهم بالقوة حمدا فعليا حاليا ثم ساحوا اليه بالهجرة عن رؤية
الكمالات لانه لهم واعتدادهم وابتهاجهم بها في مفاوز الصفات مع منازل التجليات ثم ركعوا في مقام محو الصفات ثم سجدوا بفناء الذات
ثم قاموا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله في مقام البقاء بعد الفناء وبشر المؤمنين بالايمان الحقيقي اليقين في مقام
الاستقامة قال الشيخ رض لما اخبر الله الانسان بانه خلق على الصورة ولا بد من الدعوى بالملكية لا ملك له اقرب من نفسه وهي التي

تدعى الملك بهذه بانه قد اشترى منه من حيث هو مؤمن نفسه فيقول المؤمن لا نفس له يدعى ملكا فصار الملك لله الواحد القهار و
زال الاشتراك فالمؤمن لا نفس له فلا دعوى له في الملك وكل مؤمن ادعى ملكا فليس بمؤمن حقيقة فاحفظ نفسك بالحق من دعوى
تسلب عنك الايمان واياك ان تحامي عن نفسك التي كانت لك فان اردت ان تحامي عنها فحام بحضور وعلم على انها نفس الحق
لا نفسك فهنا يجازيك ربك فانك صادق ومؤمن ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روى انه ع
قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت قلت
السورة مدنية من آخرها والقصة مكية وقيل لما فتح مكة اتى قبر امه آمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن
له فيستغفر لها فنزلت قلت وقد اورد القرطبي في التذكرة ان الله تعالى قد احيى له ابويه حين زارهما فامنا به فرجعا الى ما كانا
عليه والله اعلم والحق ما روى عن علي ابن ابي طالب على نبينا وعليه التحية والسلام لما انزل الله تعالى خبرا عن ابرهيم ع قال
سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان
فقال اولم يستغفر ابرهيم لابيه فاتيت النبي ص فذكرت ذلك له فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
وفي رواية عنه فنزلت وما كان استغفار ابرهيم ولا تعد في الجمع بينهما ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اعتذار
لابرهيم عن استغفاره اباه واختلف في معناه فقيل الموعدة كانت من ابرهيم فيكون الضمير لابيه يعني وعد ابرهيم اباه و
ذلك الوعد هو قوله لاستغفرن لك وقد انجزه بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين وقيل الموعدة كانت من ابيه بان
يؤمن له فيكون الضمير لابرهيم ووجه الاعتذار على الاول ان استغفاره كان لمكان الوعد مع رجاء الايمان وقد انجزه
بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين وعلى الثاني انه كان لرجاء الايمان فلما تبين له لابرهيم انه عدو لله اي
كان من اهل جهنم بانه لا يتوقع انقلاعه عن الكفر اما على الوجه الاول فبالموت او بالوحي بانه لا يؤمن واما على الوجه الثاني فبالاصرار
وخلف الوعد تبرأ منه بترك الاستغفار له قيل المعنى فلما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه اي يتبرأ منه وذلك لما
روى عن النبي ص انه قال يلقى ابرهيم اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابرهيم الم اقل لك لا تعصني
فيقول له ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي
الابعد فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابرهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ
بقوائمه فيلقى في النار وفي رواية فيتبرأ منه يومئذ ومما يقال ان استغفاره كان على وجه طلب التوفيق للايمان فانه
يجب ما قبله فليس بشيء لانا منعنا عن التأسي به في ذلك الاستغفار بقوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك و
الاستغفار على الوجه الذي ذكروه غير محظور اصلا ولا منع لاحد عن التأسي باحد فيه ولانه لو كان كذلك لما كان
للاعتذار بالوعد وجه لان الاعتذار انما يكون عن امر محظور فان قلت قوله فلما تبين له يقتضي ان يكون ما قيل لما

اعتذارا

لما اعتذر اراد بعدم التبين وليس كذلك بل اعتذار بالموعدة قلت الموعدة على الوجهين المذكورين لا يخلو عن معنى عدم التبين اما على
الثاني فظاهر واما على الاول فلان استغفار النبي مظنة المغفرة والمغفرة مسببة للايمان فتنبه له ان ابرهيم لاواه بكثرة
التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه وقال ابن عباس رض هو المؤمن التواب حليم صبور على الاذى صفوح عن جنايته و
الجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه بصيرة ما كان للنبي والذين آمنوا ايمانا حقيقيا اذا اطلعوا على سر القدر
وقفوا على ما قضى الله وقدره وعلموا ما ينتهي اليه عواقب الامور لم يكن لهم ان يطلبوا خلاف ذلك ورضوا بما دبر الله من امره وان كان
طبيعتهم ما يقتضي خلافه فلانهم قد انسلخوا عن مقتضيات طباعهم فان اقتضت القرابة الطبيعية واللحمة الصورية فرط شفقة ورقة على
بعض من يناسبهم ويواصلهم فيها وشاهدوا حكم الله عليه بالقهر والتعذيب حملتهم الحمية الدينية على الصبر ان لم يكن لهم مقام الرضى
بل غلبتهم المناسبة الدينية على القرابة الطينية فتبرؤا منه ولم يرجحوا على الله خلاف حكمه وامره ولهذا قيل العارف لا يؤثر همته
ولا عزيمة في شيء فلا يسلط همته على امر بخلاف المحجوب الذي ينسب التأثير الى غير الله ولا يعلم سر القدر اشارة ان ابرهيم
لاواه المتأوه المتبرئ عن المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية يتأوه بمجاهدة فيهما ورد له وارد الحق مما لا
١٦٧ عليه يطاق الخلقية فتأوه عند تعطش القلب المضطر من الحق الى الخلق وتنفر من الخلق وتعرضه للحق منسلخا من جلابيب الانسانية منفردا
للفردانية ومتوجه للوحدانية حليم على ما اصابه من الخلق للحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال كما قال لجبريل حين القي
بمنجنيق الى النار عند قوله الك حاجة اما اليك فلا فارجح في تلك الحالة من الرجوع الى الخلق وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا
ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وذلك كما في حكم الاستغفار
للمشركين لم يكن المسلمون محكوما عليهم بالضلال قبل ان يبين النهي عنها وكذا في ساير المناهي وقيل ذلك في قوم قدموا على النبي ص واسلموا و
لم يكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم قدموا المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت
فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم يعني ما كان الله ليبطل
عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ ان الله بكل شيء عليم فيعلم هدايتهم وضلالتهم اشارة وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هديهم اي اذ هديهم بالتوحيد والتقرب الى الوحدانية والفردانية لا يردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد حتى يبين لهم ما يتقون
من آفات البشرية وعاهات خسايس الدنيوية التي هي راس كل خطيئة وبلية فاذا لم يحترزوا عنها ووقعوا فيها يعيدهم بالاستدراج الى ما
خرجوا منها من ظلمات الوجود من حيث لا يعلمون وهذا هو الحور بعد الكور نعوذ بالله ان الله بكل شيء من الآفات المفسدة للاحوال وبكل شيء
من الطاعات المصلحة للحال عليم يلهم بها القلوب الحاضرة ويسمع بها الآذان قال ارباب المعرفة وما كان الله ليضلهم عن طريق التسليم و
الانقياد لامره والرضى بحكمه بعد اذ هديهم الى التوحيد الصوري ورؤية وجه كل شيء بقضائه وقدره حتى يبين لكم كل ما يجب عليهم اتقاؤه
في كل مقام من المقامات سلوكهم ومن يتبع مرضات الله وصولهم فان اقدموا في بعض مقاماتهم على ما بين لهم وجوب اتقائه حق يضلهم لكونهم
مقدمين على ما هو ذنب حالهم وهو فسق في دينهم والعياذ بالله من الضلال بعد الهدى ان الله بكل شيء عليم يعلم دقايق ذنوب احوالهم

وان لم يتفطن لها احد فيتلذذ بها اهل الهداية من اوليائه كما ورد في الحديث الرباني واتخذ الصديقين باني رب عبود ان الله
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرءوا عما عداه حتى لا يبقى لهم معبود فيما ياتون ويذرون سواه اشارة
ان الله له ملك السموات والارض ملك القدرة عليها وما فيها يحيي بنور الربوبية من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما لكم
من دون الله من ولي يعطيكم الولاية ولا نصير ينصركم على النفس بنفي سكم الهداية فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك
لا يبقى الملك معه وان طالب المالك ملك الملك بجد المالك والملك مع المالك دقيقة ان الله ملك السموات والارض ارض للارواح صح
الاجسام من تركيب الارواح معها والجمع بينهما وعيب بتحليلها والتفريق بينهما وما لكم يا مظاهر الاسماء الالهية في موطن الناسوتية من
دون الله من دون اسم الله الاعظم الجامع لجميع الاسماء والحقائق الالهية القائم بها جميع الحقائق الكونية المجمعة في نشاتكم الانسانية
الكمالية من ولي يلي امركم في اعطاء الوجود ولا نصير ينصركم بالكمالات الوجودية المترتبة على الكمال الوجودي لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار اما على النبي فمن اذن المنافقين في التخلف واما على المهاجرين ممن ذنب التخلف وقيل بعث
على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد
له مقام الا يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك المنقصة واظهار لفضل التوبة بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده
الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير وعسرة الزاد
حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة وعسرة الماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يميل عن الثبات
على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة انه بهم رءوف رحيم
تبصرة لقد تاب الله على النبي صلعم اي تاب عليه في الازل قبل ان يذنب واذا وقع التوبة مرادها قبل الذنب فيكون الذنب قبل
ان يقع مغفورا ويكون فائدة الذنب عائدة اليه من غير شوب الخجلة ونزيد الذنب فانه لو لم يكن لصورة الذنب فائدة راجعة
الى مقتضى الذنب لما جرى الله نعم صغيرة على نبي من انبيائه وفيه معنى آخر وهو ان التوبة فضل من الله ورحمة مخصوصة ينعم بذلك
على عباده فكل نعمة وفضل الله الى عباده يكون عبوره على كاينة النبوة فمنها تنقص على المهاجرين والانصار وجميع الامة الذين اتبعوه
في ساعة العسرة عسرة ترك الدنيا وشهواتها ولذاتها وعسرة نهي النفس عن هواها وعسرة الصبر على جهاد النفس لتكاليف الشرع
واستعمالها من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يميل الى الدنيا وشهواتها طبعا ثم تاب عليهم بافاضة نور العناية والرحمة ليرجعوا
من طلب الدنيا وشهواتها الى طلب الاخرة ودرجاتها انه بهم رءوف في الازل ورحيم خلوتهم تاويل لقد تاب الله على النبي الروح
فانه بمنزلة النبي ياخذ الهام الحق حقائق الدين ويبلغها الى امته من القلب والنفس والجوارح والاعضاء فالمعنى افاض الله على النبي الروح

وهاجري

وهاجري صفات الذين هاجروا معه من مكة القرابات الجسمانية والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين هم ساكنوا مدينة
الجسد وصفات الرحمة والرافة الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي اتبعوا الروح في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالفطرة اذ هم
نشاوا من عالم السفل يعسر عليهم السير الى عالم العلو جدا ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من النفس وصفاتها وهواها فان ميلها طبعها
الى عالم السفل ثم تاب عليهم بافاضة الفيض الرباني عليهم انه بهم رءوف رحيم يجذبهم باكسير الشريعة قابلا للرجوع الى عالم الحقيقة وعلى
الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم
المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا
اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع
عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم
المتفضل عليهم بالنعم اشارة وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع اي ما بقوا الروح عند رجوعه الى عالم العلو
ابتداء حتى تمكنوا في عالم السفل وحصلوا فيه ما يحتاج اليه من اسباب العبودية عند رجوعهم الى عالم الربوبية بجذبة ارجعي الى ربك اذا ضاقت
عليهم الارض ارض السفل عند اصابة الفيض الالهي شوقا الى تلك الحضرة بما رحبت بعدما وسعت ارض السفل لهم بالطبع و
ضاقت عليهم انفسهم حنينا الى نيل تلك السعادات وظنوا ان لا ملجا من الله اي تحقق لهم بنور الفيض انه لو بقوا في السفل
لا ملجا لهم من عذاب البعد من الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم جذبهم من عالم السفل بجذبات العناية ليتوبوا اي ليرجعوا الى الله ولو لم يتداركهم
جذبة العناية ما تابوا وما رجعوا عن طبيعتهم وما رغبوا في طلب الحق ان الله هو التواب الرحيم اي هو الله الذي يجذبهم بجذبة الرحمة عن
طبعهم وعاجهم فيهم من الميل الى السفليات ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهدهم او في دين الله نية وقولا وعملا اشارة اتقوا الله بالاعمال الصالحة
او اتقوا بالله عن غير الله وكونوا مع الصادقين ليبلغوا بتربيتهم وقوة ولايتهم الى مراتب الصديقين والى مقام الاتقاء بالله عما
سواه والنفس وكونوا مع الصادقين في السير الى الله وترك ما سواه والنفس وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق
فيما اجابوا الله عند خطاب الست بربكم قالوا بلى وصدقوا الله ما عاهدوا عليه ان لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا من نقص عهد
الاخرة قال صاحب الكتاب ويلات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في جميع الرذايل بالاجتناب عنها وفاصله رذيلة لكونها منافية للمروة
لقوله لا مروة لكذوب وهذا المراد من الكلام الذي تميز الانسان عن ساير الحيوانات اخبار الغير عما لا يعلم فان كان الخبر غير مطابق له
لم يحصل فائدة النطق وحصل منه اعتقاد غير مطابق وذلك من خواص الشيطنة فالكاذب شيطان وكما ان الكذب اقبح الرذايل
فالصدق احسن الفضايل واصل كل حسنة ومادة كل خصلة محمودة وملك كل خير وسعادة به يحصل كل كمال ويصلح كل حال واصله الصدق
في عهد الله تعالى الذي هو نتيجة الوفا بميثاق الفطرة كما قال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم في وعد الخليفة كما قال في اسمعيل انه كان

انه كان صادق الوعد واذا روعى الصدق فى الوطن كل ما يخطر الخاطر من الفكر والنية والقول والعمل صدقت المنافات والواردات
والاحوال والمقامات والمواهب والمشاهدات فكانه هو اصل نجح الكمال ومنذر الاحوال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهى عنه بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن
نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امرأة حسناء فرشت له فى الظلال وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلعم فى الضح
والريح ما هذا بخير فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا راكب فقال كن
ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلعم واله فاستغفر له وفى لا يرغبوا نهى يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل
عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شىء من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله فى الغزو ولا يطئون موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم
وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك
مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة عن سطوة
الكفار واستيلائهم واختلفوا فى حكم هذه الآية فقيل كان خاصة رسول الله صلعم اذا غزا بنفسه واما غيره من الولاة فيجوز لمن
شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة وقيل هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى
واباح التخلف لمن شاء ولا ينفقون نفقة صغيرة قليلة ولا كبيرة كثيرة ولا يقطعون واديا لا يجاوزون واديا فى مشيهم
مقبلين او مدبرين الا كتب لهم اثبت لهم به عمل صالح ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم
او احسن جزاء اعمالهم التاويل ما كان لاهل المدينة مدينة القالب النفسانية والقلب ان يتخلفوا عن رسول الله صلعم عن
الروح الذى هو رسول الله اذا راجع الى الله وسائرا اليه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى عن بذل وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله
ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من الشهوات ولا نصب فى انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى سبيل الله
فى طلب الله ولا يطئون موطئا مقامات الفناء يغيظ الكفار كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو عدو الشيطان والدنيا
والنفس نيلا اى بلاء ومحنة وفقرا وفاقة وجدا وهما وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء
بالله بقدر الفناء فى الله ان الله لا يضيع اجر المحسنين الفانين فى الله فيبقيهم بالله ليعبدوه على المشاهدة وهو ان الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه ولا ينفقون نفقة بذل الوجود صغيرة ولا كبيرة بذلا للذات فى صفات الله وذاته ولا يقطعون
واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح الا كتب لهم بقطع كل واد من هذه الاودية قربة ومنزلة
ليجزيهم الله بالبقاء بعد الفناء عن نفسه احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فما استقام بهم ان

ينفروا

ان ينفروا جميعا للغزو وطلب علم لما يستقيم ان ينفروا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا
نفر من كل فرقة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين يتكلفوا فى تحصيل الفقاهة ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم ولكن غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتسلط فى البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان
يحذروا عما ينذرون منه وقيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى الغزو وانقطعوا عن
التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة للجهاد ويبقى آخرون يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا للبواقى من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف
اى لينذروا البواقى النافرة اذا رجعوا اليهم بما حصلوا من العلوم وذلك ان نقول المعنى الاول بالنسبة الى الغيبة من النبى صلعم
فان التفقه فى حقهم كان بالنفر والمعنى الثانى بالنسبة الى الحضارة فان التفقه فى حقهم كان بالبقاء والنفر يحتمل ان يقال الآية
مخصوصة بحكم النفر للتفقه فى الدين والمعنى لما استقام للمؤمنين ان ينفروا للتفقه بكليتهم فلينفر طائفة منهم فى كل زمان للتفقه
فى الدين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فحينئذ تنبيه على ان العلم العلم لا يحصل غالبا من غير مفارقة الاوطان ومكابدة الاحتراج
قال صاحب التأويلات اى يجب على كل مستعد من جماعة سلوك طريق طلب العلم اذ لا يمكن لجميعهم اما ظاهرا فلفوات
المصالح واما باطنا فلعدم الاستعداد والتفقه فى الدين هو من علوم القلب لا من علوم الكسب اذ ليس كل من يكتسب العلم يتفقه فمن اراد التفقه
فلينفر فى سبيل الله وليسلك طريق التزكية والتصفية حتى يظهر العلم من قلبه على لسانه كما نزل على بعض انبياء بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل
لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحر من يعبر ويأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى
باداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغمركم ويغطيكم فالمراد من التفقه علم راسخ فى القلب ضارب
بعروقه فى النفس ظاهر اثره على الجوارح بحيث لا يمكن صاحبه ارتكاب ما يخالف ذلك العلم وان لم يكن عالما الا ترى كيف سلبه الله
الفقه عمن لم يكن رهبة الله عليه اغلب من رهبة الناس بقوله لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لكون رهبة
الله لازمة للعلم كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء واذا تفقهوا وظهر علمهم على جوارحهم اثر فى غيرهم وتأثروا منه فلزم الانذار
الذى هو غايته كما قال ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم حقيقته ما كان المؤمنون لينفروا كافة ما كان شأن عامة المؤمنين
ان يتجردوا للسفر المعنوى بالسير الى الله وفى الله وبالله هيهنا للافعال والصفات والذات فلولا نفر من كل خلق كثير قليلون من خواص
عباد الله الشكور ليستمرون بهذا السفر ليتفقهوا فى الدين ليتحققوا بحقيقة الله الاكبر الذى هو العبور عن مقام النفس الى مقام القلب ثم
الى الروح بالفناء المذكور ولينذروا قومهم ويدعوا الناقصين المحجوبين من قومهم الواقفين فى مقام اثباتهم اذا رجعوا اليهم بالسفر
الرابع المسمى بالسير من الله بالبقاء ليكمل الناقصين وارشاد المسترشدين لعلهم يحذرون عن آفات النفس واثبات الوجود فانه اصل
جميع المفاسد ومادة جميع الآفات والمخاطر يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب

١٦٩

فان الاقرب احق بالاهتمام باصلاحهم ولكن اصلاحهم مقدمة اصلاح البعيد قيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم
فانهم يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة اشارة قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي جاهدوا الكفار النفس وصفاتها بمخالفة هواها
وتبديل صفاتها وحملها على طاعة الله فانها العدو الذي يليكم كما قال عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وليجدوا فيكم
غلظة اي عزيمة صادقة فانها تترك شهواتها ومستحسناتها وحملها على المتاعب في طلب الحق واعلموا ان الله مع المتقين بجذبه
الوصول لشغلهم عما سواه واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة
ايمانا وقرئ ايكم بالنصب باضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام
الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم
مرض مرض الكفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون اي استحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه
اشارة فاما الذين امنوا اي بما انزل من القرآن فزادتهم ايمانا فان في كل سورة وآية وكلمة وحرف من القرآن نورا فالمؤمن اذا
صدق النبي صلعم فيما جاء به من القرآن ينقل النور من القرآن المنزل بطريق تصديقه الى قلب المؤمن فينضم الى نور الايمان فيزداد الايمان المتمكن
في القلب واما الذين في قلوبهم مرض ومرض القلب ظلمة شكه ونفاقه وكفره وهو ضد سلامته وسلامة القلب خلوه من الظلمة لحصول النور فزادتهم
رجسا الى رجسهم اي ظلمة الى ظلمتهم لانه كما ان للايمان بكل حرف وآية من القرآن نورا ينضم الى نور الايمان كذلك للكفر بكل حرف وآية منه
ظلمة ينضم الى ظلمة الكفر فيزيد في رجس كفرهم وماتوا وهم كافرون يشير الى ان موت القلب مودع في مزيد الكفر والنفاق اولا يرون
يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلعم فيعاينون ما ظهر عليه من الايات ثم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون
هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلعم فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم قاموا وقال بعض اهل التحقيق ارادوا بالاحد النبي صلعم واله
يعني نحن ننكر القرآن ومحمدا بالرسالة فهل يرى محمد انكارنا على رسالته وعلى القرآن فلو كان رسولا لراى ثم انصرفوا عن حضرة مخافة
الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم
لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم دون ان يكون من الملائكة فضعفتم عن رؤيته الحسية او عربي مثلكم دون ان يكون عجميا
فيحجبكم ان تفهموا منه كلامه وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم
اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف فان الرأفة شدة الرحمة للمحافظة
على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على ما ذكره عليه
توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم الذي ينزل منه الاحكام والمقادير

وقرئ العظيم بالرفع قال ارباب المعرفة لقد جاءكم رسول من انفسكم ليكون بينكم وبينه جنسية بمناسبة بها ينتفع الله
بينكم وبينه فيجعل لطوبه تلك الجنسية ما اثر من نور ايته انفسكم فينورها ويخلصها من ظلمة الجبلة والعادة عزيز عليه ما عنتم لشق عليه انقطاعكم
عن الله حريص عليكم في ايصالكم الى الله وابراركم في مقعد صدق عند مليك مقتدر بالمؤمنين رؤوف بنجاتهم الله من العقاب بالخروج عن الذنوب والمعاصي
براءة رحيم بفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات الموجبة لتعلم والترغيب عليها برحمته فان تولوا واعرضوا عن قبول الرافة والرحمة لعدم الاستعداد
ورد الله وتعرضوا للشقاوة الابدية فقل حسبي الله لا حاجة لي بكم ولا باستغاثتكم لا اله الا هو ليس في الوجود الا هو ولا موثر غيره ولا ناصر الا هو عليه توكلت
لا ارى لاحد فعلا ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب العرش العظيم المحيط بكل شيء يأتي حكمه منه وامره الى الكل وفضل عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وهو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر الف اشارة الى
الذات الاحدية ولام اشارة الى اسماء الذاتية التي هي ملبوس اسماء وراء اشارة الى الذات الاحدية ولام اشارة الى اسماء الذاتية التي هي
ملبوس اسماء وراء اشارة الى الرحمة التي هي الذات المحمدية لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما
تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام محكم اياته لا منسوخ ناسخ اكان للناس
عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه قوله ان اوحينا وقرئ عجب بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم والتعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف
العادة الى رجل منهم من غمار رجالهم دون عظيم من عظمائهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قيل كانوا يقولون العجب
ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصر نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة فان
مقصوره عظائهم فما تعزيهم ما يكن الا في المال وجعله للحال معون شيء في هذا الباب بكذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه
بعث بشرا رسولا ان انذر الناس اي اعلمهم مع التخويف وان هي المفسرة او المخففة من المثقلة فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين
امنوا عمم الانذار للناس وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ما من احد من الناس ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وما من احد من غير المؤمنين فيه ما يستحق به
البشارة ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم قال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم قال ابو عبيدة لكل سابق خير او شر فهو
عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم سوء وقيل سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق وهو صفتها لتحققها والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية قال الكافرون
ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلعم لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلعم وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول صلعم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة اشارة اكان للناس اي للناسي ايام الله قبل ايام الدنيا عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس الى الناسي الذي نسي عهدي الذي عهدت اليه وبشر الذين امنوا اي كانوا مقرين ذاكرين بذلك العهد لم
ينقضوا عهدي وما نسوا ان لهم قدم صدق عند ربهم من العناية الازلية عندهم في المنازل قال الكافرون ان هذا لساحر مبين بلغ عنهم المسحورون

شفعتهم بسحره صفات فرعون النفس فجعلوهم عما يكاد اعيانهم لا يعقلون بتبصره وانكر عجبهم لكون سنة الله جارية ابدا على هذا
الاسلوب من ارسال الرسل على الرجال وما كان عجبهم لبعدهم عن مقامه وعدم مناسبة حالهم بحاله ومنافاته لما جاء به لما اعتقدوه ان لهم قدم
صدق عند ربهم اى سابقة بحسب العنايات الازلية خصصهم الله بها في الازل بمحض الاجتباء ولما اسوا قال الذين كفروا احتجوا عن الله فلم يطلعوا
على ظهور صفاته في المظهر المحمدي ان هذا الذي جاء به لسحر مبين اى شئ خارج عن قدرة البشر ليس الا من عمل الشيطان فلولا ذلك لغلبة الشيطنة عليهم
لاحتجابهم بها عن الله وعبادتهم الشيطان بحيث لم يهتدوا الى طور من الروحانيات وراء في القدرة فلذلك نسبوا ما يجاوز عن حد البشرية
اليه بالطبع ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول المكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر
الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته والتدبير النظر في ادبار الامور لتجئ محمودة العواقب ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة وبه قال في بحر الحقائق ان ربكم الله اى مربيكم ومدبر اموركم الذي خلق
السموات والارض في عالم الاجسام في ستة ايام لاشتمالها على ستة اصناف وهي الافلاك والكواكب والعناصر والحيوان والنبات والجماد ثم
استوى على العرش والعرش ذو جهتين لجهة تلي العالم الروحاني وجهة تلي العالم الجسماني يستوى عليه الرحمن بالتدبير فيفيض فيض رحمانيته
فانه اول قابل للفيض الى ما دونه من المكونات فبتلك الفيض يدور الافلاك كما تدور الرحى بالماء وبه تؤثر الكواكب وبه تتركب العناصر وتظهر
خواصها وبه يبقى الحيوان ذا حس وحركة وبه ينبت النبات ذا حركة بلا حس وبه ينعقد المعادن بلا حس ولا حركة ما من شفيع الا من بعد اذنه
يشير الى ان الله تعالى خلق العالم على قانون الحكمة البالغة وهو الذي يعلم صلاحه وفساده ويدبر فيها كما قدر في الازل فلا مساغ لاحد ان يرى
فيها مصلحة دون ما راه الله تعالى فيشفع الى الله في تبديل شئ مما قدر ودبر فانه لا تبديل لخلق الله الا من بعد اذنه لمن اذن الله تعالى بان
له في الشفاعة فيما اقتضت الحكمة الازلية تبديله بواسطة شفاعته ذلكم الله ربكم اى هو ربكم الذي قال لكم الست بربكم يوم الميثاق فقلتم
بلى عهدا اليكم لا تعبدوا الشيطان فاعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره كما عهد اليكم افلا تذكرون بذلك العهد والميثاق الذي جرى بيننا قال ارباب
المعرفة يدبر امر السموات والارض على وفق حكمته بيد قدرته ما من شفيع يشفع لاحد بافاضة كمال وامداد نور وترقية الى الله تعالى وتنجيه
من الظلمات النفس وبطره ورجس صفاتها الا من بعد ان ياذن بموهبة الاستعداد ثم تسوية الاسباب ذلكم الموصوف بهذه الصفات
الله ربكم مربيكم ومدبر امركم فخصصوه بالعبادة واعرفوه بهذه الصفات حقيقة ان ربكم الله اسم الله الاعظم الذي خلق السموات
والارض خلق سموات عالم الارواح وارض عالم الاجسام في ستة ايام لبرهان سر التثليث في كل من العالمين حتى جاء عالم الارواح ذا ثلث
مراتب العقول المجردة والنفوس المجردة والنفوس المنطبعة الفلكية وكانت الاجسام كذلك ذات ثلث مراتب الاجسام الطبيعية والاجسام
العنصرية العلوية والاجسام العنصرية السفلية ثم استوى على العرش في اليوم السابع بالتصرف في عالم الملك بالامر والنهي وذلك بتجليه باسم
السلطان وتمكنه من مقام السلطنة تدبير الامر عند استوائه على عرش السلطنة بالتركيب بين مرتبة الارواح والاجسام لتنشر انوار الحيوة

التي

التي هي مناط التكليف ومحل جريان الامر والنهي فان تركيب جوهر الروح والجسم محل جريان التكليف على ما سبق ذكره ما من شفيع الا من بعد
اذنه وذلك ان الاسماء الالهية الظاهرة في مظاهر الاكوان شفعاء لتلك المظاهر يطلبون لهم من الله اسم الله الاعظم الموصوف بقوله ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض مستدعيا لهم من الكمالات الوجودية علما بالكسب شهودا بالذوق وليس لهم ذلك المقام الا بان يعطيهم الله فيه
وياذن لهم في الشفاعة ذلكم اى خالق الارواح والاجسام ومالكهما لاستفتاح الجوهر الذي عليها مدار التكليف بالعبادات الله ربكم
فاعبدوه فان اداء حق الربوبية انما هو بالعبادة افلا تذكرون لتعرفوا ان الغاية في خلقكم ليس الا العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للعبادة وعد الله مصدر وعد الله وعدا حقا فعل لتقييده
فعله والجملة مؤكدة لما قبله وكالبرهان عليه حقا اى ثبت ذلك ثبوتا حقا فان الوعد في المعنى القول وجاز ان يكون منصوبا بوعد الله
بتقدير وعدا حقا والله اعلم انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة
هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه كما عين عقاب
الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم اشارة اليه مرجعكم اى جرى الميثاق على ان يكون رجوع
المقبول والمردود للحضرة فاما المقبول فرجوعه اليه بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب ١٧١
القلب الى الله ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها وانزعاج القلب عما سوى الله الى الله واستغراق
الروح في بحر الشوق والمحبة والتبري عما سوى الله وهيجان السر وحيرته في شهود الحق ورجوعه عن الخلق واما المردود فرجوعه بغير اختياره
مغلولا بالسلاسل والاغلال يسحبون في النار على وجوههم وهي صورة صفة قهر الله ونتائج قهر الله متعلقاته بالدنيا وما فيها باستيلاء
صفات النفس عليه من الحرص والبخل والكبر والامل والغضب والشهوة والحسد والحقد فان كل واحد حلقة من تلك السلاسل وغل من تلك
الاغلال بها يسحبون الى النار وعد الله حقا اى وعد بالرجوع اليه حق وصدق انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليحصدوا في الاخرة ما
زرعوا في الدنيا فمن يزرع الخير يحصد السلامة ومن يزرع الشر يحصد الندامة وهذا معنى قوله ليجزى الذين امنوا الاية قال
ارباب المعرفة اليه مرجعكم بالعود الى عين الجمع المطلق في الفناء الصوري او الى عين جمع الذات بالفناء فيه عند القيامة الكبرى انه يبدأ
الخلق في النشأة الاولى ثم يعيده في النشأة الثانية ليجزى المؤمن والكافر على حسب ايمانهم وعملهم الصالح وكفرهم وعملهم الفاسد
هذا على التأويل الاول وعلى الثاني يبدأ الخلق باختفائه واظهارهم ثم يعيده بافنائهم وظهوره ليجزى الذين امنوا وعملوا
ما يصلحهم للقائه من اعمالهم الرافعة لحجبهم المقربة اياهم بالقسط بحسب ما يقتضيه من المقامات باعمالهم من مواهب الحالية والذوقية التي
يقتضيها مقاماتهم والذين كفروا حجبوا في اى مقام كان لهم شراب من حميم بجهلهم بما فوقه وشركهم واضطرابهم اذ لو وصلوا الى اليقين لا اتفاقا

يرده وعذاب اليم من الحرمان والهجران وفقدان ذوق الوجدان بسبب احتجابهم هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء هي
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فقد
نبه الحق تعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بالعرض يكتسب نوره منها وقدره منازل الظاهر ان الضمير
للقمر على حذف مضاف والقمر قدرناه منازل والمعنى قدر له منازل او قدر مسيره منازل وجاز ان يكون لكل واحد منهما ومنازل القمر
ثمانية وعشرون معدودة في مقامها ومنازل الشمس البروج الاثنا عشر وهي منازل القمر ينزل القمر في كل منزل منها يومين وثلث
يوم وينزل الشمس في كل منزل منها شهرا فيكون انقضاء السنة الشمسية مع انقضائها لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الشهور
والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فان ذلك يحملهم على التفكر والتدبر اشارة هو الذي جعل شمس الروح ضياء وقمر القلب منورا به
وقدر مسيره في سلوكه منازل ومقامات لتعلموا عدد سنين مراتبكم واطواركم في السير الى الله وفي الله وحساب درجاتكم ومواقع
اقدامكم في كل مقام ومرتبة ان في اختلاف ليل غلبة ظلمة النفس على القلب ونهار اشراق ضوء الروح عليه وما خلق الله في السموات
الارواح وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل بعضها ببعض واستيلاء بعضها على بعض لآيات لقوم يتقون حجب
صفات النفس الامارة ويحترزون عن خلائقها الذميمة ويبدلونها بالاخلاق الحميدة على قانون معالجة الشريعة والطريقة لا
بالطبع والتقليد هو الذي جعل الشمس الشريعة يسلك طريق الحق ضياء ونورا محضا لا تشوبه شئ من ظلمة الاوهام و
التسويلات والقمر نورا وجعل قمر العقل نورا يستضيء به ما يستضيء به منها وقدره منازل قدر لقمر العقل منازل هي مواقيت التكاليف
وهو ايامها من الصبي الى الشيخوخة وما بينهما يبدو ضعيفا ويتكمل متدرجا ثم يعود الى ما كان عليه من الضعف كما قال والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم لتعلموا عدد السنين والحساب اي لتستعينوا به وتستعملوه في معرفة ما يتعلق بمعاشكم الدنيوي من تحصيل
ميزانا لما عاكم الاخروية والمعارف الالهية فان النواميس العقلية لا تهتدي بها ولا يتعقل الا في فترة من الرسل واندراس من الشرائع
كما ان القمر لا يهتدي به الا حالة غيبوبة الشمس ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا في الدنيا سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما
لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الانهماك في الشهوات وبين الذهول عن الآيات راسا بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم
اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاها حب العاجل عن التأمل في الآجل
والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم

يهديهم ربهم

يهديهم ربهم بايمانهم اي بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة ومفهوم الترتيب في ادخال الاعمال الصالحة سبب الهداية
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف تجري من تحتهم
الانهار استئناف او خبر ثان في جنات النعيم حال من الانهار او متعلق بتجري اشارة يهديهم ربهم بايمانهم الى درك
الحقائق قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم تجري من تحتهم الانهار انهار المعارف والعلوم الذوقية في جنات مشاهد
الاحوال والاذواق دعويهم فيها اي دعاؤهم في الجنة سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام مخاطبة بالسلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ان هي المخففة
وقد قرئ بالتثقيل ونصب الحمد قال اهل التفسير سبحانك اللهم كلمة يكون علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا
الطعام قالوا ذلك فاتوهم في وقتهم بما يشتهون على موائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون الف صحفة في كل
صحفة لون من الطعام لا تشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فكان الحمد آخر دعويهم قلت وجه جعل التسبيح ايذانا
بطلب الطعام هو التعريض بتنزيه الحق عن اوصاف البشرية التي معظمها الاكل لاتصاف انفسهم بالاكل واستلذاذهم به ففيه حسن
الطلب بما لا يخفى لطافته اشارة ان الذين آمنوا اي اعتقدوا طلبنا والوصول الينا وعملوا الصالحات اي العمل الذي يصلح ان
يسلكوا به سبيلا يهديهم ربهم بايمانهم اي بصدق اعتقادهم الى حضرة ربوبيته على طريق جنات القلب تجري من تحتها الانهار انهار الحكمة
ومياه المعرفة في جنات النعيم نعيم ملاطفات الحق ومشاهداته دعويهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم تنزيه تلك الحضرة
عن دنس ادراكات العقول اياها وتحيتهم فيها سلام اي يحييهم من الله سلاما مصدقا لهم بسقائه وابقائه وآخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين لتيسرهم الى نيل مقاصدهم وكمال مراتبهم وانعام النعم عليهم فاحمدوا الشكر يكون ورد لسان حالهم قال ارباب المعرفة دعويهم
فيها اي دعاؤهم لاستعدادهم في جنات الثلاث جنة الافعال وجنة الصفات وجنة الذات التي يهديهم اليها بحسب نور ايمانهم
سبحانك اي تنزيها عن الافعال والصفات بالانسلاخ عن افعالهم وصفاتهم وفي الثالث عن الشرك في الوجود بفناء ذواتهم وتحيتهم فيها
اي تحية بعضهم لبعض في كل مرتبة منها افاضة انوار التزكية وامداد التصفية من بعضهم على بعض وتحية الله اياهم فيها اشراقات
انوار التجليات وازالة الآفات من الحق تعالى عليهم وآخر دعويهم اي آخرها بمقتضى استعداداتهم هو الحمد الحقيقي وتخصيص ذلك الحمد به
اولا باعتبار هويته المطلقة ثم باعتبار ربوبيته للعالمين قال الشيخ رضي الله عنه الحمد لله الذي تأخر في الامور لان له السابقة ولا التالية
المقدمة سبحان الله المسبح والمكبر المهيمن العلي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال عليه السلام في الحمد لله انها تملأ الميزان وذلك ان التحميد
تأتي على عواقب الامور فيرفع الميزان يقول الحمد لله المنعم المفضل في السراء الحمد لله على كل حال وقال الشيخ هذه الكلمة يقولها اهل الجنة عند قول الله
لهم رضيت عنكم فلا اسخط عليكم ابدا وقال الشيخ اول ما تكلم به اول انسان هو الحمد لله آخر دعويهم فبداءة العالم بالثناء حقيقة
دعويهم فيها سبحانك اللهم نشأت اهل الجنة يعطي لهم ثلاثة امور احدها التسبيح والتقديس بنشأتها في اللطافة والنزاهة والثاني
التحية بالسلام لسلامة نشأتهم عن طرق الآفات اليها والثالث الحمد لتمام النعم عليهم بتكامل نشأتهم لقابليته القلبية

والروحية لا العالمية علة تبدل اجسادهم العنصرية اجساد الطبيعة بتعديل المزاج واستحالة الاركان واما نشأتهم القلبية فلطهارتها
اذن عن الاخلاق الذميمة والملكات الردية لقوله تعم ونزعنا ما في قلوبهم من غل الآية واما نشأتهم الروحية فبالاستواء على العرش العلى بنفاذ
الامر في مملكة البدن والاستغراق في بحر الشهود بكشف الحجاب لكن ان يقول دعويهم فيها سبحانك اللهم في جنة الاعمال لتلبسهم فيها بما تنزه عنه الحق تعالى
من الاكل والشرب والنكاح وتحيتهم فيها سلام في جنة الصفات لسلامة مشاعرهم فيها من الاحتجاب عن مشاهدة انوار التجليات الاسمائية والصفاتية
وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين في جنة الذات لتمامية النعمة فيها بمعاينة انوار التجليات الذاتية ويقرب من ذلك ان تقول دعويهم فيها سبحانك
اللهم في مقام الفناء وتحيتهم فيها سلام في مقام البقاء بعد الفناء وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين في مقام الاستقامة في البقاء ولو
يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير اى تعجيلهم بالخير ومنع الاستعجال موضع التعجيل اشعار بسرعة اجابته لهم في
حتى كان استعجالهم به تعجيلا لهم وبان المراد الشر استعجلوه كقولهم امطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله الخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا و
قراءة ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت
عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا لهم تبصره ولو يعجل الله للناس الشر فيه اشارة
الى ان الشر من نتايج اخلاق الناس واوصافهم الذميمة النفسانية ليس له مدد من الله ليظهر اثره فيهم عاجلا بل يكلهم الله الى انفسهم
والصفات المجبولة عليها والخير كله من نتايج نظر العناية الربانية فيحصل من عين الفضل والكرم فيظهر اثره فيهم عاجلا وهو سر قوله سبقت
رحمتى غضبى ولو كان السبق للغضب والقهر لقضى اليهم اجلهم هلاكا بالصورة والمعنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا اى الذين لا يشتاقون
الى لقائنا فيسلكوا طريق وصولنا على اقدام الخيرات في طغيانهم يعمهون والمعنى فنذرهم بالخذلان الى طغيان نفوسهم الامارة بالسوء
متحيرين في تيه ضلالة النفوس ليزدادوا مراتب سرهم فيظهر اثره فيهم بالتدريج آجلا قال ارباب المعرفة لما كانت الاستعداد ذات
مفطوره على الخير احتياجا في الصورتى والمعنوى كان كل دعاء منها لطلب الخير يوجب حصول ذلك المطالبة عاجلا وفيضانه عليه من
المبدا الفياض الذى هو منبع الخيرات والبركات ثم انه كلما فاض عليه خير باستحكام زاد استعداده بانضمام هذا الخير اليه فصار اقوى
واقبل من الاول فيكون المبدا تعالى اسرع اجابة له واكثر افاضة عليه وعلى هذا يزداد الاستعداد فيزداد الفيض حتى يبلغ
وهو معنى تضاعف الحسنات ومعنى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها واما الشرور فليست الا حجب الاستعداد وموانع القبول
الفياض فهى اذا حصلت ما حصل بسببها الا عدم القبول للخيرات ممعنت فيضانها ودفع الاستعداد في حجاب ما حصل منها وهذا معنى
قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها اللهم الا اذا افرط وتجاوز الحد وازال الاستعداد بالكلية فناسب الشيطنة واستمد من عالمها كما
قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لقضى اليهم اجلهم لقطع مدد استعدادهم فانقطع مدد الحيوة الحقيقة عنهم
ومدد الخير في استعدادهم بالكلية فلم يصل اليهم بعد ذلك مدد صورى ولا معنوى ولكن يمهلهم ما بقى فيهم ادنى مسكة من الاستعداد وهو امكان
قبول ادنى خير فنذر الذين لا يرجون لقاءنا من جملة الذين لا يرجون اليه اسا انهماكهم في الشرور ولا يبقى فيهم نورا من انوارنا

ولا ينهون

ولا ينهون وقطام غفلتهم بالرجوع الينا وطلب رحمتنا في طغيانهم وعنادهم في الشرور يعمهون يتحيرون ولا ينقطعون مدد الخيرات الصورية التى
يبنا بها استعدادهم بالكلية فينكسوا على رؤسهم الى اسفل سافلين واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه اى
مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على
طريقته واستمر على كفره او مر على موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان الى ضر مسه الى
كشف ضر نعمه كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات
اشارة واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه يشير الى خاصية نفس الانسان انها لا ترجع الى الله تعم طبعا الا في مقام الحاجة الضرورية
بالاضطرار فلما كشفنا عنه ضره اى استجبنا دعاءها وقضينا حاجتها مر كان لم يدعنا الى ضر مسه عادت الى طبعها من حب الهوى الى خاصيتها
الانسانية وهى نسيان حضرتنا وكفران نعمتنا كذلك زين للمسرفين اى المفرطين في محبتنا وطلبنا والمجاوزين عن حد محبة غيرنا وطلب ما
سوانا ما كانوا يعملون من الاسراف في تركنا وطلب غيرنا ولقد اهلكنا القرون الاولى من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا
١٧٢ بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا ما ينبغى وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بتقدير
قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم و
اللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزى
القوم المجرمين نجزى كل مجرم او المعنى نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه اشارة لما ظلموا
اذ وضعوا محبتنا وطلب لقائنا في غير موضعها من الدنيا والآخرة وما فيهما وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج القاطعة ليدلوهم بها الى محبتنا وطلبنا
وما كانوا ليؤمنوا بتلك الحجج ليهتدوا الينا بنور الايمان وتكلناهم الى انفسهم بالخذلان كذلك نجزى القوم المجرمين نكلهم الى انفسهم بشؤم جرمهم
فنهلكهم كما اهلكنا القرون الماضية في متابعة اهوائهم واستيفائهم في طلب شهواتهم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون
فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن
تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعنى المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرأه
ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ليس فيه ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية اخرى كما بدلت الاحبار آيات التورية بما كان موافقا لحصولهم قل ما يكون لى ما يصح لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل
نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الى تعليل
لما يكون فان المتبع لغيره في امر لا يستبد بالتصرف فيه انى اخاف ان عصيت ربى اى بالتبديل عذاب يوم عظيم و
فيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح تخبر به العظيم مجرور بالجوار كما هو المشهور وجعله بعض اهل التحقيق صفة لليوم يعنى
عذاب يوم يجرى فيه عظائم الامور وهى من ترقى في الجنة ومن ترقى في السعير فلو ترقى سعادة القرب والمواصلة وهى امر عظيم ولو ترقى شقاوة البعد

والمقادير وهو امر عظيم قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن مسعود ولا ادرأتكم
به بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به على لسان
غيري ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يجالس فيها عالما ولم ينشئ فيها خطبة ثم قرأ عليهم كتابا
فاقت فصاحته كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين
على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي فلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن افترى فمن اظلم
على الله كذبا تبرئة للنبي م عما اضافوه اليه كناية من كون القرآن من تلقاء نفسه او تظليم للمشركين بافترائهم على الله بالولد والشريك او
كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون المشركون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد والمعبود
ينبغي ان يكون مثيبا او معاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يشفعون لنا فيما يهمنا
من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموحد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا و… و…
بهم او ان هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
في يعلم مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور لا
يليق ان يجعل شريكا له سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين
في اول النحل والروم بالتاء حقيقة معلوم الواجب تعالى شيئان احدهما ذاته نفسه والثاني شئونه الذاتية فذاته من حيث
المعلومية هو حقيقة الوجود وشئونه من حيث المعلومية هي المرتبة اعني الحقائق العلمية المسماة بالمهيات والاعيان الثابتة واما ما عداهما
من الممتنعات والاكاذيب والاباطيل فلا ثبوت له في علم الله تعالى وانما هي مخترعات النفوس في مراتب الامكانيات من لوازمها ولو
بواسطة احتجابها من شهادة حقائق الاشياء على ما هي عليه في عالم الاعيان الثابتة المسماة بنفس الامر واضطرارها في التوسل
الى مواقفها باستعمال المشاعر الوهمية والخيالية فمعنى الشريك والولد لا يتعلق به علم الله تعالى الا من حيث امتناعه وبطلانه فلا ثبوت
في علمه تعالى الا امتناع الشريك والولد لا انهما بانفسهما ثبوتا في علمه فان قلت فعلى هذا يلزم ان يكون في علمنا ما لا ثبوت له
في علمه فيلزم المزية في الجملة قلت المحذور فيما لو قدر كون ذلك العلم كمالا وليس كذلك على التحقيق بل هو ان الممتنعات كشريك الباري
المعدومات الممكنة كبحر الزيبق وجبل الياقوت لا وجود لها في الاذهان البشرية وانما يحصل في الذهن من شريك الباري كما حققه الشيخ رض
اجزاء مفهومية عن مفهوم الشريك ومفهوم الباري ومفهوم الاضافة التي بينهما وكل ذلك امور موجودة بانفرادها وكذلك الموجود في الذهن
من بحر الزيبق وجبل الياقوت انما هو البحر والزيبق والجبل والياقوت واما صورة مجموعية هذه الامور فلا حصول لها في الذهن فلا يتعلق للنفس
علم بهذه الاشياء فان النفوس البشرية لا طريق لها في العلم بالامور الجزئية الا بتوسط الحواس ولا بالامور الكلية الا بانتزاع صورة كلية من الصور الجزئية

المدركة

المدركة بالآلات والعلم الحاصل بالشيء بالآلة مسبوق بوجوده في الخارج لا محالة فما اخذ النفس بالآلة صورته اما بمشاهدته او بمشاهدة
نظايره ومجانساته كالطاوس في حق من لم يشاهده بعينه فقد تقرر بذلك ان مفهوم الشريك لا ثبوت له في علم الحق تعالى غير ان يكون للنفس
البشرية مزية بالعلم به والله اعلم بحقيقة الحال وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك
في عهد آدم ع الى ان قتل قابيل هابيل وبعد الطوفان او موحدين على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او
ببعثة الرسل فتبعهم طايفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم
الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق تبت وما كان الناس عليها في عالم الارواح
كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فاختلفوا عند سماع خطاب الست بربكم اذ الارواح كانت جنودا
مجندة في صفوف مختلفة فسمع كل طايفة على حسب حالها في القرب والبعد من ذلك الصف فاختلف لهم عند الجواب بلى اذ جواب كل طايفة كان بحسب
استماع الخطاب ثم بعد الولادة اختلفوا بحسب تربية الوالدين كما قال عليه السلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
ثم اختلفوا بعد البلوغ بحسب المعاملات الطبيعية والشرعية ولولا كلمة سبقت من ربك بان لا يجازي عباده عند كل اختلاف حتى يبلغهم بتغير
الاحوال واختلافهم الى السعادة المقدرة بهم والى الشقاوة المقدرة لقضي بينهم بالهلاك والعذاب مجازاة لهم فيما فيه يختلفون من كفر النعم
وانكار النبوة ورد الشريعة واتباع الهوى بالطبيعة قال ارباب الموفقة وما كان الناس الا امة واحدة متوجهين الى الوحدة متنورين
بنور الهداية الاصلية فاختلفوا بمقتضيات النشأت واختلاف الامزجة والاهواء والعادات والمخالطات ولولا كلمة سبقت اي قضاء سبق
في الازل بتعيين الآجال والارزاق وتمادي كل واحد من الشقي والسعيد الى حيث قدر له فيما زاد له لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه عاجلا وتميز السعيد
من الشقي والحق من الباطل في اديانهم ومللهم ولكن حكمة الله تقتضي ان يبلغ كل منهم وجهته التي هو موليها اليها باعماله التي زادها هو واظهار ما خفي
في نفسه حقيقة كان الناس امة واحدة في عالم الارواح كان علمهم مستفاضا من المبدأ الفياض من غير وساطة فكر ونظر فكانوا
غرقى في بحر التوحيد مجمعين عليه متحققين بصور حقائق الاشياء على ما هي عليه في نفس الامر فاختلفوا فيه عند احتباسهم في مضيق الجسد واحتياجهم في
كسب العلوم الى استعمال العقول المشوبة بالاوهام وتوسيط قواه المؤفة بالعوارض البشرية حتى اختلف الآراء وكثرت الملل والاهواء بحسب اختلاف
امزجة محال القوى في القرب من الاعتدال والبعد عنه ولولا كلمة سبقت من ربك من نفوذ في الجنة السعي والوجود ومن نوى في السعير سعير الحجاب
والحرمان لقضي بينهم فيما فيه يختلفون بالالجاء الى التوحيد بطلوع شمس الحقيقة عن غيم الاوهام والشكوك من غير ان يحتاج الى الدلائل العقلية
والنقلية التي لا يكاد ينقطع عنها تصرف الوهم بالدغدغة والتسويل الموجب للاختلاف المشهودة ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من
الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال ما اقترحوه مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول لما
اقترحوه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما انزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره حقيقة ويقولون لولا
انزل عليه آية اي آية يكشف غطاء الشهادة عن وجه الغيب فيلجئ الكل الى الايمان والتوحيد لا يبقى لاحد معها شك وارتياب ولم يعدوا من ذلك المعجزات
التي اتى بها الانبياء لكونها ملتبسة بالعجز عن الجبر الى الايمان فلا يخلص بها النفس عن شبكة الشك والارتياب لبقاء مجال دغدغة وتوهم فيه

١٧٤

فكان مطلوبهم من الآية ما يخرج به امر الآيات من الغيب الى الشهادة فقل انما الغيب لله لا يظهر على غيبه احدا لان المطلوب منهم الايمان والايمان تحققه
لا يكون الا بما في الغيب الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه عليه بالوحي الجلي الى الاقرار بالصدق استحقاقه لدعوة الخلق لتكون دعوته على بصيرة في يظهر
ذلك الامر لكل احد بالخروج من الغيب الى الشهادة في وقت لا ينفع فيه الاقرار فانتظروا الوبال لانكاركم اني معكم من المنتظرين لظهور صدق
مقالتي وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً صحة وسعة مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ كقحط ومرض إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها او بالتكذيب بها والاستهزاء وقيل هو قولهم اذا مطروا بعد الجدب سقينا بنوء كذا من غير ان يقولوا انه
من عند الله قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وسرعتهم المفضل عليها مدلول عليها بكلمة المفاجأة في جواب
اذا والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ تحقيق للانتقام وتنبيه على
ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله قال ارباب الحكمة
ان انواع البلاء من الضراء والبأساء تكسر شرة النفس وتلطف القلب وتكشف حجب صفات النفس وتوهين كثافات الطبع ودفع غشاوات
الهوى فيرجع لذلك قلوبهم الى مبادئها في تلك الحالة بمقتضى فطرتها وزوال المانع واذا توافرت على الناس النعم الظاهرة وتكاملت عليهم
لهم مرادات الطبيعة والمرادات الجسمانية قويت النفس ومردت الجهة السفلية واستطالت قواها بالترفع على القلب وتكاثف الحجاب وغلظ
وتسلط الهوى وعلت وصارت السلطنة للطبيعة الجسمانية وارتكمت الهيآت البدنية الظلمانية فتشكل القلب بهيئة النفس طرءا وما
وغلظ وطغى وابطرته النعم وكفر ومال الى الجهة السفلية لبعده عن الهيئة النورية حينئذ وبقدر استيلاء النفس على القلب يستولي الوهم
على العقل فيستولي الشيطنة لكون القوة العاقلة اسيرة في قيد الوهم مأمورة له يستعملها في مطالبه ويستعملها في مآربه من تحصيل اللذات
النفس فيحجب القلب حينئذ عن قبول صفات الحق بالكلية وذلك معنى قوله اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا باخفاء القهر الحقيقي في هذا اللطف
الصوري وبعده عذاب نيران الحرمان وضيات هيآت الرذائل وعقاربها في هذه الرحمة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وذلك ان الملكوت
السماوية تنتقش بكل حادثة تقع في هذا العالم فكل عمل حسن او قبيح يصدر عن احد فقد كتب عليه في تلك الالواح وقد اتصل ملكوت كل بدن بتلك
المبادي الملكوتية فمهما يحسنا او سيئة ارتسمت صورتها في ملكوت ابداننا على سبيل الخاطر اولا ثم اخذنا في الفكر فيه فان استحكم النفس
وانبعث منه العزم حتى اشتغلنا الخاطر الاول بالارادة الجازمة بطبع النفس واقدامنا على الفعل اذ كانت حسنة انطبع في الحال بعد الظلمانية
من القلب علم منا سيئة فان استغفر محي عنه وعفي له وان لم يتداركه وامدته النفس بظلمة صفاتها استقر في لوح الصدر الذي هو وجه القلب الذي
يلي النفس المظلم بظلمة النفس كما ان الحسنة هو القوة العاقلة العملية وكانتا لسببه القوة المتخيلة هما الملكان الموكلان المشار اليهما بقوله
عن اليمين وعن الشمال قعيد فان جانب الروح اقوى جهتي القلب وجانب النفس اضعفهما قالوا وهذا المراد من قوله صاحب الشمال لا يكتب
السيئة حتى يمضي ست ساعات فان استغفر فيها صاحبها لم يكتب وان اصر كتبت هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ يحملكم على السير ويمكنكم منه
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ في السفن وَجَرَيْنَ بِهِم جرت السفن بالناس عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه
تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ لينة الهبوب وَفَرِحُوا بِهَا بتلك الريح جَاءَتْهَا جواب لا ذاد الضمير للفلك والريح الطيبة

بمعنى بلغتها

١٧٥

بمعنى بلغتها رِيحٌ عَاصِفٌ شديدة الهبوب ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصف وقيل الريح تذكر وتؤنث وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ
اي كل مكان يجيء الموج منه وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
من غير اشراك وذلك بالرجوع الى الفطرة وزوال المعارض بشدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لَئِنْ أَنجَيْتَنَا
لئن انجيتنا من هذه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من قبيل القول فَلَمَّا أَنجَاهُمْ اجابة لدعائهم إِذَا هُمْ
يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بِغَيْرِ الْحَقِّ مبطلين فيه وهو احتراز من تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم فان وباله عليكم او انه على ابناء جنسكم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا منفعة الحيوة
الدنيا تزول عن قريب ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره هو متاع الحيوة الدنيا ونصبه حفص على المصدر
اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا او على انه مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذورا
وضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ في القيمة فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ بالجزاء عليه قال ارباب المعرفة
البغي ضد العدل فكما ان العدل فضيلة شاملة لجميع الفضائل وهيئة وحدانية لها فا من نور الوحدة على النفس فالبغي لا يكون الا عن
غاية الانهماك في الرذائل والجمع لها اضاجها في غاية البعد ونهاية الظلمة كما قال الظلم ظلمات يوم القيمة فلذا قال على انفسكم لا على المظلوم لان
المظلوم سعيد به وشقي الظالم غاية الشقاء وهو ليس له الا متاع الحيوة الدنيا اذ جميع الافراطات والتفريطات المقابلة للعدالة تمتعات طبيعية ولذات
حيوانية ينقضي بانقضاء الحيوة الحسية حقيقة هو الذي يسيركم في البر من مقام التقليد على مراكب القوى العاقلة العلمية باكتساب العقايد
الصحيحة الدينية حتى اذا كنتم في الفلك مسيرين من مراكب القوى العاقلة في بحر العلم والمعرفة باسمائه وصفاته وافعاله فمن ذكر قسمين
ادركته العناية الازلية والجذبة الالهية فتبرؤا عن مدركات عقولهم والقوا بانفسهم في بحر التوحيد وغرقوا فيه بافناء الذات ولم يتركوا الى
الذكر هو لاكتفاء بذكر حال القسم الثاني المقابلين لهم بالاقامة في سفن القوى العاقلة والاتكال على ادلتها الفكرية فقال حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم اي جرت القوى العاقلة بهؤلاء الذين اتكلوا على عقولهم في معرفة الله والمعنى حتى اذا كنتم في الفلك يا جمعكم نازعهم انهم انفسكم
انها لحضار القرباد بترك التوسل بالسفن بالغيبة ابعاد الذين التزموا المكان بها بريح طيبة ريح الفكر السائر بالتذكر والتدبر وفرحوا بها
لظهور النتائج الصحيحة باستعمالها ودعاية قوانينها جاءتها ريح عاصف ريح القوة الواهمة الشيطانية وجاءهم الموج امواج التشكيكات والترديدات من
كل مكان من كل مقدمة من مقدمات الحجج والبراهين العقلية وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم طريق الاهتداء والفوز بالمقصد دعوا الله مخلصين
له الدين اي معتقدين ان لا قدرة لهم على ما تخلصهم من تلك الشبهة الا استيلاء سلطان الحيرة عليهم بالفناء الافعال والصفات يقولون لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على نعمة النجاة بتدارك ما فات فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي لما نجاهم الى ما هو الطريق الاسلم لهم
من التعبد في مقام التقليد بغوا فيه بالاشراك في الاعمال بالريا والسمعة كما قال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون يا ايها الناس انما سوء عهد
الشكر على نعمة النجاة انما بغيكم على انفسكم بالقائها في شبكة الشرك والريا متاع الحيوة الدنيا اي للتمتع بها بتوجيه وجوه الناس الى انفسكم امر باطل
وتوهم فاسد فان قلوب الناس مسخرة لله تعالى لا تتوجه الا الى وجه وجهها الله اليها على انها لا تنفع احدا بالرغبة ولا تضره بالاعراض عنه فانه

الله هو النافع والضار ثم الينا مرجعكم الى معين جميع الاطلاقات مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون نطلعكم على حقيقة اعمالكم فتشاهدون انها كانت
صادرة منكم بنا لا بكم انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه النبات حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزرع والبقول والحشيش
حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها من اصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين
فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب
زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها جعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن بالامس كان لم يغن زرعها
اى لم يلبث في زرعه بالمكان اذا اقام بها والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل
الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه
اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان ولي حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به تنبيه انما مثل الحيوة الدنيا الا ... الحيوة الدنيوية بالغاية بما هو الفيض الرحماني انزلناه من سماء العالم
الى ارض البشرية فاختلط به بذلك الفيض نبات الارض اى الصفات المتولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس اى ينتفع الناس به من الاخلاق
الحميدة الانسانية والانعام اى انعام القوى الطبيعية من الصفات البهيمية السبعية والشيطانية حتى اذا اخذت الارض ارض النفس زخرفها
اى زينتها من تلك الاخلاق والوقايع والكشوف الروحانية وازينت اى تزينت النفس بها وظن اهلها اى صاحب النفس انهم قادرون عليها
اى يحسبون ان تلك الاحوال والوقايع صارت لهم مقاما اتاها امرنا حكمنا الازلي ليلا اى عند استيلاء ظلمات النفس وغلباتها او نهارا اى
عند نقاء الفيض الروحاني ولكن بامتزاج القوة الخيالية والوهمية به اوقعهم في ورطات سوء الاعتقاد كالفلاسفة والحلولية والاباحية فجعلناها
حصيدا اى جعلنا تلك الكشوف والاحوال الدالة على القبول مقلوعة مستاصلة كان لم تغن بالامس كان لم تكن النفس مزينة بها فيما مضى
والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التعفن والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله و
الملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس
التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين
احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر
امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء قال الشيخ رض ما لم يخطر
ببال وقد قال ص ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد ان تكون غير معلوم للبشر ولا بد ان تكون في البشر شهقة عن
معلومة منها تحصيل لهذا الذي ذكر انه ما خطر على قلب بشر هو انه مجهول بمجهول ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد
ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين

احسنوا الحسنى والذين مبتدأ الخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها او الخبر كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض وترهقهم ذلة تغشاهم ذل وهوان ما لهم من الله من عاصم اى احد يعصمهم من سخط الله او ما لهم من جهته تعالى من
عاصم كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت البست وجوههم قطعا جمع قطعة من الليل مظلما حال من الليل والعامل فيه معنى الفعل في من
الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون اى بعضا وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون هذا مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات بعمومها على الشرك ... الكفر ولان الذين احسنوا يتناول
اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه قال ارباب الاشارة والله يدعو الى دار السلام يدعو الله ازلا وابدا عباده الى دار السلام
وهو العدم صورة وظاهرا او علم الله وصفته معنى وحقيقة وانما سمى العدم والعلم دار السلام لان العدم كان دارا قد سلم المعدوم فيها من آفة الحجب
الروحانية والجسمانية والعلم دار السلام قد سلم المعلوم فيها من آفة الاثنينية والتكاليف المترتبة على الوجود وايضا ان السلام هو الله تعالى والعلم صفة
القائم بذاته فاستقام بفضله وكرمه يدعو عباده ازلا من العدم الى الوجود ومن العلم وهو الصفة الى الفعل وهو الخلق ويدعوهم ابدا من الوجود
الى العدم ومن الفعل الى العدم فدعاهم من العدم والعلم بالتخمير بيديه بقوله ونفخت فيه من روحي ودعاهم الى العدم والعلم بالجذبة في قوله ارجعي
الى ربك ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا محل الهداية الى العلم وهي الصراط المستقيم دعوة خاصة منوطة بالمشية وهذا مقام السير في
الله وبالله ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة اى للذين عملوا لله على مشاهدة فان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه الحسنى وهي شواهد الحق
والنظر اليه والزيادة ما زاد على النظر بالوصول الى العلم الازلي مجذوبا من انانية الى هوية بافناء الناسوتية في اللاهوتية ولا يرهق وجوههم
قتر لا يصيبهم غبار الحجاب ولا ذلة اى ذلة وجود تعين الاثنينية اولئك اصحاب الجنة السير في الله هم فيها خالدون دائمون في السير بجذبات العناية
١٧٦ قال ارباب المعرفة والله يدعو الى دار السلام يدعو الكل الى دار سلام العالم الروحاني الذي لا آفة فيه ولا نقص ولا فناء بل فيه السلامة من
كل عيب وآلام وامن من كل خوف ويهدي من يشاء من جملتهم من اهل الاستعداد الى صراط الوحدة للذين احسنوا اى جاؤا بالحسن من عالم من خير فعلي او
علمي مما هو سبب كمالهم المثوبة الحسنى من الكمال الذي يفيض عليهم بسبب ذلك الخير وزيادة مرتبة مما كان قبله بالترقي او زيادة في الاستعداد بقبول
الخيرات والكمالات بانضمام هذا الكمال الى استعدادهم الاول ولا يرهق وجوه قلوبهم ظلمة الجهة السفلية اولئك اصحاب الجنة التي تعينها حالهم ومقامهم
من الجنان الثلاث هم فيها خالدون والذين كسبوا اجناس السيئات من اعمال واقوال وعقايد تحجب استعدادهم عن قبول الكمال جزاء سيئة بمثلها من الهيئة
التي ارتكمت على قلوبهم ومنعتهم من الصفاء النوري وترهقهم ذلة الميل الى الجهة السفلية ما لهم من الله من عاصم يعصمهم من تلك الذلة والخذلان لوجود الحجاب
وعدم قبول نور العصمة بشوب الكدورة كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لتراكم الهيآت المظلمة من الميول الطبيعية والاعمال الردية عليها
اولئك اصحاب النار التي تعينها حالهم في السفل من نيران الآثار والافعال ويوم نحشرهم يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم اى الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير في العامل المحذوف وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول
معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون تبرأت شركاؤهم
عن عبادتهم واشاروا الى انهم ما عبدوا في الحقيقة الا اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك وذلك بان ينطق الله الاصنام فتشافههم مكان الشفاعة

الى قوله شهاداً وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ينطقون بما هم ينطقون النطق فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما
اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو بالتاء من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع
عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وردوا الى الله الى جزاء الله اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون
انها الهة قال ارباب المعرفة يوم نحشرهم جميعا في الجمع الاكبر عين جمع الوجود المطلق ثم نقول للذين اشركوا منهم اي المحجوبين الواقفين مع الغير
بالمحبة والطاعة مكانكم اي الزموا مكانكم انتم وشركاؤكم فجمع بينهم في الموقف مع قطع الوصل والاسباب التي هي سبب محبتهم وعبادتهم لانقطاع
الهيئات البدنية والاغراض الطبيعية التي توجب تلك الوصلة وهي معنى قوله فزيلنا بينهم اي مكونهم في الموقف معا فرقنا بينهم في الوجهة
وذلك عند علو رتبة المعبود ودنو رتبة العابد حيث كان المعبود شريفا كالملائكة والمسيح وغيرهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بل تعبدون
الشيطان بطاعتكم اياه واحتجابكم في اوهامكم من الباطيل الفاسدة والاماني الكاذبة هنالك اي عند ذلك الموقف تختبر وتذوق كل
نفس ما سلفت في الدنيا وردوا الى الله في موقف الجزاء بلا انقطاع عن الالهية وانقيادهم عنها مولاهم الحق المتولي لجزائهم بالعدل
والقسط وضل عنهم ما كانوا يفترون من اختراعاتهم واصول دينهم ومذهبهم وتوهماتهم الكاذبة واماناتهم الباطلة قل من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية فان منها ما ينبت من الارض ومنها ما نزل من
السماء امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى
شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر
ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا
تتقون انفسكم من عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد
الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك
اي كما حقت الربوبية لله حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قال ارباب المعرفة قل من يرزقكم من السماء والارض اي من ينزل من سماء القلب
مطر الفيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات صفات البشرية الجبلية بسقي ماء القدرة مطر الفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المحبة
والاخلاق الربانية من يملك السمع والابصار اي يكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به حين يسمع به ويبصر ومن يخرج الحي من الميت اي
النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب ويخرج الحي اي القالب من النفس والنفس من القلب من الروح ومن يدبر الامر من الازل الى الابد
فسيقولون هذه الاحوال كلها من تدبير الله وامره افلا تتقون بالله عن غيره ليدخلوا شك الوحدة من بابها فان ما اعترفوا به عينه باب

باب التوحيد فذلكم الله ربكم الحق اي ذلكم من تلقاء بالله هو الموصول به حقا فماذا بعد الحق اي بعد هذا الطريق الى الحق الا الضلال
اي الا انقطاع عن الحق والضلال فيما سوى الحق فانى تصرفون عن عتبة باب التوحيد الى الاثنينية وانى تنقون بالله عما سواه
كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا اي هكذا اجرى القلم من قضاء الله في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض نور الله حين خلق
الخلق في ظلمة اي ظلمة الحدوث ثم رش عليهم من نوره اي نور القدم فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطاه ضل فالذين فسقوا
في عالم الصورة هم الذين اخطاهم ذلك في عالم المعنى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
جعل الاعادة كالابداء في الالزام لظهور برهانها وان لم يعترفوا بها فان ذلك محض اللجاج منهم قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى
تؤفكون منصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر قل الله يهدي للحق الى الحق افمن يهدي الى الحق احق ان
يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى اي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهدي الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير دون الاصنام اذ لا اهتداء لهم اصلا وقيل لم ارد صورة الاهتداء وهو ان ينقلوا
من مكانهم الى مكان آخر والمعنى ان اصنامهم لا تنتقل من امكنتها الا ان تنقل منها بين بذلك عجز الاصنام وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة
المراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق
شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن
غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان تنبيه قل هل من شركائكم من يهدي نفسه الى الله
في العبادة والطلب والمحبة من النفس والهوى والدنيا وما فيها من يبدأ الخلق ثم يخرجه من العدم الى الوجود ابتداء ومن العلم الذي كان فيه
الى الفعل ثم يعيده اليه متسلكه في مدارج العبودية الى حضرة الربوبية فاذا اعترفوا بعجز الشركاء عن هذه القدرة قل الله يبدأ الخلق باخراجه
من العدم الى الوجود ومن العلم الى الفعل ثم يعيده بجذبات الالوهية الى حضرة الربوبية ليكون قيامه بالله وصفاته فانى تؤفكون تصرفون عن
الحق وطلبه قل هل من شركائكم من يهديكم الى الحق بجذبات العناية احق ان يتبع للوصول امن لا يهدي عن الضلالة امن لا يهدي من الضلالة و
الاضلال فما لكم كيف تحكمون مع الله شريكا وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما اكثر الخلق في معرفة الحق الا متبعون للظنون الكاذبة والشبهات العقلية
ولا يعلمون ان الظن والشبه العقلية لا يغني من الحق الى معرفة الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون بمقتضى جهالاتهم وما كان هذا القرآن ان
يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب المتقدمة المشهود على صدقها ونصبه بتقدير كان او على
العلية لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو التصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق
واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا فيه الريب وهو خبر ثالث لكان داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب

اي فمن يهدي الى الحق بالوصول الى الحق بالوصول كما قال الله يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي الى الحق

١٧٧

فانه يعقوب المعنى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين جزاء اخر نظيره كاينا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض وحسن النظم

اعتراض وتحيونات تكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية لبيان ما يجب اتباعه بعد المنع عن اتباع الظن ام يقولون بل يقولون

افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة

واشد تمرنا في النظم والعبادة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به منه من دون الله سوى الله تعالى

فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه اى بالقرآن اول ما سمعوه قبل

ان تدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا

بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن

معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه

لما كرر عليهم التحدي فعجزوا عنه او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم

يعني انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم قال ارباب الاشارة وما كان هذا القرآن

الاية اى هذا القرآن اجل قدرا واعظم شانا من ان يفتريه انسان بالافتراء لما فيه من المعجزات الظاهرة والبراهين الباهرة والحقايق الالهية

والمعاني الواضحة الا كادتكم بمثلها الا الله الذي هو كلامه وصفته القديمة تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه من اللوح المحفوظ وتفصيل

الكتاب الذي هو الام كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم اى كيف يكون مختلقا وقد ثبت قبله في كتابين من علم الله مفصلا في

اللوح المحفوظ ومجملا في ام الكتاب الذي هذا تفصيله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني الجاهلين كيفية ثبوته في علم الله ونزوله على محمد وقصر

علمهم عن ذلك كذبوا به ولما يأتهم تأويله اى ظهور ما اشار اليه في مواعيده اى سياساتهم تأويله فلا يمكنهم التكذيب كذلك مثل ذلك التكذيب

العظيم كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبتهم لما ظلموا بوضع التكذيب في موضع التصديق ومنهم من يؤمن به من المكذبين

من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به ويشك فيه ولا يصدق به ومنهم من لا يؤمن به في نفسه

لفرط غباوته وقلة تدبره او لا يؤمن فيما يستقبل بل يصر على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين نكتة ومنهم من يؤمن به اى ومنهم من بقي على فطرة

الله التي فطر الناس عليها مستعدا لقبول الايمان كما كان عند استماع خطاب الست بربكم فقالوا باجمعهم بلى فهو يؤمن الان بالله وكتبه

وبرسله فقد بين انه لم يفسد استعداده الفطري واما من لا يؤمن به فهو الذي فسد استعداده الفطري في قبول الايمان بالافعال النفسانية

عند تبدل صفات الحيوانية والشيطانية عليه وذلك وربك اعلم بالمفسدين اى الذين افسدوا استعدادهم الفطري بالاعمال الفاسدة وان

كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم اى فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا

كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم و

تخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف تنبيه وان كذبوك بسبب فساد استعدادهم وحصول صمم القلب وعماه فقل لي عملي وهي

صرف الاستعداد الفطري في استكمال العبودية لقبول فيض الربوبية ولكم عملكم وهو افساد الاستعداد في استيفاء اللذات والشهوات

النفسانية

١٧٨

وابطال القلب عن قبول الفيض الالهي ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم

الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه

على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف البهايم بالاستماع وذلك انما يكون باستعمال العقل السليم فيه

ولما كانت عقولهم مأوفة لمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ

عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت

تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار بصار

هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق

والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس

انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية ويجوز ان يكون

الاية وعيدا لهم بان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه تنبيه ان الله

لا يظلم الناس شيئا بان لا يعطيهم استعداد الهداية وقبول فيض الايمان ثم يجبرهم على الهداية وقبول الهداية وقبول الايمان

بفطرة الله التي فطر الناس عليها ولكن الناس انفسهم يظلمون بالافساد للاستعداد الفطري في مخالفات الاوامر والنواهي

الشرعي ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور كما قاله

ابن عباس رض لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة لمصدر محذوف

والعامل محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا

ثم ينقطع معرفتهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة وهو حال اخرى مقدرة قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم

وتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال مخارج

المعادن في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم قال في بحر الحقايق يوم يحشرهم كان

لم يلبثوا يشير الى الخروج من مضيق عالم الاجسام الذي هو عالم الكون والفساد الى متسع عالم الارواح فان مدة عمر الدنيا الفانية بالنسبة

الى الاخرة الباقية يرى كساعة النهار بل اقل من ذلك ثم اعلم ان للحشر عاما وخاصا واخص فالعام خروج الاجساد من القبور الى المحشر يوم

النشور والحشر الخاص هو خروج الارواح من الاجساد في حال حياتهم الى عالم الروحانية بالسير والسلوك في حال حياتهم الى عالم الروحانية نهم ماتوا بالارادة

عن صفات الحيوانية انفسانية قبل ان يموتوا بالموت عن صورة الحيوانية وحشر الاخص هو الخروج من حجب الانانية الروحانية

الى هوية الربانية يتعارفون بينهم تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء الثلثة في المحشر قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى خسروا

لتكذيبهم بلقاء الله سعادة الوصول الى الله وما كانوا مهتدين الى الله بهداية الله قال صاحب التأويلات كان لم يلبثوا الا

ساعة وذلك لعدم احساسهم المستلزم لذهولهم عن الزمان اذ الذاهل عن الحركة ذاهل عن الزمان فيستوي عنده الساعة الواحدة والدهور

المطاوات يتعارفون بينهم بحكم سابقة الصحبة داعية الهوى الآن بسبب الجنسية الاصلية ثم ان نفت المناسبة الفطرية لتحادهم في الحق
ولقاتهم في المقصد نفي التعارف بينهم وان بقي سبب خلاف الاهواء وتباين الآراء وتفاوت الهيئات المستفادة من الاشياء
وعوارض العادة انقلب الى التناكر قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله لوقوعهم في وحشة التناكر حينئذ واحتجابهم بحجب عاداتهم
الفاسدة وهيئات اعتقاداتهم الفاسدة وما كانوا مهتدين لبطلان نور استعدادهم فلا يهتدون الى الله ولا الى التعارف فحصلوا منغمسين
مطرودين لا يألفون احدا ولا يجدون الصفا حقيقة ويوم يحشرهم يريد المصدقين بلقاء الله بدلالة ما بعده على كلام كأن لم
يلبثوا الا ساعة من النهار اي يجري عليهم زمان يوم القيمة بطوله كساعة من النهار ولذلك سميت القيمة ساعة يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا فحشر ارباب التصديق اشياعهم اخدانا يشبع القلب عمرا كان نشأتهم في لقاء الله حين كانوا يحضرهم يقولون قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله فانهم يوقفون في عرصة تلك الساعة خمسين الف سنة في خمسين موقف سيفصل في مقامها ان شاء الله تعالى وما كانوا مهتدين
الى طريق الجنة حتى ادبا كانوا يكذبون ومن جملة ذلك وعد الله رسوله بسبق القلب عليهم في ذلك اليوم بالاطلاع على سوء حالهم وفضاعة مجازاتهم فقال
﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حيوتك كما اراد يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ان نريك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾
فلا يكن في صدرك من تأخير عقوبتهم حرج فانا نريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى
مَا يَفْعَلُونَ﴾ اي يجازيهم عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها او يؤدي شهادته على افعالهم يوم القيمة ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الامم الماضية
﴿رَسُولٌ﴾ قد بعث اليهم يدعوهم الى الحق ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبشارة فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾
بالعدل فنجى الرسول واهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ اما المكذبون فلا يعذبون بما لم يفعلوا واما الرسل فلا ينقص من اجرهم على
مقاساة التكذيب شيئا وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي
بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم قال ارباب الطريقة لكل امة رسول في الظاهر
الباطن في الظاهر من الانبياء وفي الباطن الهام الحق فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط يعني لا يحكم بين العباد الا بعد مجيء رسولهم
بالظاهر والباطن فان صدقوه قضي بينهم بالسعادة على قدر صدقهم وان كذبوه قضي بالشقاوة على قدر كذبهم وهم لا يظلمون في القضاء
والمنع والعطاء والذي يدل على هذا المعنى قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ استبعادا له و
استهزاء بمجيئه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يخاطبون به النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين القائلين بقوله ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾
فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾
مضروب لهلاكهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم
وينجز وعدكم قال ارباب المعرفة ويقولون متى هذا الوعد انكار منهم لاحتجابهم عن القيامة وعدم وقوفهم على معناها اذ لو علموا كيفية
بارتفاع حجبهم بالتجرد عن ملابس النفس صدقوهم في ذلك وما انكروا قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا درجهم بذلك الى شهود فناء الافعال بسلب الملك
والتأثير عن نفسه ووقوع ذلك عن مشية الله ليعرفوا آثار القيمة فان القيمة هو اليوم المحض منفردة بالملك فيه ثم لوح الى ان القيمة الصغرى تبعد

عنهم بل هي بانقضاء آجالهم المقدرة عند الله بقوله لكل امة اجل الآية ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اي اخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الذي تستعجلون به ﴿بَيَاتًا﴾ وقت بيات
واشتغال بالنوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ حين كنتم مشتغلين لطلب معاشكم ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ اي شيء من العذاب يستعجلونه والحال ان كله مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلق بارأيتم والمجرمون قد وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا على وجه قولك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بارأيتم ﴿أَثُمَّ إِذَا
مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يعني ان اتيكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم للتعجب عن حالهم في تأخير الايمان
﴿آلْآنَ﴾ على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيبا واستهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
عطف على قيل المقدر ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ المؤلم على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي اشارة قل
ارأيتم ان اتاكم عذابه بتقديره بالشقاوة لكم بياتا اي في الازل ونهارا اي يظهر الآن ما قدر لكم في الازل ماذا يستعجل منه المجرمون اذ هو واقع
لا محالة وفي استعجالهم منهم دلالة على عدم ايمانهم بوقوعه ثم ان الاستعجال وعدم الايمان بوقوع عذاب الشقاوة هو من الشقاوة الواقعة في الحال لكن
لا يشعرون بها قبل ظهورها يوم كشف الغطاء ويوم لا يظهر يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قيل للذين ظلموا بوضع
التكذيب في موضع التصديق ذوقوا عذاب الخلد عذاب الشقاوة الازلية وسواء كان فعلكم في الدنيا ولكن ما كان لكم الشعور به فذوقوا اليوم عذابها
الى الابد هل تجزون الى الابد الا بما كنتم تكسبون بتقدير الازل ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ حق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة و
تجدهم باطل تهزأ به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار والحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ ان العذاب لكائن او ما ادعيه ثابت وقيل كلا الضمير
للقرآن واي من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ اي بفائتين من العذاب لان من عجز شيئا فقد فاته ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ
ظَلَمَتْ﴾ بالشرك او العدوان على الغير ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها واموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه
بمعنى فداه ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوا من فضاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفي ويضن بها وقيل معناه اظهروا
الندامة قال اسر الشيء اذا اظهره فيكون من الاضداد وقيل معناه اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفا من ملامتهم وتعييرهم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بمجازاة المشركين على الشرك او بالحكومة بين الظالمين والمظلومين ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقرير لقدرته تعالى
على الاثابة والعقاب ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لانهم لا علم لهم لنقص عقلهم
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان المقدور لذاته لا يزول وقدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة
والموت قابلة لهما ابدا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالموت او النشور قال ارباب الاشارة الا انه لمتدبري القرآن لا يدبروا في تأويل الآية ليعلموا ان فيه
تحققا وراء صورته في الظاهر فالمعنى ان لله تعالى ما في السموات الارواح وارض النفوس فارواح بسموات الارواح من الاخلاق والصفات وما يصدر من ارض النفوس
من الافعال والاعمال لله تبارك وتعالى ايجادا وخلقا وتقديرا الا ان وعد الله حق اي ما وعد لاهل السعادة بقوله اخلقت الجنة وخلقت لها اهلها وبعمل اهل الجنة يعملون

وخلقت النار وخلقت لها اهلا وبعمل اهل النار يعملون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اكثر الخلق غافلون عن هذه الحقايق هو يحيي ويميت اي هو الذي
يحيي قلوب بعضهم بنور العلم والمعرفة ويميت قلوب بعضهم بالجهل والغفلة عن هذه الاسرار واليه ترجعون كما قدر في الازل ووعد اهل السعادة باللطف و اوعد
اهل الشقاوة بالقهر وايضا يحيي بالنور الالهي كما قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا ويميت عن هذا النور واليه ترجعون اهل السعادة نورانيا واهل الشقاوة ظلمانيا
وايضا يحيي بتجلي صفة الجمال باقيا ويميت بتجلي صفة الجلال فانيا واليه ترجعون بحكم الفناء عليكم للبقاء به وايضا يحيي من العدم بالايجاد ويميت من الوجود بالاعدام
واليه ترجعون وجودا او عدما حقيقة هو يحيي ويميت الاكوان في جميع المراتب التي في قوس النزول والعروج فيحيي بالازدواج بين الوجود والماهية ويميت
بالتفريق بينهما ثم يحيي بالازدواج بين الروح والبدن في البرزخ الامكاني ويميت بالتفريق بينهما ثم يحيي بالازدواج بين الروح والبدن العنصري ويميت
بالتفريق ثم يحيي بالازدواج بين الروح والبدن المثالي في البرزخ الحالي ويميت بالتفريق بينهما في الطامة الكبرى التي بين النفختين واليه ترجعون في النشأة الجنانية
بالاتصاف بالصفات الخلقية بعد الاتصاف بالصفات الحقية بعد الاتصاف الخلقية وبالاستقرار في مقام التمكين بعد التطور بالاطوار في مقام التلون فحقيقته
اعتبار غير افتقار واحياء من غير موت بالاستقامة في مقام البقاء بعد الفناء يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة
النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجيهم من ظلمات الضلال
الى نور الايمان وبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بما على من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن و
الباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا تقديره بفضل الله وتقديره فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفايدة التكرير التاكيد وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح وجاز ان يكون الباء متعلقة بفعل دل عليه قد جاءتكم وكان فذلك اشارة الى مصدره اي فجيها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا والربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع لهذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد وعن
يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيدها انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها آيلة الى الزوال
وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قال ارباب المعرفة يا ايها الناس
الناسون عهد الازل قد جاءتكم موعظة اي تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد والانذار والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة في العقاب و
بالتحريض على الاعمال الموجبة للثواب بين الخوف والرجاء وشفاء لما في الصدور اي القلوب من امراضها كالشك والنفاق والغل والغش وامثال
ذلك بتصفيتها لقبول المعارف والشوق بنور التوحيد والتهيؤ لتجليات الصفات وهدى لارواحكم الى الشهود الذاتي ورحمة لها
بافاضة الكمالات اللايقة فاستعداد النفس لالهام المقامات الثلاث بالموعظة واستعداد القلب له بالتصفية واستعداد الروح له
بتوفيقه للقبول قل بفضل الله وبرحمته اي بالمواهب العملية والعلمية والكشفية في المراتب الثلاث فليعتنوا وان كانوا يفرحون فبذلك فليفرحوا
لا بالامور الفانية القليلة المقدار الدنية القدر هو خير مما يجمعون من الخسايس الفاسدة والمحقرات الزايلة ان كانوا من اصحاب الفراسة والفطنة
ارباب قدر وهمة قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب
بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه
انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون

ذلك

ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة يحسبون
ان لا يجازوا عليه والظرف منصوب بالظن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم
بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم اشارة ان الله لذو فضل على الناس بالشوق تشرف استعداد
لقبول الفيض الالهي ولكن اكثرهم لا يشكرون بان يعرفوا استعدادهم في تعرض نفحات الالطاف التي هي داعية لهم عن مهاب العناية
قال ارباب المعرفة قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق معنوي كالحقايق والمعارف والاحوال والمواهب كالاداب والشرايع
والمواعظ والنصايح فجعلتم بعضه حراما كالقسم الاول وبعضه حلالا كالقسم الثاني قل الله اذن لكم في الحكم بالتحريم والتحليل ام على الله تفترون
ان الله لذو فضل على الناس بصنوف العلم وافاضتها وتوفيق القبول لها ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمه فيستعملون ما وهب لهم من الاستعداد
والعلوم في تحصيل المنافع الجزئية والمطالب الدنيئة وما تكون في شان وما تكون في امر من امور النبوة وما تتلو منه من قرآن الشان
والمعنى من شان النبوة فان القراءة تكون لشانها او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او من قرآن مفعول تتلو على ان من تبعيضية ومزيد
ولتاكيد النفي ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه من هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما فيه الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون فيه فلا يخفى علينا وجه شروعكم في ذلك العمل
اتريدون به وجه الله ام لا قال الشيخ رضي الله عنه لابد لنا في كل نفس ان نكون في شان وذلك الشان ليس لنا فان الشان الظاهر في وجودنا
انما هو كل يوم هو في شان وفينا يظهر تلك الشئون واعياننا ايضا من تلك الشئون والله شهيد على ما يخلق فينا وفينا وقوله اذ تفيضون فيه هو ما جعل فينا
الارادة الاختيارية في عين الجبر فانا محل لما يخلق فينا فالمكلف مجبور في اختياره وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي
بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا يعرفون ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا
متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها
وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ اشارة وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض اي ما ظهر من حركة في
الارض البشرية لعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من ذلك اي من خطرة وهو القصد دون الفعل و
لا اكبر اي اكبر منه وهو الفعل الا في كتاب مبين الكتاب الذي هو عنده من الازل الى الابد حقيقة لا يزال الانسان يتقلب لطيفته القلبية في الخواطر
وتجول في تذكر الشئون والاحوال والافكار بشتت على خاطر واحد وشان سيعين برمته من الزمان وذلك على قسمين احدهما ما هو ثابت في نفس الامر
الذي هو علم الله تعالى في مرتبة الغيب واللوح المحفوظ الذي هو نفس الكلية في مرتبة الشهادة فيكون فيضانها على النفوس البشرية من تلك
الحضرتين بالروابط التي لا يطلع على حقايقها الا الحق تعالى فيكون النطق بها من الاقوال الحقة الصادقة المطابقة لنفس الامر والمحال وثانيهما
ما هو من لواحق خواص المراتب ومقتضياتها من الامال والاماني تخترعها قوة الوهم والخيال من غير ان يكون لها ثبوت في علم الله بالاصالة بل يتعلق
بها علم الله من حيث الحكم ببطلانها فيكون النطق بها من الاقوال الكاذبة الباطلة وتسميته باسماء لا ثبت للمسمى بها عند الله كما قال اتنبئون الله بما لا
يعلم وان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان هذا في عموم الناس واما النبي عليه السلام فلا يخطر بباله شيء الا وهو القسم الاول

الصبر ص

۲۱۸

الثالث في علم الله المكتوب في اللوح المحفوظ واذا كان علمه على هذا الوجه كان نظمه وقراءته عما علم قوله الا بما هو الثابت في علم الله واللوح
المحفوظ لا محالة وهذا اصوب من قوله وما ينطق عن الهوى واذا عرفت ذلك فيقول من بواطن معنى الاية مخاطبة للنبي صم بان علمك بالاشياء
مع تنزيهك عنه بالحق العلم بالامور الثابتة في الكتاب المبين لا يسبقك قومك النفسانية الاسلام شيطانك بك باختراع الاقوال والاملى
الى لا ثبوت له في نفس الامر والقائها على قلبك السليم من آفات النفس والهوى فهو الا في كتاب مبين راجع الاستثناء الى قوله وما تكون في شان
وما تتلو منه من قرآن وما بينهما معترضة لبيان احاطة علمه بما في الوجود من الاعراض والاجرام ويكون قوله ولا اصغر ولا اكبر باعرابيه معطوفا على
مثقال ذرة لفظا ومحلا والله اعلم بحقيقة الحال الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالولاية لا خوف عليهم من
لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات مأمول المنفعة الاخرة فباطلاعهم على نجاتهم من العقاب وفوزهم بعواطف الملك الوهاب واما في الدنيا فلانهم
لا يرون في الوجود غير الله حتى يخافوا من لحوق المكروه منه ولم يتولهم مقصود سوى الله حتى يحزنوا على فواته فلا يخافون ولا يرجون الا الله واختلفوا
في المراد من هؤلاء فقال بعضهم هم الذين ذكرهم الله بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون فانهم بالايمان ظاهرا وحقيقة نجوا من الخوف في الاخرة
ولا ولي بالتقوى ظاهرا وحقيقة نجوا من الحزن فيهما على الوجه الذي قررناه قبل وقيل هم المتحابون في الله لما روي عن النبي صم انه قال من عباد الله عبادا
ما هم بانبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم
قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا
يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية وفي بعض الاخبار المرفوعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال الذين اذا رؤوا ذكر الله وفي
هذا المعنى الذين يذكر الله برؤيتهم ويروى عن النبي صم قال الله تعم ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم حقيقة
اولياء الله هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فانهم هم الذين امنوا وكانوا يتقون والايمان والتقوى هما الخطوتان المشار اليهما بقولهم
خطوتان فقد وصلت فان حقيقة الايمان نفي السالك الوجود عن غير الحق تعم وحقيقة التقوى افناء انانيته في هوية الحق تعم واذا لم يكن
بعدهما الا الوصول فلا خوف ولا حزن فان الخوف من العبد والاعراض الواصل الى الحق والحزن على فوات المقصد ولا مقصد للواصل سواه هذا الموصوفين
بالوصفين المذكورين المحبين لما الى الوصول لا يبعدون عن اطلاق عليهم اسم اولا بعد حديث المحبة فان الواصل الى الحق لا يكون الا محباله ومحب الحق تعم
لا يحب الا المرا لله في الله ولا عن اطلق عليهم هذا الاسم في حديث الذكر لان المحبة اذا حكمت على المحب بحيث كانت المحبة مقاسكا بحيث لا يدرك
الا بعنوان المحبة فلا ينظر اليه ناظر الا ويذكر معه محبة فيؤدي نظره اليه الى ذكر محبوبه لا محالة فقد تبين لك بما ذكرناه وجه الجمع بين الاقوال المختلفة
في المراد من الولي وبين الادلة التي ابتنى عليها ذلك الاختلاف فكن فيه على بصيرة ان شاء الله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به الله
في كتابه على لسان نبيه صم وما يريهم في الرؤيا الصالحة والوقايع التي تكون بين النوم واليقظة وما يسنح لهم من الهاتف وبشرى الملائكة عند النزع
وفي الاخرة حيث تلقاهم الملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ومحل الذين امنوا النصب على وصف الاولياء او الرفع على الابتداء وخبره لهم
البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة و
التي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه على راى من لا يشترط كون المعترضة بعدها كلام متصل بما قبلها ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم

ويتهددهم

ويتهددهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ومنهم من جعل يحزن بفتح الياء مضارع احزن على غير القياس ان العزة لله جميعا
استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم
وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين اذا
كان هؤلاء الذين هم اشراف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها اولى ان لا يكون شريكا فهو كالدليل قوله وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء اي لا يتبعون شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يتبع محذوف يدل
عليه قوله ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وقرئ تدعون
بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيكون
الزاما بعد برهان وان هم الا يخرصون يكذبون انها شركاء ويقدرون تقديرا باطلا اشارة ولا يحزنك قولهم الى اثنا تربه فانه
هزاء بل شاهد عزة الله وقهره لتنظر اليهم بنظر الفناء وترى اعمالهم واقوالهم هباء منثورا فانا شاهد قوة الله ترى ان لا حول ولا قوة لاحد دونه
هو السميع لاقوالهم فيجازيهم العليم بما ينبغي ان يعملهم ثم بين عجزهم وضعفهم وامتناع غلبتهم عليه بقوله الا ان لله من في السموات ومن في
الارض كلهم تحت ملكته وتصرفه وقهره لا يقدرون على شيء بغير مشيئته واقتداره وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي اذا كان الكل
في تحت قهره وملكته فما يتبعون من دون الله ليس بشيء ولا يتركه ان يتبعون الا ما يتوهمون في ظنهم ويتخلون في حسبانهم وهم لا يقدرون وجود
شيء ولا وجود له في الحقيقة هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا سببا للابصار فالنهار من كونه ظرفا للابصار سبب فيه
بخلاف الليل ولذلك فرق بينهما بتغيير الاسلوب فلم يقل والنهار لتبصروا فيه وفيه تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم
بذلك على تفرده باستحقاق العبادة ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار اشارة هو الذي جعل لكم
ليل الجسم لتسكنوا فيه ونهار الروح لتبصروا به حقائق الاشياء وتهتدون بها الى الله قال بعضهم ضمنه بيان الحكمة في اهمال النفوس في بعض الاوقات
لاتباع الهوى والمعنى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه تستريحوا من نصب المجاهدات وتعب الطاعات في بعض الاوقات فيزول عنكم
ملالة النفوس وكلال القلوب ويصدق طلبكم فيه ويجعل بعد ذلك لكم نهار الروحانية مبصرا في اضيائه ويبصرهم يبصرون بها مصالح السلوك
والترقي في المقامات ان في ذلك لايات لقوم يسمعون كلام الله بفهم حقايق بواطنه وحدوده قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا اي من دليل يعارض به البرهان القائم على نفي الولد وبهذا
متعلق بسلطان او نعت له او متعلق بعندكم كانه قيل ما عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على
اختلافهم وجهلهم اشارة قالوا اتخذ الله ولدا اي مقولا يجانسه سبحانه انزهه من مجانسة لشيء هو الغني الذي وجوده بذاته ومنه
وجود كل شيء ومن كان وجوده بذاته كيف يجانسه ما يكون وجوده بالغير ومن له الوجود كله كيف يجانسه ما لا شيء من الوجود له ما في السموات وما في الارض
ما الملكة والملوك لا يصلح للتبني فانه بالتبني يخرج عن الملكية اتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته قل ان الذين يفترون على الله

١٨١

الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اى فرارهم تمتع
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم اشارة متاع الدنيا اى حاصل امرهم وقصارى همتهم ان يتمتعوا في الدنيا من لذاتها وشهواتها اياما قلائل
ثم الينا مرجعهم جبرا وقهرا ثم نذيقهم العذاب الشديد الم البعد عن الحضرة بما كانوا يكفرون اى حين اشتغالهم بالدنيا وتقوى عذاب البعد
ولكن في الدنيا ما ذاقوا الم العذاب لانهم كانوا نياما والنائم لا يجد الم شيء من الجراحات حتى ينتبه والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند الموت
يذوقون الم ما بهم من العذاب واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق
مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني او اقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله
فعلى الله توكلت وثقت فاجمعوا امركم اى احكموا امركم واعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده قراءة الرفع عطفا
على الضمير المتصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة
مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما
اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي ونرى ثم افضوا اى انتهوا
الى بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون اشارة واتل عليهم نبأ نوح في صحة توكله
على الله ونظره الى قومه والى شركائهم بعين الفناء وعدم مبالاته بهم وبمكايدهم ليعتبروا بحالك فان الانبياء كلهم في ملة التوحيد و
القيام بالله وعدم الالتفات الى الخلق سواء فان توليتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم
اياي لاجله او يفوتكم ذلك الاجر لتوليكم ان اجري في تلك الدعوة الا على الله اى ما حظي الا من مواهب الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم
او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة
وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم
خلائف من الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له تأويل فنجيناه نوح الروح من الغرق في بحر الدنيا ومن معه في الفلك اى الذين ركبوا معه في سفينة الشريعة
من القلب والسر والنفس والهوى وجعلناهم خلائف اى خلفاء الله في الارض البشرية يظهر به صفاته واسماءه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بدلائلنا وبراهيننا من الشياطين وبعض النفوس المتمردة في بحر الدنيا وشهواتها فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى الذين انذرهم نوح الروح
بالهامات الله عذاب البعد عن الحضرة ثم بعثنا من بعده بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤوهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا
به من قبل اى بسبب تعودهم بالتكذيب وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال

واتباع

امثال

واتباع المألوف وفي ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى و
هارون الى فرعون وملئه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوا بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم
ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف مقول القول
لدلالة ما قبله عليه اسحر هذا استئناف بانكار ما قالوه وليس من مقول قولهم لانهم ثبتوا القول بانه سحر ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه
من قولهم فلان يخاف القالة ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على ان ما جاء به ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا
من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض اى الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما
بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل سحار عليم حاذق في سحره وقرأ حمزة والكسائي ساحر فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا
وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اى السحر هو ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه ويحق الله
الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك الامر فما آمن لموسى في ابتداء امره الا ذرية من
قومه قيل اراد بهم مؤمني بني اسرائيل وقيل كانوا اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الآباء وبقي الابناء وقيل الضمير راجع الى فرعون
فقد روي عن ابن عباس انهم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم آسية امرأة فرعون وخازنه وماشطة ابنته وقيل كانوا سبعين اهل بيت من
القبط على خوف من فرعون وملئهم اى مع خوف منه والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف
من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط
الانبياء دقيقة فما آمن لموسى الروح الا ذرية من قومه من نتائج اللطيفة القلبية التي هي القوى العاقلة العلمية والعاقلة العملية فانها متولدات
منه الذي هو القلب على خوف من فرعون فرعون النفس الامارة وملئهم القوى الطبيعية والحيوانية الشهوانية والغضبية ان يفتنهم اى يفتنهم فرعون
النفس على الهام الترويح والحسن والتمويهات والتسويلات التي لها في الزخارف الدنيوية واللذات العاجلة الشهوية ان فرعون النفس لعال
في الارض ذو سلطان عظيم في مملكة البشرية وانه لمن المسرفين في قهر القوى القلبية بقهرمان قوتها الوهمية سلطان القوى وغلبتها بالقهر على الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع
التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت حقيقة يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اى بتوحيد ذاته واثبات الصفات الكمالية له فعليه توكلوا

بالخروج عن اسبابكم بالكلية وافنائها في هويته تعالى ان كنتم مسلمين اي وان جعلتم بعدما آمنتم الى مقام التسليم بفناء الافعال والصفات
وتسليمها اليه بالكلية فعليه توكلوا لتشهدوا الحق الذي هو مقام الاحسان ان كنتم متحققين بمقامي الايمان والاسلام لتكونوا جامعين
للمقامات الثلاثة الكمالية فيكون التوكل مشروطا بالشرطين ويكون تاخير الشرط الثاني للمحافظة على رؤس الآي وللفصل بين الشرطين المرتب
الذي هو الاسلام وشرط الشرط الذي هو الايمان فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مستسلمين ولذلك اجيبت دعوتهم
ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
من كيدهم وفساد فتنتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليكون دعاؤه على وجه امتثال
الامر اعني قوله ادعوني استجب لكم لا على وجه التمني وابتغاء الحظ واوحينا الى موسى واخيه هارون ان تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا اتخذا لهم مساكن تسكنون فيها واجعلوا انتما وقومكم بيوتكم تلك البيوت المتخذة قبلة وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى عم يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها روي عن ابن عباس في ذلك ان بني اسرائيل كانوا لا يصلون
الا في كنائسهم وبيعهم فلما امر موسى عم امر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلوة فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا
من فرعون وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى انما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعل كل احد ثم وحد بارادة موسى عم لان البشارة في الاصل لصاحب
الشريعة تأويل واوحينا الى موسى العقل وهارون السر ان تبوآ اي تهيئا لقومكما لصفاتكما بمصر عالم الروحانية بيوتا مقامات
وذلك لان القلب والسر واسطة بين الروح والنفس فيتمكنان الى ان لا يتخذوا المنازل في عالم النفس السفلية بل يتخذوا المقامات في عالم
الروح العلوي واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا مقاماتكم في عالم الروحانية متوجهة الى قبلة طلب الحق واقيموا الصلوة اي ادعوا العروج
من المقامات الروحانية الى القربات الروحانية الى المواصلات الربانية وبشر المؤمنين المصدقين السائرين الى الله بالوصول
والوصال وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به الناس من المراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا
عمم جميع انواع المال بعد تخصيص ما يتزين به منه ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة امرهم انه لا يكون
غير ذلك وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال وعلى
هذا كان ربنا تكريرا للاول للتاكيد والتنبيه على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم ليكون تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس
المحق واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء
بلفظ النهي فكانما اراد ان لا يؤمنوا الا في وقت لا ينفع ايمانهم اي وقت اليأس كما كان لفرعون وقت ان ادركه الغرق قال قد اجيبت دعوتكما
يعني موسى وهارون لان هارون كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون حقيقة وعدي فيستعجلون بالدعاء ولا يحملوا ذلك على نوع من العتب
على موسى وهارون عم فان الدعاء على القوم عند الشارع خروج عما تقتضيه شان النبوة وبامثال تلك المعاتبات قد تأدب نبينا عم حتى كان يقول

عند مكابرة

١٨٢

عند مكابرته على القوم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم عن الغرق فاتبعهم فادركهم يقال تبعه حتى اتبعه اي ادركه فرعون وجنوده بغيا
وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل
وانا من المؤمنين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بعد آمنت فنكب عن الايمان حال القبول وبالغ فيه
ان جبرئيل عم دس في فيه من حمأة البحر قال الآن وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن
الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننحيك
ونخليك من الانجاء ببدنك في موضع الحال اي بدنا عاريا عن الروح او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها لتكون
لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه
الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او يكون لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة وحجة على ان الانسان على ما كان
عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق انزلناهم منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات
من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعدما قرأوا التورية وعلموا احكامها او ما اختلفوا في امر
محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز
الحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليك او تهييج الرسول صم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صم والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك
بالآيات الواضحة فلم يبق فيه لمريب فلا تكونن من الممترين بالتردد فيما انت عليه من اليقين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين هو من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين تنبيه
فان كنت في شك مما انزلنا اليك اي مما خصصناك به من بين سائر الانبياء والمرسلين من خصوص المحبة وختم النبوة وحيازة لواء الحمد
والحوض المورود والمقام المحمود وغير ذلك من المواهب السنية والمراتب العلية فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانا قد بينا في الكتب
المنزلة طرفا من علو قدرك وعظم شانك ورفعة مكانك ليتحقق لك ويسكن عندك انما جاءك من الحق حقك لا ريب فيه ولا تبديل
وذلك ان الله تعالى خلق النشأة البشرية ضعيفا فاذا انعم عليه بفتح ابواب الكرامات وهبوب رياح النفحات فيضعف عن
احتمال ما يحمل عليه فيضيق صدره عما يوحى فيه ويظن بما يظن انه مما يخادع به او يمكر باعطائه فالنبي عم من حيث بشريته قد يشك ومن شان

الوصال اذا دبر عليه باولئح الجمال وطلال الجلال انهام سهود التلوين او قد كستوفي التمكين حتى ادركته العناية الازلية السابقة ولهذا
فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فتحقق له الاجتباء وزال عنه الامتزاج لما بدله سكره بالصحو وصفات بشريته الى المحو بل
كان هذا النهي التكوين بالكلام الازلي مخاطبه في الازل وهو بعد في العدم فلا تكونن من الممترين فما كان ممتريا كما قال فلا تكونن
من الجاهلين فما كان جاهلا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك
بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب حيث قال هؤلاء للنار ولا ابالي لا يؤمنون فانه لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه
ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع
فرعون اشارة لا يؤمنون لانهم خلقوا ليكونوا مظهر صفات القهر حتى يروا العذاب الاليم عذاب البعد وألم الفراق فلولا كانت
قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر الى وقت البأس كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وجاز ان يكون الاستثناء متصلا بان يكون المعنى ما آمنت قرية جاءهم العذاب قبل حلوله الا قوم يونس فان
في التقديم دلالة على عدم الايمان بما وجب عليهم ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين اي الى حين آجالهم روي ان يونس عم
بعث بنينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان
شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس عم فلم يجدوه فتيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على
الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية بانه لم يشأ ايمان الكل ولو شاء لآمنوا لا محالة افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى
يكونوا مؤمنين وهمزة الاستفهام للانكار تدل على ان خلاف المشيئة مستحيل تحصيله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا
بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب والخذلان فانه سببه وقرا ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع
ويؤيده الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وما تغني
الآيات والنذر لا يدفع الآيات شيئا من الضلال لمن في قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما اما نافية او استفهامية للانكار
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره والعرب يسمي
الوقائع اياما قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم او من المنتظرين ليدخل وان ما
تقدم كم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف تقديره نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية كذلك حقا
علينا ننج المؤمنين اي كذلك الانجاء انجاء ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا نصب على المصدر والتقدير كذلك الانجاء انجاء

حقا

حقا علينا والحق هنا بمعنى الواجب ذلك الحق في مسألة وجوب شيء على الحق هو ان ذلك جائز فيما اوجبه بنفسه كما في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة لكن وجوب
على هذا الوجه لا يوجب نقصانه قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بنظر الانصاف لتعلموا
صحتها فاني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وان اقم وجهك للدين جاز ان تكون ان مفسرة اي وامرت ان اقم وان تكون مصدرية كما في قوله
فيكون تقدير الكلام امرت بكوني من المؤمنين وبإقامة وجهي للدين يعني الاستقامة والاستداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة
باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين عطف على اقم تنبيه قل يا ايها الناس قل يا محمد الروح
للنفس الناس وصفاتها ان كنتم في شك وتظنون اني اميل الى دينكم فلا اعبد الذين يعبدون من دون الله من الهوى والشيطان والدنيا وشهواتها
ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم يميتكم وانفسكم وامرت ان اكون من المؤمنين بلقاء الله والوصول اليه وامرت ان اقم وجهك في الدين اي استقم في
توجهك الى الله وطلبه حنيفا اي طاهرا من لوث الالتفات الى ما سواه غير مائل الا اليه ولا تكونن من المشركين يعني النفس وصفاتها حيث تعبد غير الله
وان حملنا الآية على ظاهرها في حق النبي صلعم فالمعنى انه كان مخاطبا عند الفطرة بهذا الخطاب اعني اقم وجهك للدين حنيفا الى الله مخلصا فلا
تكونن من المشركين مرتبطا الى الدنيا وعابدا الى الهوى فكان كما امر به ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك بنفسه ان دعوته ولا يضرك بنفسه
ان خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر
اي ان يصيبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد بك به وذكر
الارادة مع الخير والمس مع الضر تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضرر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن في ارادة الخير لاحد مراد الله ويمكن رده يصيب به بالخير من يشاء ١٨٤
من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا الرحمة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
جاءكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما
يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه
على السرائر اطلاعه على الظواهر اشارة واتبع ما يوحى اليك يعني بالاعتصام به لنفسك وبالتبليغ لامتك واصبر حتى يحكم الله بقبول
لاهل السعادة والرد لاهل الشقاوة وكل ميسر لما خلق له وهو خير الحاكمين فيما حكم بقبول الدعوة لمن سبقت العناية
الازلية ورد الدعوة لمن ادركته الشقاوة الازلية والحمد لله على ما حكم ووفق ودبر وامضى فله الحكم في الآخرة والاولى والصلوة على نبيه
المصطفى عليه الصلوة واكمل التحيات

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف

أحكمت آياته نظمت نظما مستحكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفسخ والفساد فإن المراد آيات السورة
وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة من حكم بضم العين إذا صار حكيما لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار أو بجعلها سورا أو بالإنزال نجما نجما أو فصل فيها ما يحتاج إليه
المحتاج إليه وثم للتفاوت من الأحكام والتفصيل أو للتراخي في التفصيل من لدن حكيم خبير صفة أخرى للكتاب وخبر بعد خبر أو صلة لأحكمت
أو فصلت وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر من أمره وما خفي قال الشيخ المكرم رض الكتاب هو العالم وإحكام آياته جمعه
وقرآنه وإجماله العلماء وتفصيله لنشره وفرقانه وتفصيله في الوجود وذلك أمر نشأ في نظر أهل النظر وأما الخواص فالإجمال عندهم عين التفصيل
ألا تعبدوا إلا الله بأن لا تعبدوا أو قيل إن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد كأنه
قيل ترك عبادة غير الله أي الزموه إنني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم
عطف على أن لا تعبدوا ثم توبوا إليه ارجعوا إليه فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة
وثم لتفاوت بين الأمرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم عيشا في خفض دعة وأمن وسعة قال بعضهم العيش الحسن هو الرضا بالمقسوم والصبر على المكروه
ويؤت كل ذي فضل فضله يعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وإن تولوا وإن تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم
كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف إلى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير
فيقدر على تعذيبهم أشد عذاب فيه تقرير لكبر اليوم إشارة الكتاب هو القرآن والحكمة هي الحقائق والأسرار التي أدرجت في
آياته ثم فصلت بينت لقلوب العارفين تلك الحقائق والحكم من لدن حكيم أودعها فيها بالحكمة البالغة التي لا يقدر غيره إيداعها فيها خبير
على تعليمها من لدنه لمن يشاء من عباده ورأس تلك الحكمة أن تقول يا محمد لأمتك أمرتم أن لا تعبدوا إلا الله أي لا تعبدوا الشيطان والأنداد والهوى
إنني لكم منه نذير أنذركم أن تعبدوا غيره وتحجبوا بالقطيعة من الله وعذاب البعد في الجحيم وبشير أن تعبدوه وتحيوا بالوصول في نعيم الوصال وأن استغفروا
ربكم فيما فرطتم من أيام عمركم في طلب غير الله وترك طلبه وتحصيل الحجب وإبطال الاستعداد الفطري ليكون الاستغفار تزكية وتصفية لقلوبكم
ثم توبوا إليه ارجعوا بعدم السلوك إلى الله ليكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار وهي قوله يمتعكم متاعا حسنا وهو الترقي في المقامات
من السفليات إلى العلويات ومن العلويات إلى حضرة العلي الكبير إلى أجل مسمى وهو انقضاء مقامات السلوك وابتداء درجات الوصول في المشاهدات فإن
بقدر المجاهدات وإن تولوا أعرضوا عن الطلب والتوجه إلى الله فقل إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير أي عذاب يوم الانقطاع عن الله الكبير فإنه أكبر الكبائر
عذابه أعظم المصاب قال أرباب المعرفة أحكمت آياته أي حقائقه في العالم الكلي بأن أثبتت دائمة على حالها لا تتبدل ولا تتغير ولا تفسد محفوظة اعيانه وص
عن كل نقص ونقض وآفة ثم فصلت في العالم الجزئي وجعلت مبينة في المظاهر بقدر معلوم من لدن حكيم أي أحكامها وتفصيلها من لدن حكيم بناها على علم
وحكمة لا يمكن أحسن وأشد إحكاما ما جرت تفاصيلها على ما ينبغي في النظام الحكمي في تقديرها وتوقيتها وترتيبها ألا تعبدوا إلا الله أي ينطق عليكم لسان
الدلالة أن لا تشركوا في عبادة الله وخصص بالعبادة إنني لكم منه نذير وبشير كلام على لسان الرسول أي إنني أنذركم من الحكيم الخبير عقاب الشرك
وتبعته وأبشركم منه بثواب التوحيد وفائدته وأن استغفروا ربكم أي وجوده واطلبوا منه أن يغفر هيئات النظر إلى الغير والاحتجاب بالكثرة و

المفتد

والتقيد بالأشياء والوقوف معها حتى أفنا لكم وصفاتكم ثم توبوا إليه ارجعوا إليه بالفناء فيه ذاتا يمتعكم في الدنيا متاعا حسنا على وفق الشرع بالحق وله
البقاء بعد الفناء إلى وقت وفاتكم ويؤت كل ذي فضل في الأخلاق والعلوم والكمالات فضله في الثواب والدرجات ويتمتع بلذات تجليات الأفعال
والصفات عند تجردكم إلى وقت فنائكم ويؤت كل ذي فضل فضله في الكمال من المرتبة عند الترقي والتدلي وإن تولوا أي تعرضوا عن التوحيد والتجريد
فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير شاق عليكم وهو يوم الرجوع إلى الله القادر على كل شيء أي يوم ظهور عجز ما تعبدون بظهوره فقال في صفة قادر
فيقهركم بالعذاب ألا إنهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق ويحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو يولون ظهورهم
ويخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ليستخفوا منه من رسول الله صلعم أو من الله إن استطاعوا قال ابن عباس رض نزلت الآية في الأخنس بن شريق
وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى النبي صلعم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره وقيل نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلعم
ثنى صدره وحنى ظهره وطأطأ رأسه وغشي وجهه كيلا يراه النبي صم وعلى هذا فالآية ملحقة بالسورة بعد نزولها بمكة وقيل كان الرجل من المشركين
يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي ألا حين يستغشون ثيابهم ألا حين يأوون إلى فراشهم
ويغطون رؤوسهم بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم إنه عليم بذات الصدور
بأسرار هي ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها وفي الآية رواية أخرى عن ابن عباس رض أنها نزلت في أناس كانوا يستحيون
أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه
١٨٥ تفضلا وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحياة والممات أو
الأصلاب والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومستودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل في كتاب مبين أي كل واحد
من الدواب وأحوالها مذكور في اللوح المحفوظ كأنه أراد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام أي خلقهما وما بينهما كما بين في مقام وكان عرشه على الماء
قبل خلقهما بأن لم يكن حائل بينهما لا أنه كان موضوعا على متن الماء ودل ذلك على أن الماء أول حادث من أجرام هذا العالم ليبلوكم أيكم
أحسن عملا ليختبركم وهو أعلم بكم كيف تعملون روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في
طاعة الله والمعنى أيكم أكمل عملا وعلما ووجه تعليل الخلق بذلك الابتلاء أن كل ما خلق هو من مواد وجودنا وما يحتاج إليه في معاشنا ودلائل وأمارات
نستدل بها ونستنبط منها بأن نحمل ابتلاء بأهل نقوم بشكر أنعم به علينا وهل نستعمل عقولنا والاستدلال بتلك الآيات والعمل بمقتضى علمنا بها
وإنما جاء بصيغة أفعل التفضيل تحريضا على أحاسن المحاسن والتخصيص على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل تنبيه جعل غاية خلق الأشياء ظهور
كمال الناس أي خلقناها لنعلم العلم التفصيلي التابع للوجود الذي يترتب عليه الجزاء أيكم أحسن عملا فإن علم الله قسمان قسم يتقدم على وجود الشيء
في اللوح المحفوظ وقسم يتأخر وجوده في مظاهر الخلق والبلاء الذي هو الاختبار راجع إلى هذا القسم الثاني حقيقة وكان عرشه على الماء أي أمره
وتصرفه قبل خلق السموات والأرض على الماء وذلك هو الجوهرة التي نظر الله إليها بنظر الهيبة فذابت وصارت ماء وهذا الماء هو مادة ما تحت
مقعر الفلك المكوكب من الأرضيات والشهادات السبع الطباق فاندمج فيه هذه الصور اندماج الشجرة في النواة إلى أن انفتح منه بالأمور

رات
ابلاء ما لو عرضنا امره وسلطانه فان
امر السلطان نافذ في ... ما يمضي

يتقدر بالسعة استعدادها ثم من المبدأ الفياض حين الصورة المستوية من السموات والارض وما بينهما فرقا بعد جمع وفتقا بعد رتق كما قال
تعالى الم ير ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ثم انه تم لما فصل تلك المادة المائية وخلق الاحياء منها صار امره
وسلطانه جاريا على من احياه من ذلك الماء بحيوة حيوانية او نباتية او جمادية هذا ان اريد بالسموات والارض ظاهرهما وان اريد سموات الارواح
وارض الاجسام فالمعنى انه خلق الاكوان كلها ملكيها وملكوتيها في ستة ايام وكان عرشه على الماء اي على العماء المشار اليه بقوله عم حين سئل اين كان
ربنا قبل ان يخلق السموات والارض في عماء ليس فوقه هواء ولا تحته هواء وذلك العماء هو المسمى بحقيقة الحقائق التي تشتمل على حقائق
الاشياء التي هي الاعيان الثابتة اشتمال النواة على الشجرة ثم لما فصل تلك المادة العمائية وفتح فيها صورة الاعيان الثابتة بالفتق بعد الرتق
وجعل منها كل شيء اي شيئية الثبوتية ثم في شيئية الوجودية كان امره وسلطانه جاريا على الاعيان والاكوان على الوجه المشهود هذا
اما ان خصوصية الستة فهو ان ايجاد العالم مستندة الى الاسماء السبعة الالهية فكان لكل اسم يوم من ايام الاسبوع خلق الله تعالى في ستة منها الارواح
مجردات الاجسام كذا غير متعلق بها الارواح ثم جعل في يوم السبت تركيب الارواح بالاجساد ويحيي على اشخاص كل نوع بالحيوة شيئا
فشيئا الى ابد الآباد وذلك هو استواؤه على العرش المشار اليه بقوله خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فجعل بوجه
الاحياء سلطانه واستمر امره عليهم بالابتلاء والتكليف تربية وتكميلا كما حققناه قبل والله اعلم بحقايق الامور ٥ ٥
ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ليقولن ما البعث او القول به
او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل ولئن اخرنا عنهم
العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه اي شيء من الوقوع الا يوم يأتيهم العذاب
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس وحاق بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزءون اي العذاب
الذي كانوا يستعجلون موضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته كفور مبالغ
في كفران ما سلف له من النعم ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ليقولن ذهب السيئات عني
مكان ان يقول اذهب الله عني ما يسوءني من المصائب انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران و
البطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا
الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان
الجنس باللام يفيد الاستغراق ومن اراد به الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا ت تذكرة ينبغي للانسان ان يكون في اليسر
والعسر والشدة والرخاء والمرض والصحة واثقا بالله متوكلا عليه لا يحتجب عنه بوجود نعمة ولا السعي وتصرفه في الكسب لا بقوته وقدرته
في المطالب ولا بسائر الاسباب الوسايط التي لا يحصل للناس عند فقد تلك الاسباب الكفران والبطر عند وجودها فيغفل بها عن الله تعالى

وبيناه

وبيناه فينساه استغرق بل لا يرى الاعطاء والمنع منه دون غيره فان اتاه نعمة او نعمة شكره اولا برؤيتها لكن منه وشهود المنعم
في صورة النعمة وذلك بالقلب ثم بالجوارح باستعمالها في مراضيه وطاعته والقيام بحقوقه نعم قربها ثم باللسان بالحمد والثناء ثم بالقلادة
على سلبها محافظا عليها بشكرها مستزيدا اياه اعتمادا على قوله لئن شكرتم لازيدنكم قال امير المؤمنين عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم
فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر ثم نزعها منه فليصبر ولا يتأسف عليها بانه هو الذي نزع دون غيره لمصلحة تعود اليه فان الرب نعم كالوالد المشفق
في تربيته اياه بل ارأف وارحم والوالد يحمي ولده عما يعلمه يعم اذ لا يرى الا عاجل مصالحه وظاهرها وهو العالم بالغيب والشهادة
فيعلم ما فيه صلاحه عاجلا وآجلا فليكن العبد راضيا بما نزعه منه راجيا اعادة احسن مما نزع منه اليه اذ القانط من رحمته بعيد منه
لا تسع رحمته لضيق وعائه محجوب عن ربوبيته لا يرى عموم فيض رحمته ودوامه ثم اذا اعادها اليه ينبغي ان يفرح بوجودها ولا
بها على الناس بان يعلم ان ذلك ليس منه ولا له فكيف يسوغ له الفخر بما ليس له منه بل لله ومن الله الذين صبروا مع الله واتقوا معه
في حالتي النعماء والضراء والشدة والرخاء كما قال قايلهم الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايهما امتطي ان فقر افصبر وان غنى فشكر
وعملوا الصالحات في الحالتين ما فيه صلاحهم اولئك لهم مغفرة من ذنوب ظهور النفس باليأس والكفران والفرح والفخر في الحالتين
واجر كبير من ثواب تجليات الافعال والصفات وجناتهما قال في بحر الحقايق لئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اذقناه
طعم بعض المقامات او بعض المشاهدات عن شواهدنا ثم نزعناها منه بشؤم بعض خطاياه وزلة عن علينا واشفاقا به
لئلا يجترئ سوء الادب انه ليؤس اي من خاصية انسانيته ان ييأس من روح الله ويقنط من رحمته ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته اي نعمنا عليه بالقبول بعد الرد واذقناه برد عفونا وحلاوة طاعتنا ليقولن ذهب السيئات عني يعني من صرف معصيته
مطهرا من لوث الحجاب مامونا من العقاب فيعجبه نفسه فينظر اليها بنظر الاعجاب وينظر الى غيره بنظر الحقارة انه لفرح بالاعجاب
نفسه وان الله لا يحب الفرحين فخور على الاقران ممكور الرحمن وان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
فهو في كلتي حالتيه مذموم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتبليغ مانعا
وضايق به صدرك ان يقولوا اي يضيق صدرك بتبليغ ما يوحى اليك مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه او يعينه في الجهاد وقيل الضمير في به مبهم يفسره قوله ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي
اليك ولا يضرك ردهم واقتراحهم فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم فاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم
ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم والدقايق والحكم تحداهم اولا بعشر سور ثم
لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على
مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم الخطب والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان
كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم النبي عم او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم والتنبيه

على ان الهدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وفوز نعتهم فلا يغفلون عنه ولا ذكر دليل عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا
الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص
هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه
اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم للمدعوين للمعاونة اى اذا ظهر عجزهم وقد عرفتم من انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه منزل من عند الله وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره
نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الريا وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار الاعمال السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم
ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء الثواب الاعمال الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها قال صاحب التاويلات من كان
يريد الحيوة الدنيا اى كل من يعمل عملا وان كان من اعمال الاخرة في الظاهر بنية الدنيا يريد به الاحظاء من حظوظها نوفيها الله تعالى اجره فيها ولا
يصل اليه من ثواب الاخرة شيء فان لكل احد نصيبا من الدنيا بمقتضى نشاته التي هو عليها ونصيبا من الاخرة بمقتضى فطرته التي فطر عليها فلما
لم يرد بعمله الا الدنيا فقد اقبل بوجهه اليها واعرض عن الاخرة وجعل النصيب الدنيوي بانجذابه وتوجهه الى الجهة السفلية حجاب النصيب الاخروي
حتى انتكست فطرته واستحكمت بنفسه القلب في طلب حظوظها فصار نصيبه من الاخرة منضما الى النصيب الدنيوي وهم فيها لا يبخسون لا ينقص من ثواب
اعمالهم في الدنيا شيء لانه لما تشكل القلب بهية النفس تمثل حظه بصورة حظ النفس اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لتعذب
قلوبهم بالحجب الدنيوي وحرمانها عن مقتضى استعدادها وتالمها بما يليها من مكسوباتها وحبط ما صنعوا من اعمال البر في الاخرة لكونها بنية الدنيا
لقوله انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة
لانكار ان يماثل من كان كذلك هولاء المقصور همهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان
على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلعم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه شاهد منه ويتبع
ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها
ايضا يتلوه في التصديق وقيل البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان محمد صلعم او ملك يحفظه ويسدده وقال بعض المفسرين
من كان على بينة محمد صلعم والشاهد على بن ابي طالب ع قال علي ع ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه اية من القران فقال له رجل وانت اى شيء
نزل فيك قال يتلوه شاهد منه وقوله من قبله كتاب موسى على الوجوه الاخير جملة مبتداة اماما ورحمة كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على
المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اى من كان على بينة ومؤمنوا اهل الكتاب يؤمنون به بالقران ومن يكفر

به من الاحزاب

به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه في شك من
الموعد او من القران انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا بان نسب اليه ما لم ينزل او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او جمع شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا
لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويطلبون اعوجاجا اى اعوجاج اهلها بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة
وتكرير لفظ هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اى ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما
كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكن اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب
استئناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن ايات الله وهو علة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا
يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله و
ضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
١٨٧ اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون اشارة ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اى امنوا بطلب الله وطلبوه على اقدام المعاملات الصالحات لطلب المثلات للوصول الى المطلوب واخبتوا الى ربهم
ولم يطلبوا منه الا اياه واطمانوا به اولئك اصحاب الجنة اى اربابها لا طلابها وانما هم طلاب الله هم فيها خالدون طلابا مثل الفريقين الكافر و
المؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه من استماع كلام الله تعالى وتابيه
عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين وان يكون تشبيه الكافر بالجامع
بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا صفة وحالا والاصل فيه هل يستوي مثلاهما اسند الاستواء اليهما مكان اسناده الى المثل فحصل الابهام ورفع بالتمييز المثل
تمييز او فائدة تغيير الاسلوب ان يكون الكلام بالبيان بعد الابهام اوقع في النفس افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها اشارة
البصير من كان الله بصره فبه يبصر والسميع من كان الله سمعه فبه يسمع ومن ابصر بالله لا يبصر غير الله ومن سمع بالله لا يسمع الا من الله هل يستويان مثلا
افلا تذكرون يوم الميثاق اذ كنتم تسمعون خطاب الست بربكم بالله من الله وتبصرونه به وتعرفونه به وتحبونه به ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم بالفتح او مفعول مبين على القراتين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف

عليكم عذاب يوم اليم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب زمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تختص بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من المبداء والياء مبدلة من الهمزة وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث ظاهر الرأي او وقت حدوث اول الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لكونهم
فقراء فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان المحظوظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم ولمتبعيك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاقا للمتابعة بل نظنكم كاذبين اما انت ففي دعوى النبوة واما هم ففي دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب
على الغائبين تنبيهات فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف المليون بامور الدنيا القادرون عليها بعقلهم ما نراك الا بشرا مثلنا
لكونهم ظاهريين واقفين على حد العقل العادي الذي هو عقل المعاش لا يرون لاحد طورا وراء ما بلغوا اليه من العقل عن مطالعة علو مراتب
الاستعدادات والكمالات طورا بعد طور ودرجة فوق درجة الى ما لا يعلمه الا الله فلم يشعروا بمقام النبوة ومعناها وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا فقراؤنا المردودون منا اذل مرتبة واوضع عندهم بالمال والجاه بادي الرأي لانهم ضعاف العقول عاجزون عن كسب المعاش
ونحن اصحاب فكر ونظر قالوا ذلك لاحتجابهم بعقولهم القاصرة عن ادراك الحقيقة الفضيلة المعنوية لقصر نظرهم على كسب المعاش و
الوقوف على حده واما اتباع نوح عليه السلام فهم اصحاب همم بعيدة وعقول حائمة حول حضاير القدس غير مشتغلة الى المعاش ولا ملتفتة
الى وجوه كسبه وتحصيله فلذلك استرذلوا عقولهم واستحقروها وكذبوهم فيما يوجب لهم شرفا عليهم قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت
على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده يعني النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهتدوا اليها وتوحيد
اما لكل واحد من البينة والنبوة او للبينة لان خفاءها يوجب خفاء النبوة وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت انلزمكموها
انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها والمعنى انا لا نقدر على ان نلزمكم بشيء لها من عند انفسنا اذا
كنتم بها كارهون كما قال تعالى انك لا تهدي من احببت الآية يا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ فانه معلوم مما ذكر مالا ان اجري الا على الله
فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به انفة ان يكونوا يستنكفون من صحبتهم انهم ملاقوا
ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او بركم
قوما ذوي جهل في التماسكم طردهم ويا قوم من ينصرني من الله من يدفع انتقامه مني ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمنزلة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيفهم الايمان على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم
فضلي ولا اعلم الغيب اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا وهو عطف على عندي خزائن الله وجاز ان يكون المعنى نفي
العلم عن باطن حال الذين اتبعوه بادي الرأي هل هم على بصيرة وعقد قلب ام لا فيكون عطفا على الا اقول ولا اقول اني ملك لا احتاج
في تقويتي الجوارح الى غذاء حتى تنكروا على ذلك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لا اقول في شان من استرذلتموهم وحقرتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما اتيكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم من الايقان والاخلاص اني اذا لمن

الضالين

الضالين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي
الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في صفاتهم واحوالهم تنبيهات ان كنت على بينة من ربي برهان
من ربي يجب عليكم من طريق العقل الاذعان له واتاني رحمة اي هداية خاصة كشفية متعالية عن درجة البرهان من عنده اي فوق طور العقل من العلوم
الدينية ومقام النبوة فعميت عليكم لاحتجابكم بالظاهر عن الباطن وبالخليقة عن الحقيقة ولا يمكن تلقيها الا بالارادة من اهل الاستعداد
فكيف نلزمكموها ونجبركم عليها وانتم لها كارهون اي ان شئتم تلقيها فزكوا نفوسكم وصفوا استعدادكم الذي وهب لكم واتركوا انكاركم حتى
تظهر عليكم اثر نور الارادة فتقبلوها ان شاء الله لا اسألكم عليه مالا اي الغرض عندكم من كل امر محصور في حصول المعاش وانما اطلب ذلك
منكم فتتهموا الغرض وانتم عقلاء بزعمكم وما انا بطارد الذين امنوا لانهم اهل القربة والمنزلة عند الله تعالى فان طردتهم كنت معاديا لاوليائه
فلم اكن نبيا حينئذ ولكني اريكم قوما تجهلون ما يصلح المرء للقاء الله ولا تعرفون الله ولقاءه لذهاب عقولكم في الدنيا ويا قوم من ينصرني من
الله الذي هو القاهر فوق عباده ان طردتهم واستوجبت قهره بطردهم افلا تذكرون مقتضيات الفطرة الانسانية فتنزجروا عما تقولون ولا
اقول لكم عندي خزائن الله اي انا ادعي الفضل بالنبوة لا بالغنى وكثرة المال ولا بالاطلاع على الغيب ولا بالملكية حتى تنكروا فضلي بفقدان ذلك
ولا اقول للفقراء الذين تستحقرونهم لن يؤتيهم الله خيرا اذ الخير عند الله الله اعلم بما في انفسهم من الخير مني ومنكم وهو اعرف بقدرهم
وحظوظهم وما يعلم احد قدر خيرهم لعظمه اني اذا اي اذ نفيت الخير عنهم او طردتهم لمن الظالمين تأويل لقد ارسلنا نوحا نوح
الروح الى قومه وهم القلب والنفس والبدن وقواها اني لكم نذير مبين اي منذر بالحقيقة ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا الدنيا و
شهواتها والاخرة ودرجاتها فان عبادة الله مهما كانت معلولة بشيء من الدنيا والاخرة فانه عبادة لذلك الشيء لا لله تعالى على الحقيقة
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وهو يوم القطيعة عن الله وعذاب الحرقة شديد والم البعد اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه من وجوه
النفس والهوى والطبيعة البشرية ما نراك الا بشرا مثلنا اي مخلوقا محتاجا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يريدون بذلك
الاعضاء والجوارح فانها مجبولة على اتباع الروح والامتثال بامره فقد يكون ذلك الاتباع لداعية دينية وقد يكون لغرض فاسد مصلحة
دينية كما هو المعتاد لاكثر الخلق فعند ذلك يسلم البدن عن العذاب ويكون التبعة على النفس فان اثار الغرض الصحيح على الغرض
الفاسد اليه وما انا بطارد الذين امنوا من الاعضاء والجوارح المنقادة للتكاليف الشرعية لانهم اعتقدوا انهم ملاقوا ربهم ومبعوثون
بنور العين بالانوار المودعة في اعمال الشريعة ولكني اريكم بالنفس والطبيعة والهوى قوما تجهلون لا تقبلون لجهلكم دعوة فلهذا البدن
وجوارحه في العبودية للرجوع الى الحضرة الربوبية والاستعداد بالرؤية ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم صرفت البدن عن الطاعة و
العبودية واقتصرت على مجرد ايمان النفس وتخلقها بالاخلاق الحميدة كما هو معتقد اهل الفلسفة واهل الاباحة حيث يقولون ان اصل الدين
معرفة الربوبية وتصفية الباطن والتحلية بالاخلاق الحميدة فلا عبرة بالاعمال البدنية وكذبوا الله ورسوله فضلوا واضلوا كثيرا وقد قال
النبي عليه السلام لا يستقيم ايمان احدكم حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم اعماله
في اركان الشريعة على جوارحه افلا تذكرون ان جمعية الباطن واستقامته على الايمان من نتايج الاعمال الشرعية والانوار المودعة فيها تسري تلك

المؤذن باستعمال تلك الاعمال عن الظاهر الى الباطن وان الله تعالى اودع النور في الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات
الطبع الى نور الشرع قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بجميعه فأتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم
بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط جوابه مدلول بقوله لا ينفعكم نصحي ان
كان الله يريد ان يغويكم شرط جوابه مدلول عليه بالجملة السابقة من الشرط ودليل الجواب تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان
اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل فانه على عدم النفع بارادة الله اغواءهم وذلك امر غير معلوم
فيجب القيام بالنصح الى ان يحكم الله بينهم بما شاء وفيه دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال
قيل ان معنى يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم على وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قال ابن عباس يعني نوحا وقيل يعني محمدا قل ان افتريته فعلي اجرامي اي وبال جرمي
والاجرام كسب الجرم وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن فلا تبتئس فلا تغتم بما كانوا يفعلون فاني مهلكهم ومنجيك اشارة لا تبتئس بما كانوا يفعلون بما كان يفعله
السعداء من اعمال الشر فانها لهم كالجسد للاكسير ينقلب ذهبا معنويا عند طرح الروح عليها فلذلك تنقلب اعمال الشر عند طرح الحق عليها
حسنات ولا تبتئس بما يفعله نفوس الاشقياء من اعمال الشر فان ذلك تقدير الله على شقاوتهم وسبك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم
واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة الآلة التي بها يحفظ الشيء ويراعى من الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية
على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى منعه تأويل واصنع الفلك اي اتخذ يا نوح الروح سفينة الشريعة بنظرنا
لا بنظرك فانك تنظر بنظرك الى ظاهرها وتغفل عن حقائقها واسرارها وحكمها فتجتهد في اتخاذها من آفات الحواس والوهم والخيال والنفس و
صفاتها والعقل المشوب باحكامها لتكون سفينة الشريعة محفوظة من طوفان فتن النفس والدنيا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي النفس كان
الظلم من شيمها لانها تضع الاشياء في غير مواضعها تضع عبادة الحق في هواها والدنيا وشهواتها في مكمن محل الحق فلا يؤمن منها انهم مغرقون
في طوفان الفتن الا من سلمه الله منه والسلامة في ركوب سفينة الشريعة المتخذة من الواح الاعمال الشرعية ودسر العلوم التي تنتظم بها
الاعمال وتشد وتحكم ويصنع الفلك حكاية عن حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة
فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به
الكفار وبالعذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم ينزل عليه العذاب الدائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع
الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه وفار التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق

العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند كما هو المنقول عن اصحاب وقيل التنور وجه الارض قلنا احمل فيها في السفينة
من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى وقراءة غير حفص بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا
كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نفر وروضة المسلمين وبنوه الثلاثة سام وحام و
يافث ونساؤهم وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا واحدهم جرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها ومرساها
متصل باركبوا حال من الواو اي مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او للمكان
او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه من مسمين او قائلين ويجوز رفعهما بالابتداء على ان يكون بسم الله خبرا
والجملة اما مقتطعة عما قبلها او حال مقدرة من الواو وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ
الفاعل صفتين لله وارساء السفينة اثباتها بعد اجرائها ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم
تأويل ويصنع الفلك يعني الروح يأمر سفينة الشريعة واستعمالها وكلما مر عليه ملأ من قومه وهم النفس وهواها وصفاتها سخروا
منه اي من استعمال اركان الشريعة الظاهرة لانهم بمعزل عن اسرارها وانوارها قال نوح الروح ان تسخروا منا لجهلكم عن فوائد هذه السفينة فانا
189 نسخر منكم اذ نجونا وهلكتم فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي عذاب القطيعة ويحل عليه عذاب مقيم اي عذاب الحرقة الابدية حتى اذا جاء امرنا
اي حد البلوغ الذي يكون العبد فيه مأمورا بالركوب في سفينة الشريعة وفار التنور اي تنور طوفان ماء الشهوة وغليان نار الغضب من تنور
القالب حيثما استتمت قواه وقويت آلاته قلنا احمل فيها من كل زوجين من كل صفة من صفات النفس زوجين متقابلين لا ينتظم الكمال
الكمالات بدونهما كالشهوة والعفة والحرص والقناعة والبخل والسخاوة وفيها اشارة الى ان كل ما كان من هذه الصفات في معزل عن سفينة
الشريعة فهي من غرقى طوفان الفتن وهذا رد على الفلاسفة والاباحية يعتقدون ان من اصلح اخلاقه الذميمة عالجها ببعضها من الاخلاق
الحميدة فلا يحتاج الى الركوب بسفينة الشرع ولا يعلمون ان الاصلاح والعلاج انما يفيدان النجاة اذا كانا على وفق الشرع وبامر الطبيب المعالج
لها وهم الانبياء عليهم السلام بسم الله مجريها ومرسيها اي يكون الركوب بالله لا بكم ويكون مجريها بامر الله ومرسيها الى الله كقوله وان الى ربك المنتهى ان
ربي لغفور بالنجاة لمن ركبها رحيم لمن ركبها بالهام لا بالطبع والعادة والتقليد وهي تجري بهم متصل بمحذوف اي فركبوا وهي تجري بهم في
موج كالجبال كل موجة كجبل في تراكمه وارتفاعه ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل
للمكان من عزله اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة العباس بكسر الياء للدلالة على حذف ياء الاضافة وفتح عاصم اقتصارا على
الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين و الاعتزال
قال سآوي الى جبل يعصمني من ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اي الا الله الذي رحم فيعصم او الا مكان من رحمهم الله

وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار ابنه هذا من المهلكين بالماء تاويل وهي تجري بهم يعني سفينة
الشرع تجري بمن ركبها بالامر في موج من بحر الطبيعة الجسمانية واستيلاء دواعيها على الناس كالجبال الحاجبة للنظر والمانعة عن السير ونادى
نوح نور الروح ابنه كنعان النفس المتولد منه ومن القالب وكان في معزل من معرفة الله وطلبه يا بني اركب معنا سفينة الشريعة ولا تكن
مع الكافرين المتمردين عن اتباع داعي الحق قال ساوي الى جبل العقل يعصمني من الماء اعني ماء الفتن قال لا عاصم اليوم من بحر شهوات ارض
البشرية من امر الله من سماء القضاء الا سفينة الشرع فحال بينهما بين كنعان النفس وجبل العقل العادي موج الفتن فكان من المهلكين
وكذلك كل نفس يريدون يعتصم بجبل العقل ليتخلص من طوفان الفتن المهلكة كما هو حال المتفلسفة المتشبثين باذيال عقولهم المشوبة
بالوهم دون سفن شرائع الانبياء صلوات الله عليهم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي البلع النشف والاقلاع الا
مساك نوديا بما ينادى اولو العلم وامروا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد
لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه هذا على الظاهر والتحقيق هو ان الجمادات كلها احياء في حق الله
سامعة لندائه مدركة لما يلقي اليها من الخطاب ناطقة باجابته منقادة لاوامره مطلقا لا فرق في ذلك بينها وبين العقلاء في حضرته تعالى و
غيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من هلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت استقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر محرم فصام ذلك اليوم شكرا على النجاة فصار سنة
وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء
ولا يخفى ما في الاية من غاية الفصاحة وكمال البلاغة اشارت استوت ايام الطوفان كانت من مقامات التلوين في معرض
الافات والهلاك فلما مضت تلك الايام آل الامر الى مقام التمكين والثبات ونيل الدرجات وقيل بعدا للقوم الظالمين المعرضين عن
ركوب سفينة الشريعة دقيقة بعث نوح الروح الى دعوة القوى النفسانية المتولدة من ازدواجه بالقالب واصول تلك القوى
بمقتضى حكم الطبيعة على القالب العنصري اربعة ثلاثة منهم قابلة للاستصلاح بالانقياد تحت امر الشرع وهم سام القوة النطقية ابي
الانبياء وحام القوة الشهوية ابي السودان ويافث القوة الغضبية ابي الترك وواحد منهم غير قابل لذلك وهو كنعان القوة الشيطانية
والملكات وقت رجوع نوح الروح الى ربه انذر قومه من طوفان الموت الطبيعي فاعد للنجاة عن الغرق في بحر العدم سفينة البدن
البرزخي المكتسب من هيئات الواح الاعمال المستحكمة بمسامير العلوم اليقينية فلما نودي بنداء ارجعي الى ربك ركب السفينة وتبعه
فيها القوى الثلاث وتخلف عنها الرابع فهلك ونجا هو ومن معه من القوى الثلاث ثم انه لما فارق الروح البدن العنصري ووقف
وتعلق بالبدن البرزخي بقواه المطيعة له قيل يا ارض ابلعي ماءك يا ارض البدن الخاوية نشف ماء الروح الحيواني الذي في تجاويف
عروقها ويا سماء الروح اقلعي مسكي عن البدن امطار الفيوض العلمية وغيض الماء ماء الفيوض الحيوية المنزلة من سماء الروح وقضي
الامر بهلاك القوى الا من اتباع نوح الروح واستوت على جودي البدن الاخروي الطبيعي المبني على قاعدة الثبوت والبقاء

لامر

لامر من ان يتطرق اليه الفساد والتفريق وقيل بعدا للقوم الظالمين يعني بعد ان استقر الامر على البدن الطبيعي الاخروي المسعد
للنعيم الجناني امر بالبعاد قوتي حام الشهوية ويافث الغضبية عن مقام القرب وان يبعدوا لانقطاعهما عنه في الجنة الصورية
وبمقامتها وعدم مرافقتهما اياه الى ما هو غاية مقصده ونهاية مرامه وهو الجنة المعنوية جنة الشهود والتجليات الذاتية
والصفاتية وذلك ما حكي من اساءة حام ويافث بابيهما بعد النزول من السفينة واحسان سام عليه حتى دعى عليهما وعلى نسل
جزئهما فصار حام ابا السودان وصار يافث ابا الترك وصار سام ابا الانبياء صلوات الله عليهم ونادى نوح ربه اراد نداءه
فقال رب وهذا هو نداؤه ان ابني من اهلي يعني كنعان وان وعدك الحق لا يتطرق اليه خلف وقد وعدت ان
تنجي اهلي فما له لم ينج وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة
قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح ذو عمل فاسد
فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما لكونه ابنا في نفي كونه من
اهله وقرأ الكسائي ويعقوب عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو
ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده واستفسار المانع للانجاز في حقه
١٩٠ وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشدد وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية
ثم ياء الاضافة للتخفيف اني اعظك ان تكون من الجاهلين انما سمى سؤاله جهلا وزجره عنه لان استثناء من سبق عليه القول
من اهله قد دل على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
فيما بعد ما ليس لي به علم ما لا علم لي بجوازه والا تغفر لي ان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بما يليق به والتفضل علي
اكن من الخاسرين اعمالا تاويل صاحب لنا ولايات قال رب ان ابني من اهلي حمله شفقة الابوة على طلب نجاته من سيل تعلقه
وراعى مع ذلك ادب الحضرة وحسن التسلي فقال وان وعدك الحق ولم يقل لا تخلف وعدك بانجاء اهلي وانما قال ذلك لوجود
تلوين وظهور بقية منه قال يا نوح انه ليس من اهلك اي ان اهلك في الحقيقة هو الذي بينك وبينه القرابة الدينية واللحمة المعنوية
لا الاتصال الجسمي الصوري كما قال امير المؤمنين علي ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت لحمته
انه عمل غير صالح لوح ببالي انه صورة من صور الخطايا صدرت منه وذلك انه لما بالغ في الدعوة وبلغ الجهد في المدة المتطاولة وما اجابه قومه
غضب ودعا عليهم بقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فذهل عن سر قدرة الله
وحكمته وانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فكانت دعوته هذه زلة وخطيئة مقامه فابتلاه الله بان فاجر الكفار الذي زعم حاله
غضبا انهم لا يلدون الا امثالهم فكانه اسد عن خطيئته تلك العقوبة وفي الحديث خلق الكافر من ذنب المؤمن اني اعظك ان تكون من الجاهلين
الواقفين مع ظواهر الامور المحجوبين عن حقائقها فتنبه عليه السلام عند ذلك التاديب لما هو تعوذ به بقوله رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي
به علم والا تغفر لي تلويناتي وظهور بقاياي وترحمني بالاستقامة والتمكين اكن من الخاسرين الذين خسروا انفسهم بالاحتجاب عن علمك وحكمتك

قيل يا نوح اهبط بسلام منا ای انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك ای
زيادة في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وعلى امم ممن معك على امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة
من الذين معك والمراد بهم اذن المؤمنون وامم سنمتعهم اومن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة
والمراد بهم الكفار من ذريته من بعده وقيل هم قوم هود وصالح وشعيب والعذاب ما نزل بهم قال صاحب التأويلات يا نوح اهبط
بسلام ای اهبط من محل الجمع وذروة مقام الولاية والاستغراق في التوحيد الى مقام التفصيل وتشريع النبوة بالرجوع الى الخلق ومشاهدة
الكثرة في عين الوحدة لا محتجبا بالاحتجاب بهم عن الحق ولا راضيا بكفرهم بالاحتجاب بالحق عنهم بسلام ای سلامة عن الاحتجاب
بالكثرة وظهور النفس بالغضب في وجود التلوين وحصول التعلق بعد التجرد والضلال بعد الهدى منا ای صادرا منا وبنا وبركات
تعيش قوانين الشرع وتأسيس قواعد العدل الذي تموته كل شيء ونزيد عليك وعلى امم ناشئة ممن معك وعلى دينك وطريقتك
الى آخر الزمان وامم ای ونشأ امم ممن معك سنمتعهم في الحيوة الدنيا لاحتجابهم بها ووقوفهم عندها ثم يمسهم منا عذاب اليم باهلاكهم بكفرهم
واحراقهم بنار الآثار وتعذيبهم بالهيئات ثم قال في تأويل القصة وان شئت التطبيق [illegible] نوحا بروحك في الفلك بالكمال العلمي والعملي
الذي به نجاتك عند طوفان بحر الهيولى حتى اذا فار تنور البدن باستيلاء الرطوبة الغريبة والاخلاط الفاسدة وأذن بالخراب ركب هو فيها
وحمل معه من كل صنفين اثنين ای من وحوش القوى الحيوانية والطبيعية وطيور القوى الروحانية الفاعلة والمنفعلة وبنيه الثلاثة
حام القلب وسام العقل النظري ويافث العقل العملي وزوجته النفس المطمئنة واجراها باسم الله الاعظم فنجا بالبقاء السرمدي
من الهلاك الابدي الطوفان وغرقت زوجته الاخرى التي هي الطبيعة الجسمانية وابنه منها وهو الوهم الآوي الى جبل الدماغ تلك من
انباء الغيب مبتداء وخبر ای قصة نوح بعض الاخبار التي في الغيب عنك نوحيها اليك خبر ثان او حال من الانباء او هو الخبر ومن
انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر ای مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من
الهاء في نوحيها او الكاف في اليك ای جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر القوم تنبيه على انهم لم يتعلموا اذ لم يخالطوا غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوا
فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ع ان العاقبة للمتقين في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز
عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده
ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر اتباعا للفظ المجرور ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا
اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول قومه به ازاحة للتهمة واخلاصا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت
مشوبة بالمطامع افلا تعقلون فلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم
كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان

والمؤيد به

والمؤيد به كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم ای آثامكم
استغفروا ربكم من ذنوب حجب صفات النفس والوقوف مع الهوى بالشرك ثم توبوا اليه بالتوجه الى التوحيد والسلوك في طريقه
بالتجريد والتفريد يرسل السماء سماء الروح عليكم مدرارا بامطار العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية ويزدكم قوة الكمال الى قوة الاستعداد
ولا تتولوا عنه مجرمين بظهور صفات نفوسكم وتوجهكم الى الجهة السفلية لمحبة الدنيا ومتابعة الطبيعة قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة بحجة تدل على صحة دعواك قالوا ذلك لفرط عنادهم او لقصور فهمهم وعمى بصيرتهم عن ادراك البرهان لمكان الغشاوات
الطبيعية فاذا لم يدركوه انكروه بالضرورة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ظرف لتاركي بمعنى لاجل قولك او مستقر حال
الضمير في تاركي ای صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك
ما نقول الا قولنا اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لما كانت لك من سبها والصد عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة
مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون امرهم بان تشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا ورأوا انهم عجزوا
عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان تضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تتمكن من اضراره انتقاما وهذا من جملة معجزاته فان
مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا للثقة بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم يعني وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ای الا وهو مالك لها قادر
عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم تبصرة بين في الآية وجوب التوكل على الله وكونه حصنا حصينا ای لا بان ربوبيته شاملة
لكل احد ومن يربيه يريد بمربوبه يحفظه فلا حاجة الى كلاءة غيره وحفظه ثم بان كل ذي نفس تحت قهر الحق وسلطانه اذ هو ای
في يد تصرفه وملكه وقدرته عاجز عن الفعل والقوة التأثير في غيره لا يحرك به بنفسه كالميت فلا حاجة الى الاحتراز منه والتحفظ ثم بانه
على صراط مستقيم ای على طريق العدل في عالم الكثرة الذي هو ظل وحدته فلا يسلط احدا على احد الا عن استحقاق لذلك بسبب ذنب
جرم ولا يعاقب احدا من غير زلة ولو صغيرة وقد يكون لتزكيته ورفع درجته كالشهادة وفي ضمن ذلك كله نفي القدرة على النفع والضر
عنهم وعن آلهتهم قال الشيخ رضي الله عنه ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها فهي يقدم الخلق الهداية الى ما فيه سعادتهم والله من ورائهم محيط حق
عنهم للمحفظ من نصابهم وهو العدم فان الممكنات كما يطلبها الوجود يطلبها العدم وهو محل قابل للحكمين ليس له الامتناع عن احدهما الا
بلطف اللطيف ولنا في هذا المقام مقال آخر به في سورة الفاتحة فليرجع اليه تأويل والى عاد اخاهم هودا هو التشبيه الى الهوى
القلب فبعاد الى النفس وصفاتها فان القلب اخو عاد النفس لانهما قد تولدا من ازدواج الروح والقالب فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ای ليس لكم [illegible] دونه استحقاق العبودية والمطلوبية والمحبوبية ان انتم الا مفترون فيما تتخذون الهوى والدنيا معبودا

١٩١

وعطلوا ومحبوبا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا زينا للخلق والجاه عندهم وامثالها مما يتعلق بمشارب النفس ان اجري الا على الذي فطرني مما يتعلق
بلطائف الروحانية وطوالع الروحانية وشرب اهل الربانية فانها من مشارب القلوب افلا تعقلون ان مشربي غير مشربكم ويا قوم استغفروا ربكم
اطلبوا ستر صفاتكم بصفاته ثم توبوا اليه ارجعوا الى الحضرة بفناء الذات فان السير اليه لا يمكن الا به يرسل السماء عليكم مدرارا اي اذا رجعتم
به اليه يرسل عليكم مطر اصناف الالطاف الالهية من سحاب العناية ويزدكم قوة الى قوتكم الربانية الى قوتكم من نور الايمان ولا تتولوا عن
الحق وطلبه مجرمين في طلب غيره قالوا اي النفس وصفاتها يا هود اي ما تطلب ما جئتنا ببينة برهان نستدل به على صدقك والبرهان واردات
ترد على القلوب علام الغيوب فتعمى النفس عن تكذيبها بصدمات سطواتها وما نحن بتاركي الهتنا من الشهوات والمستلذات الحيوانية
عن قولك بمجرد قولك عن البينات الرباني والدلائل البرهاني اني توكلت على الله ربي وربكم اي الذي يربيني على طلب الخير ويربيكم
على طلب الباطل ما من دابة في طلب الخير والشر الا هو آخذ بناصيتها يجرها بها الى الخير والشر وهو في قبضة قدرته من الله ان ربي
على صراط مستقيم في اصلاح حال اهل الخير وافساد حال اهل الشر فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم فما ادبت على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم وعطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم
على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه شيئا بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه
ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولي عليه فلا يمكن ان يضره شيء
ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم
من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فيقطع احشاءهم او المراد تنجيتهم
من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك
عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين
والجبار المتمرد والعنيد الذي لا يقبل الحق والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم و
اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا
نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك ونصب بعدا على المصدر بحذف الفعل وجوبا بالتقييد بمعمول الفعل
فان التقدير بعد عاد بعدا والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا
لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود اشارة واتبعوا اي النفس وصفاتها في هذه الدنيا لعنة بالطرد عن الحضرة الى طلب شهوات
الدنيا ... ويوم القيمة بالبعد والخسران والحرمان وعذاب النيران الا ان عادا اي النفس وصفاتها كفروا ربهم بان امنوا

بعزها

بعزها وطلبوا ما سواه الا بعدا لعاد فرقة وقطيعة وحرقة لعاد النفس قوم هود اي قوم لم يقبلوا نصيحة هود القلب فيما
تركوا مشاربهم الدنية الفانية لمشارب القلب الدينية الباقية والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ذكر عاد قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم
فيها عمركم في الارض واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم
بما لا استغفار ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كنا نرجو
لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا منك هذا القول انقطع
رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن
الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه اذا اوقعه في الريبة او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب الامر اذا ادريب فيه قال يا
قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي على بيان وبصيرة منه وحرف الشك باعتبار اعتقاد المخاطبين وآتاني منه
رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن
باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكرها فذروها
تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء
الا يسير وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به او وعد غير كذب على انه مصدر كالمفتون او على المجاز
فكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا
ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف
البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة كانت صيحة فيها صوت م
كل شيء فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا بها الا ان
ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود
فالصرف فيه بتاويل الحي ومنع الصرف بتاويل القبيلة اشارة واخذ الذين ظلموا وضعوا عبادة الله ومحبته في غير موضعها من
الدنيا وحطامها وهم ثمود النفس وصفاتها الصيحة وهي صاعقة القهر وفيها صوت كل شيء في الارض اي صوت تعلق كل شيء
من الدنيا وشهواتها لانه جمعها فانها صارت باجماعها صاعقة القهر فاصبحوا في ديارهم وهو اسفل سافلين الطبيعة جاثمين هالكين الا ان
ثمود كفروا ربهم ستروا الحق بالباطل حيث نحروا ناقة الشريعة التي يدر عليهم لبن الحكمة ويخلع عليهم لباس المعارف الا بعدا طردا ولعنا
لثمود النفس عن الحضرة ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى

بشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي
امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم لما فيه من الدلالة على الثبوت والدوام وقرأ حمزة والكسائي
سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرام وحرم وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما
ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله
في موضع آخر بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر
واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته سارة بنت هاران ابن عم ابرهيم قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم
للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم
ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت اي حاضت ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها والمعنى استأهلت للحمل بعد ان كانت
المسنة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره
ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وتوجيه البشارة اليها
للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولما روي عن ابن عباس رض ان ضحكها كانت لتلك البشارة فالتعجب منها وعلى هذا
يكون في الكلام تقديم وتأخير اعتد به وامرأته فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتى يا عجبا
واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او اربع وتسعين وهذا بعلي
زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ان هذا لشيء عجيب يعني
الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
انكروا عليها التعجب من حيث ان خوارق العادات في اهل بيت النبوة ليست ببديعة فلا يستغرب عاقل عن نشاء وشابت في ملاحظة
للآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان اشارة
ان هذا الشيء عجيب اي على خلاف العادة وعلى خلاف سنة الله قالوا اتعجبين من امر الله اي من قدرة الله فان لله سنة وقدرة يجري
امر العوام لسنة وامر الخواص لاظهار الآية والاعجاز بقدرته فاجري امركم بقدرته هي رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت بيت
النبوة انه حميد على ما يجري من السنة والقدرة مجيد فيما ينعم به على العوام والخواص فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس من
الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا يجادل رسلنا في شان قوم لوط ومجادلته قوله ان فيها لوطا
وهو جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال والجواب محذوف تقديره اجترأ على خطابنا او جادلنا ان ابرهيم لحليم غير
عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة فان كل ذلك من رقة القلب وفرط الترحم قال الشيخ رض دل وصفه بالحلم انه كان قادرا على

ان يدعى

عليه كما دعا نوح على قومه ولكن لما كان سؤال استفتاح وتحقق لرجائه في الحال لكان يرجو ايمانهم فيما بعد فذلك سبب حلمه فلو علم ما
علم نوح حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ما حلم عنهم والاواه هو الذي يكثر التأوه تبلواه ولما تقاسيه الارواح من عالم الملك متراح
بالطبايع يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك اي قضاؤه
وحكمه الازلي بعذابهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا شفاعة قال ـــ تجر الحقائق بكارنا
في قوم لوط ع جدال الضعيف مع القوي وجدال المحتاج الفقير مع الكريم الغني وجدال الرحمة والعاطفة وطلب النجاة للضعفاء
والمساكين الهالكين يدل عليه قوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب اي كان جداله لحلمه وتأوهه عليهم وانه مع ذلك منيب راجع الى الله
في جميع احواله اي ما يكون بعض احواله مشوبا بعلة راجعة الى حظ نفسه بل كلها لله وبالله والى الله ولما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم اي حزن لوط ع بمجيئهم تعالى سوءة ضيق كما قال سوءة ضيق فسر ذلك لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس
فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وكان ذلك لما فيه من قطع الرجاء
عنا بما ان القوم والياس عن اصلاح حالهم وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
١٩٢ ومن قبل اي قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا مجاهرين بها قال
يا قوم هؤلاء بناتي فداهن اضيافه حمية عليهم او ارادة لدفع العذاب عن قومه والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا
يخطبونهن فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يريدونه
حتى ان ذلك اهون منه او فالذلك اظهار الشدة الحزن كبر قوله وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته وفي
حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وانت تعلم ان هذا مدفوع بما قاله ثم قالوا ما لنا في بناتك من حق هن
اطهر لكم انظف فعلا واصلح حالا ان زعمتم ان ما تريدونه فيه طهارة فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثار الذكور
على الاناث ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شان ضيفي فان اخزاء
ضيف الرجل اخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح ويتوب الى الله بصدق فينجيكم الله من العذاب
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد اي اتيان الذكران ولما دلهم على خلاف ما ارادوه
نزلوه منزلة المنكر للعلم بمرادهم فاكدوا خطابه بما ترى قال لو ان لي بكم قوة لقويت بنفسي على دفعكم او آوي الى
ركن شديد اي انضم الى عشيرة منعة كركن الجبل في الشدة قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته
وعن النبي ع يرحم الله اخي لوطا ان كان ليأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة
او ايواء وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم وراء الباب وهم يعالجون
الولوج فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا

تهوين عليك فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وضرب به وجوههم فطمس اعينهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط اسحر
قوم في الارض سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى نصبح فسترى يريدون ما يلقى منا غدا يوعدونه بالقتل فاسر باهلك بالقطع
وقراء ابن كثير ونافع بالوصل حيث كان من السرى بقطع من الليل بطائفة منه وقيل ببقية منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف
او لا ينظر الى ورائه احد الا امراتك وقراء ابن كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع بدلا من احد اي لا يلتفت منكم الا امراتك
فانها ستلتفت فتهلك وكان لوط اخرجها معه ونهى من تبعه ممن اسرى بهم ان يلتفت فلما سمعت وجبة العذاب قالت يا
قوماه فادركها حجر فقتلها وقراء الاخرون بالنصب على الاستثناء من الاهل اي فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ولا يلتفت منكم
احد فان قلت الروايتان معنيان متناقضان والقراءتان متواترتان والقواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة قلت والله
اعلم لكن الجمع بينهما بوجهين احدهما انها خرجت معهم من غير ان يسرى بها اما للعلاقة الصورية او لخوف العذاب والا نهاها عن الاسراء
لم يوجب منعها عن الخروج معه وعلى هذا يكون استثناء وهذا من الاهل اهل من امنوا وكان رواية ابن مسعود تفسير المتشبه وبيانا
للمراد ويكون الرفع والنصب على الاستثناء من الاهل بناء على جواز ذلك في الاستثناء عن المنفي كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا
والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسراء بها كان نهي تنزيه دون تحريم فاسرى بها ارتفاقا بها فتقدير الكلام اسر باهلك بقطع من الليل
الا امراتك ايضا كما قراءها ابن مسعود ولا يلتفت منكم احد الا امراتك اي حيث اسريت بها نظرا الى الجواز بتوجيه
العاملين الى معنى الاعمال الاول باحدى القراءتين اشاره الى اصل النهي واعمال الثاني بالاخرى اشاره الى ما عمل بها من
ترك الاولى فيعني قوله انه مصيبها ما اصابهم على ذلك انها يصيبها العذاب فان خرجت معك او انها يصيبها العذاب اسريت
بها ام تسريها والله اعلم بحقيقة الحال ان موعدهم الصبح علة للامر بالاسراء بالليل اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط او استعظامه
العذاب ... فاسر يا لوط القلب باهلك باتباعك من القوى القلبية المؤمنة بقطع من الليل في بقية من اوقات الله
الحبوغ الدنيوية فانه لاكسب ولا سير بعد ذهاب حين الحيوة بطلوع الروح من افق البشرية لمن لم يكسب فيها شيئا من الكمالات
العلمية والعملية الا امراتك الا القوة الشهوية البهيمية فان مشربها مقصور على المشتهيات الفانية الدنيوية ليس لها فيما فوق
ذلك من الواردات والمشاهدات والمكاشفات مشرب ولا يلتفت منكم احدا الى المستلذات البشرية من الحطام الدنيوية
الا امراتك من القوة الشهوية البهيمية فانها ملتفتة اليها انه مصيبها ما اصاب القوى الطبيعية في صبح حلول الاجل من التفرقة والبعد
المبداء بالموت والهلاك الذي هو العيمة الصغرى ان موعدهم تلك القوى وهلاكها طلوع صبح الشيب عن ظلمة ليلة الشباب اليس الصبح
صبح الشيب بقريب فانه يحل بالمرء في ايام قلائل لم يحاله فلما جاء امرنا امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها كان نفحة
حملهما اليها اي الملائكة المامورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مدائنهم وهي خمس مدائن المؤتفكات ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة لم يكفأ لها اناء و
لم ينتبه نائم ثم قلبها وامطرنا عليها على شذادها ومسافريها وقيل بعد قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله

من طين

من طين ما صلبه سنك كل معرب منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد
على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة على هيئة الجزع اليماني وقيل معلمة بسيما تميز عن
حجارة الارض وقيل مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي اي الحجارة من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم
قد استحقوا ان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبرئيل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط
عليه من ساعة الى ساعة وقيل للقرى المعذبة والمعنى انها قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او
المكان حقيقة الملك المتمثل بالصورة المثالية لا يقدر على حمل الاجرام الارضية بقوة البدنية فان للماديات لا يقام بها ولا بقدر
على حملها الماديات واما الملك فطريق تصرفه فيها هو ان يتصرف بقوته الملكوتية في صورتها الملكوتية اعني صورتها الثابتة في عالم المثال فان
الصورة الملكية تابعة لصورها الملكوتية ينحل بها في ساعة تحولها لا محالة وكذلك الافعال الصادرة من البشر اذا كانت خارجة عن القوة
البشرية كقلع باب خيبر وامثال ذلك من خوارق العادات ولذلك قال عليه السلام والله ما قلعت باب الخيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ملكوتية على
الذي ذكرناه في افعال الملائكة وعلى هذا فلما امر جبرئيل عليه السلام بتقليب قرى قوم لوط عليه السلام تصرف في صورها المثالية بالتقليب والتنكيس فتبعها صورها الملكية
في ساعة صارت مقلوبة منكوسة كما قال جعلنا عاليها سافلها وكذلك قوله امطرنا عليهم حجارة من سجيل اي طين تصرف الملك في صورتها الملكوتية
حتى صيرها في صور الحجارة وما هي ان التقليب والتنكيس وامطار الحجارة من الظالمين ببعيد فانها صور اعمالهم الخبيثة ونتيجة ظلمهم فانهم نزلوا الرجال
برتبتهم لفعلة التأثرية الى رتبة الانفعال والتأثر استحقوا ان يقلب عليهم الاوضاع ويجعلوا منكوسين من العلو الى السفل وباستهانتهم
بالنطف التي هي مواد البنية الانسانية حيث ردوها من الفعوة القريبة من الانسانية الى الرتبة الجمادية استحقوا الاستهانة والاذلال بامطار الحجارة
عليهم نعوذ بالله من ذلك والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه بالشام فسمي باسمه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من
البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم وهي علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط عام شامل لا يشذ منه احد منكم وقيل مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن التطفيف بل يلزمهم الايفاء وما يستلزمه من الخروج عن حق الايفاء
ببذل الزيادة بالقسط بالعدل والسوية من غير نقصان ولا زيادة فاحشة تخرج بها الوزن عن حد الضبط ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار وغيره ولا تعثوا في الارض مفسدين فانه تعميم اخر فان العثى يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كاخذ الخراج لرزق العسكر اصلاحا للملك وابقاء للنظم وقيل معناه ولا تعثوا
في الارض تفسدون امر دينكم ومصالح اخرتكم بقيت الله ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل قال الشيخ رضي الله عنه ان الله تعالى خلق الاشياء في الارض
جميعا ثم حجر وابقى ما حجر فسماه حراما وابقى فسماه بقية خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقيل بقيت الله طاعته لقوله تعالى يتقيه الله بالباء وهي تقواه

194

الذي يكسب به الكمال ان كنتم مؤمنين بشرط ان تكونوا مؤمنين فان عبرتها باستبقاء الثواب الجاري وذلك شرط [illegible]
كنتم مصدقين لي في قولي فاطيعوني فيما امرتكم به وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او [illegible] حافظا احفظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام لجاز ابيه لما امرهم بالتوحيد استهزاء به وتهكما بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو
اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات [illegible] من ما تواظب عليه من اعمالك وكان كثير الصلوة تخصها بالذكر ثم جمعوا في قولهم
عقل حليما وادب المعنى [illegible] امرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
عطف على ما اي او ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء فيكون العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف
والامر بالايفاء وانما اتى باو في مقام الواو ليكون اشعارا بانهم مرتهنون عن كل واحد مما يدعوهم اليه من الامرين فكيف بالجمع بينهما
انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك كما قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي وقيل هو على الصحراي
انا ما انت حليم رشيد لا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي
من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي
مع هذا الانعام الجامع للسعادة الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه ولا اخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير
ما الفوه والنهي عن دين الاباء والضمير في منه للله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي
ما اريد ان اتى ما انهيكم عنه من جمع المال بالتطفيف وحيازة الثواب بعبادة الاوثان لا استبد به فلو كان ذلك صوابا لاثرته ولم اعرض
عنه وخالفوه عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهي عن المنكر ما دمت استطيع
الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وبهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي
فيما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس فعليه السلم قد اوفى بذلك حق الاعتذار
من اللوم بان كل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية وقعت موقع الظرف او خبرية صفة للاصلاح او بدل منه
اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعت بحذف المضاف وما توفيقي الا بالله توفيقي باصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبداء واليه انيب اليه ارجع فيما نزل من النوائب وقيل في المعاد فيكون اشارة الى
المعاد وقد تكون هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم
اطماع الكفار واظهار فراغ البال عنهم وعدم المبالاة بعاداتهم بالرجوع الى الله وامثال هذه المخاطبات المشتملة على الحكم والمواعظ
الحسنة [illegible] خطيب الانبياء [illegible] ايها لاستارة قال قوم اعبدوا الله [illegible] ان جميع الانبياء كانت حكمتهم واحدة في الدعوة
الى التوحيد [illegible] طلب الحق [illegible] الكيل والميزان اي مكيال المحبة وميزان الطلب فان للمحبة مكيالا وهو

علاوة

[illegible] مع الله كما قال الخليل عند اظهار الخلة فانهم عدو لي الا رب العالمين فاذا احببت شيئا مع الله فقد نقصت مكيال المحبة لله وان للطلب
ميزانا [illegible] في الشريعة والطريقة كما قال [illegible] وصلاته [illegible] حظ [illegible] فقد نقصت من الميزان اني اريكم بخير
وهو حسن الاستعداد في طلب الحق وانى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان صرفتم ذلك الاستعداد في طلب غير الحق ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط اي بالقسط على الله في تعظيم امره وعلى الخلق في الشفقة عليهم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تنقصوهم حقوقهم من النصيحة وحسن المعاش في الله ولا تعثوا في الارض ارض وجودكم حيث اصلحها بايفاء الكيل والميزان
من المقامات والكرامات وما انا عليكم بحفيظ اي بحافظ عليكم حسن استعدادكم فانما علي ان انصح لكم بحفظ الاستعداد
في طلب الحق قالوا يا شعيب اصلوتك اي صلوتك وصلتك في طلب الحق من عمك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الدنيا ومتمنياتها
وسعادتها او ان نفعل في اموالنا ما نشاء من تحصيل اللذات الجسمانية بها انك لانت الحليم الرشيد فما كان من رشدك ان
ترشدنا الى ذلك ان اريد الا الاصلاح اصلاح امركم من صرف حسن الاستعداد في طلب الحق وما توفيقي في الاصلاح الا بالله
بعونه وهدايته والتوفيق اختصاص العبد لعناية ازلية وعناية ابدية عليه توكلت فيما اختصني به في الازل
واليه انيب فيما قدر لي الى الابد والتوكل على ثلاثة اوجه توكل المبتدي وهو ترك الاسباب في طلب المعاش وتوكل المتوسط
وهو ترك طلب المعاش في طلب العيش مع الله وتوكل المنتهي وهو استهلاك الوجود في وجود الله وفناء الاختيار في اختيار الله
ليبقى في هويته بلا هو مستقر فان في الاسباب له اربعة التصرف في الاسباب لله بمسبب الاسباب قال اي باب المواهب اني اريكم
بخير في استعدادكم من امكان حصول كمال وقبول هداية واني اخاف عليكم احاطة خطيئاتكم بكم لاحتجابكم عن الحق ووقوفكم مع الغير
وصرف افكاركم بالكلية الى طلب المعاش واعراضكم عن المعاد وقصور همكم على احراز الفانيات الفاسدات وتحصيل الباقيات
الصالحات والخوابكم الى الجهة السفلية عن الجهة العلوية واستغالكم بالخصايص البهيمية عن الكمالات الانسية فلا زموا التوحيد
والعدالة واعتزلوا عن الشرك والظلم الذي هو جماع الرذائل وام الغوائل ولا تعثوا في افسادكم اي لا تبالغوا ولا تمادوا
في غاية الافساد فان الظلم هو الغاية في ذلك كما ان العدل هو الغاية في الصلاح وجماع الفضائل بقية الله ما يبقى لكم عند
الله من الكمالات والسعادات الاخروية والمقامات العقلية والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي
تشقون بها وتشاحون على انفسكم في كسبها ثم تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شيء الا وبال التبعات والعذاب لما في نفوسكم
من رواسخ الهيئات ان كنتم مؤمنين مصدقين بما هو خير لكم عند الله ولما شاهد شعيب عليه السلم انكار قومه وعتوهم واستهزاءهم
بطاعته وزهده وتوحيده وتنزيههم بعقلهم اصلوتك الاية قال يا قوم ارايتم ان كنت على برهان يقيني على التوحيد من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا من الحكمة العلمية والعملية والكمال بها لتكميلها الاستقامة في التوحيد هل يصح لي ان اترك النهي عن الشرك والظلم والاصلاح بالتزكية
والتحلية وحذف جواب ارايتم لما دل عليه وما اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصد الى جمع المنافع الدنيوية الفانية بارتكاب الظلم الذي انهاكم عنه
ان اريد الا الاصلاح نفسي ونفوسكم بالتزكية والتهيئة لقبول الحكمة ما دمت مستطيعا [illegible] وما توفيقي للاصلاح الا بالله عليه توكلت واليه انيب

ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم
صالح من الرجفة وان نصبها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم من اجرام وقرئ مثل بالفتح
لاضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد اي هم قريب منكم زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد عنكم في الكفر
المساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر و
المؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق تنبيه ان في الانسان صفتين يورثان علاوة من يسعى في نصح امره وبينا احدهما
الاستكبار الذي صفة الشيطنة والثاني سوء الظن بالناصح حتى يكون مرتضا على ما منه فبالاستكبار يأبى عن الاستماع بالامر سيما
عن الامر الصادر عن جنسه وبسوء الظن بالناصح يحرص فيما نهى عنه فلا يكسبه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا الشقاق والعداوة للناصح
ولهذا قال لا يجرمنكم شقاقي واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل
بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار اشارة استغفروا ربكم
من صفات الكفر ومعاملاته كلها وبدلوها بصفات الاسلام ومعاملاته فانها تزكية النفوس عن الصفات الذميمة ثم توبوا اليه ارجعوا اليه على
قدمي الشريعة والطريقة سائرين اليه ليحليكم بحلية الحقيقة وهي الفناء عنكم والبقاء به ان ربي رحيم يرحم على السائرين منهم اليه بالتوفيق و
التثبت ودود يحب لمحبيه هاد لطالبيه قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا
عليها وذلك لقصور علمهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك
فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك ولولا رهطك قومك وعزهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف
من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فيمنعنا عزك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه
على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله الذي هو ظهري و
ناصري فلا تتقون عن الله وتتقون عن رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ فالظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسبة ان
ربي بما تعملون محيط لا يخفى عليه شيء فيجازي عليها قال صاحب التأويلات انما لا يفقهون لوجود الرين على قلوبهم بما كسبوا من الاثام و
انما منعهم عن رهطه دون عزة الله لاحتجابهم بالخلق عن الحق المسبب عن عدم الفقه لانهم اشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون ويا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه الفاء في
فسوف تعلمون في الانعام للتصريح بان التمكن والاصرار فيما عملوا سبب لذلك وتركه هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ
في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الصادق والكاذب بل لانهم اوعدوه وكذبوه فقال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالبصير او بمعنى المراقب كالعشير
او بمعنى المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا بالعذاب نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره هنا وفي قصة هود بالواو اذا

يسبقه

اذا لم يسبقه ذكر وعد يكون سببا له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وهو غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك
جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين هالكين كان لم يغنوا
فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد بالفتح
مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية والمعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بهما واحدا باعتبار وصفين اي ولقد ارسلناه بامر جامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته مبين في نفسه او
موضح لنبوته فان ابان جاء لازما ومتعديا الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون اتبعوا امره بالكفر بموسى وما كان معه من الايات
والسلطان المبين وما امر فرعون برشيد اي بمرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح قال في بحر الحقائق ارسلنا موسى
الروح باياتنا اي بصفاتنا فان من صفات الله انه حي فالروح حي وانه سميع بصير متكلم قادر عالم مريد باق فالروح بهذه الصفات كلها موصوف
وهذا هو الخلافة لان هذه الصفات لله تعالى ذاتية قائمة بذاته جل جلاله والروح محدث مخلوق قائمة به بقيومية الله وتلك الصفات مستعارة
لديه بها وسلطان مبين وهو استيلاء الروحانية على البشرية الى فرعون وملائه الى فرعون النفس وصفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية فاتبعوا اي
الصفات امر فرعون النفس وما امر فرعون النفس برشيد لانها امارة بالسوء يقدم قومه يتقدمهم يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في
الضلال فقال تقدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار منزلة الماء فسمى اتيانهم اليها ورودا والمورد ثم قال
بئس الورد المورود اي بئس المورد الذي يردونه فان المورد يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما
امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه
اي في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى والمخصوص
بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك والضمير
لاسم الاشارة وجاز ان يكون للانباء باعتبار ارادة البعض فان المعنى ذلك بعض انباء القرى منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم
وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وجاز ان يكون حالا من الهاء في نقصه اي نقص انباء القرى منقسمة الى القسمين
والمضاف والمضاف اليها متساويان في تحمل الاحكام الواردة عليها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها بارتكاب
ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان يدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك مثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل
الكاف الذي بمعنى المثل النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لدلالة المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه ان اخذه اليم شديد وجيع
غير مرجو الخلاص عنه واليم للابدان شديد على الارواح بالبعد والخذلان ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم

١٩٣٦

لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة تعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر عن موجباته
لعلمه بانه من الله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية
اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين ذلك اشارة الى يوم القيمة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتعبير للدلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين السبع باجراء الظرف مجرى المفعول قال في بحر الحقايق ذلك يعني
الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه بين الارواح والنفوس والاجساد وذلك يوم مشهود فيه اعمال العباد نقيرها وقطميرها كل واحد
شاهد اعماله وقاري كتابه وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف والمراد جميع
مدة التاجيل لا الاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأتي اي الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اكتفاء بالكسرة لا تكلم نفس بما ينفع وينجي الا باذنه الا باذن الله
...... ساكتين الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف من مواقف القيمة وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف
آخر ....ن فيه هي الجواب والممنوع عنها هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت
له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي
النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده شاع استعمالها في اول صوت الحمار وآخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه وتشبيه صراخهم باصوات الحمير خالدين فيها لا ينين[?] معتبرين
فيها ما دامت السموات والارض مادامت سموات الجنة والنار وارضهما فان اهل الجنة واهل النار لا بد لهما من مظل ومقل وقيل المراد
التعبير عن التابيد على ما كان من عادة العرب في التعبير عنه بالربط بدوامها يقولون لا آتيك ما دامت السموات والارض لا ارتباط
دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوام السموات والارض وفيه ان التبديل انما يقع في صورة
السموات والارض وهيولاهما في دوام مادتهما مصورة بصورة اخرى قريبة من تلك الصورة الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في
النار لان بعضهم وهم عصاة المسلمين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض على
هذا كان المراد من الذين شقوا من شقي شقاوة ذاتية بالكفر ومن شقي شقاوة عارضة بالعصيان فانهم سعداء بالايمان وان كانوا اشقياء
بالعصيان ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض عليه ولا نكير واما الذين سعدوا قراءة حمزة والكسائي وحفص على بناء المجهول
من سعده الله بمعنى اسعده ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض على التوجيه المذكور الا ما شاء ربك قيل المستثنى
عصاة المسلمين ايضا فانهم مفارقون عن الجنة في مدة عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء
وفيه ان مبدأ خلود السعداء في الجنة زمان دخولهم فيها لا زمان لا دخول الاشقياء في النار وهو ظاهر وقيل المعنى ان اهل النار ينقلون
منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله وسرور لقائه

دهنه

ويمكن ان شاء من ذلك ليس بخروج من جهنم ولا الجنة عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ونصبه على المصدر اي اعطوا عطاء او على الحال من الجنة
قال ابن زيد اخبرنا الله بما يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وعن ابن مسعود ليأتين على جهنم
زمان تصفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله قال في بحر الحقايق اما الذين شقوا اي
ففي النار نار الحسرة والقطيعة لهم فيها زفير من الحسرة وشهيق من القطيعة خالدين فيها في نار القطيعة والبعد ما دامت السموات وهي
سموات الارواح والقلوب والارض ارض النفوس والبشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل الشقاوة على ضربين شقي
واشقى فيكون من اهل التوحيد شقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فالمعاصي تدخله النار والتوحيد يخرجه منها ويكون من اهل الكفر اشقى
فيبقى فيها خالدا مخلدا ان ربك فعال الى الابد لما يريد من الازل فهو لاخراج اهل التوحيد عن النار ولاخلاد اهل الكفر فيها واما الذين
سعدوا ففي الجنة في جوار الحق وقربه خالدين ما دامت السموات سموات الارواح والقلوب والارض ارض النفوس و
البشرية يشير الى ان الارواح والقلوب والنفوس باقيات الى الابد الا ما شاء ربك من السعداء وذلك لان اهل السعادة على
ضربين سعيد واسعد فالسعيد هو من بقي في الجنة ودرجاتها وغرفاتها واما الاسعد فهو من يخرج عن الجنة بجذبات العناية
الى عالم الوحدة فابقي هناك الدخول والخروج والاستثناء في قوله الا ما شاء ربك راجع الى هذا المقام ولهذا قال عطاء غير مجذوذ
اي لا ينقطع له ولا تغير فيه وقال صاحب التأويلات لما اطلق الشقي منكرين للتعظيم دل على الشقي والسعيد الذين هم ....
ولما وضعهم في التقسيم التفصيلي استثنى عن خلود الشقي في النار وخلود السعيد في الجنة بقوله الا ما شاء الله لان المراد بالنار نار الجنة عذاب
النفس بنار الحرمان عن المراد والام الهيئات والآثار وثواب النفس بجنة حصول المرادات واللذات وبالاستثناء عن الخلود فيها خروج الشقي
منها الى ما هو اشد منه من نيران القلب في حجب الصفات من الافعال بالسخط والطرد والاذلال ونيران الروح في مقام الشهود بالاحتجاب عن انوار
الجلال وما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك لكون الشقي في مقابلة السعيد وخروج السعيد الى النار محال وقد
بنه على ذلك بقوله عطاء غير مجذوذ فكذا ما يقابله كما نبه عليه بقوله ان ربك فعال لما يريد بما فيه من شدة الوعيد عن الخلود في حق السعيد فانه
بالفنا في احدية الذات والاحتراق بانوار العشق في سبحات الجمال حيث لا كان للحق شاهدا ومشهودا الا في مقام المشاهدة بوجود الروح
بل بالشهود الذاتي الاحدي الذي لم يبق فيه لغيره عين ولا اثر وما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد وقال الشيخ ملا اكبر
رض في هذا الاستثناء اذا استوفيت الحدود بالمؤاخذات الالهية لعباده في الدار الآخرة عمت الرحمة من خزائن الجود والحد الزماني لاستيفاء
الحدود هو تبديل السموات والارض فان التبديل لابدان يقع فيهما فينتهي المدة عند ذلك وهو في حق كل انسان من وقت تكليفه الى يوم
التبديل شقيا كان او سعيدا انما في نتايج اعماله في تلك المدة فاذا انتهت انتهى نعيم الجزاء الوفاق وعذاب الجزاء الوفاق وانتقلوا
الى نعيم المنن الالهية التي لم يربطها الله تعالى بالاعمال ولا خصها بقوم دون قوم وهو عطاء غير مجذوذ مالهم مدة ينتهي بانتهائها كما انتهى اقامة
الحدود في الاشقياء والنعيم الجزائي في السعداء بانتهاء مدة السموات والارض ولما وقت نعيم السعيد وعذاب الشقي بمدة السموات والارض
وعقب ذكر عذاب الاشقياء بقوله ان ربك فعال لما يريد واعرض عن جعل عقوبتهم عذابا غير مجذوذ كما جعل نعيم السعداء عطاء غير مجذوذ

٩٧

والاشقياء يخرجون من النار بعد انقضاء مدة العذاب بعد استغراقهم سنين كثيرة

علمنا ان للشقاوة مدة ينتهي اليها حتى ينقطع عن الاشقياء العذاب بانقطاعها كما ان السعداء ينقطع عنهم النعيم الجرابي بذلكم ثم
نعم المنن الالهي كل من العزيتين وهذا لا يقتضي خروج اهل النار من جهنم لجواز ان يتنعموا بنعيم المنن الالهي في اين منزل كانوا فان النعيم
ليس سوى ما يلايم الطبع ويقبله المزاج ولا اثر للامكنة في ذلك حيث وجد ما يلايم الطبع وينيل الغرض كان ذلك نعيما لصاحبه فاعلم ذلك
ومتعلق هذا الاستثنا بقوله الا ما شاء الله في الطائفتين على ما نزلنا عليه معنى الاية من توقيت زمان المواخذة لوقت التكليف الى
يوم التبديل هو ما يجده الكافر من نعيم الحيوة الدنيا ونيل اغراضه فيها وصحة بدنه وما يجده المؤمن من مرضه وعدم نيل اغراضه في الدنيا
كل ذلك من زمان تكليف كل واحد من الطائفتين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال الشيخ رض نزلت الكتب الالهية
الصحف على قلوب المؤمنين الخلفاء والرعايا الورثة فنزلت منفعتها في كل قلب كان محلا لكل طرب فجعلت السعادة واما العوارض
التي ليست منزلة عن امر الهي مشروع فهي اهواء عرضت للنواب والرعايا سموا جورا وهي الشقاوة ولا ابدية لها ونزول لحكمها بزوالها
واذا زال الشقاوة لزوال الموجبة اذ كان الموجب عارضا فلا بد من نقيضه وهي السعادة ومن دخل منهم النار ومن دخلها الا لينقي عن خبثه
ليبقى طيبه واذا ذهب الخبث وبقي الطيب فذلك السعيد الذي كانت سعادته مستهلكة في خبثه هكذا هو الامر في نفسه ولا يرى ذلك
الا ذو عينين واقف بين نجدين فرأى غاية كل طريق فسلك طريق سعادته التي لا شقاء بعدها فانها طريقة سهلة بيضاء نقية
لا شوب فيها ولا عوجا ولا امتا والطريق الاخرى وان كانت غايته السعادة ولكن في الطريق مفاوز ومهالك ومخاوف وسباع
عادية وحيات مضرة ولا يصل الي غاية الا بعد مقاسات هذه الاهوال والطريقان متجاورتان منشعبتان من اصل واحد ومنتهيتان الى اصل واحد
ويفترقان بين البداية والنهاية فان السعيد فيما بين ذلك على بصيرة من دون الشقي فيشاهد صاحب المحجة البيضاء ما في طريق صاحبه
لانه بصير وصاحبه لا يرى طريق البصير لانه اعمى فيحصل للبصير من مشاهدة تلك الافات خوف وتوقع في نفسه ويرى الاعمى عنده خبرا
بتيسير طريقه اليسير حتى يتردى في حفرة او يتلف عند حسكة تجرحه بالالم وما ذلك الا لكونه على غير بصيرة من المواخذة بالمعصية ولا يصح ان يكون
اخذ على بصيرة في العقاب لا في الرحمة الالهية من السعة وعدم كون الانتقام او العفو ولما ادخل الله نعم غير الشرك في المشية
فهذا هو الذي اجرا النفوس على ارتكاب المحارم والدخول في المأثم فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء لا تك في شك في حقيه ما
انزل اليك من اجل عباده هؤلاء اصنامهم مجمعين عليها مفعفين منها فانهم اهل التقليد ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل
من غير استناد الى حجة عبادتهم الاصنام فانهم ما يعبدون الا مثل ما يعبد اباؤهم وهم قد حل بهم من العقاب ما بلغك فيحل هؤلاء ما حل بهم
فان المشاركة في السبب توجب المشاركة في المسبب ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب الذي يستحقونه بالعبادة لغير الله او نامع تماديهم في الباطل لموفوهم نصيبهم من الرزق الذي قدرنا لهم فلا نخلك عنهم بتوفي
على الهداية والايمان فلا تكن تتوقع الرزق عليهم موهما لارادة تلطيفهم غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا حقيقه فلا تك في مرية من عبادة هؤلاء العاكفين على عبادة الاصنام تظن بهم انهم قصدوا في
توجيه العبادة الى المظاهر فيها وجعلوا المظاهر قبلة لهم في عبادتهم الظاهر في المظاهر فيكون عبادتهم لله حقيقة غير انهم ضالون في

طريق

١٩٨

في طريق عبادتهم فانهم ليسوا من ذلك في شيء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل بالاصنام يتخافون عبادة لا لاستناد
النفع والضر اليها وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والجزاء الدنيوي مع انهم يطلبون من غيرنا غير منقوص مما نقصد استعدادهم المقتضية
وهل انهم يعرفون استناد جميع المخلوقات الى خالق هو غير اصنامهم كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولقد
اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني
كلمة الانظار الى يوم القيمة لاستكمال السعادة والشقاوة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز عن المحق وانهم لكفار قومك
لفي شك منه من القران مريب موقع لهم في الريبة على المجاز وان كلا اي كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين وخفف ابن كثير
ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطية للقسم والثانية للتاكيد او
بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما على الجارة وما الموصولة فقلبت النون
ميما للادغام فاجتمعت ثلث فحذفت اوليهن والمعنى الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما
وان كل لما على ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت عنه شيء وان خفي فاستقم كما امرت لما امر
المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاستقامة في الاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل
والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال ابن عباس ما نزلت على النبي ٥
اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال عليه السلم شيبتني سورة هود واخواتها ومن تاب معك من تاب من الشرك والكفر
امن معك وهو عطف على المستكن من غير تاكيد بمنفصل لقيام الفاصل ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي قال ... اي يا بال لموقف فاستقم كما امرت في القيام بحقوق الله بالله فانه عليه السلم مامور
بمحافظة حقوق الله تعالى والتعظيم لامره والتشديد لخلقه بضبط احكام التجليات الصفاتية بعد الرجوع الى الخلق مع شهود الكون
الذاتية بحيث لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يتفكر الا بالله من غير ظهور تلوين من قبله باصفاته وذاته ولا يخطر له خاطر بغير
عن اخلال شرط من شرايط التعظيم ولا بدقيقة من باب النهي عن المنكر والامر بالمعروف والانذار والدعوة وذلك في غاية الصعوبة
ولهذا قال شيبتني سورة هود ومن تاب معك انته وذنب وجوده معك من الموحدين الواصلين الى شهود الكثرة في عين الوحدة في مقام
البقاء بعد الفناء ولا تطغوا بالاحتجاب بحجاب الانانية ونسبة الكمالات الالهية المطلقة الى انانيتكم المتشخصة المقيدة برؤيتها كم
للوحدة للاحتجاب بالتقييد عن الاطلاق فان الهوية الالهية لا باشارة الهدية والانانية اني بما تعملون بصير ام تعلموني ام بانفسكم
حقيقة ... قد صح ان احد شيبتني مشيرا الى هذه الاية وقد قال بعض العرفاء ان الاستقامة قد حصل عليه نشأة النبي عم
لا يعز عليه القيام بها فليكن المراد بالحديث قوله نعم وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان مقتضاها ان يكون
الكل على صراط مستقيم لان الاخذ المقتدر اذا كان على صراط مستقيم لا يكون المأخوذ المنهي مطلقا الا على ما عليه الاخذ واذا كان كذلك فقد شق

عليه ما امر به من الدعوة من الباطل الى الحق ولذلك قيل انما ادعو على بصيرة انا ومن اتبعني اي ما ادعو الا من الحق الى الحق فان بعض النواحي خوفه
بيد المقهر اعني صفات القهرية الجلالية وبعضها بيد اللطف اعني الصفات اللطفية الجمالية وانا مبعوث للدعوة من طريق القهر والجلال الى سلوك
طريق اللطف والجمال الذي يقول عليه هواه لا يبعد لعن طريق النقل وقال بعض الاكابر فاستقم كما امرت في امر الدعوة من غير ونى ودرهن في
الحوال ثم الجهاد والقتال مع ان تعلم وتتعين ان الكل على الصراط المستقيم من حيث المقهور في يد الآخذ كما هو مضمون الآية الاخرى من هذه
السورة فيكون التشييب مستندا الى القيام بحق الآيتين في سورة هود ويكون تخصيص هذه الآية بالذكر لكون المشقة التكليف وهو في
هذه الآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا لا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم شأنهم واستدامة ذكرهم
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما سمي ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم
كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلعم ومن معه من المؤمنين للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم
لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء انتج
ذلك انهم لا ينصرون اصلا قال ارباب المعرفة ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي اشركوا بهوى كامن ناشئ عن وجود بقية خفية من
الغفلات خفي الى اثبات غير فانه هو الزيغ المقارن للطغيان في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فتمسكم من يزداد غيره المحجوب نار السخط والحرمان
بالاحتجاب والتعذيب بالفراق كما قال الحسيد بشر المذنبين باني غفور وانذر الصديقين باني غيور ولهذا المعنى قال المخلصون على خطر عظيم
فان دقائق ذنوب احوالهم اوفى من ان يدركها العقل واشد من ان يتوهم بالوهم وما لكم اذن من دون الله من اولياء يتولونكم من عقابه ثم لا يبصرون
من بأسه وهذا تهديد للاولياء فكيف بالاعداء واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه بالظرف لانه مضاف الى الظرف
وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهي جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة
من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء ان الحسنات
يذهبن السيئات يكفرن بها السيئات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى
الى النبي صلعم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم اتيها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين قال ارباب الطريقة واقم الصلوة اعلم ان مرور عمر العبد واوقاته عليه مضرة وهو في الخسران مثلا ان يكون
مرورها عليه في الاعمال الصالحة كما قال ان الانسان لفي خسر الآية وذلك لان تعلق الروح النوراني العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران
الروح الا ان يتداركه انوار الاعمال الصالحة الشرعية فيحصل للروح بذلك الترقي وتخليص البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الحقيقة الربانية
ويدفع عنه ظلمة الجسد السفلي كما ان القاء الحبة في الارض من الخسران بالحبة الا ان يتداركها الماء فربما الى ان تصير الحبة الواحدة الى
سبعمائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فلذلك حض الله تعالى من اوقات عمر العبد طرفي النهار وزلفا من الليل بان يصرف من اوقات
نهاره ما زاد على قضاء ضروراته من حاجات الدنيا في الصلوة والذكر ويصرف بعض ساعات الليل في الطلب في

في الطاعة والذكر ويستريح في بعضها لاستراحة القوى البشرية ودفع كلال الحواس ليقوم في اثناء الليل نشيطا للذكر والطاعة
ان الحسنات يذهبن السيئات اي ان انوار الحسنات وهي الاعمال الصالحة مع الذكر والمراقبة في طرفي النهار وزلفا من الليل يذهبن
ظلمات سيئات الموقتات التي تصرف في قضاء الحوائج النفسانية ذلك ذكرى للذاكرين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي دائما لجميع احوالهم متذاكرا دواخلهم قال ارباب الموعظة لما كان الحواس الخمس شواغل لشغل القلب بما يورد عليه من اللذات
الجسمانية ويحجبه عن الحضرة الروحانية ويحجبه عن النور والحضور بالاعراض عن جناب الله تعالى فيما الى التوجه الى معدن الرحمة
يبدله الوحشة بالانس والكدورة بالصفا فرضت خمس صلوات تفرغ فيها العبد عن الحواس ويسد فيها ابواب الحواس لئلا يرد على
القلب شاغل لشغله ويفتح باب القلب بالتوجه الى الله لوصول مدد النور ويجمع همه عن التفرق ويستأنس بربه عن التوحش فيكون
تلك الصلوة خمسة ابواب مفتوحة للقلب على جناب الرب يدخل بها عليه النور بازاء تلك الخمسة المفتوحة الى دار الغرور التي يدخل
بها الظلمة ليذهب النور الوارد وآثار ظلمتها ويكنس غبار كدورتها وهذا معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ثم امر باقامتها
طرفي النهار لينسحب حكمها بالاحاطة على الطرفين على ساير الاوقات فيصلي ان يكون معدودا في الذين هم على صلوتهم دائمون
لدوام ذلك الحضور وبقاء ذلك النور وكسح درن الحجاب في ساير الاوقات من التفرقة والكدورة ولما كانت القوى الطبيعية
المدبرة لامر الغذاء سلطانها في الليل وهي تجذب النفس الى تدبير البدن وعمارة الجسد بالنوم عن عالمها الروحاني وتحجبها عن
شأنها الخاص بها الذي هو مطالعة الغيب ومشاهدة عالم القدس فيسلبها اللطافة والطراوة ويكدرها بالقساوة
احتيج الى تلطيفها وتصفيتها باليقظة وتنويرها وتطهيرها بالصلوة فقال وزلفا من الليل اي اقم الصلوة في ساعات قريبة
منها ذلك الذي ذكر من اقامتها في اوقات المذكورة ولذهاب السيئات بالحسنات تذكر لمن يذكر حاله عند الحضور في الصلوة وعدم
الركون الى الغير حقيقة المقصود من الصلوة تذكر ما كان للانسان من دوام الجمع والاتصال قبل تلبسه بلباس البشرية و
الاحتجاب بحجب احكام الجسمية كما قال ذكرى للذاكرين ولما كان النهار مظنة للتفرقة بالقيام بامر المعاش بخلاف الليل احتيج فيه
الى المحتاج اليه في الليل من موجب التذكير فلذلك امر باحاطة اوقات النهار بالصلوة دون اوقات الليل وفيه اشارة اخرى
الى ان التفرغ لامر الدنيا ينبغي ان لا يستغرق جميع ساعات النهار بل يكون فيما بين صلوة الصبح الى وقت الزوال فان كانت لابد
فالى آخر وقت الظهر ويكون بعد ذلك متفرغا للذكر والطاعة ليكون زمان شغله الدنيوي محفوفا بالشغل الاخروي فلا يكون
من المتمادين في الغفلة الحراص على اقتناص حطام الدنيا الدنية كما هو شعار الهالكين في اودية الحرص والغفلة واصبر على
الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة
والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي
والعقل واولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز
ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية على فعلة من بقاه

بجميعه افادتهم ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك
فلهم اتصالهم اذا حصل استثنى النوع الذين لهم تخصيص واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه وعبدوا
من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين ... بيان سبب استيصال الامم السابقة
فهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع
او اعتراض وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وبغيا وانما
يهلكهم اذا تظالموا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ولذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وقيل المعنى ما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي بغير استحقاق الهلاك ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو
اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم قال الحسن للاختلاف خلقهم فالضمير للناس وسئل مالك عنها فقال خلقهم
ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير فيكون ذلك اشارة الى الاختلاف والاتفاق وقال ابن عباس رض للرحمة خلقهم يعني
الذين رحمهم فالضمير لمن وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما
اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما قال ارباب المعرفة امة واحدة اي متساوين في الاستعداد الا من رحم ربك
بجذبهم الى التوحيد وتوفيقهم للكمال فانهم متفقون في المذهب والمقصد متوافقون في السير والطريقة قبلتهم الحق ودينهم
التوحيد والمحبة ولذلك الاختلاف خلقهم ليميز به اهل الاتفاق عنهم ويكون لجهنم اهل فانه قد تمت كلمة ربك اي الحكمة و
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لان جهنم رتبة من مراتب الوجود لا يجوز في الحكمة تعطيلها وابقاؤها في كتم العدم
مع امكانها قال الشيخ رض لذلك خلقهم اي من اجل الخلاف خلقهم ليتم بذلك مقاصد الاسماء المتقابلة فمن هناك ظهر
الخلاف بين الضار من النافع وبين المذل من المعز والقابض من الباسط وبين الحرارة من البرودة وبين الرطوبة من اليبس
وبين الوجود من العدم وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر يعني كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اشارة الى ساير فوائده العامة تخبره وكلا نقص عليك الاية يريد انه لما اطلعناك على مقاساتهم الشدائد من اممهم
مع ثباتهم كما في قصة نوح من سؤال النجاة للولد وعلى قوة ثباتهم وشجاعتهم في يقينهم وتوكلهم كما في قصة هود اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون الى قوله على صراط مستقيم وعلى كمال كرمهم في الفتوة كما في قصة لوط من تقديمه البنات لحفظ

الضيف

بها عما هلكت به الامم ...
على حالهم انا عاملون على حالنا وانتظروا انا منتظرون ... ولله غيب السموات و...
خاصة لا يخفى عليه خافية منهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم
الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه قال
الشيخ رض اليه يرجع الامر اي الى هويته يرجع الاسباب كلها فاعبده ولا تعبد شيطان الهوى وتوكل عليه لا على الاسباب لرجوعها اليه وما
ربك بغافل عما تعملون حيث انتم مظاهر اسمائه الحسنى وبها تسعدون وتشقون فسلم الامر اليه تكن عبدا موافقا لما هو الامر عليه فتستريح
من تعب الدعوى ثم انشاد بعض الغايب ... تذكرة فانه غيب الغيب لا يدركه البصر فاعبدوا انا لا نعرف منها سوى نستدل اليها
بالافتقار ومما قال في هذا المقام هو ان الرجوع الاختياري يشكر عليه العبد فارجع اليه مختارا ولا ترجع اليه مضطرا فانه لا بد من رجوعك
اليه ولا بد ان تلقاه كارها او محبا فانه تلقاك بصفتك قال عليه السلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ثم
انا قد علمنا ان لقاء الله تعالى لا يكون الا بالموت وعلمنا معنى الموت فاستعجلناه في الحيوة الدنيا فنحن في عين حيوتنا عن حجبنا بنفس
حركاتنا ارادتنا فاظهر الموت في حياتنا لقينا الله فلقينا فكان لنا حكم من لقاه محبا للقائه فاذا جاء الموت المعلوم في العامة
انكشف عنا غطاء هذا الجسم لم يتغير علينا حال ولا زدنا يقينا على ما كنا عليه فما ذقنا الا الموتة الاولى وهي التي حصلناها في حياتنا
الدنيا فنرجع الى الله هذا الرجوع سعيد فاذا احسن بالرجوع المختص لا اضطراري فانه ما جاء الا وهو هناك عند الله
فما فائدة هذا الموت الا انه قد حيل بين نفسه وبين تدبير هذا البدن
الذي كانت تدبيره فيبقى مع الحق حالها
والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا خير خلقه
محمد واله وسلم